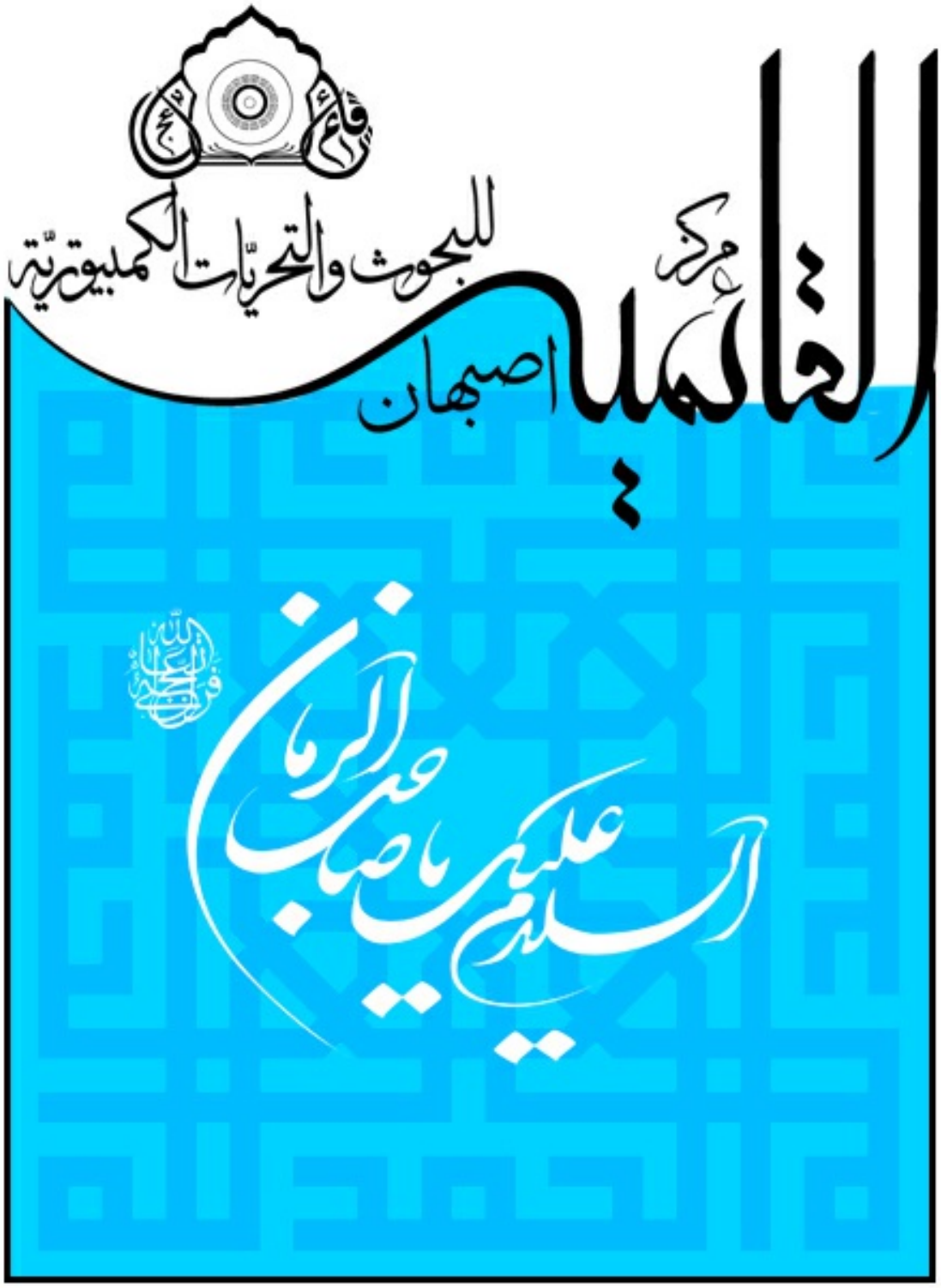

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الأمثل

في تفسير كتاب الله المنزل

العلامة الفقيه المفسر

الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

١٩

بسم الله الرحمن الرحیم

الامثل فی تفسیر کتاب الله المنزل

کاتب:

آیت الله ناصرمکارم شیرازی

نشرت فی الطباعة:

مدرسه الامام علی بن ابی طالب (علیه السلام)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵

الامثل فی تفسیر کتاب الله المنزل المجلد ۱۹ ----- ۲۶

اشاره ----- ۲۶

اشاره ----- ۲۷

سوره المعارج ----- ۳۱

اشاره ----- ۳۱

محتوی السوره: ----- ۳۱

فضیله هذه السوره: ----- ۳۲

الآیات [سوره المعارج (۷۰): الآیات ۱ الی ۳] ----- ۳۳

اشاره ----- ۳۳

سبب النّزول ----- ۳۳

التّفسیر ----- ۳۵

اشاره ----- ۳۵

العذاب العاجل: ----- ۳۵

ملاحظه: ----- ۳۶

اشاره ----- ۳۶

إشکالات المعاندین الواهیه! ----- ۳۶

الآیات [سوره المعارج (۷۰): الآیات ۴ الی ۷] ----- ۴۰

اشاره ----- ۴۰

التّفسیر ----- ۴۰

اشاره ----- ۴۰

یوم مقداره خمسین ألف سنه: ----- ۴۰

الآیات [سوره المعارج (۷۰): الآیات ۸ الی ۱۸] ----- ۴۳

اشاره ----- ۴۳

التّفسير ---- ۴۳
الآيات [سوره المعارج (۷۰): الآيات ۱۹ الى ۲۸] ---- ۴۷
اشاره ---- ۴۷
التّفسير ---- ۴۷
اشاره ---- ۴۷
أوصاف المؤمنين: ---- ۴۷
الآيات [سوره المعارج (۷۰): الآيات ۲۹ الى ۳۵] ---- ۵۳
اشاره ---- ۵۳
التّفسير ---- ۵۳
اشاره ---- ۵۳
القسم الآخر من صفات أهل الجنّه: ---- ۵۳
الآيات [سوره المعارج (۷۰): الآيات ۳۶ الى ۴۱] ---- ۵۸
اشاره ---- ۵۸
التّفسير ---- ۵۸
اشاره ---- ۵۸
الطمع الواهى فى الجنّه: ---- ۵۸
ملاحظه ---- ۶۱
اشاره ---- ۶۱
ربّ المشارق و المغارب: ---- ۶۱
الآيات [سوره المعارج (۷۰): الآيات ۴۲ الى ۴۴] ---- ۶۳
اشاره ---- ۶۳
التّفسير ---- ۶۳
اشاره ---- ۶۳
كأنّهم يهرعون إلى الأصنام!! ---- ۶۳
سوره نوح ---- ۶۷
اشاره ---- ۶۷

محتوی سوره: ----- ۶۹
فضیله هذه السوره: ----- ۷۰
الآیات [سوره نوح (۷۱): الآیات ۱ الی ۴] ----- ۷۱
اشاره ----- ۷۱
التّفسیر ----- ۷۱
اشاره ----- ۷۱
رساله نوح الأولی: ----- ۷۱
ملاحظه ----- ۷۳
اشاره ----- ۷۳
العوامل المعنویه لزیاده و نقصان العمر: ----- ۷۳
الآیات [سوره نوح (۷۱): الآیات ۵ الی ۹] ----- ۷۴
اشاره ----- ۷۴
التّفسیر ----- ۷۴
اشاره ----- ۷۴
استخدام مختلف الوسائل لهدایتهم،و لکن!!! ----- ۷۴
ملاحظتان ----- ۷۷
اشاره ----- ۷۷
۱-أسلوب الإبلاغ و منهجه ----- ۷۷
۲-لماذا الفرا من الحقیقه؟ ----- ۷۷
الآیات [سوره نوح (۷۱): الآیات ۱۰ الی ۱۴] ----- ۷۹
اشاره ----- ۷۹
التّفسیر ----- ۷۹
اشاره ----- ۷۹
ثمره الإیمان فی الدنیا: ----- ۷۹
ملاحظه ----- ۸۱
اشاره ----- ۸۱

الرّابطه بين التقوى و العمران: ---- ۸۱
الآيات [سوره نوح (۷۱): الآيات ۱۵ الى ۲۰] ---- ۸۴
اشاره ---- ۸۴
التّفسير ---- ۸۴
اشاره ---- ۸۴
خلقكم اللّه من الأرض كالنبات: ---- ۸۴
الآيات [سوره نوح (۷۱): الآيات ۲۱ الى ۲۵] ---- ۸۹
اشاره ---- ۸۹
التّفسير ---- ۸۹
اشاره ---- ۸۹
لطف اللّه معک: ---- ۸۹
الآيات [سوره نوح (۷۱): الآيات ۲۶ الى ۲۸] ---- ۹۴
اشاره ---- ۹۴
التّفسير ---- ۹۴
اشاره ---- ۹۴
على الفاسدين و المفسدين أن يرحلوا: ---- ۹۴
بحث ---- ۹۷
اشاره ---- ۹۷
نوح عليه السّلام أوّل أنبياء أولى العزم ---- ۹۷
سوره الجنّ ---- ۱۰۱
اشاره ---- ۱۰۱
محتوى السوره: ---- ۱۰۳
فضيله سوره الجن: ---- ۱۰۳
الآيات [سوره الجن (۷۲): الآيات ۱ الى ۶] ---- ۱۰۴
اشاره ---- ۱۰۴
سبب النّزول ---- ۱۰۴

التّفسير ----- ۱۰۶
اشاره ----- ۱۰۶
القرآن العجيب!! ----- ۱۰۶
الآيات [سوره الجن (۷۲): الآيات ۷ الى ۱۰] ----- ۱۱۰
اشاره ----- ۱۱۰
التّفسير ----- ۱۱۰
اشاره ----- ۱۱۰
كنّا من قبل نسترق السمع و لكن... ----- ۱۱۰
الآيات [سوره الجن (۷۲): الآيات ۱۱ الى ۱۵] ----- ۱۱۴
اشاره ----- ۱۱۴
التّفسير ----- ۱۱۴
اشاره ----- ۱۱۴
إنّ سمعنا الحقّ فأطعناه: ----- ۱۱۴
الآيات [سوره الجن (۷۲): الآيات ۱۶ الى ۱۹] ----- ۱۱۸
اشاره ----- ۱۱۸
التّفسير ----- ۱۱۸
اشاره ----- ۱۱۸
الفتنه باغدق النعمه: ----- ۱۱۸
ملاحظه ----- ۱۲۳
اشاره ----- ۱۲۳
التّحريف فى تفسير الآيه: وَ أَنَّ الْمَساجِدَ لِلّهِ ----- ۱۲۳
الآيات [سوره الجن (۷۲): الآيات ۲۰ الى ۲۴] ----- ۱۲۵
اشاره ----- ۱۲۵
التّفسير ----- ۱۲۵
اشاره ----- ۱۲۵
الأمور كلّها بيد اللّه لا بيدى: ----- ۱۲۵

ملاحظتات ----- ۱۲۸
اشاره ----- ۱۲۸
۱-صفاء القاده الإلهیین ----- ۱۲۸
۲-لیس المهم الکم بل الکیف! ----- ۱۲۹
الآیات [سوره الجن (۷۲): الآیات ۲۵ الی ۲۸] ----- ۱۳۱
اشاره ----- ۱۳۱
التّفسیر ----- ۱۳۱
اشاره ----- ۱۳۱
اللّه عالم الغیب: ----- ۱۳۱
بحوث ----- ۱۳۴
اشاره ----- ۱۳۴
۱-تحقیق موسّع حول علم الغیب ----- ۱۳۴
۲-الطریق الآخر لإثبات علم الغیب للأئمّه علیهم السّلام ----- ۱۴۱
۳-تحقیق حول خلق الجن ----- ۱۴۳
سوره المزّمّل ----- ۱۴۸
اشاره ----- ۱۴۸
محتوی السوره: ----- ۱۵۰
فضیله السّوره: ----- ۱۵۲
الآیات [سوره المزمل (۷۳): الآیات ۱ الی ۵] ----- ۱۵۳
اشاره ----- ۱۵۳
التّفسیر ----- ۱۵۳
بحوث ----- ۱۵۵
اشاره ----- ۱۵۵
۱-قیام اللیل بتلاوه القرآن و الدعاء ----- ۱۵۵
۲-معنی التّرتیل ----- ۱۵۶
۳-فضیله صلاه اللیل ----- ۱۵۷

الآیات [سوره المزمل (۷۳): الآیات ۶ الی ۱۰] ---- ۱۵۹
اشاره ---- ۱۵۹
التّفسیر ---- ۱۵۹
اشاره ---- ۱۵۹
تأثیر الدعاء و المناجاه فی أعماق اللیل: ---- ۱۵۹
الآیات [سوره المزمل (۷۳): الآیات ۱۱ الی ۱۹] ---- ۱۶۵
اشاره ---- ۱۶۵
التّفسیر ---- ۱۶۵
اشاره ---- ۱۶۵
ذرنی و المکذبین المستکبرین: ---- ۱۶۵
ملاحظه ---- ۱۷۰
اشاره ---- ۱۷۰
المراحل الأربع للعذاب الإلهی ---- ۱۷۰
الآیه [سوره المزمل (۷۳): آیه ۲۰] ---- ۱۷۱
اشاره ---- ۱۷۱
التّفسیر ---- ۱۷۱
اشاره ---- ۱۷۱
فاقرؤوا ما تیسر من القرآن: ---- ۱۷۱
ملاحظات ---- ۱۷۶
اشاره ---- ۱۷۶
۱-ضروره الاستعداد العقائدی و الثقافی ---- ۱۷۶
۲-قراءه القرآن و التفکر ---- ۱۷۶
۳-السعی للعیش کالجهاد فی سبیل اللّه ---- ۱۷۷
سوره المدّثّر ---- ۱۷۸
اشاره ---- ۱۷۸
محتوی السوره: ---- ۱۸۰

فضیله السوره: ----- ۱۸۱
الآیات [سوره المدثر (۷۴): الآیات ۱ الی ۱۰] ----- ۱۸۲
اشاره ----- ۱۸۲
التّفسیر ----- ۱۸۲
اشاره ----- ۱۸۲
قم و انذر النّاس: ----- ۱۸۲
الآیات [سوره المدثر (۷۴): الآیات ۱۱ الی ۱۷] ----- ۱۹۰
اشاره ----- ۱۹۰
سبب النّزول ----- ۱۹۰
اشاره ----- ۱۹۰
ذکر سببان هذه الآیات،هما: ----- ۱۹۰
التّفسیر ----- ۱۹۲
اشاره ----- ۱۹۲
الولید بن المغیره...الثری المغرور: ----- ۱۹۲
الآیات [سوره المدثر (۷۴): الآیات ۱۸ الی ۲۵] ----- ۱۹۵
اشاره ----- ۱۹۵
التّفسیر ----- ۱۹۵
الآیات [سوره المدثر (۷۴): الآیات ۲۶ الی ۳۰] ----- ۱۹۸
اشاره ----- ۱۹۸
التّفسیر ----- ۱۹۸
اشاره ----- ۱۹۸
المصیر المشؤوم: ----- ۱۹۸
ملاحظه ----- ۲۰۱
اشاره ----- ۲۰۱
ملائکه العذاب تسعه عشر: ----- ۲۰۱
الآیه [سوره المدثر (۷۴): آیه ۳۱] ----- ۲۰۲

اشاره ----- ۲۰۲
التّفسير ----- ۲۰۲
اشاره ----- ۲۰۲
لم هذا العدد من أصحاب النّار؟ ----- ۲۰۲
ملاحظه: ----- ۲۰۵
اشاره ----- ۲۰۵
عدد جنود الرّب! ----- ۲۰۵
الآيات [سوره المدثر (۷۴): الآيات ۳۲ الى ۳۷] ----- ۲۰۷
اشاره ----- ۲۰۷
التّفسير ----- ۲۰۷
الآيات [سوره المدثر (۷۴): الآيات ۳۸ الى ۴۸] ----- ۲۱۰
اشاره ----- ۲۱۰
التّفسير ----- ۲۱۰
اشاره ----- ۲۱۰
لم صرتم من أصحاب الجحيم؟ ----- ۲۱۰
ملاحظه: ----- ۲۱۵
اشاره ----- ۲۱۵
شفعاء يوم القيامه: ----- ۲۱۵
الآيات [سوره المدثر (۷۴): الآيات ۴۹ الى ۵۶] ----- ۲۲۰
اشاره ----- ۲۲۰
التّفسير ----- ۲۲۰
اشاره ----- ۲۲۰
يفرّون من الحق كما تفرّ الحمر من الأسد: ----- ۲۲۰
سوره القيامه ----- ۲۲۶
اشاره ----- ۲۲۶
محتوى السوره: ----- ۲۲۸

فضیله السوره: ----- ۲۲۸
الآیات [سوره القیامه (۷۵): الآیات ۱ الی ۶] ----- ۲۳۰
اشاره ----- ۲۳۰
التّفسیر ----- ۲۳۰
اشاره ----- ۲۳۰
قسما بیوم القیامه و النفس اللوامه: ----- ۲۳۰
ملاحظات ----- ۲۳۵
اشاره ----- ۲۳۵
۱-محکمه الضمیر أو القیامه الصغری ----- ۲۳۵
۲-أسماء القیامه فی القرآن المجید ----- ۲۳۷
الآیات [سوره القیامه (۷۵): الآیات ۷ الی ۱۵] ----- ۲۳۹
اشاره ----- ۲۳۹
التّفسیر ----- ۲۳۹
اشاره ----- ۲۳۹
الإنسان نعم الحکم لنفسه: ----- ۲۳۹
الآیات [سوره القیامه (۷۵): الآیات ۱۶ الی ۱۹] ----- ۲۴۵
اشاره ----- ۲۴۵
التّفسیر ----- ۲۴۵
اشاره ----- ۲۴۵
إنّ علینا جمعه و قرآنه: ----- ۲۴۵
الآیات [سوره القیامه (۷۵): الآیات ۲۰ الی ۲۵] ----- ۲۴۸
اشاره ----- ۲۴۸
التّفسیر ----- ۲۴۸
اشاره ----- ۲۴۸
الوجوه الضاحکه و الوجوه العابسه فی ساحه القیامه: ----- ۲۴۸
الآیات [سوره القیامه (۷۵): الآیات ۲۶ الی ۳۰] ----- ۲۵۳

اشاره ----- ۲۵۳
التّفسير ----- ۲۵۳
ملاحظه ----- ۲۵۵
اشاره ----- ۲۵۵
لحظه الموت المؤلمه: ----- ۲۵۵
الآيات [سوره القيامه (۷۵): الآيات ۳۱ الى ۴۰] ----- ۲۵۸
اشاره ----- ۲۵۸
التّفسير ----- ۲۵۸
اشاره ----- ۲۵۸
خلق الإنسان من نطقه قذره: ----- ۲۵۸
ملاحظتان ----- ۲۶۲
اشاره ----- ۲۶۲
۱-أطوار الجنين أو البعثات المكرره! ----- ۲۶۲
۲-نظام الأجناس البشريه ----- ۲۶۳
سوره الإنسان ----- ۲۶۶
اشاره ----- ۲۶۶
محتوى السوره: ----- ۲۶۸
هل أنّ هذه السوره مدنيه؟ ----- ۲۶۹
فضيله السوره: ----- ۲۷۱
الآيات [سوره الإنسان (۷۶): الآيات ۱ الى ۴] ----- ۲۷۲
اشاره ----- ۲۷۲
التّفسير ----- ۲۷۲
اشاره ----- ۲۷۲
الإنسان مخلوق من النطفه التافهه: ----- ۲۷۲
توضيح: ----- ۲۷۵
ملاحظه ----- ۲۷۷

اشاره ----- ۲۷۷
عالم الجنين الصاخب: ----- ۲۷۷
الآيات [سوره الإنسان (۷۶): الآيات ۵ الى ۱۱] ----- ۲۷۹
اشاره ----- ۲۷۹
سبب النزول ----- ۲۷۹
اشاره ----- ۲۷۹
البرهان العظيم على فضيله أهل بيت النّبى: ----- ۲۷۹
التّفسير ----- ۲۸۳
اشاره ----- ۲۸۳
جزاء الأبرار العظيم ----- ۲۸۳
إشباع الجياع من أفضل الحسنات: ----- ۲۹۰
الآيات [سوره الإنسان (۷۶): الآيات ۱۲ الى ۲۲] ----- ۲۹۲
اشاره ----- ۲۹۲
التّفسير ----- ۲۹۲
اشاره ----- ۲۹۲
مكافئات الجنان العظيمه ----- ۲۹۲
الآيات [سوره الإنسان (۷۶): الآيات ۲۳ الى ۲۶] ----- ۳۰۲
اشاره ----- ۳۰۲
التّفسير ----- ۳۰۲
اشاره ----- ۳۰۲
خمسه مبادئ مهمّه فى تنفيذ حكم اللّه: ----- ۳۰۲
الآيات [سوره الإنسان (۷۶): الآيات ۲۷ الى ۳۱] ----- ۳۰۷
اشاره ----- ۳۰۷
التّفسير ----- ۳۰۷
اشاره ----- ۳۰۷
تحذير مع بيان السبيل!! ----- ۳۰۷

سوره المرسلات ----- ۳۱۲
اشاره ----- ۳۱۲
محتوى السوره: ----- ۳۱۴
فضيله السوره: ----- ۳۱۵
الآيات [سوره المرسلات (۷۷): الآيات ۱ الى ۱۵] ----- ۳۱۶
اشاره ----- ۳۱۶
التّفسير ----- ۳۱۶
اشاره ----- ۳۱۶
الوعود الإلهيه و جزاء المكذبين: ----- ۳۱۶
ملاحظات ----- ۳۲۲
اشاره ----- ۳۲۲
۱-محتوى هذه الأيمان ----- ۳۲۲
الآيات [سوره المرسلات (۷۷): الآيات ۱۶ الى ۲۸] ----- ۳۲۴
اشاره ----- ۳۲۴
التّفسير ----- ۳۲۴
اشاره ----- ۳۲۴
جزاء المكذبين بالمعاد ----- ۳۲۴
الآيات [سوره المرسلات (۷۷): الآيات ۲۹ الى ۴۰] ----- ۳۳۰
اشاره ----- ۳۳۰
التّفسير ----- ۳۳۰
اشاره ----- ۳۳۰
لا قدره لهم للدفاع و لا طريقا للفرار ----- ۳۳۰
الآيات [سوره المرسلات (۷۷): الآيات ۴۱ الى ۵۰] ----- ۳۳۶
اشاره ----- ۳۳۶
التّفسير ----- ۳۳۶
اشاره ----- ۳۳۶

إن لم يؤمنوا بالقرآن فبأىّ حديث يؤمنون؟! ---- ۳۳۶
ملاحظه: ---- ۳۴۰
سوره النّبإ ---- ۳۴۵
اشاره ---- ۳۴۵
محتويات السوره: ---- ۳۴۷
فضل تلاوتها: ---- ۳۴۸
الآيات [سوره النبإ (۷۸): الآيات ۱ الى ۵] ---- ۳۴۹
اشاره ---- ۳۴۹
التّفسير ---- ۳۴۹
اشاره ---- ۳۴۹
خبر هام! ---- ۳۴۹
بحوث ---- ۳۵۲
اشاره ---- ۳۵۲
۱-«الولايه»و«النبأ العظيم» ---- ۳۵۲
۲-سرّ التأكيد على المعاد: ---- ۳۵۴
الآيات [سوره النبإ (۷۸): الآيات ۶ الى ۱۶] ---- ۳۵۶
اشاره ---- ۳۵۶
التّفسير ---- ۳۵۶
اشاره ---- ۳۵۶
كل شىء بأمرک يا ربّ... ---- ۳۵۶
ملاحظه: ---- ۳۶۷
اشاره ---- ۳۶۷
علاقه الآيات ب«المعاد»: ---- ۳۶۷
الآيات [سوره النبإ (۷۸): الآيات ۱۷ الى ۲۰] ---- ۳۶۹
اشاره ---- ۳۶۹
التّفسير ---- ۳۶۹

اشاره ----- ۳۶۹
سیأتی الیوم الموعود: ----- ۳۶۹
الآیات [سوره النبإ (۷۸): الآیات ۲۱ الی ۳۰] ----- ۳۷۶
اشاره ----- ۳۷۶
التّفسیر ----- ۳۷۶
اشاره ----- ۳۷۶
جهنّم..المرصاد الرهیب: ----- ۳۷۶
الآیات [سوره النبإ (۷۸): الآیات ۳۱ الی ۳۷] ----- ۳۸۲
اشاره ----- ۳۸۲
التّفسیر ----- ۳۸۲
اشاره ----- ۳۸۲
ممّا وعد اللّه المتقین: ----- ۳۸۲
بحثان ----- ۳۸۷
اشاره ----- ۳۸۷
۱-ثواب المتقین و عقاب العاصین ----- ۳۸۷
۲-أشربه الجنّه! ----- ۳۸۸
الآیات [سوره النبإ (۷۸): الآیات ۳۸ الی ۴۰] ----- ۳۸۹
اشاره ----- ۳۸۹
التّفسیر ----- ۳۸۹
اشاره ----- ۳۸۹
الندم الشدید: ----- ۳۸۹
بحث ----- ۳۹۵
اشاره ----- ۳۹۵
النظره الصائبه لمسأله«الجبر و الإختیار» ----- ۳۹۵
سوره النّازعات ----- ۴۰۰
اشاره ----- ۴۰۰

محتوى السوره: ----- ۴۰۲
فضيله السوره: ----- ۴۰۲
الآيات [سوره النازعات (۷۹): الآيات ۱ الى ۵] ----- ۴۰۴
اشاره ----- ۴۰۴
التّفسير ----- ۴۰۴
اشاره ----- ۴۰۴
القسم بالملائكه: ----- ۴۰۴
ملاحظتان ----- ۴۰۸
الآيات [سوره النازعات (۷۹): الآيات ۶ الى ۱۴] ----- ۴۱۰
اشاره ----- ۴۱۰
التّفسير ----- ۴۱۰
اشاره ----- ۴۱۰
صيحه الموت المرعبه! ----- ۴۱۰
الآيات [سوره النازعات (۷۹): الآيات ۱۵ الى ۲۶] ----- ۴۱۴
اشاره ----- ۴۱۴
التّفسير ----- ۴۱۴
اشاره ----- ۴۱۴
افتراء فرعون! ----- ۴۱۴
بحث ----- ۴۲۰
اشاره ----- ۴۲۰
بلاغه القرآن: ----- ۴۲۰
الآيات [سوره النازعات (۷۹): الآيات ۲۷ الى ۳۳] ----- ۴۲۱
اشاره ----- ۴۲۱
التّفسير ----- ۴۲۱
اشاره ----- ۴۲۱
اللمسات الرّبانيه فى عالم الطبيعه و نظام الكون: ----- ۴۲۱

الآیات [سوره النازعات (۷۹): الآیات ۳۴ الی ۴۱] ---- ۴۲۶
اشاره ---- ۴۲۶
التّفسیر ---- ۴۲۶
اشاره ---- ۴۲۶
التنزّه عن الهوی: ---- ۴۲۶
ملاحظات ---- ۴۲۹
اشاره ---- ۴۲۹
۱-مقام الرّب؟ ---- ۴۲۹
۲-علاقه الطغیان بعباده الدنیا ---- ۴۳۰
۳-فریقان لا ثالث لهما ---- ۴۳۱
الآیات [سوره النازعات (۷۹): الآیات ۴۲ الی ۴۶] ---- ۴۳۳
اشاره ---- ۴۳۳
التّفسیر ---- ۴۳۳
اشاره ---- ۴۳۳
یوما لقیامه:الوقت المجهول! ---- ۴۳۳
سوره عبس ---- ۴۳۸
اشاره ---- ۴۳۸
محتوی السوره: ---- ۴۴۰
فضیله السوره: ---- ۴۴۰
الآیات [سوره عبس (۸۰): الآیات ۱ الی ۱۰] ---- ۴۴۱
اشاره ---- ۴۴۱
سبب النّزول ---- ۴۴۱
التّفسیر ---- ۴۴۴
اشاره ---- ۴۴۴
عتاب ربّانی! ---- ۴۴۴
الآیات [سوره عبس (۸۰): الآیات ۱۱ الی ۲۳] ---- ۴۴۸

اشاره ----- ۴۴۸
التّفسير ----- ۴۴۸
الآيات [سوره عبس (۸۰): الآيات ۲۴ الى ۳۲] ----- ۴۵۷
اشاره ----- ۴۵۷
التّفسير ----- ۴۵۷
اشاره ----- ۴۵۷
فلينظر الإنسان إلى طعامه: ----- ۴۵۷
بحث ----- ۴۶۵
اشاره ----- ۴۶۵
الغذاء النافع: ----- ۴۶۵
الآيات [سوره عبس (۸۰): الآيات ۳۳ الى ۴۲] ----- ۴۶۷
اشاره ----- ۴۶۷
التّفسير ----- ۴۶۷
اشاره ----- ۴۶۷
صيحه البعث... ----- ۴۶۷
بحث ----- ۴۷۲
اشاره ----- ۴۷۲
أسس البناء الذاتي: ----- ۴۷۲
سوره التّكوير ----- ۴۷۵
اشاره ----- ۴۷۵
محتوى السوره: ----- ۴۷۷
فضيله السوره: ----- ۴۷۷
الآيات [سوره التكوير (۸۱): الآيات ۱ الى ۹] ----- ۴۷۹
اشاره ----- ۴۷۹
التّفسير ----- ۴۷۹
اشاره ----- ۴۷۹

يوم تطوى الكائنات فيه! ---- ۴۷۹
ملاحظات ---- ۴۸۴
اشاره ---- ۴۸۴
۱-وأد البنات ---- ۴۸۴
۲-أهميه المرأه فى الإسلام ---- ۴۸۵
۳-من الإنسان..الموءوده أم الوائد؟ ---- ۴۸۶
الآيات [سوره التكوير (۸۱): الآيات ۱۰ الى ۱۴] ---- ۴۸۷
اشاره ---- ۴۸۷
التّفسير ---- ۴۸۷
اشاره ---- ۴۸۷
يوم يرى الإنسان ما قدّم!! ---- ۴۸۷
بحثان ---- ۴۹۰
اشاره ---- ۴۹۰
۱-تناسق الآيات ---- ۴۹۰
۲-هل ستنطفئ المنظومه الشمسيه،و هل ستخمد النجوم؟؟ ---- ۴۹۰
الآيات [سوره التكوير (۸۱): الآيات ۱۵ الى ۲۵] ---- ۴۹۳
اشاره ---- ۴۹۳
التّفسير ---- ۴۹۳
اشاره ---- ۴۹۳
نزل به رسول كريم: ---- ۴۹۳
بحث ---- ۵۰۰
اشاره ---- ۵۰۰
مؤهلات الرّسول: ---- ۵۰۰
الآيات [سوره التكوير (۸۱): الآيات ۲۶ الى ۲۹] ---- ۵۰۲
اشاره ---- ۵۰۲
التّفسير ---- ۵۰۲

اشاره ----- ۵۰۲
إلى اين...أيّها الغافلون؟! ----- ۵۰۲
سوره الإنفطار ----- ۵۰۷
اشاره ----- ۵۰۷
محتوى السوره: ----- ۵۰۹
فضيله السوره: ----- ۵۰۹
الآيات [سوره الانفطار (۸۲): الآيات ۱ الى ۵] ----- ۵۱۱
اشاره ----- ۵۱۱
التّفسير ----- ۵۱۱
اشاره ----- ۵۱۱
عند ما يحلّ الحدث المروع! ----- ۵۱۱
بحث ----- ۵۱۵
اشاره ----- ۵۱۵
ما يخلفه الإنسان بعد موته: ----- ۵۱۵
الآيات [سوره الانفطار (۸۲): الآيات ۶ الى ۱۲] ----- ۵۱۷
اشاره ----- ۵۱۷
التّفسير ----- ۵۱۷
اشاره ----- ۵۱۷
لا داعى للغرور: ----- ۵۱۷
بحث ----- ۵۲۷
اشاره ----- ۵۲۷
كتبه صحائف الأعمال: ----- ۵۲۷
الآيات [سوره الانفطار (۸۲): الآيات ۱۳ الى ۱۹] ----- ۵۳۰
اشاره ----- ۵۳۰
التّفسير ----- ۵۳۰
اشاره ----- ۵۳۰

«یوم...لا تملک نفس لنفس شیئا»: ---------- ۵۳۰

تعریف مرکز ---------- ۵۴۹

الامثل فی تفسیر کتاب الله المنزل المجلد ۱۹

اشاره

سرشناسه : مکارم شیرازی، ناصر، - ۱۳۰۵

عنوان و نام پدیدآور : الامثل فی تفسیر کتاب الله المنزل/ تالیف ناصر مکارم شیرازی؛ [با همکاری جمعی از فضلا]

وضعیت ویراست : [ویرایش]۲

مشخصات نشر : قم: مدرسه الامام علی بن ابی طالب(ع)، ۱۴۲۱ق. = ۱۳۷۹.

مشخصات ظاهری : ج ۲۰

شابک : ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۳-X(دوره) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۹-۱(ج.۱) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۳-۲(ج.۲) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۸-۳(ج.۳) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۲-۴(ج.۴) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۷-۵(ج.۵) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۱-۶(ج.۶) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۶-۷(ج.۷) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۰-۸(ج.۸) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۵-۹(ج.۹) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۴-۰(ج.۱۰) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۲-۱(ج.۱۱) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۷-۲(ج.۱۲) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۱-۳(ج.۱۳) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۰-۵(ج.۱۵)

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : کتاب حاضر ترجمه و تلخیص "تفسیر نمونه" است

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است

یادداشت : کتابنامه

موضوع : تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

شناسه افزوده : مدرسه الامام علی بن ابی طالب(ع)

رده بندی کنگره : BP۹۸/م ۷ت ۷۰۴۴۷ ۱۳۷۹

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۹-۱۰۳۹۱

ص :۱

اشاره

سوره المعارج

اشاره

مکیه و عدد ایاتها اربع و أربعون ایه «سوره المعارج»

محتوی السوره:

المعروف بین المفسّرین هو أنّ سوره المعارج من السور المکّیه،و علی أساس ما ینقله(فهرست ابن الندیم)و(کتاب نظم الدرر)و(تناسق الآیات و السور)المطابق لما نقله(تاریخ القرآن)لأبی عبد اللّه الزنجانی أنّ هذه السوره هی السوره السابعه و السبعون و التی نزلت فی مکّه.

و لکن هذا یتنافی مع کون بعض آیاتها مدنیه،و هذا لیس منحصرا فی سوره المعارج،فإنّ کثیرا من سور القرآن الکریم هی مکّیه و لکنّها تحوی علی آیه أو آیات مدنیه فی نفس الوقت،و بالعکس بعض السور المدنیه تحوی علی آیات مکّیه.

و لقد نقل العلاّمه الأمینی رحمه اللّه نماذج کثیره من هذا الموضوع فی کتابه (الغدیر)،و هناک روایات کثیره سوف یأتی ذکرها بعد إن شاء اللّه تدل علی أنّ الآیات الأولی من هذه السوره هی آیات مدنیه.

علی أیه حال فإنّ خصوصیات السور المکّیه کالبحث حول اصول الدین و خاصّه المعاد و إنذار المشرکین و المخالفین،و هذه الخصوصیات واضحه جدّا فی هذه السوره،و علی هذا فإنّ لهذه السوره أربعه أقسام:

القسم الأوّل:یتحدث عن العذاب السریع الذی حلّ بأحد الأشخاص ممن أنکر أقوال النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قال:لو کان هذا القول حقّا فلینزل علیّ العذاب. فنزل (الآیه ۱-۳).

القسم الثّانی:ذکر الکثیر من خصوصیات یوم القیامه و مقدماتها و حالات

الكفار فی ذلک الیوم.

القسم الثّالث:توضح هذه السوره بعض الصفات الإنسانیه الحسنه و السیئه و التی تعیّن هذا الشخص من أهل الجنان أم من أهل النّار.

القسم الرّابع:یشمل إنذارات تخصّ المشرکین و المنکرین و تبیان مسأله المعاد و ینهی بذلک السوره.

فضیله هذه السوره:

نقرأ

فی حدیث عن الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «من قرأ(سأل سائل)أعطاه اللّه ثواب الذین هم لأماناتهم و عهدهم راعون و الذین هم علی صلواتهم یحافظون» و

جاء فی حدیث آخر عن الإمام الباقر علیه السّلام: «من أدمن قراءه(سأل سائل)لم یسأله اللّه یوم القیامه عن ذنب عمله و أسکنه جنّته مع محمّد». و نقل مثله عن الإمام الصّادق علیه السّلام.

من البدیهی أنّ الإنسان یحصل علی مثل هذا الثّواب العظیم إذا کانت قراءته بإیمان و عقیده،و ثمّ یقترن ذلک بالعمل،لا أن یقرأ الآیات و السور من دون أن تؤثر فی روحه و فکره و عمله شیئا.

الآيات [سوره المعارج (۷۰): الآيات ۱ الى ۳]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ سَأَلَ سٰائِلٌ بِعَذٰابٍ وٰاقِعٍ (۱) لِلْكٰافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دٰافِعٌ (۲) مِنَ اَللّٰهِ ذِي اَلْمَعٰارِجِ (۳)

سبب النّزول

نقل الكثير من المفسّرين و أصحاب الحديث أحاديث عن سبب نزول هذه الآيه و حاصلها: أنّه عند ما نصّب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عليّا عليه السّلام

فى يوم(غدير خم)قال فى حقّه: «من كنت مولاه فعلىّ مولاه»و لم ينقض مدّه حتى انتشر ذلك فى البلاد و المدن،فقدم النعمان بن حارث الفهرى على النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قال:أمرتنا عن اللّه أن نشهد أن لا إله إلاّ اللّه و أنّك رسول اللّه،و أمرتنا بالجهاد و الحج و الصّوم و الصّلاه و الزكاه فقبلناها،ثمّ لم ترض حتى نصّبت هذا الغلام فقلت من كنت مولاه فعلىّ مولاه،فهذا شىء منك أو أمر من عند اللّه.

فقال:«و اللّه،و الذى لا إله إلاّ هو إنّ هذا من اللّه»فولى النعمان بن حارث و هو يقول:اللّهم إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجاره من السماء فرماه اللّه بحجر على رأسه فقتله و أنزل اللّه تعالى سَأَلَ سٰائِلٌ بِعَذٰابٍ وٰاقِعٍ و ما ذكرناه هو مضمون ما روى عن أبى القاسم الحسكانى فى مجمع البيان بإسناده إلى أبى عبد اللّه الصّادق عليه السّلام (۱) .

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۳۵۲.

هذا المعنى مروى عن كثير من المفسّرين من العامّه،فقد نقل رواه الحديث هذا المعنى بشیء من الاختلاف البسيط.

و ينقل«العلاّمه الأمينى»ذلك فى كتابه(الغدير)عن ثلاثين عالما مشهورا من أهل السنّه(مع ذكر السند و النّص)و من ذلك:

تفسير غريب القرآن(للحافظ أبى عبيد الهروى).

تفسير شفاء الصدور(لأبى بكر النقاشى الموصلى).

تفسير الكشف و البيان(لأبى إسحاق الثعالبى).

تفسير أبى بكر يحيى(القرطبى).

تذكره أبو إسحاق(الثعلبى).

كتاب فرائد السمطين(للحموينى).

كتاب درر السمطين(للشّيخ محمّد الزرندى).

كتاب السراج المنير(لشمس الدين الشّافعى).

كتاب(سيره الحلبى).

كتاب نور الأبصار(للسّيد مؤمن الشبلنجى).

و كتاب شرح الجامع الصّغير للسيوطى من(شمس الدين الشّافعى و غير ذلك. (۱)

و فى كثير من هذه الكتب علم ورد أنّ هذه الآيات قد نزلت بهذا الشأن، و بالطبع هناك اختلاف بشأن الحارث بن النعمان أو جابر بن نذر أو النعمان بن حارث الفهرى،و من الواضح أنّ هذا الأمر لا يؤثر فى أصل المطلب.

بالطبع أنّ بعض المفسّرين أو المحدّثين بفضائل الإمام على عليه السّلام من أهل السنّه يتقبلون ذلك،و لكن على مضض و عدم ارتياح،و تمسكوا بإشكالات

۱- ۱) -الغدير،ج ۱،ص ۲۳۹-۲۴۶.

مختلفه على سبب نزول الآيه،و سنوضح فى نهايه المطاف بإذن اللّه بحثا تفسيريا عن هذا الموضوع.

***

التّفسير

اشاره

العذاب العاجل:

من هنا تبـدأ سوره المعارج حيث تقول: سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ ،هذا السائل كما قلنا فى سبب النزول هو النعمان بن الحارث أو النضـر بن الحارث و كان هذا بمجرّد تعيين الإمام على عليه السّلام خليفه و وليّا فى(غدير خم)و انتشار هذا الخبر فى البلاد،حيث رجع مغتاظا إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قال:هل هذا منك أم من عند اللّه؟

فأجابه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مصرّحا:«من عند اللّه»، فازداد غيظه و قال:اللّهم إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجاره من السماء،فرماه اللّه بحجاره من السماء فقتله. (۱)

هناك تفسير آخر أعم من هذا التّفسير و أعم منه،و هو أنّ سائل سأله لمن هذا العذاب الذى تتحدث عنه؟فيأتى الجواب فى الآيه الاخرى: لِلْكافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دافِعٌ .

و حسب تفسير ثالث يكون هذا السائل هو النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الذى دعا على الكافرين بالعذاب فنزل.

و لكن مع أنّ التّفسير الأوّل أكثر ملاءمه للآيه فإنّه منطبق تماما على روايات سبب النزول.

ثمّ يضيف بأنّ هذا العذاب خاص بالكفار و لا يستطيع أحد دفعه عنهم:

---

۱ - ۱) -الباء فى(بعـذاب واقع)حسب هـذا التفسـير باء زائـده للتأكيد و فى نظر البعض تعنى(عن)،و هذا ممّا يطابق التّفسـير الثّانى (يجب الالتفات إلى أنّ السؤال إذا كان بصيغه الطلب يتعدى بمفعولين و إذا كان بمعنى الاستفسار يكون مفعوله الثّانى مع(عن).

لِلْكافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دافِعٌ

. (۱)

و تصف الآيه الاخرى من ينزل العذاب منه،و هو اللّه ذى المعارج فتقول الآيه: مِنَ اللّهِ ذِى الْمَعارِجِ ،أى صاحب السماء التى يعرج إليها الملائكه.

«المعرج»جمع«معرج»بمعنى المصعد أو المكان الذى منه يصعدون،إذ أنّ اللّه جعل للملائكه مقامات مختلفه يتوجهون بها إلى قربه بالتدريج،و قد وصف اللّه تعالى بذى المعارج.

نعم،الملائكه المأمورون بتعذيب الكفّار و المجرمين،و الذين هبطوا على إبراهيم عليه السّلام،و أخبروه بأنّهم قد أمروا بإباده قوم لوط،و فعلوا ذلك إذ قلبوا بلاد أولئك القوم الفاسقين رأسا على عقب.

و هم الذين أمروا كذلك بتعذيب المجرمين الباقين.

و قيل المراد ب-(المعارج)الفضائل و المواهب الإلهيه، و قيل المراد بها (الملائكه)،و لكن المعنى الأوّل هو أنسب،و هو ملائم للمفهوم اللّغوى.

ملاحظه:

اشاره

إشكالات المعاندين الواهيه!

كثيرا ما نرى فى مورد الآيات أو الرّوايات التى تذكر فضائل أمير المؤمنين عليه السّلام إصرار البعض إلى حدّ ما فى أن يغضّ النظر عنها،أو يقوم بتوجيهها توجيها محرّفا و يدقق فى أمرها بوسوسه بالغه،فى حين أنّ هذه الفضائل لو كانت وارده فى الآخرين لقبلوها بسهوله و بساطه.

النموذج الحى الكلام هو الإشكالات السباعيه التى ذكرها ابن تيميه فى

۱- ۱) -(واقع)صفه للعذاب و(للكافرين)صفه ثانيه و(ليس له دافع)صفه ثالثه و قد احتمل أن(الكافرين)له علاقه ب-(العذاب) و إذا كانت(اللام)تعنى(على)فإنّها ستتعلق ب-(واقع).

کتابه(منهاج السنّه)فی أحادیث مرویه فی أسباب نزول الآیات المذکوره و هی:

۱-حدیث قصّه یوم الغدیر بعد رجوع الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من حجّه الوداع أی فی السنه العاشره للهجره،فی حین أنّ السوره المعارج من السور المکّیه و قد نزلت قبل الهجره.

الجواب:کما بیّنا من قبل فإنّ کثیرا من السور تسمّی مکّیه فی حین أنّ بعض آیاتها مدنیه کما یقول المفسّرون،و بالعکس فإنّ هناک سورا مدنیه نزلت بعض آیاتها فی مکّه.

۲-جاء فی الحدیث أنّ(الحارث بن النعمان)حضر عند النّبی فی(الأبطح)، و المعروف أنّ(الأبطح)،واد فی مکّه،و هذا لا یتفق مع نزول الآیه بعد حادثه الغدیر.

الجواب:إنّ کلمه الأبطح وردت فی بعض الرّوایات،لا کلّ الرّوایات،کما أنّ الأبطح و البطحاء تعنی کل أرض صحراء رملیه و تجری فیها السیول،و کذلک هناک مناطق فی المدینه تسمّی بالأبطح و البطحاء،و قد أشار العرب إلی ذلک فی کثیر من أقوالهم و أشعارهم.

۳-المشهور أنّ آیه: وَ إِذْ قالُوا اللّهُمَّ إِنْ کانَ هذا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِکَ فَأَمْطِرْ عَلَیْنا حِجارَهً مِنَ السَّماءِ الجواب:لیس منّا من یقول:إنّ حادثه الغدیر هی سبب نزول تلک الآیه،بل الحدیث هو فی آیه: سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ و أمّا الآیه(۳۳)من سوره الأنفال فهی أنّ الحارث بن النعمان قد استخدمها فی کلامه،و هذا لا یرتبط بأسباب النزول،و لکن العصبیه المفرطه تجعل الإنسان غافلا عن هذا الموضوع الواضح.

۴-یقول القرآن المجید: وَ ما کانَ اللّهُ لِیُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِیهِمْ وَ ما کانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ یَسْتَغْفِرُونَ الأنفال الآیه(۳۳)،تقول الآیه:لم ینزل العذاب أبدا ما دام الرسول فیهم.

الجواب:المعروف أنّ العذاب العام و الجماعی مرفوع عن الأمّه لأجل الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و أمّا العذاب الخاص و الفردی فقد نزل مرارا علی بعض الأفراد، و التاریخ الإسلامی شاهد علی أنّ أناسا معدودین مثل«أبی زمعه»و«مالک بن طلاله»و«الحکم بن أبی العاص»و غیرهم قد ابتلوا بالعذاب للعن الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلم لهم أو بدون ذلک.

بالإضافه إلی ذلک فإنّ الآیه السالفه لها تفاسیر أخری،و طبقا لذلک فإنّ لا یمکن الاستدلال بها فی المکان(راجع التّفسیر الأمثل ذیل الآیه ۳۳ الأنفال).

۵-إذا کان سبب النزول هذا صحیحا فلا بدّ أن یکون معروفا کقصّه أصحاب الفیل؟ الجواب:إنّ سبب النزول لهذه الآیه معروف و مشهور،کما أشرنا من قبل،إلی حدّ ألّف فیه ثلاثون کتابا من کتب التّفسیر و الحدیث،و العجیب بعدئذ أن نتوقع من حادثه خاصّه أن تعطی انعکاسا و أثرا کقصّه أصحاب الفیل،فی حین أنّ تلک القصّه کانت لها صفه عامّه،و قد استولت علی أنحاء مکّه،و أبیدت فیها جیوش کبیره،و أمّا قصّه الحارث بن النعمان،فإنّها کانت تخصّ فردا واحدا فقط!.

۶-ما یستفاد من هذا الحدیث هو أنّ الحارث بن النعمان کان معتقدا بأسس و اصول الإسلام،فکیف یمکن لمسلم یعاصر النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أن یبتلی بمثل هذا العذاب؟ الجواب:هذا الإحتجاج ناشئ أیضا من التعصب الأعمی،لأنّ الأحادیث المذکوره سلفا تشیر إلی أنّه لم ینکر نبوّه الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فحسب،بل أنّه أنکر حتی الشهاده بالوحدانیه،و اعترض علی الأمر الإلهی الذی صدر للرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی حقّ علی علیه السّلام و هذا یدل علی أشدّ مراحل الکفر و الارتداد.

۷-لا نجد اسما للحارث بن النعمان فی الکتب المشهوره کالاستیعاب الذی جاء فیه ذکر الصحابه.

الجواب:ما جاء فی هذا الکتاب و مثله من ذکر الصحابه یرتبط فقط بقسم من الصحابه،فمثلا فی کتاب(أسد الغابه)الذی یعدّ من أهم الکتب و فیه یذکر أصحاب الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قد عدّ منهم فقط سبعه آلاف و خمسمائه و أربعه و خمسین صحابیا،فی حین أننا نعلم أنّ الجمع الذی کان حاضرا عند النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی حجّه الوداع مائه ألف أو یزیدون،و ممّا لا شک فیه أنّ کثیرا من أصحاب الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لم یأت ذکرهم فی هذه الکتب.

***

ص :۱۳

الآيات [سوره المعارج (۷۰): الآيات ۴ الى ۷]

اشاره

تَعْرُجُ اَلْمَلاٰئِكَهُ وَ اَلرُّوحُ إِلَيْهِ فِی يَوْمٍ كٰانَ مِقْدٰارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَهٍ (۴) فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلًا (۵) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً (۶) وَ نَرٰاهُ قَرِيباً (۷)

التّفسير

اشاره

يوم مقداره خمسين ألف سنه:

بعد إيراد قصّه العذاب الدنيوى الذى أصاب من طلب العذاب تبحث الآيات أمر المعاد و العذاب الأخروى للمجرمين فى ذلك اليوم.

فى البدايه يقول تعالى: تَعْرُجُ الْمَلاٰئِكَهُ وَ الرُّوحُ إِلَيْهِ -أى إلى الله- فِی يَوْمٍ كٰانَ مِقْدٰارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَهٍ المشهور أنّ المراد من عروج الملائكه هو العروج الروحى،و ليس العروج الجسمى،يعنى أنّهم يسرعون فى التقرب إلى المقام الإلهى و هم مهيّئون لاستلام الأوامر فى ذلك اليوم الذى يراد به يوم القيامه،و كما قلنا سابقا فى تفسير الآيه(۱۷)من سوره الحاقه من أنّ المراد من الآيه وَ الْمَلَكُ عَلىٰ أَرْجٰائِهٰا هو اليوم الذى يجتمعون فيه فى السماء ينتظرون لتنفيذ ما

يأمرون (۱) .

و المراد بالرّوح هو(الرّوح الأمين)و هو أكبر الملائكه،و هـذا ما أشـير إليه أيضا فى سوره القدر حيث يقول تعالى: تَنَزَّلُ الْمَلائِكَهُ وَ الرُّوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ و من الطبيعى أنّ الرّوح لها معان مختلفه بحسب تناسب مع القرائن الموجوده،فمن الممكن أن يعطى فى كلّ موضوع معنى خاص،و الرّوح يراد به روح الإنسان،و كذا يراد منه القرآن،و بمعنى روح القدس،و بمعنى ملك الوحى، كلّ ذلك من معانى الرّوح،و هذا ما يشار إليه فى بقيه آيات القرآن.

و أمّا المراد بكون(خمسين ألف سنه)هو ذلـك اليوم الـذى بحيث لو وقع فى الـدنيا كان مقـداره خمسـين ألف سـنه من سـنى الدنيا،و هذا لا ينافى ما جاء فى الآيه(۵)من سوره السجده من إنّ ذلك يوم مقداره ألف سنه،و لأجل ذلك ذكر فى الرّوايات أنّ ليوم القيامه خمسين موقفا،و كلّ موقف منه يطول بمقدار ألف سنه. (۲)

و احتمل البعض أيضا أنّ هذا العدد(خمسين ألف سنه)للكثره لا العدد،أى أنّ ذلك اليوم طويل جدّا.

على أىّ حال فقد كان هذا ما يخصّ المجرمين و الظلمه و الكفار،و لهذا

روى فى حديث عن أبى سـعيد الخدرى أنّه سأل سائل من النّبى صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم بعد نزول هذه الآيه عن طول ذلك اليوم؟فقال:«و الذى نفس محمّد بيده إنّه ليخف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاه مكتوبه يصليها فى الدنيا» (۳) .

۱- ۱) -وردت تفاسير اخرى لعروج الملائكه لا يمكن الاعتماد على أىّ منها و من ذلك:المراد من الزمان هى الفتره التى بدأت الملائكه بالصـعود و النزول منذ بدايه الدنيا إلى نهايتها تكون مقدار خمسـين ألف سنه،و هذا هو عمر الحياه و لكن الآيات التى. تليها تدلّ على أنّ الحديث يخصّ يوم القيامه و لا يخصّ الدّنيا(فتدبّر).

۲- ۲) -نقـل هـذا الحـديث فى أمالى الشّـيخ بإسـناده إلى أمير المؤمنين عليه السّـلام و هو مطابق لما نقله الحويزى فى كتابه نور الثقلين،ج ۵، ص ۴۱۳.

۳- ۳) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۳۵۳،و القرطبى،ج ۱۰،ص ۶۷۶۱.

ثمّ يخاطب اللّه تعالى رسوله الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى الآيه الأخرى و يقول: فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً .

المراد ب(الصبر الجميل)هو ما ليس فيه شائبه الجزع و التأوه و الشكوى، و فى غير هذا الحال لا يكون جميلا. (۱)

ثمّ يضيف: إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَ نَرَاهُ قَرِيباً إنّهم لا يصدقون بوجود مثل ذلك اليوم الذى يحاسب فيه جميع الخلائق حتى أصغر حديث و عمل لهم،و ذلك فى اليوم مقداره خمسون ألف سنه،و لكنّهم فى الواقع ما عرفوا اللّه و فى قلوبهم ريب بقدره اللّه.

إنّهم يقولون:كيف يمكن جمع العظام الباليه و التراب المتناثر فى كل حدب و صوب ثمّ يردّ إلى الحياه؟(و قد ذكر القرآن كلامهم هذا فى كثير من آياته)ثمّ كيف يمكن أن يكون اليوم بمقدار خمسين ألف سنه.

الطريف أنّ العلم الحاضر يقول:إنّ مقدار كلّ يوم فى أى من الأجرام السماويه يختلف عن بعضها الآخر،لأنّ دوران الجرم السماوى حول نفسه مرّه واحده تابع إلى فتره زمنيه معينه،و لهذا فإنّ اليوم فى القمر بمقدار أسبوعين على ما هو فى الأرض،حتى أنّهم يقولون:يمكن أن تقل سرعه الحركه الوضعيه للأرض و ذلك بمرور الزمن و يصبح اليوم الواحد فيها كالشهر أو كالسنه أو مئات السنين،و نحن لا نقول،إنّ الزمان فى يوم القيامه كذلك،بل نقول إن اليوم الذى يبلغ مقداره خمسين ألف سنه،ليس عجيبا فى مقاييس عالم الدنيا.

۱- ۱) -بسطنا الكلام فى معنى الصبر الجميل فى التفسير الأمل،ج ۷(من الطبعه العربيه)فى قصّه النّبى يعقوب و يوسف عليهما السّلام.

الآيات [سوره المعارج (۷۰): الآيات ۸ الى ۱۸]

اشاره

يَوْمَ تَكُونُ اَلسَّمٰاءُ كَالْمُهْلِ (۸) وَ تَكُونُ اَلْجِبٰالُ كَالْعِهْنِ (۹) وَ لاٰ يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً (۱۰) يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ اَلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذٰابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (۱۱) وَ صٰاحِبَتِهِ وَ أَخِيهِ (۱۲) وَ فَصِيلَتِهِ اَلَّتِي تُؤْوِيهِ (۱۳) وَ مَنْ فِي اَلْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ (۱۴) كَلاّٰ إِنَّهٰا لَظىٰ (۱۵) نَزّٰاعَةً لِلشَّوىٰ (۱۶) تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلّٰى (۱۷) وَ جَمَعَ فَأَوْعىٰ (۱۸)

التّفسير

تضيف هذا الآيات على البحوث السابقه حول القيامه إيضاحات أكثر،حيث يقول اللّه تعالى: يَوْمَ تَكُونُ السَّمٰاءُ كَالْمُهْلِ (۱) ، وَ تَكُونُ الْجِبٰالُ كَالْعِهْنِ .

«المهل»:على وزن(قفل)و هو المذاب من المعدن كالنحاس و الذهب و غيرهما،و يراد له أحيانا دردى الزيت المتخلف من زيت الزيتون،و هذا هو ما

۱- ۱) -ل(يوم)احتمالات متعدده فى الإعراب،و لكن الأفضل أن يكون بدلا من(قريبا)فى الآيه السابقه أو متعلقا بفعل محذوف مثل(اذكر).

يناسب المعنى الأوّل،و إن لم يكن هناك اختلاف فى مقام التشبيه.

«العهن»:مطلق الصوف المصبوغ ألوانا.

نعم،فى مثل ذلك اليوم تتلاشى السموات و تذوب،تتدكدك الجبال ثمّ تتناثر فى الهواء كالصوف فى مهب الرّيح،و بما أنّ الجبال ذات ألوان مختلفه فإنّها شبهت بالصوف المصبوغ بالألوان،ثمّ يتحقق عالم جديد و حياه جديده للبشريه بعد كلّ هذا الخراب.

و عند ما يحلّ يوم القيامه فى ذلك العالم الجديد فسيكون فيه الحساب عسيرا و مرعبا بحيث ينشغل كل بنفسه،و لا يفكر بالآخر حتى لو كان من خلّص اصدقائه و أحبائه: وَ لا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً (۱) .

الكلّ مشغول بنفسه،و يفكر بخلاص نفسه يقول فى سوره عبس(۳۷):

لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ

(۲)

.

و لا- يعنى ذلك أنّ الأصدقاء و الأقرباء ينكر بعضهم بعضا،بل إنّهم يعرفونهم و يقول تعالى: يُبَصَّرُونَهُمْ (۳) ،غايه الأمر هو أنّ هول الموقف و وحشته لا يمكنه من التفكر بغيره.

و إكمالا للحديث و توضيحا لذلك الموقف الموحش،يضيف تعالى: يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ .

و ليس ببنيه فحسب بل،يودّ أن يفتدى العذاب بزوجته و أخيه أيضا وَ صاحِبَتِهِ وَ أَخِيهِ .

وَ فَصِيلَتِهِ الَّتِى تُؤْوِيهِ

أى عشيرته و أقربائه الذين كان يأوى إليهم فى الدنيا:

۱- ۱) -«الحميم»:تقدم أنه فى الأصل يعنى الماء المغلى و المحرق ثمّ اطلق كذلك على الأصدقاء المخلصين و الحقيقيين.

۲- ۲) -وردت تفاسير اخرى،منها:لا- يسأل أحد عن أحوال الآخر لأنّ أحوالهم ظاهره فى وجوههم،و إذا كانت ظاهره فلا مبرر للسؤال،و لا يمكن أحد تحمل المسؤوليه،مسئوليه أعماله عن الآخرين و لكن التّفسير الأوّل هو الأصح.

۳- ۳) -مع أنّ«حميم»قد جاء فى المرحلتين بصوره المفرد،فقد جاء فى«يبصرونهم»ضمير بصوره الجمع لأنّ له معنى جنسى.

وَ مَنْ فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً ثُمَّ یُنْجِیهِ

.

نعم،إنّ عذاب اللّه شدید فی ذلک الیوم المهول الی حدّ یودّ الإنسان فیه أن یفدی أعزّته و هم أربع مجامیع:«الأولاد،الزوجات،الإخوان،عشیرته الأقربون الناصرون له»فیضحی بهم لخلاص نفسه،و لیس فقط أولئک بل إنّه مستعد للافتداء بمن فی الأرض جمیعا لینجی نفسه! «یود»:من(الود)علی وزن(حبّ)أی یحب و یتمنی،و یقول الراغب:یمکن استعمال أحد المعنیان(بل الاثنان معا).

«یفتدی»:من(الفداء)أی حفظ النفس من المصائب و المشاکل بوسیله تسدید أو دفع شیء ما.

«الفصیله»:هی العشیره و العائله التی انفصل و تولّد منها الإنسان.

«تؤیه»:من(الإیواء)من الشدائد و اللجوء إلیها و یأوی إلیها فی النسب.

و قال بعض المفسّرین بأنّ(ثمّ)فی ثُمَّ یُنْجِیهِ تدل علی أنّهم یعملون أنّ هذا الافتداء لا ینفع شیئا،و أنّه محال(لأنّ ثمّ تأتی عاده فی المسافه و البعد).

و لکنّه یجیب علی کلّ هذه الأمانی و الآمال فی قوله: کَلاّ أی لا تقبل الفدیه و الافتداء.

إِنَّها لَظی

نار ملتهبه تحرق کلّ من بجانبها و فی مسیرها.

نَزّاعَهً لِلشَّوی

تقلع الید و القدم و جلد الوجه.

«لظی»:تعنی لهیب النّار الخالص،و هی اسم من أسماء جهنم أیضا،یمکن الأخذ بالمعنیین الآیه.

«نزاعه»:أی أنّها تقتلع و تفصل بالتوالی.

و«شوی»:الأطراف کالید و الأرجل،و تأتی أحیانا بمعنی الشواء،و لکن المراد هنا هو المعنی الأوّل،لأنّه عند ما تتصل النّار المحرقه و لیبها بشیء فإنّها تحرق و تفصل أوّلا الأطراف و الجوانب و فروع ذلک.

و يرى بعض من المفسّرين أنّ الشوى هو جلد البدن،و البعض يقول أنّه أم الرأس،و البعض الآخر:يفسّره بلحم الساق،و قد أجمع الجميع على المعنى الأوّل الذى قلناه،و العجيب أنّه مع هذا الحال فليس فى الأمر موت! ثمّ يشير إلى من يكون فريسه لمثل هذه النّار،فيقول: تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلّى وَ جَمَعَ فَأَوْعى .

و بهذا فإنّ هذه النّار المحرقه تدعو أولئك المجرمين إلى نفسها سواء بلسان حالها و جاذبيتها الخاصّه المودعه فيها تجاه المجرمين،أو بلسان مقالها الذى أعطاها اللّه إيّاها:إنّها تدعو أولئك المتصفين:بهاتين الصفتين الإعراض عن الإيمان و عدم طاعه اللّه و رسوله،و من جهه أخرى يفكرون دائما بجمع الأموال من الحرام و الحلال و ادخارها من دون أن يلتفتوا إلى حقوق البائسين و المحرومين،أو أنّهم يجهلون فلسفه المال الذى يعتبر من النعم الإلهيه.

الآيات [سوره المعارج (۷۰): الآيات ۱۹ الى ۲۸]

اشاره

إِنَّ اَلْإِنْسٰانَ خُلِقَ هَلُوعاً (۱۹) إِذٰا مَسَّهُ اَلشَّرُّ جَزُوعاً (۲۰) وَ إِذٰا مَسَّهُ اَلْخَيْرُ مَنُوعاً (۲۱) إِلاَّ اَلْمُصَلِّينَ (۲۲) اَلَّذِينَ هُمْ عَلىٰ صَلاٰتِهِمْ دٰائِمُونَ (۲۳) وَ اَلَّذِينَ فِي أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (۲۴) لِلسّٰائِلِ وَ اَلْمَحْرُومِ (۲۵) وَ اَلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ اَلدِّينِ (۲۶) وَ اَلَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذٰابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (۲۷) إِنَّ عَذٰابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (۲۸)

التّفسير

اشاره

أوصاف المؤمنين:

بعد ذكر أوصاف الصالحين و جوانب من أنواع العذاب فى يوم القيامه،يأتى هنا وصف المؤمنين للتعرف عن سبب انقسام النّاس إلى صنفين،و هنا:المعذبون و الناجون،يقول أوّلا: إِنَّ الْإِنْسٰانَ خُلِقَ هَلُوعاً .

إِذٰا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً

.

يراد ب«الهلوع»كما يقول المفسّرون و أصحاب اللغه«الحريص»،و آخرون

فسّروه بالجزع،و بناء على التّفسير الأوّل فإنّه يشار إلى ثلاثه أمور رذيله يتصف بها هؤلاء و هى:الحرص،و الجزع،و البخل،و للتّفسير الثّانى صفتان هما:الجزع، و البخل،لأنّ الثّانيه و الثّالثه هى تفسير لمعنى الهلوع.

و هنا احتمال آخر و هو أنّ المعنيين يجتمعان فى هذه الكلمه،لأنّ هاتين الصفتين متلازمتان مع بعضهما،فالناس الحريصون غالبا ما يكونون بخلاء، و يجزعون عند الشدائد،بالعكس أيضا صحيح.

و هنا يطرح هذا السؤال،و هو كيف أنّ اللّه خلق الإنسان للسعاده و الكمال و جعل فيه الشرّ و السوء؟ و هل يمكن أن يخلق اللّه شيئا ذا متصفا بصفه،ثمّ و بعد يذم خلقه؟بالإضافه إلى ذلك فإنّ القرآن الكريم يصرّح فى سوره التين الآيه(۴): لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ .

بالتأكيد ليس من أن ظاهر الإنسان حسن و باطنه سيء،بل إنّ الخلقه الكليه للإنسان هى فى صوره«أحسن تقويم».و هناك كذلك آيات أخرى تمدح المقام الرفيع للإنسان،فكيف تتفق هذه الآيات مع الآيه التى نحن بصددها؟ أجوبه هذه الأسئله تتّضح بالالتفات إلى نقطه واحده،و هى أنّ اللّه خلق القوى و الغرائز و الصفات فى الإنسان كوسائل لتكامل الإنسان و بلوغ سعادته، لكن عند ما يستخدمها الإنسان فى الطريق المنحرف و يسيء تدبيرها و الاستفاده منها فستكون العاقبه هى التعاسه و الشرّ و الفساد،فمثلا الحرص هو الذى لا يتيح فرصه الإنسان للتوقف عن السعى و الحركه و الاكتفاء بما لديه من نعمه و هو العطش المحرق الذى يسيطر على الإنسان،فلو أنّ هذه الصفه وقعت فى الطريق العلم لوجدنا الإنسان حريصا على التعلم،أو بعباره أخرى يتعطش العلم و يعشقه، و بذلك سوف يكون سببا لكماله،و أمّا إذا أخذت مسيرها فى الماديات فإنّها ستكون سببا للتعاسه و البخل،و بتعبير آخر:إنّ هذا الصفه فرع من فروع حبّ

الـذات،و حبّ الذات غريزه توصل الإنسان إلى الكمال،و لكن إذا انحرف فى مسيره فإنّه سوف يجرّه إلى الحسد و البخل و إلى غير ذلك.

و فى هذا الشأن هناك مواهب أخرى أيضا بهذا الشكل:إنّ اللّه أودع قدره عظيمه فى قلب الذره،من المؤكد أنّها نافعه و مفيده،و لكن إذا مـا اسـىء اسـتخدام هـذه القـدره و صـنع من ذلـك القنابل الفتاكه و لم يسـتخدم فى توليـد الطاقه الكهربائيه و الوسائل الصناعيه و السليه الأخرى،فسيكون مدعاه للشرّ و الفساد،و بالتعمق فيما ذكرنا يمكن أن الجمع فى ما ورد فى الإنسان و ذلك من خلال الآيات القرآنيه المبيّنه لحالات الإنسان (۱) .

ثمّ تذكر الآيات الكريمه صـفات الأشـخاص الجيدين على شـكل اسـتثناء، و تبيّن لهم تسع صفات ايجابيه بارزه،فيقول تعالى: إِلاَّ الْمُصَلِّينَ .

اَلَّذِينَ هُمْ عَلىٰ صَلاٰتِهِمْ دٰائِمُونَ

.

هذا هى الخصوصـيه الأولى لهم و أنّهم مرتبطين باللّه بشـكل دائم،و هذه الرابطه تتوثق بالصـلاه،الصلاه التى تنهى عن الفحشاء و المنكر،و الصـلاه التى تربى روح الإنسان و تذكره دائما باللّه تعالى،و السير بهذا الاتجاه سوف يمنعه من الغفله و الغرور،و الغرق فى بحر الشهوات،و الوقوع فى قبضه الشيطان و هوى النفس.

و من الطبيعى أنّ المراد من الإدامه على الصلاه ليس أن يكون دائما فى حال الصلاه،بل هو المحافظه على أوقات الصلاه المعينه.

من المعروف أنّ كل عمل جيد يقوم به الإنسان إنّما يترك فيه أثرا صالحا فيما لو كان مستديما،و لهذا نقرأ

فى الحديث عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال: «إنّ أحبّ الأعمال إلى اللّه ما دام و إنّ قلّ» (۲) .

۱- ۱) -هناك توضيح آخر أوردناه تحت عنوان«الإنسان فى القرآن الكريم»فى ذيل الآيه(۱۳)لسوره يونس من هذا التّفسير.

۲- ۲) -المعجم المفهرس لألفاظ الحديث،ج ۲،ص ۱۶۰.

و نلاحظ

فی حدیث عن الإمام الباقر علیه السّلام أنّه قال: «إذا فرض علی نفسه شیئا من النوافل دام علیه» (۱) .

و

ورد فی حدیث عنه علیه السّلام أنّه قال: «هذه الآیه تعنی النافله،آیه وَ الَّذِینَ هُمْ عَلی صَلاتِهِمْ یُحافِظُونَ (و التی تأتی فیما بعد)تعنی صلاه الفریضه». و تجوز هذه المراعاه هنا،إذ أنّ التعبیر بالمحافظه هو ما یناسب الصلاه الواجبه و التی یجب المحافظه علی أوقاتها المعینه،و أمّا التعبیر بالمداومه فهو ما یناسب الصلاه المستحبه و ذلک بأنّ الإنسان یمکنه الإتیان بها أحیانا و ترکها أحیانا أخری.

علی کل حال بعد توضیح أهمیّه الصلاه و أنّها من أهم الأعمال و من أهم أوصاف المؤمنین تنتقل الآیات إلی ذکر الصفه الثّانیه فیضیف تعالی: وَ الَّذِینَ فِی أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ .

و بهذا سوف یحافظون علی ارتباطهم بالخالق من جهه،و علاقتهم بخلق اللّه من جهه اخری.

و یعتقد بعض المفسّرین أنّ المراد هنا من«حقّ المعلوم»هو الزّکاه المفروضه التی فیها المقدار المعین،و موارد صرف ذلک المقدار هو السائل و المحروم،و لکن هذه السوره مکّیه و حکم الزّکاه لم یکن قد نزل فی مکّه،و لو فرض نزوله لم یکن هناک تعیّن للمقدار،و لذا یعتقد البعض أنّ المراد من حقّ المعلوم هو شیء غیر الزّکاه و الذی یجب علی الإنسان منحه للمحتاجین،و الشّاهد علی هذا ما

نقل عن الإمام الصّادق علیه السّلام عند ما سئل عن تفسیر هذه الآیه و هل هذا شیء غیر الزّکاه فقال علیه السّلام:«هو الرجل یؤتیه اللّه الثروه من المال،فیخرج منه الألف و الألفین و الثلاثه و آلاف و الأقل و الأکثر،فیصل به رحمه،و یحمل به الکلّ عن قومه» (۲) .

و الفرق بین«السائل»و«المحروم»هو أنّ السائل یفصح عن حاجته و یسأل،

۱- ۱) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۴۱۵.

۲- ۲) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۴۱۷،حدیث ۲۵-۲۷.

و المحروم هو الذی لا یسأل لتعففه و حیائه،و

جاء فی حدیث عن الإمام الصّادق علیه السّلام: «المحروم من یجد المشقّه فی کسبه و عمله و هو محارف» (۱) .

هذا الحدیث هو أیضا یوافق ذلک التّفسیر المذکور سلفا،لأن مثل هؤلاء یکونون متعففین.

فی جاء فی تفسیرنا هذا فی ذیل الآیه(۱۹)من سوره الذرایات بحث حول الحقّ المذکور و تفسیر السائل و المحروم.

علی کلّ،فإنّ هذا العمل له أثره الاجتماعی فی مجاهده الفقر و الحرمان من جهه،و من جهه أخری یترک آثارا خلقیه جیده علی الذین یؤدّون ذلک العمل، و ینتزع ما فی قلوبهم و أرواحهم من أدران الحرص و البخل و حبّ الدنیا.

الآیه الأخری أشارت الی الخصوصیه الثّالثه لهم فیضیف: وَ الَّذِینَ یُصَدِّقُونَ بِیَوْمِ الدِّینِ و الخصوصیه الرّابعه هی: وَ الَّذِینَ هُمْ مِنْ عَذابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ .

إِنَّ عَذابَ رَبِّهِمْ غَیْرُ مَأْمُونٍ

.

إنّهم یؤمنون من جهه بیوم الدین،و مع الالتفات الی کلمه«یصدقون»و هو فعل مضارع یدل علی الاستمراریه،فهذا یعنی إنّهم باستمرار یدرکون أنّ فی الأمر حسابا و جزاء،بعض المفسّرین فسّر ذلک المعنی«بالتصدیق العملی»أی الإتیان بالواجبات و ترک المحرمات،و لکن الآیه ظاهرها الإطلاق،أی أنّها تشمل التصدیق العلمی و العملی.

و لکن من الممکن أن هناک من یؤمن بیوم الدین و یری نفسه ممن لا یعاقب، لذا تقول: وَ الَّذِینَ هُمْ مِنْ عَذابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ یعنی أنّهم یدرکون أهمیه الأمر،فلا یستکثرون حسناتهم و لا یستصغرون سیئاتهم،و لهذا

ورد فی الحدیث

۱- ۱) -المصدر السابق.

عن أمير المؤمنين عليه السّلام و هو ينصح ولده:«بنى خف اللّه أنّك لو أتيته بحسنات أهل الأرض لم يقبلها منك،و أرج اللّه رجاء أنّك لو أتيته بسيئات أهل الأرض غفرها لك» (۱) .

و حتى

أنّ الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان يقول: «لن يدخل الجنّه أحدا عمله».

قالوا:و لا أنت يا رسول اللّه؟ قال:«و لا أنا،إلاّ أن يتغمدنى اللّه برحمته».

۱- ۱) -جامع الأخبار ص ۱۱۳

الآيات [سوره المعارج (۷۰): الآيات ۲۹ الى ۳۵]

اشاره

وَ اَلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ (۲۹) إِلاّ عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (۳۰) فَمَنِ اِبْتَغى وَراءَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ اَلْعادُونَ (۳۱) وَ اَلَّذِينَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ راعُونَ (۳۲) وَ اَلَّذِينَ هُمْ بِشَهاداتِهِمْ قائِمُونَ (۳۳) وَ اَلَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ يُحافِظُونَ (۳۴) أُولئِكَ فِي جَنّاتٍ مُكْرَمُونَ (۳۵)

التّفسير

اشاره

القسم الآخر من صفات أهل الجنّه:

فى الآيات السابقه ذكرت أربعه أوصاف من الأوصاف الخاصّه بالمؤمنين الصادقين من أهل الجنان،و فى هذه الآيات ذكر لخمسه من الأوصاف الأخرى فيكون المجموع تسعه أوصاف.

فى الوصف الأوّل يقول اللّه عزّ و جلّ: وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ (۱) حافِظُونَ إِلاّ عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ .

۱- ۱) -«فروج»جمع«فرج»و هو كنايه عن الآله التناسليه.

لا- شک فی أنّ الغریزه الجنسیه من غرائز الإنسان الشدیده و الطاغیه،و الکثیر من الجرائم الکبیره سببها هی هذه الغریزه،و لذا کانت السیطره علی هذه الغریزه و حفظ حدودها من العلامات المهمّه للتقوی،و بهذا ذکرت أهمیه السیطره علی هذه الغریزه بعد تبیان أهمیه الصلاه و إعانه المحتاجین و الإیمان بیوم القیامه و الإشفاق من عذاب اللّه.

و قد جاء فی الذیل الآیه استثناء یدلّ علی أنّ منطق الإسلام یرفض أن یقف الإنسان موقفا سلبیا تماما من هذه الغریزه و یکون کالرهبان و القسیسین یسیر بخلاف قانون الخلقه،و هذا العمل غالبا ما یکون محالا و علی فرض إمکانه فهو أمر غیر منطقی،و لهذا نجد الرهبان من لم یستطیعوا أیضا حذف هذه الغریزه من حیاتهم،و إذا لم یکونوا قد تزوجوا بالطریقه الرسمیه فإنّ الکثیر منهم ینصرف إلی ارتکاب الفحشاء عند الاختلاء.

الفضائح الناتجه من هذا المسلک لیست قلیله،فقد کشف المؤرخون المسیحیون مثل(ول دورانت)و غیره النقاب عن ذلک.

المراد ب-«الأزواج»الزوجات الدائمه و المؤقته فإنّه یشمل الإثنین،و قد ظنّ البعض أنّ هذه الآیه تنهی عن الزواج المؤقت و للم یعلموا أنّ ذلک هو نوع من الزواج.

و فی الآیه الأخری یؤکّد بشکل أکثر علی نفس الموضوع فیضیف: فَمَنِ ابْتَغیٰ وَرٰاءَ ذٰلِکَ فَأُولٰئِکَ هُمُ الْعادُونَ و بهذه الطریقه فإنّ الإسلام یخطط لمجتمع یحافظ علی غرائزه الفطریه،و لا- یؤدّی به إلی الغرق بالفحشاء و الفساد الجنسی و المضارّ الناتجه منه،و بالطبع أنّ للجواری فی نظر الإسلام کثیرا من شرائط الزوجه و الضوابط القانونیه للزوج و إن کان الموضوع منتف أساسا فی زماننا الحاضر.

عندئذ یشیر إلی الصفات السادسه و السابعه،فیقول: وَ الَّذِینَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ

وَ عَهْدِهِمْ رٰاعُونَ

من الطبيعى أنّ لأمـانه معنى واسع و ليست هى الأمانـات الماديه المتنوعه للناس فحسب،بل أنّها تشـمل الأمانات الإلهيه و أمانات الأنبياء و كلّ الأئمّه المعصومين عليهم السّلام.

إنّ كـلّ نعمه من النعم الإلهيه هى من أماناته تعالى،منها المقامات الاجتماعيه و بالخصوص المسؤولون فى الـدوله فإنّها تعتبر من أهم الأمانـات،و لهـذا ورد فى الحـديث عن الإمام الباقر و الإمام الصّادق عليهما السّـلام فى تفسـير الآيه إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمٰانٰاتِ إِلىٰ أَهْلِهٰا ،بأنّ المراد من الأمانات هنا«الولايه و الحاكميه» (۱) ،و قرأنا كـذلك فى سوره الأحزاب(۷۲)،إنّ التكليف و المسؤوليه تعنى الأمـانه الإلـهيه الكبيره. إِنّٰا عَرَضْـنَا الْأَمٰانَهَ عَلَى السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ و الأهم من ذلك كله هو الـدين و الشـريعه الإلهيه و كتاب اللّه،و هو من الأمانات الكبيره التى يجب الحفاظ عليها بالسعى.

«العهـد»:و له مفهوم واسع أيضا،يشـمل العهود الإنسانيه و كذلك العهود الإلهيه،لأنّ العهد هو كل ما التزم به الإنسان لغيره،و ممّا لا شك فيه أنّ الإيمان باللّه و برسوله يعنى الالتزام بما كلّف به.

الإسلام أعطى أهميه بالغه لحفظ الأمانات و العهود و الالتزام بها،و قد عرف ذلك بأنّه أهمّ علامات الإيمان.

و لمزيد من الاطلاع راجع تفسيرنا هذا،ذيل الآيه(۵۸)من سوره النساء.

و يضـيف فى الوصف الثامن: وَ الَّذِينَ هُمْ بِشَهٰادٰاتِهِمْ قٰائِمُونَ لأنّ القيام بالشهاده العادله و ترك كتمانها من أهم بنود إقامه العدل فى المجتمع البشرى.

و قد يرفض بعض الناس أداء الشهاده بحجّه إننا لماذا نشترى عداوه هذا

۱- ۱) -تفسير البرهان،ج ۱،ص ۳۸۰.

و ذاک،و نسبب المتاعب لأنفسنا بأداء الشهاده،هؤلاء أشخاص لا يبالون بالحقوق الإنسانيه و يفقدون الروح الاجتماعيه،و لا يؤمنون بتطبيق العداله، و لهذا نرى القرآن الكريم فى كثير من آياته يدعو المسلمين إلى أداء الشهاده و يعدّ كتمانها ذنبا (۱) .

و فى الوصف الأخير،و هو الوصف التاسع من هذه المجموعه،يعود مرّه أخرى إلى موضوع الصلاه،كما كان البدء بالصلاه،يقول تعالى: وَ الَّذِينَ هُمْ عَلىٰ صَلاٰتِهِمْ يُحٰافِظُونَ .

و كما أشرنا سابقا أنّ الصلاه هنا بملاحظه القرائن تشير إلى الفريضه،و فى الآيه السابقه تشير إلى النافله.

و من الطبيعى أن الوصف الأوّل كان إشاره إلى المداومه،و لكن الخطاب هنا حول حفظ آداب و شروط الصلاه و خصائصها،و الآداب التى تكمن فى ظاهر الصلاه و التى تنهى عن الفحشاء و المنكر من جهه،و تقوى روح الصلاه بحضور القلب من جهه أخرى و تمحو الأخلاق الرذيله التى تكون كحجر عشره أمام قبولها،و لهذا لا يعتبر ذكرها مرّه أخرى من قبيل التكرار.

هذه البدايه و النهايه تشير إلى أنّ الصلاه من بين الصفات الحميده المذكوره هى الأهم،و لم لا تكون كذلك و الصلاه هى المدرسه العاليه للتربيه،و أهم وسيله لتهذيب النفوس المجتمع.

و فى النهايه تبيّن الآيه الأخيره عاقبه المتّصفين بهذه الأوصاف،كما بيّنت فى الآيات السابقه المسير النهائى للمجرمين،فيقول تعالى هنا فى جمله مختصره و غنيه بالمعانى: أُولٰئِكَ فِى جَنّٰاتٍ مُكْرَمُونَ . (۲)

۱- ۱) -البقره،۲۸۳ و ۱۴۰،المائده،۱۰۶،الطلاق،۲.

۲- ۲) -«فى جنات»خبر ب-«أولئك»و«مكرمون»خبر ثان أو أنّه خبر و«فى جنات»متعلق به«تمعن».

لماذا لا يكونون مكرمين؟و هم ضيوف اللّه،و قد وفرّ اللّه القادر الرحمن لهم جميع وسائل الضيافه،و فى الحقيقه أنّ هذين التعبيرين«جنات»و«مكرمون» إشاره إلى النعم الماديه و المعنويه التى يغرق فيها هؤلاء المكرمين.

ص :۳۱

الآيات [سوره المعارج (۷۰): الآيات ۳۶ الى ۴۱]

اشاره

فَمٰا لِ اَلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ (۳۶) عَنِ اَلْيَمِينِ وَ عَنِ اَلشِّمٰالِ عِزِينَ (۳۷) أَ يَطْمَعُ كُلُّ اِمْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّهَ نَعِيمٍ (۳۸) كَلاّٰ إِنّٰا خَلَقْنٰاهُمْ مِمّٰا يَعْلَمُونَ (۳۹) فَلاٰ أُقْسِمُ بِرَبِّ اَلْمَشٰارِقِ وَ اَلْمَغٰارِبِ إِنّٰا لَقٰادِرُونَ (۴۰) عَلىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ وَ مٰا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (۴۱)

التّفسير

اشاره

الطمع الواهى فى الجنّه:

جاء البحث فى الآيات السابقه من هذه السوره حول علامات المؤمنين و الكفار، و مصير كلّ من المجموعتين،فى الآيات يعود ليوضح أحوال الكفار و استهزاءهم بالمقدسات.

قال البعض:إنّ هذه الآيات نزلت فى جماعه من المشركين فعند ما كان الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يتلو على المسلمين آيات المعاد،كان هؤلاء الكفار يقدمون من كلّ صوب و حدب و يقولون:إذا كان هناك معاد فإنّ حالنا فى الآخره أحسن من حال من آمن بك،كما أنّ حالنا فى هذه الدنيا أحسن منهم.

يقول القرآن الكريم فى جوابهم: فَمالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ أى يقبلون نحوك من كل جانب مسرعين.

عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمالِ عِزِينَ

أى جماعات متفرقين.

أَ يَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ

بأى إيمان و بأى عمل يستحقون ذلك؟! «مهطعين»:جمع مهطع،و تعنى الذى يمدّ عنقه مقبلا على شىء بسرعه للبحث عنه،و أحيانا تأتى-فقط-بمعنى مدّ العنق لاستطلاع الأمر.

«عزين»:جمع عزه،على وزن«هبه»و تعنى جماعات فى متفرقين،و أصلها «عزو»-على وزن جذب-بمعنى النسبه،و بما أنّ كلّ جماعه يرتبط أفرادها بعضهم ببعض بنسبه معينه:أو يهدفون إلى غرض معين أطلقت كلمه«عزه»على الجماعه.

على كل حال فإنّ المشركين المتكبرين كان لهم الكثير من الادعاءات الباطله الواهيه،و كانت الرّفاهيه فى حياتهم الدنيويه و غالبا ما كان يتمّ ذلك بطريق غير مشروع كالإغاره و السلب و غير ذلك ما كان يجعلهم يظنون بأنّهم قد حصلوا على هذه المقامات العاليه و لمكانتهم عند اللّه،فكانوا ينسبون إلى أنفسهم المقامات الرفيعه فى يوم القيامه.

صحيح أنّهم لم يكونوا يعتقدون بالمعاد بتلك الصوره التى يبيّنها القرآن، و لكنّهم كانوا يحتملون وقوعه أحيانا،و يقولون:إذا وقع المعاد فإنّ حالنا فى العالم الآخر سيكون كذا كذا،و لعلهم كانوا يريدون بذلك الاستهزاء.

و هنا يجيبهم القرآن المجيد فيقول: كَلّا ليس الأمر كذلك و ليس لهم حقّ الدخول إلى الجنّه إِنّا خَلَقْناهُمْ مِمّا يَعْلَمُونَ .

فى الحقيقه أنّ اللّه يريد بهذه الجمله أن يحطم غرورهم،لأنّه يقول:إنّكم تعلمون جيدا مم خلقناكم؟من نطفه قذره،من ماء آسن مهين،فلما ذا كلّ هذا

الغرور؟و يجيب ثانيا على المستهزئين بالمعاد فيقول:إذا كنتم فى شك من المعاد فتمعنوا فى حال هذه النطفه،و انظروا كيف خلقنا موجودا بديعا من قطره ماء قذره يتطور فيها الجنين كلّ يوم يتّخذ شكلا جديدا،أ لم يقدر خالق الإنسان من هذه النطفه أن يعيد إليه الحياه بعد دفنه.

ثالثا:كيف يطمعون فى الجنّه و فى صحائفهم كل هذه الذنوب؟لأنّ الموجود الذى خلق من نطفه لا يمكن أن يكون له قيمه ماديه،و إذا كانت له قيمه و كرامه فإنّ ذلك لإيمانه و عمله الصالح،و أولئك قد فقدوا هذه الصفات،فكيف ينتظرون الدخول إلى الجنّه؟! (۱) ثمّ يقول تعالى مؤكّدا ذلك: فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَ الْمَغارِبِ إِنّا لَقادِرُونَ عَلى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ وَ ما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ .

لعل هذه الجمله إشاره إلى أنّنا لسنا قادرين على أن نعيد لهم الحياه بعد الموت فحسب،بل إنّنا نستطيع أن نبدله إلى أكمل الموجودات و أفضلها،و لا يمنعنا من ذلك شىء.

و على هذا فإنّ السياق هو إدامه لبحث المعاد،أو هو إشاره إلى أنّنا نهلككم جزاء لأعمالكم و لا يمنعنا من ذلك شىء،و نستبدل بكم مؤمنين و أعين،ليكونوا أنصارا للنّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لا يضرّنا ذلك شيئا،و لهذا إن كنّا نلح عليكم أن تؤمنوا فليس من باب العجز و الاحتياج،بل من أجل تربيه البشريه و هدايتها.

يمكن أن يكون المراد ب- بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَ الْمَغارِبِ بأن اللّه الذى يقدر على أن يجعل للشمس العظيمه مشرقا و مغربا جديدين فى كل يوم،و يكون بنظام دقيق من دون أيه زياده و نقصان مدى ملايين السنين قادر على أن يعيد الإنسان

۱- ۱) -هناك احتمالات أخرى فى تفسير هذه الآيه:أنّ المراد من جمله«ممّا يعلمون»هو أنّنا خلقناهم و وهبنا لهم العقل و الشعور لا- كالحيوانات و البهائم،و لهذا فإنّهم مسئولون عن أعمالهم،و هناك مراد آخر و هو أنّنا خلقناهم لأهداف هم يعلمونها و هى التكليف و الطاعه،و لكن هذه الاحتمالات بعيده،و لذا فإنّ أكثر المفسّرين ذهبوا إلى المعنى المذكور سابقا.

مرّه أخرى إلى الحياه الجديده و يستبدلهم بقوم أفضل منهم.

ملاحظه

اشاره

ربّ المشارق و المغارب:

قد يأتى تعبير المشرق و المغرب فى أحيانا بصيغه المفرد كالآيه(۱۱۵)من سوره البقره: وَ لِلّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ و أحيانا بصيغه المثنى كما فى الآيه(۱۷) من سوره الرحمن: رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ و أحيانا أخرى بصيغه الجمع اَلْمَشارِقِ وَ الْمَغارِبِ كالآيه التى هو مورد بحثنا.

البعض من ذوى النظرات الضيقه يظنون تضاد هذه التعابير،فى حين أنّها مترابطه،و كل منها يشير إلى بيان خاص،فالشمس فى كلّ يوم تطلع من نقطه جديده،و تغرب من نقطه جديده أخرى،و على هذا الأساس لدينا بعدد أيّام السنه مشارق و مغارب،و من جهه أخرى فإنّ من بين كل هذه المشارق و المغارب هناك مشرقان و مغربان ممتازان،إذ أن أحدهما يظهر فى بدء الصيف أى الحد الأعلى لبلوغ ذروه ارتفاع الشمس فى المدار الشمالى،و الآخر فى بدء الشتاء أى الحد الأدنى لنزول الشمس فى المدار الجنوبى،(و يعبرون عن أحدهما بمدار «رأس السرطان»،و عن الآخر بمدار«رأس الجدى»،)و قد اعتمد على ذلك لأنّهما واضحان تماما،بالإضافه إلى هذين المشرقين و المغربين الآخرين الّذين سمّيا بالمشرق و المغرب و الاعتداليان(و هو أوّل الربيع و أوّل الخريف،عند تساوى ساعات الليل و النهار فى جميع الدنيا)و لذا ذهب البعض إلى هذا المعنى فى تفسير الآيه:«ربّ المشرقين و المغربين»و هو معنى مقبول أيضا.

و أمّا ما جاء بصيغه المفرد فإنّ المراد به ماهيته،لأنّ الملاحظ فيه أصل

المشرق و المغرب بدون الالتفات إلى الأفراد،و بهذا الترتيب فإنّ لكلّ من العبارات المختلفه أعلاه مسأله تلفت نظر الإنسان إلى التغييرات المختلفه لطلوع و غروب الشمس،و التغيير المنتظم لمدارات الشمس.

***

ص :۳۶

الآيات [سوره المعارج (۷۰): الآيات ۴۲ الى ۴۴]

اشاره

فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَ يَلْعَبُوا حَتّٰى يُلٰاقُوا يَوْمَهُمُ اَلَّذِى يُوعَدُونَ (۴۲) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ اَلْأَجْدٰاثِ سِرٰاعاً كَأَنَّهُمْ إِلىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ (۴۳) خٰاشِعَةً أَبْصٰارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذٰلِكَ اَلْيَوْمُ اَلَّذِى كٰانُوا يُوعَدُونَ (۴۴)

التّفسير

اشاره

كأنّهم يهرعون إلى الأصنام!!

هذه الآيات و هى آخر آيات سوره المعارج جاءت لتنذر و تهدد الكفار المعاندين و المستهزئين،يقول سبحانه: فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَ يَلْعَبُوا حَتّٰى يُلٰاقُوا يَوْمَهُمُ اَلَّذِى يُوعَدُونَ (۱) .

لا- يلزم الاستدلال و الموعظه أكثر من هذا،فإنّهم لا- يتعضون و ليس لهم الاستعداد للاستيقاظ،دعهم يخوضون فى أباطيلهم و أراجيفهم كما يلعب الأطفال حتى يحين يومهم الموعود،يوم البعث و يرون كل شىء بأعينهم!

۱- ۱) -«يخوضوا»من أصل خوض-على وزن حوض-و تعنى فى الأصل الحركه فى الماء،ثمّ جاءت بصيغه الكنايه فى موارد يغطس فيه الإنسان فى الباطل.

هذه الآیه و بهذا التعبیر وردت فی سوره الزخرف(۸۳).

ثمّ تبیّن الآیه التالیه الیوم الموعود،و تذکر بعض علامات ذلک الیوم المرعب فیقول تعالی: یَوْمَ یَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدٰاثِ سِرٰاعاً کَأَنَّهُمْ إِلیٰ نُصُبٍ یُوفِضُونَ .

یا له من تعبیر عجیب،إنّه وصف یوم القیامه فی وقت یتجهون فیه سراعا إلی محکمه العدل الإلهی اتجاها یشبه إسراعهم فی یوم احتفال أو عزاء باتجاه أصنام، و لکن أین ذلک من هذا؟إنّه فی الحقیقه استهزاء بعقائدهم المجونه التی کانوا یعتقدون بها فی الدنیا.

«الأجداث»:جمع جدث-علی وزن(عبث)-و تعنی القبر.

«سراع»:جمع سریع،مثل(ظراف و ظریف)و تعنی الحرکه السریعه للشیء أو الإنسان.

«نصب»:جمع نصیب،و یقول البعض:إنّه جمع نصب-علی وزن(سقف)- المراد منه هو ما ینصب کعلامه،و تطلق علی الأصنام الحجریه إذ کانوا ینصبونها فی مکان ما لیعبدوها و یقدّم لها القرابین ثمّ یلطخون دماءها علیها،و اختلافه مع الصنم هو أنّ الصنم کان علی هیئه صوره و شکل خاص،و أمّا النصب فهو قطعه من الحجر لا شکل له،و کانوا یعبدونه لسبب ما،و نقرأ فی الآیه(۳)من سوره المائده: وَ مٰا ذُبِحَ عَلَی النُّصُبِ أی أنّ من جمله اللحوم المحرّمه هی ما یذبحون من الحیوانات علی النصب.

«یوفضون»:من(إفاضه)و تعنی الحرکه السریعه المشابهه لحرکه الماء المنحدر من العین،و قال البعض:إنّ المراد من النصب فی الآیه التی نحن بصددها هو الأعلام التی ینصبونها فی وسط الجیش أو القوافل،و علی کل منهم أن یوصل نفسه بسرعه إلیها،و لکن التّفسیر الأوّل هو الأنسب.

ثمّ تذکر الآیات حالات أخری لهؤلاء فتضیف: خٰاشِعَهً أَبْصٰارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ

ذِلَّةٌ

(۱)

من شدّه الهول و الوحشه و قد غرقوا فی ذلّه مهینه و فی آخر الآیه یتابع قوله: ذٰلِکَ الْیَوْمُ الَّذِی کٰانُوا یُوعَدُونَ .

نعم هـذا هو الیوم الموعود الـذی کـان یسـخرون منه و یقولون أحیانا:لنفترض أنّ هناک یوما کهـذا،فإنّ حالنا فی ذلک الیوم هو أفضل من حال المؤمنین،و لکنّهم لا یجرؤون أن یرفعوا رؤوسـهم فی ذلک الیوم لشـدّه الخوف و الوحشه،و قد تعفرت وجوههم و رؤوسـهم بغبار الـذلّه،و غرقوا فی کل الهموم الهائله،و من المؤکّد أنّهم یندمون فی ذلک الیوم،و لکن ما الفائده؟ اللّهم:ألبسـنا ثوب رحمتک فی ذلک الیوم المهول.

ربّنـا:إنّ مصائـد الشـیطان و حبـائله قـویه،و هـوی النفس غـالب،و الآمـال الطویله و البعیـده خـداعه،فـترحم علینـا بـالیقظه و عـدم الانحراف عن المسار الصحیح.

اللّهم:اجعلنا ممن آمن و وفی بعهده و بذل عمره فی طاعتک.

آمین ربّ العالمین نهایه سوره المعارج ***

ص: ۳۹

۱- ۱) -«ترهقهم»من أصل(رهق)علی وزن(سقف)و یراد به غشیان الشیء بقهر.

سوره نوح

اشاره

مکیه و عدد آیاتها ثمان و عشرون آیه

ص: ۴۱

«سوره نوح»

محتوی سوره:

هذه السوره،کما هو واضح من اسمها،تشیر إلی قصّه نوح علیه السّلام،و أشیر إلی قصّه هذا النّبی العظیم کذلک فی سوره متعدده فی القرآن المجید،منها:سوره الشعراء،و المؤمنون،و الأعراف،و الأنبیاء،و بشکل أوسع فی سوره هود، و تحدثت(۲۵)آیه حول هذا النّبی العظیم الذی یعتبر من اولی العزم(من الآیه ۲۵ إلی ۴۹).

و ما جاء فی سوره نوح عن قصّته علیه السّلام هو مقطع خاص من حیاته،و هو أقل ممّا ذکر فی بقیه السور،و هذا القسم یرتبط بدعوته المستمره و المتتابعه إلی التوحید،و ترتبط بکیفیتها و عناصرها،و التخطیط الدقیق الماهر فی هذا الأمر الهام،و ذلک مقابل قوم معاندین و متکبرین یأنفون من الانقیاد إلی الحقّ.

بلحاظ أنّ هذه السوره نزلت فی مکه،و أنّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و المسلمین القلائل فی ذلک الزمان کانوا یعیشون ظروفا مشابهه لظروف عصر نوح علیه السّلام و أعوانه،فإنّها تعلمهم أمور کثیره،و کانت هذه واحده من أهداف إیراد هذه القصّه،و منها:

۱-أنّها تذکرهم کیف یبلغون الرساله للمشرکین عن طریق الاستدلال المنطقی المقترن بالمحبّه و المودّه،و استخدام کلّ طریقه تکون مفیده و مؤثره فی الدعوه.

۲-أنّها تعلّمهم الثبات و النشاط فی طریق الدعوه إلی اللّه و عدم التکاسل مهما طالت الأعوام،و مهما وضع الأعداء العوائق.

۳-أنّها تعلّمهم کیف یرغبونهم و یشجعونهم تاره،و تکون لدیهم عوامل

الإنذار و الرّهبه تاره أخرى و الاستفاده من كلا الطريقين فى الدعوه إلى اللّه جلّ و علا.

۴-الآيات الأخيره من هـذه السوره هى تحذير للمشـركين المعاندين،بأن عاقبتهم وخيمه إذا لم يستسـلموا للحق،و تخلّفوا عن أمر اللّه.

۵-بالاضـافه إلى ذلـك،فـإنّ هـذا السوره جـاءت لتهـدئه مشـاعر النّبى و المؤمنين الأوائل و من يعيش مثل ظروفهم،ليصبروا على الصعوبات،و يطمئنوا فى مسيرهم بلطف من اللّه.

و بعباره أخرى فإنّ هذه السوره ترسم أبعاد الكفاح الدائم بين أصـحاب الحق و أصحاب الباطل،ترسم منهج أصحاب الحق الذى يجب عليهم إتّباعه.

فضيله هذه السوره:

ورد فى حـديث عن النّبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم أنّه قال: «من قرأ سوره نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوه نوح». (۱)

و

فى حـديث آخر عن الإمـام الصّـادق عليه السّـلام قال: «من كان يؤمن باللّه و اليوم الآخر و يقرأ كتابه فلا يـدع أن يقرأ سوره: إِنّا أَرْسَلْنا نُوحـاً فأى عبـد قرأها محتسـبا صابر فى فريضه أو نافله،أسـكنه اللّه مساكن الأبرار و أعطاه ثلاث جنان من جنّته كرامه من اللّه». (۲)

و لا يخفى أنّ الهـدف من قراءه السوره هو الاقتباس من منهج و سـلوك هذا النّبى العظيم من صبره و اسـتقامته فى طريق الدعوه إلى اللّه تعالى ليدركوا دعوه النّبى،و ليس المراد القراءه الخاليه من التفكير،و لا التفكر الخالى من العمل.

***

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۳۵۹.

۲- ۲) -المصدر السّابق.

الآيات [سوره نوح (۷۱): الآيات ۱ الى ۴]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ إِنّٰا أَرْسَلْنٰا نُوحاً إِلىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ (۱) قٰالَ يٰا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (۲) أَنِ اُعْبُدُوا اَللّٰهَ وَ اِتَّقُوهُ وَ أَطِيعُونِ (۳) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَ يُؤَخِّرْكُمْ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اَللّٰهِ إِذٰا جٰاءَ لاٰ يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۴)

التّفسير

اشاره

رساله نوح الأولى:

قلنا:إنّ هذه السوره تبيّن من أحوال نوح عليه السّلام و ما يرتبط بأمر دعوته،و تعلم السائرين فى طريق اللّه تعالى أمورا مهمّه فى إطار الدعوه إلى الحق و بالخصوص فى قابل الأمم المعانده،و تبدأ أوّلا بذكر فى بعثته عليه السّلام فيقول تعالى:

إِنّٰا أَرْسَلْنٰا نُوحاً إِلىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ

.

من الممكن أن يكون هذا العذاب الأليم هو عذاب الدنيا أو عذاب الآخره، و الأنسب أن يكون الاثنان معا،و إن كانت القرائن فى آخر آيات هذه السوره تشير إلى أن هذا العذاب هو عذاب الدنيا.

التأكيد على الإنذار و الترهيب غالبا ما يؤثر تأثيرا بالغا،مع أنّ الأنبياء كانوا

منذرین تاره و مبشرین تاره أخری،کما یتمّ الاعتماد فی سائر الدینا علی التحذیرات و العقوبات لضمان تطبیق القوانین.

نوح علیه السّلام الذی کان هو من أولی العزم،و صاحب أوّل شریعه إلهیه، و له دعوه عالمیه،جاء إلی قومه بعد صدور هذا الأمر إلیه قال: قالَ یا قَوْمِ إِنِّی لَکُمْ نَذِیرٌ مُبِینٌ .

الهدف هو أن تعبدوا اللّه الذی لا إله إلاّ هو،و تترکوا من دونه،و تتقوا و تطیعوا أمری الذی هو أمر اللّه: أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ وَ اتَّقُوهُ وَ أَطِیعُونِ .

فی الحقیقه أنّ نوحا علیه السّلام قد لخّص مضمون دعوته فی ثلاث جمل:عباده اللّه الواحد،و الحفاظ علی التقوی،و طاعه القوانین و الأوامر التی جاء بها من عند اللّه و التی تمثل مجموعه من العقائد و الأخلاق و الأحکام.

ثمّ ذکر النتائج المهمّه المترتبه علی استجابتهم الدعوه فی جملتین لترغیبهم فقال: یَغْفِرْ لَکُمْ مِنْ ذُنُوبِکُمْ . (۱)

فی الحقیقه أنّ القاعده المعروفه«الإسلام یجب ما قبله»هی قانون موجود فی کل الأدیان الإلهیه و التوحیدیه و لیست منحصره بالإسلام.

ثمّ یضیف: وَ یُؤَخِّرْکُمْ إِلی أَجَلٍ مُسَمًّی إِنَّ أَجَلَ اللّهِ إِذا جاءَ لا یُؤَخَّرُ لَوْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ،یستفاد جیدا من هذا الآیه أنّ«الأجل»و موعد عمر الإنسان قسمان،هما:الأجل المسمّی،و الأجل النهائی،أو بعباره أخری الأجل الأدنی، و الأجل الأقصی أو الأجل المعلق،و الأجل الحتمی،القسم الأوّل للأجل قابل للتغیر و التبدیل،فقد یتدنی و یقل عمر الفرد کثیرا بسبب الذنوب و الأعمال السیئه

---

۱ - ۱) -«من»فی هذه الجمله زائده و للتأکید،لأنّ الإیمان باللّه یبعث علی غفران جمیع الذنوب السابقه،هذا ما یرتبط بحق الناس،و أمّا من باب الذنوب و حکم الحرمه أیضا یکون مشمولا بالمغفره،و ما احتمل بعض المفسّرین(کالفخر الرازی فی التّفسیر الکبیر و العلاّمه الطباطبائی قدس سرّه فی المیزان)من أنّ(من)هنا تبعیضیه و هی تخص الذنوب السابقه لا الآتیه یبدو بعیدا، لأنّ الذنوب الآتیه غیر مذکوره فی سیاق الآیه.

و هـذا نوع من أنواع العـذاب الإلـهى،و بالعكس فإنّ التقوى و حسن العمل و التـدبير يمكن أن تكون سـببا لتأخير الأجل،و لكن الأجل النهائى لا يتغير بأى حال من الأحوال،و يمكن توضيح هذا الموضوع بمثال واحد،و هو أنّه ليس باستطاعه الإنسان أن يبقى خالـدا،و إذا كانت جميع الأجهزه البـدنيه تعمل جيدا ففى النهايه سوف يصل شـيئا فشـيئا إلى زمن ينتهى عمره بعجز فى القلب،و لكن تطبيق الأـوامر الصـحيه و مجـابهه الأـمراض يمكن أن يطيـل فى عمر الإنسـان،و فى حـاله عـدم مراعـاه هـذه الأمور فإنّ من المحتمل أن يقلل ذلك من عمر و ينهى عمره بسرعه. (۱)

***

ملاحظه

اشاره

العوامل المعنويه لزياده و نقصان العمر:

النقطه الأـخرى التى يمكن اسـتفادتها من هـذه الآـيه هو تأثير الـذنوب فى تقصـير العمر،لأنّه يقول:«إنّ كنتم تؤمنون باللّه و تتقوه يهب لكم عمرا طويلا و يؤخر موتكم»و هذا يعنى أنّ الذنوب توجّه ضربات مهوله للجسم و الروح بحيث تساعد فى القضاء عليه.

و فى الرّوايات الإسلاميه أيضا تأكيد كبير على هذا المعنى،منها ما

ورد فى حـديث غنى المحتوى عن الامـام الصادق عليه السّـلام قال: «من يموت بالـذنوب أكثر ممن يموت بالآجال،و من يعيش بالإحسان أكثر ممن يعيش بالأعمار». (۲)

***

۱- ۱) -كان لنا بحث آخر حول الأجل النهائى و الأجل المعلق و ذلك فى ذيل الآيه(۲)من سوره الأنعام.

۲- ۲) -سفينه البحار،ج ۱،ص ۴۸۸،ماده(ذنب).

الآيات [سوره نوح (۷۱): الآيات ۵ الى ۹]

اشاره

قالَ رَبِّ إِنِّی دَعَوْتُ قَوْمِی لَیْلاً وَ نَهاراً (۵) فَلَمْ یَزِدْهُمْ دُعائِی إِلاّ فِراراً (۶) وَ إِنِّی کُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِی آذانِهِمْ وَ اِسْتَغْشَوْا ثِیابَهُمْ وَ أَصَرُّوا وَ اِسْتَکْبَرُوا اِسْتِکْباراً (۷) ثُمَّ إِنِّی دَعَوْتُهُمْ جِهاراً (۸) ثُمَّ إِنِّی أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَ أَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْراراً (۹)

التّفسير

اشاره

استخدام مختلف الوسائل لهدايتهم،و لكن!!!

تتحدث هذا الآيات عن استمرار مهمّه نوح فی دعوته قومه و لكن هذه المرّه جاء الحديث على لسانه مخاطبا ربّه و شاكيا إليه أمره معهم بعباره مأثره بليغه.

خطاب نوح عليه السّلام فی هذا الإطار يمكن أن يعبّد الطريق لكلّ المبلغين الرساليين،فيقول: رَبِّ إِنِّی دَعَوْتُ قَوْمِی لَیْلًا وَ نَهاراً .

و إنّنی لم أتوانی لحظه واحده فی إرشادهم و إبلاغ الرساله لهم، ثمّ يقول:

فَلَمْ یَزِدْهُمْ دُعائِی إِلاّ فِراراً

.

و من العجيب أن تكون الدعوه سببا لفرارهم،و لكن بما أنّ كلّ دعوه تحتاج

إلی نوع من الاستعداد و صفاء القلب و التجاذب المتبادل فلیس عجیبا أن یکون هنا أثر معاکس فی القلوب الخامله،و بمعنی آخر أنّ أعداء الحق المعاندین عند ما یستمعون لدعوه المؤمنین الرساليين یظهرون لهم المقاومه و الإصرار علی العناد،و هذا ما یبعدهم عن اللّه بصوره أکثر،و یقوی عندهم روح الکفر و النفاق.

و هذا ما أشیر إلیه فی سوره الإسراء(۸۲): وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مٰا هُوَ شِفٰاءٌ وَ رَحْمَهٌ لِلْمُؤْمِنِینَ وَ لاٰ یَزِیدُ الظّٰالِمِینَ إِلاّٰ خَسٰاراً .

و ما نقرأ کذلک فی آیات هذا الکتاب السماوی أنّه سبب لهدایه المتقین:

...هُدیً لِلْمُتَّقِینَ . (۱) و لهذا لا بدّ أن یکون هناک مرحله من التقوی فی وجود الإنسان و إن کانت ضعیفه،حتی یتهیأ لقبول الحقّ،هذه المرحله هی مرحله (الروح الباحثه عن الحقیقه)و الاستعداد لتقبل کلمات الحق.

ثمّ إنّ نوحا علیه السّلام یضیف: وَ إِنِّی کُلَّمٰا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصٰابِعَهُمْ فِی آذٰانِهِمْ وَ اسْتَغْشَوْا ثِیٰابَهُمْ وَ أَصَرُّوا وَ اسْتَکْبَرُوا اسْتِکْبٰاراً .

و لکی لا یسمعوا صوت الحق کانوا یضعون أصابعهم فی آذانهم،و یلفون ثیابهم حول أنفسهم أو یضعونها علی رؤوسهم لئلا تصل أمواج الصوت إلی أدمغتهم!و ربّما کانوا یتقنعون لئلا تقع أعینهم علی الهیئه الملکوتیه لهذا النّبی العظیم،و فی الحقیقه کانوا یصرون علی أن تتوقف الآذان عن السماع و العیون عن النظر! و هذا فی الواقع أمر مدهش أن یصل الإنسان إلی هذه المرحله من العداوه للحق إلی حدّ لا یعطی لنفسه فرصه النظر و السماع و التفکر.

و قد ورد فی بعض التفاسیر أنّ بعض أولئک المعاندین کان یذهب بابنه إلی نوح علیه السّلام فیقول له: إحذر هذا لا یغوینک،فإنّ أبی قد جاء بی إلیه و أنا صغیر مثلک

۱- ۱) -البقره،۳.

فحذّرنی مثل ما حذّرتک (۱) ،(حتی أکون ممّا وفی بحق الوصیه و حبّ الخیر).

هذا یدل علی أنّ نوحا علیه السّلام کان مستمرا فی دعوته الإلهیه طوال عمره الشریف و لعدّه أجیال و کان لا یعرف التعب أبدا.

و کذلک تتضـمّن الآیه الإشاره إلی أحد الأسـباب المهمّه لتعاسـتهم و هو الغرور و التکبر،لأنّهم کانوا یرون أنفسهم أکبر من أن یتنازلوا لإنسان مثلهم،و إن کان ممثلا عن اللّه و تقیّا،و مهما کان قلبه عامرا بالعلم،فکان هذا الغرور و الکبر أحد الموانع المهمّه و الدائمه فی طریق الحق،و نحن نشاهد النتائج المشؤومه لذلک علی طول التاریخ فی حیاه أناس لا إیمان لهم.

و استمر نوح علیه السّلام فی حدیثه عند المقام الإلهی،فیقول: ثُمَّ إِنِّی دَعَوْتُهُمْ جِهاراً .

دعوتهم إلی الإیمـان فی حلقـات عـامّه و بصوت جهور،ثمّ لم اکتفی بهـذا: ثُمَّ إِنِّی أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَ أَسْـرَرْتُ لَهُمْ إِسْـراراً قال بعض المفسّرین:إنّ نوحا علیه السّلام اتّبع فی دعوته ثلاثه أسالیب مختلفه حتی یستطیع من النفوذ فی هذا الجمع المعاند و المتکبر:کان یـدعو أحیانـا فی الخفـاء فواجه أربعه أنواع من الرفض(وضع الأصـابع فی الآـذان،تغطیه الوجوه بالملاـبس،الإصـرار علی الکفر،و الاستکبار).

و کان یدعو أحیانا بالإعلان،و أحیانا أخری یستفید من طریق التعلیم العلنی و السری و لکن أیّا من هذه الأمور لم یکن مؤثرا (۲) .

من المعلوم أنّ الإنسان إذا ما نهـج طریق الباطل إلی حـدّ تتعمق فی وجوده جـذور الفساد و تنفـذ فی أعماق وجوده حتی تتحول إلی طبیعه ثانیه فیه،فإنّه سوف لا تؤثر فیه دعوه الصالحین و لا ینفع معه خطابات رسل اللّه.

***

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۳۶۱

۲- ۲) -تفسیر الفخر الرازی،ج ۳۰،ص ۱۳۶.

ملاحظتان

اشاره

۱-أسلوب الإبلاغ و منهجه

ما جاء فی هذا الآیات حول دعوه نوح یمثل برنامج عام لجمیع المبلغین فی طریق اللّه،و فی نفس الوقت تسلیه النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أصحابه المؤمنین القلائل الذین کانوا قد التفوا حوله فی مکّه.

إنّه علیه السّلام لم یکن یتوقع أن یستجیب الناس لدعوته،و لم یکونوا یجتمعون فی وسط المدینه لیلقی فیهم خطابه الإلهی بهدوء و اطمئنان،و الناس یصغون إلیه، و یشخصون إلیه أعینهم،بل یستفاد من سیاق الآیات(کما جاء أیضا فی بعض الرّوایات)أنّه کان أحیانا یذهب إلی بیوتهم،أو أنّه یدعوهم فی الأزقه و الأسواق علی انفراد،و یبلغهم المفاهیم و یتحدّث إلیهم بتودد و تحبب و تصبر،و أحیانا کان یخاطبهم بأوامر اللّه تعالی علنا و بصوت عال،و ذلک باغتنامه فرص انعقاد المحافل أو مجالس العزاء، فکان یقابل بالإهانه و الاستهزاء و أحیانا بالضرب المبرح،و لکنّه مع ذلک کان لا ینتهی عن ذلک و یواصل مسیره.

کان صبره عجیبا،و الأعجب ما فیه رأفته،و کانت همته و استقامته الفریده رأس ماله فی السیر فی طریق الدعوه إلی دین الحق.

و الأعجب من ذلک هو أنّ طیله دعوته التی دامت(۹۵۰)عاما لم یؤمن به إلاّ ثمانون شخصا،و لو قسمنا هذه المدّه علی عدد الأنفار یتّضح لنا أنّ مدّه هدایته لکل فرد دامت اثنتی عشره سنه تقریبا!! لو کان المبلّغون یتعاملون بمثل هذه الاستقامه و الهمه لأصبح الإسلام عالمیا غنی المحتوی.

۲-لماذا الفرا من الحقیقه؟

یتعجب الإنسان أحیانا و یتساءل هل یمکن أن یکون هناک أناس یعیشون

تحت هذه السماء ليس لديهم الاستعداد لسماع كلمه الحق بل يفرون منه؟ و السؤال عن السماع فقط و ليس عن قبول الكلمه.

و لكن التاريخ يتحدّث عن كثره أمثال هؤلاء،ليس فقط قوم نوح هم الذين وضعوا أصابعهم فى آذانهم و غشوا رؤوسهم و وجوههم بثيابهم عند دعوته لهم،بل هناك فئه فى عصر النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم و بصريح القرآن كانوا يستعينون بالصفير و التهريج و الصراخ العالى ليحولوا بين صوت النّبى و هو يتلو آيات اللّه و بين الناس: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَ الْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (۱) .

و جاء فى تاريخ كربلاء الداميه كذلك أنّه عند ما كان سيّد الشّهداء الإمام الحسين عليه السّلام يدعو الأعداء المنحرفين إلى الرشاد و يوقظهم كانوا يستخدمون هذا الأسلوب من الصراخ و التهريج حتى لا يسمع الناس تصوته (۲) ،و هذه الخطه مستمره إلى يومنا هذا،و لكن بأشكال و صور أخرى،فلقد وفّر أصحاب الباطل جوا من المسليات المفسده كالموسيقى الراقصه و المواد المخدره و غير ذلك يبغون بذلك الفصل بين الناس-بالخصوص الشباب-و بين سماع أصوات أهل اللّه تعليماتهم.

***

۱- ۱) -فصلت،۲۶

۲- ۲) -بحار الأنوار،ج،۴۵،ص ۸.

الآيات [سوره نوح (۷۱): الآيات ۱۰ الى ۱۴]

اشاره

فَقُلْتُ اِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفّاراً (۱۰) يُرْسِلِ اَلسَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً (۱۱) وَ يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِينَ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ جَنّاتٍ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً (۱۲) مٰا لَكُمْ لاٰ تَرْجُونَ لِلّٰهِ وَقاراً (۱۳) وَ قَدْ خَلَقَكُمْ أَطْواراً (۱۴)

التّفسير

اشاره

ثمره الإيمان فى الدنيا:

يستمر نوح عليه السّلام فى تبليغه المؤثر لقومه المعاندين العصاه،و يعتمد هذه المرّه على عامل الترغيب و التشجيع،و يوعدهم بانفتاح أبواب الرحمه الإلهيه من كل جهه إذا ما تابوا من الشرك و الخطايا،فيقول: فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفّاراً .

و لا يطهركم من الذنوب فحسب بل: يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً (۱) .

و الخلاصه:إنّ اللّه تعالى يفيض عليكم بأمطار الرحمه المعنويه،و كذلك

۱- ۱) -«مدرارا»:من أصل(درّ)على وزن(جرّ)و تعنى فى الأصل انسكاب الحليب من ثديى الام و يعطى معنى هطول الأمطار، و مدرارا صيغه للمبالغه.

بالامطار الماديه المباركه.

و من الملاحظ فى سياق هذه الآيه أنّه يقول«يرسل السماء»فالسماء تكاد أن يهبط من شدّه هطول الأمطار!و بما أنّها أمطار رحمه و ليست نقمه،فلذا لا تسبب خرابا و أضرارا،بل تبعث على الإعمار و البركه و الحياه.

ثمّ يضيف: وَ يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِينَ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ جَنّاتٍ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً و بهذا فإنّه وعدهم بنعمه معنويه كبيره،و بخمس نعم أخرى ماديه كبيره،و النعمه المعنويه الكبيره هى غفران الذنوب و التطهير من درن الكفر و العصيان،و أمّا النعم الماديه فهى هطول الأمطار المفيده و المباركه فى حينها،كثره الأموال،كثره الأولاد(الثروات الإنسانيه)،الحدائق المباركه و الأنهار الجاريه.

نعم،إنّ الإيمان و التقوى يبعثان على عمران الدنيا و الآخره بشهاده القرآن المجيد،و ورد فى بعض الرّوايات انّ قوم نوح المعاندين لما امتنعوا من قبول دعوته حلّ عليهم القحط و هلك كثير من أولادهم،و تلفت أموالهم،و أصاب نساءهم العقم،و قلّ عندهنّ الإنجاب،فقال لهم:نوح عليه السّلام:إن تؤمنوا فسيدفع عنكم كل هذه البلايا و المصائب،و لكنّهم ما اتعظوا بذلك و استمروا فى غيّهم و طغيانهم حتى حلّ العذاب النهائى.

و يعود نوح عليه السّلام مرّه أخرى لينذرهم،فيقول: ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلّهِ وَقاراً (۱) ،و لا تخافون عقابه و قد خلقكم فى مراحل مختلفه:و يقول أيضا: وَ قَدْ خَلَقَكُمْ أَطْواراً .

كنتم فى البدايه نطفه لاقيمه لها،ثمّ صوركم علقه ثمّ مضغه،ثمّ وهبكم الشكل الإنسانى، ثمّ ألبسكم لباس الحياه،فوهب لكم الروح و الحواس و الحركه،و هكذا طويتم المراحل الحنينيه المختلفه الواحده بعد أخرى،حتى

۱- ۱) -«الوقار»:الثقل و العظمه،و«ترجون»من أصل رجاء بمعنى الأمل و هو ملازم للخوف،و معنى الآيه لماذا لا تخضعون لعظمه اللّه تعالى.

ولدتكم أمهاتكم بهيئه الإنسان الكامل،و هكذا تستمر المراحل الأخرى و المختلفه للمعيشه فى الحياه،و أنتم خاضعون دائما لربوبيته تعالى،و تتجددون دائما،و تخلقون خلقا جديدا،فكيف لا تطأطئوا رؤوسكم أمام خالقكم؟ و لستم تتخذون أشكالا مختلفه من جهه الجسم،بل أنّ الروح هى أيضا فى تغيّر مستمر،و لكلّ منكم استعداده الخاص،ففى كل رأس ذوق خاصّ،و فى كل قلب جحّ خاصّ،و كلكم تتغيرون باستمرار،فتنتقل مشاعر و أحاسيس الطفوله إلى أحاسيس الشبيبه،و هذه بدورها إلى الكهوله و الشيخوخه،و على هذا فإنّه معكم فى كلّ مكان هو يهديكم فى كل خطوه و يشملكم بلطفه و عنايته،فلم كل هذا الكفران و الاستهانه؟! ***

ملاحظه

اشاره

الرّابطه بين التقوى و العمران:

نستفيد من الآيات المختلفه فى القرآن،و منها الآيات التى هى محل بحثنا، أنّ الإيمان و العداله سبب لعمران المجتمعات،و الكفر و الظلم و الخطايا سبب للدمار،نقرأ فى الآيه(۹۶)من سوره الأعراف: وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرىٰ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ . و فى الآيه(۴۱)من سوره الروم نقرأ:

ظَهَرَ الْفَسادُ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِي النّاسِ و فى الآيه(۳۰)من سوره الشورى: وَ ما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَهٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ و فى الآيه(۶۶)من سوره المائده: وَ لَوْ أَنَّهُمْ أَقامُوا التَّوْراهَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ .

و آيات أخرى من هذا القبيل.

هذه الرابطه ليست رابطه معنويه،بل هناك رابطه ماديه واضحه فى هذا

المجال أيضا.

الكفر و عدم الإيمان هو عين الإحساس بالمسؤوليه،و هو الخروج عن القانون،و تجاهل القيم الأخلاقيه،و هذه الأمور هى التى تسبب فقدان وحده المجتمعات،و تزلزل أعمده الاعتماد و الطمأنينه،و هدر الطاقات البشريه و الاقتصاديه،و اضطراب العداله الاجتماعيه.

و من البديهى أنّ المجتمع الذى تسيطر عليه هذه الأمور سوف يتراجع بسرعه،و يتخذ طريقه إلى السقوط و الفناء.

و إذا كنّا نرى أنّ هناك مجتمعات تحظى بتقدم نسبى فى الأمور الماديه مع كفرهم و انعدام التّقوى فيهم،فإنّ علينا أن نعرف أيضا أنّه لا بدّ أن يكون ذلك مرهونا بالمحافظه النسبيه لبعض الأصول الأخلاقيه،و هذا هو حصيله ميراث الأنبياء و السابقين،و نتيجه أتعاب القاده الإلهيين و العلماء على طول القرون، و بالإضافه إلى الآيات السالفه هناك روايات كثيره أيضا اعتمدت هذا المعنى، و هو أنّ الاستغفار و ترك المعاصى يبعث على إصلاح المعيشه و ازدياد الرّزق.

ففى حديث ورد عن الإمام على عليه السّلام: «أكثر الاستغفار تجلب الرّزق» (۱) .

و نقل

فى حديث آخر عن الرّسول الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: «من أنعم اللّه عليه نعمه فليحمد اللّه تعالى و من استبطأ الرّزق فليستغفر اللّه،و من حزنه أمر فيقل:لا حول و لا قوّه إلّا باللّه» (۲) .

و نقرأ

فى نهج البلاغه أيضا (۳) : «و قد جعل اللّه سبحانه الاستغفار سببا على الرّزق و رحمه الخلق،فقال سبحانه: اِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفّاراً يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً .

۱- ۱) -تفسير نور الثقلين،ج ۵،ص ۴۲۴.

۲- ۲) -المصدر السّابق.

۳- ۳) -نهج البلاغه،الخطبه ۱۴۳.

و الحقیقه أنّ الحرمان فی هـذا العالم سببه العقوبات علی الـذنوب،و فی الوقت الـذی یتوب فیه الإنسان و یتخـذ طریق الطهاره و التقوی یصرف اللّه تعالی عنه هذه العقوبات (۱) .

***

ص: ۵۷

۱- ۱) -لنا شـرح آخر فی هذا الباب تحت عنوان«الذنوب و هدم المجتمعات»فی تفسـیرنا هذا،ذیل الآیه(۵۲)من سوره هود علیه السّلام.

الآيات [سوره نوح (۷۱): الآيات ۱۵ الى ۲۰]

اشاره

أَ لَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اَللّٰهُ سَبْعَ سَمٰاوٰاتٍ طِبٰاقاً (۱۵) وَ جَعَلَ اَلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَ جَعَلَ اَلشَّمْسَ سِرٰاجاً (۱۶) وَ اَللّٰهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ اَلْأَرْضِ نَباتاً (۱۷) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهٰا وَ يُخْرِجُكُمْ إِخْرٰاجاً (۱۸) وَ اَللّٰهُ جَعَلَ لَكُمُ اَلْأَرْضَ بِسٰاطاً (۱۹) لِتَسْلُكُوا مِنْهٰا سُبُلاً فِجٰاجاً (۲۰)

التّفسير

اشاره

خلقكم اللّه من الأرض كالنبات:

كان نوح عليه السّلام يبيّن للمشركين المعاندين حقائق عميقه و مستدله، إذ كان يأخذ بهم إلى أعماق وجودهم ليرون حقائق هذه الآيات(كما مرّ فى الآيات السابقه) و دعاهم إلى ما خلق اللّه من علامات فى هذا العالم الكبير،فكان يسير بهم إلى تلك الآفاق (۱) .

۱- ۱) -هذا الخطاب تابع لكلام نوح عليه السّلام،أو أنّها جمل مستقله و معترضه من اللّه تعالى إلى المسلمين،و هو محل بحث بين المفسّرين،و الكثير منهم يرجح أن يكون ذلك تابعا لكلام نوح عليه السّلام،و سياق الآيات يشير أيضا إلى ذلك،و إذا ما وردت جمله: (و قال نوح)بعد هذه الآيات فإنّها تشير إلى أنّ نوح عليه السّلام قد انتهى من كلامه مع الناس و توجه بعد ذلك إلى اللّه تعالى ليشكو من قومه.

يبدأ أوّلا بالسماء فيقول: أَ لَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللّهُ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً (۱) «طباقا»:مصدر من باب(مفاعله)بمعنى«مطابقه»،و أحيانا تأتى بمعنى وضع الشيء فوق شيء آخر،و تأتى أحيانا أخرى بمعنى مطابقه و مماثله شيئين أحدهما مع الآخر،و المعنيان يصدقان هنا.

و ما طبق للمعنى الأوّل أنّ السماوات بعضها فوق بعض،و كما قلنا فى سابقا حسب تفسير السموات السبع فإنّ كل ما نراه من الكواكب المتحركه و الثابته بالعين المجرّده أو غيرها هى من السماء الاولى،ثمّ تليها السموات الست الأخرى متطابقه بعضها فوق الأخرى،و لم يصل علم الإنسان إلى هذه المرتبه فعلا،و لكن يمكن فى المستقبل أن يتطور علم الإنسان فيكشف ما فى السموات من عجائب الواحده بعد الأخرى (۲) .

و على الاحتمال الثّانى فإنّ القرآن يشير إلى مطابقه و تناسق السماوات السبع فى النظم و العظمه و الجمال.

ثمّ يضيف: وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً (۳) .

صحيح أنّ فى السماوات السبع مليارات من الكواكب المضيئه و التى هى أكثر ضياء من الشمس،و لكن ما يهمنا و ما يؤثر فى حياتنا هى هذه الشمس و كذلك القمر،هذه المنظومه الشمسيه التى تضيء الشمس فيها بالنهار و القمر بدوره ينير الليل.

التعبير بالسراج للشمس و بالنور للقمر هو أنّ نور الشمس ينشأ من ذاتها كالسراج،و أمّا نور القمر فإنّه ليس من باطنه بل انعكاس لنور الشمس،و لهذا فإنّ

۱- ۱) -«طباقا»:يحتمل أن يكون مفعول مطلق أو حال.

۲- ۲) -أوضحنا الكلام فى التفاسير المختلفه للسماوات السبع فى ذيل الآيه(۲۹)من سوره البقره.

۳- ۳) -من هنا أنّ ضمير«فيهنّ»و الذى يرجع فى الظاهر إلى«السماوات السبع»لا يثير مشكله لأنّ الخطاب فى النور و الضياء هو لنا،لأجل هذا لا يلزم أن نجعل«فى»بمعنى«مع»أو نجعل الضمير«هن»بمعنى«السماء الدنيا»(فتدبّر).

كلمه نور ذات المفهوم العام هى المستخدمه فى هذا المورد، و يشاهد اختلاف التعابير فى آيات القرآن أيضا،و قد أوردنا شرحا مفصلا فى هذا الباب فى ذيل الآيه(۵)من سوره يونس عليه السّلام.

ثمّ يعود ذلك إلى الإنسان فيقول: وَ اللّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً (۱) .

التعبير ب«الإنبات»،فى شأن الإنسان لأسباب،أوّلا:خلق الإنسان الأوّل من التراب.

ثانيا:إنّ المواد الغذائيه التى يتناولها الإنسان و بها ينمو و يحيى هى من الأرض،فهو إمّا يتناول الخضار و الحبوب الغذائيه أو الفواكه مباشره،أو بطريق غير مباشر كلحوم الحيوانات.

ثالثا:هناك تشابه كثير بين الإنسان و النبات،و هناك كثير من القوانين التى يسرى حكمها على نمو و تغذيه النباتات هى ساريه أيضا على الإنسان.

و هذا التعبير فى شأن الإنسان غنى بالمعانى،و يدل على أنّ التدبير الإلهى فى مسأله الهدايه ليس فقط كتدبير و عمل المعلم و حسب،بل هو كعمل الزارع الذى ينثر البذور فى محيط جيد يساعدها على النمو،و فى الآيه(۳۷)من سوره آل عمران يقول اللّه تعالى بشأن مريم عليها السّلام: وَ أَنْبَتَها نَباتاً حَسَناً و كلّ هذا إشاره إلى ذلك المضمون اللطيف.

ثمّ يمضى إلى مسأله المعاد و التى كانت من المسائل المعقده عند المشركين فيقول: ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيها وَ يُخْرِجُكُمْ إِخْراجاً .

كنتم فى البدء ترابا،ثمّ تعودون إلى التراب ثانيه،و من كانت له القدره على أن يخلقكم من التراب هو قادر على أن يحييكم بعد الموت.

هذا الانتقال من التوحيد إلى المعاد الذى جاء فى سياق هذه الآيات بصوره

۱- ۱) -يجب أن تلفظ هذه الكلمه حسب القاعده«إنباتا»لكن لهذه الآيه تقدير هو:«أنبتكم من الأرض فنبتم نباتا»تفسير(الفخر الرازى و أبو الفتوح الرازى).

لطيفه يشير إلى العلاقه القريبه بينهما،و هكذا كان نوح عليه السّلام يوضح لمخالفيه أمر التوحيد بالاستدلال عن طريق نظام الخلقه و يستدل كذلك بها على المعاد.

ثمّ يعود مرّه أخرى إلى آيات الآفاق و علامات التوحيد فى هذا العالم الكبير،و يتحدث عن نعم وجود الأرض فيقول: وَ اللّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِساطاً (۱) .

ليست هى بتلك الخشونه بحيث لا يمكنكم الانتقال و الاستراحه عليها، و ليست بتلك النعومه بحيث تغطسون فيها،و تفقدون القدره على الحركه،ليست حارقه و ساخنه بحيث تلقون مشقّه من حرّها،و ليست باردة بحيث تتعسر حياتكم فيها،مضافا إلى ذلك فهى كالبساط الواسع الجاهز المتوفر فيه جميع متطلباتكم المعيشيه.

و ليست الأراضى المسطحه كالبساط الواسع فحسب،بل بما فيها من الجبال و الوديان و الشقوق المتداخله بعضها فوق البعض و التى يمكن العبور من خلالها.

لِتَسْلُكُوا مِنْها سُبُلاً فِجاجاً

.

«فجاج»على وزن(مزاج)،و هو جمع فج،و بمعنى الوادى الفسيح بين الجبلين،و قيل الطريق الواسعه (۲) .

و بهذا فإنّ نوح عليه السّلام يشير فى خطابه تاره إلى العلامات الإلهيه فى السماوات و الكواكب و السماويه،و تاره أخرى إلى النعم الإلهيه الموجوده فى البسيطه، و ثالثه الى وجود الإنسان الذى يعتبر بحدّ ذاته دليل على معرفه اللّه تعالى و إثبات المعاد،و لكن لم تؤثر أى من هذه الإنذارات و البشائر و الرغائب و الاستدلالات المنطقيه فى قلوب هؤلاء القوم المعاندين الذين استمروا

۱- ۱) -بساط من أصل بسط بمعنى و بسط الشىء،و لهذا فإنّ كلمه«بساط»تطلق على كل شىء واسع و أحد مصاديقها «البساط».

۲- ۲) -مفردات الراغب،ماده(فج).

مخالفتهم و کفرهم،و أخذتهم الأنفه عن الانقیاد لحمید العاقبه،و سنری عاقبه هذا العناد فی الآیات القادمه.

***

ص :۶۲

الآيات [سوره نوح (۷۱): الآيات ۲۱ الى ۲۵]

اشاره

قالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَ اِتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مالُهُ وَ وَلَدُهُ إِلاّ خَساراً (۲۱) وَ مَكَرُوا مَكْراً كُبّاراً (۲۲) وَ قالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَ لا تَذَرُنَّ وَدًّا وَ لا سُواعاً وَ لا يَغُوثَ وَ يَعُوقَ وَ نَسْراً (۲۳) وَ قَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَ لا تَزِدِ اَلظّالِمِينَ إِلاّ ضَلالاً (۲۴) مِمّا خَطِيئاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا ناراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اَللّهِ أَنْصاراً (۲۵)

التّفسير

اشاره

لطف اللّه معک:

عند ما رأى نوح عليه السّلام عناد قومه و قد بذل فى سبيل هدايتهم منتهى مساعيه التى طالت مئات السنين،و ما كانوا يزدادون فيها إلاّ فسادا و ضلالا،يئس منهم و توجّه إلى ربّه ليناجيه و يطلب منه أن يعاقب قومه،كما نقرأ فى هذه الآيات محل البحث، قالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَ اتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مالُهُ وَ وَلَدُهُ إِلاّ خَساراً .

تشير هذه الآيه إلى أنّ رؤساء هؤلاء القوم يمتازون بكثره الأموال و الأولاد، و لكنّها لا تستخدم لخدمه الناس بل للفساد و العدوان،و لا يخضعون للّه تعالى، و هذه الامتيازات الكثيره سببت فى طغيانهم و غيهم.

و إذا ما نظرنا إلى تاريخ الإنسان لوجدنا أنّ الكثير من رؤساء القبائل هم من هذا القبيل،من الذين يجمعون المال الحرام،و لهم ذرّيه فاسده،و يفرضون فى النهايه أفكارهم على المجتمعات المستضعفه،و يكبلونهم بقيود الظلم.

ثمّ يضيف فى قوله تعالى: وَ مَكَرُوا مَكْراً كُبّاراً .

«كبّار»صيغه مبالغه من الكبر،و ذكر بصيغه النكره،و يشير إلى أنّهم كانوا يضعون خططا شيطانيه واسعه لتضليل الناس،و رفض دعوه نوح عليه السّلام،و من المحتمل أن يكون عباده الأصنام واحده من هذه الخطط و الأساليب،و ذلك طبقا للرّوايات التى تشير إلى عدم وجود عباده الأصنام قبل عصر نوح عليه السّلام و أن قوم نوح هم الذين أوجدوها،و ذكر أنّ فى المدّه الزمنيه بين آدم و نوح عليهما السّلام كان هناك أناس صالحون أحبّهم الناس،و لكن الشيطان«أو الأشخاص الشيطانيين»عمد إلى استغلال هذه العلاقه،و ترغّبهم فى صنع تماثيل أولئك الصالحين بحجّه تقديسهم و إجلالهم،و بعد مضى الزمن نسيت الأجيال هذه العلاقه التاريخيه، و تصورت أنّ هذه التماثل هى موجودات محترمه و نافعه يجب عبادتها،و هكذا شغلوا بعباده الأصنام،و عمد الظالمون و المستكبرون إلى إغفال الناس و تكبيلهم بحبائل الغفله،و هكذا تحقق المكر الكبير.

و تدل الآيه الأخرى على هذا الأمر،إذ أنّها تضيف بعد الإشاره إلى خفاء هذا المكر فى قوله تعالى: وَ قالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ .

و لا تقبلوا دعوه نوح إلى اللّه الواحد،و غير المحسوس، و أكدوا بالخصوص على خمسه أصنام،و قالوا: وَ لا تَذَرُنَّ وَدًّا وَ لا سُواعاً وَ لا يَغُوثَ وَ يَعُوقَ وَ نَسْراً .

و یستفاد من القرائن أنّ لهذه الأصنام الخمسه مميزات و خصائص،و أنّها لقيت عنايه بالغه من القوم الظالمين،و لهذا كان رؤسائهم المستغلون لهم يعتمدون على عبادتهم لها.

و هناك روايات متعدده تشير إلى وجود و ابتداع هذه الأصنام،و هى:

۱-قال البعض:إنّها أسماء خمسه من الصالحين كانوا قبل نوح عليه السّلام و عند ما رحلوا من الدنيا اتّخذوا لهم تماثيل لتبقى ذكرى،و ذلك بتحريك و إيحاء من إبليس،فوقّروها حتى عبدت تدريجيا بمرّ العصور.

۲-قيل أنّها أسماء خمسه أولاد لآدم عليه السّلام كان كلّما يموت أحدهم يضعون له تمثالا و ذلك لتخليد ذكراه،و بمرور الزمن نسى ذلك الغرض و أخذوا يروجون عبادتها بكثره فى زمن نوح عليه السّلام.

۳-البعض الآخر يعتقد أنّها أسماء لأصنام فى زمن نوح عليه السّلام،و ذلك لأنّ نوحا عليه السّلام كان يمنع الناس من الطواف حول قبر آدم عليه السّلام فاتخذوا مكانه تماثيل بإيعاز من إبليس و شغلوا بعبادتها (۱) .

و هكذا انتقلت هذه الأصنام الخمسه إلى الجاهليه العربيه،و انتخبت كل قبيله واحده من هذه الأصنام لها،و من المستبعد أن تكون الأصنام قد انتقلت إليهم،بل إنّ الظاهر هو انتقال الأسماء إليهم ثمّ صنعهم التماثيل لها،و لكن بعض المفسّرين نقلوا عن ابن عباس أنّ هذه الأصنام الخمسه قد دفنت فى طوفان نوح عليه السّلام،ثمّ أخرجها الشيطان فى عهد الجاهليه و دعا الناس إلى عبادتها (۲) .

و فى كيفيه تقسيم هذه الأصنام على القبائل العربيه فى الجاهليه،قال البعض:إنّ الصنم(ود)قد اتّخذته قبيله بنى كلب فى أراضى دومه الجندل،و هى مدينه قريبه من تبوك تدعى اليوم بالجوف،و اتّخذت قبيله هديل(سواعا)و كانت

۱- ۱) -مجمع البيان،تفسير على بن ابراهيم،تفسير أبو الفتوح الرازى،و تفاسير اخرى ذيل الآيات التى هى مورد البحث.

۲- ۲) -تفسير القرطبى،ج ۱۰،ص ۶۷۸۷.

فی بقاع رهاط،و اتّخذت قبیله بنی قطیف أو قبیله بنی مذحج(یغوث)،و أمّا همدان فاتّخذت(یعوق)،و اتّخذت قبیله ذی الکلاع(نسرا)،و هی قبائل حمیر (۱) .

و علی کل حال،فإنّ ثلاثه منها أی(یغوث و یعوق و نسر)و کانت فی الیمن و لکنّها اندثرت عند ما سیطر ذو نؤاس علی الیمن،و اعتنق أهلها الیهودیه (۲) .

یقول المؤرخ الشهیر الواقدی:کان الصنم(ود)علی صوره رجل،و(سواع) علی صوره امرأه و(یغوث)علی صوره أسد و(یعوق)علی صوره فرس و(نسر) علی صوره نسر(الطائر المعروف). (۳)

و بالطبع أنّ هناک أصنام أخری کانت لعرب الجاهلیه،منها«هبل»الذی کان من أکبر أصنامها التی وضعوها داخل الکعبه،و کان طوله ۱۸ ذراعا،و الصنم (أساف)المقابل للحجر الأسود،و الصنم(نائله)الذی کان مقابل الرکن الیمانی (الزاویه الجنوبیه للکعبه)و کذلک کانت(اللات)و(العزی). (۴)

ثمّ یضیف عن لسان نوح علیه السّلام: وَ قَدْ أَضَلُّوا (۵) کَثِیراً وَ لا تَزِدِ الظّالِمِینَ إِلاّ ضَلالاً المراد من زیاده الضلال للظالمین هو الدعاء بسلب التوفیق الإلهی منهم:لیکون سببا فی تعاستهم،أو أنّه دعاء منه أن یجازیهم اللّه بکفرهم و ظلمهم و یسلبهم نور الإیمان،و لتحلّ محله ظلمه الکفر.

أو أنّ هذه هی خصوصیه أعمالهم التی تنسب إلی اللّه تعالی،و ذلک لأنّ کل

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۳۶۴،و أعلام القرآن،ص ۱۳۱.

۲- ۲) -المصدر السابق.

۳- ۳) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۳۶۴.

۴- ۴) -المصدر السابق.

۵- ۵) -الضمیر فی«أضلوا»یعود إلی أکابر قوم نوح علیه السّلام بقرینه الآیه السابقه: وَ قالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَکُمْ و احتمل بعض المفسّرین أنّ الضمیر یعود إلی(الآلهه)لأنّها سببت فی ضلالهم و جاء ما یشابه ذلک فی الآیه(۳۶)من سوره ابراهیم علیه السّلام و بصوره ضمیر جمع المؤنث لا ضمیر جمع المذکر،و هذا الاحتمال بعید.

موجود يؤثر أى تأثير فهو بأمر من اللّه تعالى،و ليس هناك ما ينافى الحكمه الإلهيه فى مسأله الإيمان و الكفر و الهدايه و الضلاله و لا يسبب سلب الإختيار.

و بالتالى فإنّ الآيه الأخيره فى البحث،يقول اللّه تعالى فيها:

مِمّا خَطِيئاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا ناراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ أَنْصاراً

(۱) .

تشير الآيه إلى ورودهم النّار بعد الطوفان،و ممّا يثير العجب هو دخولهم النّار بعد الدخول فى الماء!و هذه النّار هى نار البرزخ،لأنّ بعض الناس يعاقبون بعد الموت،و ذلك فى عالم البرزخ كما هو ظاهر فى سياق بعض الآيات القرآنيه، و كذا ذكرت الرّوايات أنّ القبر إمّا روضه من رياض الجنّه،أو حفره من حفر النيران.

و قيل من المحتمل أن يكون المراد بالنّار هو يوم القيامه،و لكن بما أنّ وقوع يوم القيامه أمر حتمى و هو غير بعيد،فإنّها ذكرت بصوره الفعل الماضى. (۲)

و احتمل البعض أنّ المراد هى النّار فى الدنيا،حيث يقولون أنّ نارا قد ظهرت بين تلك الأمواج بأمر من اللّه تعالى و ابتلعتهم. (۳)

***

۱- ۱) -«من»فى خَطِيئاتِهِمْ بمعنى باء السببيه أو(لام التعليل)و(ما)زائده للتأكيد.

۲- ۲) -الفخر الرازى ينقل ذلك فى تفسيره بعنوان قول من الأقوال فى ج ۳۰،ص ۱۴۵.

۳- ۳) -تفسير أبو الفتوح الرازى،ج ۱۱،ص ۳۸۰.

الآيات [سوره نوح (۷۱): الآيات ۲۶ الى ۲۸]

اشاره

وَ قالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى اَلْأَرْضِ مِنَ اَلْكافِرِينَ دَيّاراً (۲۶) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ وَ لا يَلِدُوا إِلاّ فاجِراً كَفّاراً (۲۷) رَبِّ اِغْفِرْ لِي وَ لِوالِدَيَّ وَ لِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ اَلْمُؤْمِناتِ وَ لا تَزِدِ اَلظّالِمِينَ إِلاّ تَباراً (۲۸)

التّفسير

اشاره

على الفاسدين و المفسدين أن يرحلوا:

هذه الآيات تشير إلى استمرار نوح عليه السّلام فى حديثه و دعائه عليهم فيقول تبارك و تعالى: وَ قالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى اَلْأَرْضِ مِنَ اَلْكافِرِينَ دَيّاراً .

دعا نوح عليه السّلام بهذا الدعاء عند ما يئس من هدايتهم بعد المشقّه و العناء فى دعوته إيّاهم،فلم يؤمن إلّا قليل منهم.

و التّعبير ب«على الأرض»يشير إلى أنّ دعوه نوح عليه السّلام كانت تشمل العالم، و كذا مجىء الطوفان و العذاب بعده.

«ديار»:على وزن سيار،من أصل دار،و تعنى من سكن الدّار،و هذه اللفظه تأتى عاده فى موارد النفى المطلق كقول:ما فى الدار ديّار،أى ليس فى الدار أحد. (۱)

۱- ۱) -قال البعض أنّ الأصل كان(ديوار)على وزن حيوان ثمّ بدلت الواو ب(ياء)و أدغمت فى الباء الاولى و صارت ديار(البيان

ثمّ يستدل نوح عليه السّلام للعنه القوم فيقول: إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ وَ لا يَلِدُوا إِلاّ فاجِراً كَفّاراً ،و هذا يشير إلى أنّ دعاء الأنبياء و من بينهم نوح عليه السّلام لم يكن ناتجا عن الغضب و الانتقام و الحقد،بل إنّه على أساس منطقى،و أنّ نوحا عليه السّلام ليس ممن يتضجر و يضيق صدره لأوهن الأمور فيفتح فمه بالدعاء عليهم.بل إنّ دعا عليهم بعد تسعمائه و خمسين عاما من الصبر و التألم و الدعوه و العمل المضنى.

و لكن كيف عرف نوح عليه السّلام أنّهم لن يؤمنوا أبدا و أنّهم كانوا يضللون من كان على البسيطه و يلدون أولادا فجره و كفّارا.

قال البعض:إنّ ذلك ممّا أعطاه اللّه تعالى من الغيب،و احتمل أنّه أخذ ذلك عن طريق الوحى الإلهى حيث يقول اللّه تعالى: وَ أُوحِيَ إِلى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاّ مَنْ قَدْ آمَنَ . (۱) (۲)

و يمكن أن يكون نوح قد توصل إلى هذه الحقيقه بالطريق الطبيعى و الحسابات المتعارفه،لأنّ القوم الذين بلّغ فيهم نوح عليه السّلام تسعمائه و خمسين عاما بأفصح الخطب و المواعظ لا أمل فى هدايتهم،ثمّ إنّ الغالبيه منهم كانوا من الكفار و الأثرياء و هذا ممّا كان يساعدهم على إغواء و تضليل الناس،مثل أولئك لا يلدون إلّا فاجرا كفّارا و يمكن الجمع بين هذه الاحتمالات الثّلاثه.

«الفاجر»:يراد به من يرتكب ذنبا قبيحا و شنيعا.

«كفّار»:المبالغ فى الكفر.

۱)

فى غرائب القران،ج ۲،ص ۴۶۵،تفسير الفخر الرازى،ذيل هذه الآيات).

۱- ۱) -هود،۳۶.

۲- ۲) -ورد هذا المعنى أيضا فى الرّوايات كما فى تفسير الثقلين،ج ۵،ص ۴۲۸.

و الاختلاف بين هذين اللفظين هو أن أحدهما يتعلق بالجوانب العمليه، و الآخر بالجوانب العقائديه.

و يستفاد من هذه الآيات أنّ العذاب الإلهى إنّما ينزل بمقتضى الحكمه،فمن يكن فاسدا و مضللا و لأولاده و نسله لا يستحق الحياه بمقتضى الحكمه الإلهيه، فينزل عليهم البلاء كالطوفان أو الصّاعقه و الزلازل ليمحو ذكرهم كما غسل طوفان نوح عليه السّلام تلك الأرض التى تلوثت بأفعال و معتقدات تلك الأمه الشريره، و بما أنّ هذا القانون الإلهى لا يختصّ بزمان و مكان معينين، فإنّ العذاب الإلهى لا بدّ أن ينزل إذا ما كان فى هذا العصر مفسدون و لهم أولاد فجره كفّار،لأنّها سنّه إلهيه و ليس فيها من تبعيض.

و يمكن أن يكون المراد ب يُضِلُّوا عِبادَكَ الجماعه القليله المؤمنه التى كانت مع نوح عليه السّلام،و لعل المراد منها عموم الناس المستضعفين الذين يتأثرون بالطواغيت.

ثمّ يدعو نوح عليه السّلام،لنفسه و لمن آمن به فيقول: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِوالِدَيَّ وَ لِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ وَ لا تَزِدِ الظّالِمِينَ إِلاّ تَباراً . (۱)

طلب المغفره هذا من نوح عليه السّلام كأنّه يريد أن يقول إننى و إن دعوه قومى مئات السنين و لقيت ما لقيت من العذاب و الإهانه،و لكن يمكن أن يكون قد صدر منّى الترك الأولى،فلذا أطلب العفو و المغفره لا أبرئ نفسى أمام اللّه تعالى.

هذا هو حال أولياء اللّه،فإنّهم يجدون أنفسهم مقصرين مع كلّ ما يلاقونه من محن و مصاعب،و لهذا تجدهم غير مبتلين بآفات الغرور و التكبر، و ليس كالذين يتداخلهم الغرور عند إتمامهم لعمل صغير ما يمنون به على اللّه تعالى،و يطلب نوح عليه السّلام المغفره لعدّه أشخاص و هم:

۱- ۱) -«تبار»:تعنى الهلاك،و قيل الضرر و الخساره.

الأوّل:لنفسه،لئلا يكون قد مرّ على بعض الأمور المهمّه مرورا سريعا،و لم يعتن بها.

الثّانى:لوالديه،و ذلك تقديرا لما تحمّلاه من متاعب و مشقّه.

الثّالث:لمن آمن به،و إن كانوا قلائل،الذين اصطحبوه فى سفينته التى كانت بمثابه الدار له عليه السّلام.

الرّابع:للمؤمنين و المؤمنات على مرّ العصور،و من هنا يوثق نوح عليه السّلام العلاقه بينه و بين عموم المؤمنين فى العالم،و يؤكّد فى النهايه على هلاك الظالمين،و أنّهم يستحقون هذا العذاب لما ارتكبوه من ظلم.

***

بحث

اشاره

نوح عليه السّلام أوّل أنبياء أولى العزم

ذكر نوح عليه السّلام فى كثير من الآيات القرآنيه،و مجموع السور التى ذكر فيها عليه السّلام (۲۹)سوره،و أمّا اسمه عليه السّلام فقد فقد ورد ۴۳ مرّه.

و قد شرح القرآن المجيد أقساما مختلفه من حياته عليه السّلام شرحا مفصلا، و تتعلق أكثرها بالجوانب التعليميه و التربويه و المواعظ،و ذكر المؤرخون أنّ اسمه كان«عبد الغفار»أو«عبد الملك»أو«عبد الأعلى»،و لقب ب«نوح»لأنّه كان كثير النياحه على نفسه أو على قومه،و كان اسم أبيه«لمك»أو«لامك»، و فى مدّه عمره عليه السّلام اختلاف،فقال البعض:۱۴۹۰ عاما،و جاء فى بعض الرّوايات أنّ عمره ۲۵۰۰ عام،و أمّا عن أعمار قومه الطويله فقد قالوا ۳۰۰ عام، و المشهور هو أن عمره كان طويلا،و صرح القرآن بمدّه مكثه فى قومه و هى ۹۵۰ عاما،و هى مدّه التبليغ فى قومه،كان لنوح عليه السّلام ثلاثه أولاد،و هم(حام)(سام)(يافث)و يعتقد المؤرخون بأنّ انتساب البشر يرجع إلى هؤلاء الثلاثه،فمن

ينتسب إلى حام يقطن فى القاره الإفريقيه،و المنتسبون لسام يقطنون الأوسط و الأقصى،و أمّا المنتسبون إلى يافث فهم يقطنون الصين،و قيل أنّ المدّه التى عاشها بعد الطوفان ۵۰ عاما،و قيل ۶۰ عاما.

و ورد بحث مفصل عن حياه نوح عليه السّلام فى التوراه المتواجد حاليا،إلّا أنّ هناك اختلافا كبيرا بينه و بين القرآن المجيد،و هذا الاختلاف يدل على تحريف التوراه، و قد ذكرت هذه البحوث فى الفصول ۶،۷،۸،۹،۱۰ من سفر التكوين للتوراه.

و كان لنوح عليه السّلام ابن آخر يدعى(كنعان)و كان مخالفا لأبيه،إذ رفض الالتحاق به فى السفينه ففقد بقعوده هذا الشرف الانتساب إلى بيت النبوّه،و كانت عاقبته الغرق فى الطوفان كبقيه الكفّار،و أمّا عن عدد المؤمنين الذين آمنوا به و ركبوا السفينه معه فقد قيل ۷۰ نفرا،و قيل ۷ أنفار،و لقد انعكست آثار كثيره من قصّه نوح عليه السّلام فى لأدب العربى و أكثرها قد حكت عن الطوفان و سفينه النجاه. (۱)

كان نوح عليه السّلام اسطوره للصبر و المقاومه،و قيل هو أوّل من استعان بالعقل و الاستدلال المنطقى فى هدايه البشر،بالإضافه الى منطق الوحى(كما هو واضح من آيات هذه السوره)و بهذا الدليل يستحق التعظيم من قبل جميع الناس.

و ننهى ما وضحناه عن نوح عليه السّلام

بحديث عن الإمام الباقر عليه السّلام إذ قال: «كان نوح عليه السّلام يدعو حين يمسى و يصح بهذا الدعاء:«أمسيت أشهد أنّه ما أمسى بى من نعمه فى دين أو دنيا فإنّها من اللّه لا شريك له،له الحمد بها علىّ و الشكر كثيرا، فأنزل اللّه: إِنَّهُ كانَ عَبْداً شَكُوراً فهذا كان شكره». (۲)

فى قوله تعالى: رَبِّ اغْفِرْ لِى وَ لِوالِدَىَّ وَ لِمَنْ دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِناً... قيل فى معنى البيت هنا هو بيته الخاص،و قيل المسجد،و قيل سفينه نوح،و قيل هو دينه و شريعته.

۱- ۱) -بحار الأنوار،ج ۱۱.

۲- ۲) -بحار الأنوار،ج ۱۱،ص ۲۹۱،ح ۳.

و

ورد عن الإمام الصّادق علیه السّلام أنّه قال: «من دخل فی الولایه دخل فی بیت الأنبیاء». (۱)

اللّهمّ ارحمنا بقبول ولایه أهل البیت علیه السّلام حتی ندخل بیت الأنبیاء.

ربّنا،منّ علینا بالاستقامه کما مننت علی الأنبیاء کنوح علیه السّلام لنبقی دعاه إلی دینک بلا تقاعس.

اللّهم،نجّنا بسفینه نجاه لطفک و رحمتک عند نزول الطوفان غضبک و سخطک.

آمین یا ربّ العالمین نهایه سوره نوح علیه السّلام ***

ص: ۷۳

۱- ۱) -تفسیر نور الثقلین،ج ۵،ص ۴۲۹.

سوره الجنّ

اشاره

مکیه و عدد آیاتها ثمان و عشرون آیه

ص: ۷۵

محتوى السوره:

تتحدث هذه السوره حول نوع من الخلائق المستورين عن حواسنا،و هم الجن،كما سمّيت السوره باسمهم،و أنّهم يؤمنون بنبيّنا الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و عن خضوعهم للقرآن و إيمانهم بالمعاد،و أنّ فيهم المؤمن و الكافر و غير ذلك،و فى هذا القسم من السوره(۱۹)آيه من(۲۸)آيه تصحح ما حرّف من معتقدات حول الجن،و هناك قسم آخر من السوره يشير إلى التوحيد و المعاد،و القسم الأخير يتحدث عن علم الذى لا يعلمه إلّا ما شاء اللّه.

فضيله سوره الجن:

ورد فى حديث عن الرّسول الأكرم: «من قرأ سوره الجن اعطى بعدد كلّ جنى و شيطان صدق بمحمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كذّب به عتق رقبه». (۱)

و

فى حديث آخر عن الإمام الصّادق عليه السّلام: «من أكثر قراءه قُلْ أُوحِيَ لم يصبه فى الحياه الدنيا شىء من أعين الجن و لا نفثهم و لا سحرهم،و لا كيدهم، و كان مع محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيقول:يا ربّ،لا أريد منه بدلا،و لا أبغى عنه حولا».

و طبعا التلاوه مقدّمه و تمهيد لمعرفه محتوى السوره و التدبّر بها،ثمّ العمل بما فيها.

***

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۳۶۵.

الآیات [سوره الجن (۷۲): الآیات ۱ الی ۶]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ قُلْ أُوحِیَ إِلَیَّ أَنَّهُ اِسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ اَلْجِنِّ فَقٰالُوا إِنّٰا سَمِعْنٰا قُرْآناً عَجَباً (۱) یَهْدِی إِلَی اَلرُّشْدِ فَآمَنّٰا بِهِ وَ لَنْ نُشْرِکَ بِرَبِّنٰا أَحَداً (۲) وَ أَنَّهُ تَعٰالیٰ جَدُّ رَبِّنٰا مَا اِتَّخَذَ صٰاحِبَهً وَ لاٰ وَلَداً (۳) وَ أَنَّهُ کٰانَ یَقُولُ سَفِیهُنٰا عَلَی اَللّٰهِ شَطَطاً (۴) وَ أَنّٰا ظَنَنّٰا أَنْ لَنْ تَقُولَ اَلْإِنْسُ وَ اَلْجِنُّ عَلَی اَللّٰهِ کَذِباً (۵) وَ أَنَّهُ کٰانَ رِجٰالٌ مِنَ اَلْإِنْسِ یَعُوذُونَ بِرِجٰالٍ مِنَ اَلْجِنِّ فَزٰادُوهُمْ رَهَقاً (۶)

سبب النّزول

ما جاء فی سبب نزول سوره الأحقاف فی تفسیر الآیات(۲۹-۳۲)مطابق لسبب نزول هذه السوره،و یدل علی أنّ السورتین یتعلقان بحادثه واحده، و توضح سبب النّزول باختصار کما یلی:

۱-انطلق الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إلی سوق عکاظ فی الطائف بعد قدومه من مکّه لیدعو الناس إلی الإسلام،فرجع بعد رفض الناس لدعوته إلی واد یدعی وادی الجن،و بقی فیه لیلا و هو یقرأ القرآن،فاستمع إلیه نفر من الجن فآمنوا به ثمّ راحوا

یدعون قومهم إلیه. (۱)

۲-عن ابن عباس قال:کان النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم منشغلا بصلاه الصبح،و کان یقرأ فیها القرآن،فاستمع إلیه الجن و هم یبحثون عن علّه انقطاع الأخبار من السماء، فقالوا:هذه الذی حال بیننا و بین خبر السماء،فرجعوا إلی قومهم لیبلغوا ما سمعوا. (۲)

۳-بعد وفاه أبی طالب علیه السّلام اشتدّ الأمر برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،فعزم علی الذهاب إلی الطائف لیبحث عن أنصار له،و کان أعیان الطائف یکذبونه و یؤذونه،و یرمونه بالحجاره حتی أدمیت قدماه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،فالتجأ متعبا إلی ضیعه من الضیاع،فرآه غلام صاحب الضیعه و کان اسمه«عداس»،فآمن بالنّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ثمّ رجع إلی مکّه لیلا و صلّی صلاه الصبح و هو بنخله،فاستمع إلیه نفر من الجن من أهل نصیبین أو الیمن،و کانوا قد مرّوا بذلک الطریق فآمنوا به (۳) .

و قد نقل بعض المفسّرین ما یشابه هذا المعنی فی أوّل السوره،و لکن جاء فی سبب نزول هذه السوره ما یخالف هذا المعنی،و هو أنّ علقمه بن قیس قال:

قلت لعبد اللّه بن المسعود:من کان منکم مع النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لیله الجن؟فقال:ما کان منّا معه أحد،فقدناه ذات لیله و نحن بمکّه فقلنا:اغتیل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أو استطیر،فانطلقنا نطلبه من الشعاب فلقیناه مقبلا من نحو حراء،فقلنا:یا رسول اللّه،این کنت؟لقد أشفقنا علیک،و قلنا له:بتنا اللیله بشرّ لیله بات بها قوم حین فقدناک،

فقال: «إنّه أتانی الجن فذهبت أقرئهم القرآن» (۴) .

***

۱- ۱) -تفسیر علی بن ابراهیم علی ما نقله تفسیر نور الثقلین،ج ۵،ص ۱۹(مع الاختصار).

۲- ۲) -صحیح البخاری،مسلم،و مسند طبقا لما نقله صاحب(فی ظلال القرآن)ج ۷،ص ۴۲۹(باختصار).

۳- ۳) -مجمع البیان،ج ۹،ص ۹۲،و سیره ابن هشام،ج ۲،ص ۶۲-۶۳(باختصار).

۴- ۴) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۳۶۸.

التّفسير

اشاره

القرآن العجيب!!

نرجع إلى تفسير الآيات بعد ذكر ما قيل فى سبب النّزول يقول اللّه تعالى: قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقالُوا إِنّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً (۱) .

التعبير ب أُوحِيَ إِلَيَّ يشير إلى أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لم يشاهد الجنّ بنفسه بل علم باستماعهم للقرآن عن طريق الوحى،و كذلك يعلم من مفهوم الآيه أنّ للجن عقلا و شعورا و فهما و إدراكا،و أنّهم مكلّفون و مسئولون،و لهم المعرفه باللغات و يفرقون بين الكلام الخارق للعاده بين الكلام العادى،و بين المعجز و غير و المعجز،و يجدون أنفسهم مكلّفين بإيصال الدعوه إلى قومهم،و أنّهم هم المخاطبون فى القرآن المجيد،هذه بعض الخصوصيات لهذا الموجود المستور الحى الذى يمكن الاستفاده منها فى هذه الآيه،و لهم خصوصيات اخرى سوف نبيّنها فى نهايه هذا البحث،و إنّ شاء اللّه تعالى.

إنّ لهم الحقّ فى أن يحسبوا هذا القرآن عجبا،للحنه العجيب،و لجاذبيه محتواه،و لتأثيره العجيب،و لمن جاء به و الذى لم يكن قد درس شيئا و قد ظهر من بين الأميين،و كلام عجيب فى ظاهره و باطنه و يختلف عن أىّ حديث آخر و لهذا اعترفوا بإعجاز القرآن.

لقد تحدثوا لقومهم بحديث آخر تبيّنه السوره فى(۱۲)آيه،و كل منها تبدأ ب(أن)و هى دلاله على التأكيد (۲) .

۱- ۱) -نفر:على قول أصحاب اللغه و التّفسير:الجماعه من ۳ الى ۹.

۲ - ۲) -المشهور بين علماء النحو أنّ(إن)فى مقول القول يجب أن تقرأ بالكسر كما هى فى الآيات الاولى،و أمّا فى الآيات الأخرى المعطوفه عليها فإنّها بالفتح،و لهذا اضطر الكثير من المفسّرين أن يجعلوا لهذه الآيات تقديرات أو مبررات أخرى، و لكن ما الذى يمنعنا من القول أنّ لهذا القاعده أيضا شواذ،و هى جواز القراءه بالفتحه فى موارد يكون العطف فيه على مقول القول،و ما يدل على ذلك آيات هذه السوره.

فيقول أوّلا-بأنّهم قالوا: يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنا أَحَداً التعبير ب«الرّشد»تعبير واسع و جامع،و يمكن أن يستوعب كل امتياز،فهو الطريق المستقيم من دون اعوجاج،و هو الضياء و الوضوح الذى يوصل المتعلقين به إلى محل السعاده و الكمال.

و بعد إظهار الإيمان و نفى الشرك باللّه تعالى ينتقل كلامهم إلى تبيان صفات اللّه تعالى: وَ أَنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا مَا اتَّخَذَ صاحِبَةً وَ لا وَلَداً .

«جد»:لها معان كثيره فى اللغه،منها:العظمه،و الشدّه،و الجد،و القسمه، و النصيب،و غير ذلك،و أمّا المعنى الحقيقى لها كما يقول الراغب فى المفردات فهو«القطع»،و تأتى بمعنى«العظمه»إذا كان هناك كائن عظيم منفصل بذاته عن بقيه الكائنات،و كذلك يمكن الأخذ بما يناسب بقيه المعانى التابعه لها،و إذا ما أطلقنا لفظه«الجد»على والدى لأبوين فإنّما يعود ذلك إلى كبر مقامهما أو عمرهما،و ذكر آخرون معانى محدوده لهذه الكلمه فقد فسّروها بالصفات، و القدره،و الملك،و الحاكميه،و النعمه،و الاسم،و تجتمع كل هذه المعانى فى معنى العظمه،و هناك ادعاء فى أنّ المقصود هنا هو الأب الأكبر«الجد»و تشير الرّوايات إلى أنّ الجنّ و لقلّه معرفتهم اختاروا هذا التعبير غير المناسب،هذا إشاره إلى نهيهم عن ذكر هذه التعابير (۱) .

و يمكن أن يكون هذا الحديث ناظرا إلى الموارد التى يتداعى فيها هذا المفهوم،و إلّا فإنّ القرآن يذكر هذا التعبير بلحن الموافق فى هذه الآيات،و إلّا لم و قد ذكر هذا التعبير أيضا

فى نهج البلاغه،كما فى الخطبه(۱۹۱): «الحمد للّه الفاشى فى الخلق حمده،و الغالب جنده،و المتعالى جدّه».

و ورد فى بعض الرّوايات أنّ أنس بن مالك قد قال:كان الرجل إذا قرأ سوره

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۳۶۸،و نور الثقلين،ج ۵،ص ۴۳۵،و ذكر هذا المعنى فى تفسير على بن إبراهيم.

البقره جد فی أعیننا (۱) .

علی کل حال فإنّ استعمال هذه اللفظه فی المجد و العظمه مطابق لما ورد فی نصوص اللغه،و من الملاحظ أنّ خطباء الجن معتقدون بأنّ اللّه لیس له صاحبه و لا ولد،و یحتمل أن یکون هذا التعبیر نفی للخرافه المتداوله بین العرب حیث قالوا:إنّ للّه بنات لزوجه من الجن قد اتّخذها لنفسه،و ورد هذا الاحتمال فی تفسیر الآیه(۱۵۸)من سوره الصافات: وَ جَعَلُوا بَیْنَهُ وَ بَیْنَ الْجِنَّهِ نَسَباً .

ثمّ قالوا: وَ أَنَّهُ کانَ یَقُولُ سَفِیهُنا عَلَی اللّهِ شَطَطاً .

و یحتمل أنّ التعبیر ب«السفیه»هنا بمعنی الجنس و الجمع،أی أنّ سفهاءنا قالوا:إنّ للّه زوجه و أطفالا،و اتّخذ لنفسه شریکا و شبیها،و إنّه قد انحرف عن الطریق،و کان یقول شططا،و احتمل بعض المفسّرین أنّ«السفیه»هنا له معنی انفرادی،و المقصود به هو«إبلیس»الذی نسب إلی اللّه نسب رکیکه،و ذلک بعد مخالفته لأمر اللّه،و اعتراضه علی اللّه فی السجود لآدم علیه السّلام ظنّا منه أنّ له الفضل علی آدم،و أنّ سجوده لآدم بعید عن الحکمه.

و لمّا کان إبلیس من الجن،و کان قد بدا منه ذلک،اشمأز منه المؤمنون من الجن و اعتبروا ذلک منه شططا،و إن کان عالما و عابدا،و لأن العالم بلا عمل، و العابد المغرور من المصادیق الواضحه للسفیه.

«شطط»علی وزن وسط،و تعنی الخروج و الابتعاد عن قول الحقّ،و لهذا تسمّی الأنهار الکبیره التی ترتفع سواحلها عن الماء ب«الشط».

ثمّ قالوا: وَ أَنّا ظَنَنّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَی اللّهِ کَذِباً .

لعل هذا الکلام اشاره إلی التقلید الأعمی للغیر،حیث کانوا یشرکون باللّه و ینسبون إلیه الزوجه و الأولاد،و فهنا یقولوا:لقد کنّا نصدقهم بحسن ظننا بهم

۱- ۱) -تفسیر القرطبی،ج ۱۰،ص ۶۸۰۱.

و نقول بمقالتهم الخاطئه،و ما كنّا نظنهم يتجرءون على اللّه بهذه الأكاذيب،و لكننا الآن نخطّئ هذا التقليد المزيف لما عرفنا من الحق و الإيمان بالقرآن،و نقر بما التبس علينا،بانحراف المشركين من الجنّ.

ثمّ ذكروا احدى الانحرافات للجن و الإنس و قالوا: وَ أَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزادُوهُمْ رَهَقاً .

«رهق»على وزن(شفق)و يعنى غشيان الشيء بالقهر و الغلبه،و فسّر بالضلال و الذنب و الطغيان و الخوف الذى يسيطر على روح الإنسان و قلبه و يغشيه،و قيل إنّ هذه الآيه تشير إلى إحدى الخرافات المتداوله فى الجاهليه، و هى أنّ الرجل من العرب كان إذا نزل الوادى فى سفره ليلا قال:أعوذ بعزيز هذا الوادى من شرّ سفهاء قومه (۱) .

و بما أنّ الخرافات كانت منشأ لازدياد الانحطاط الفكرى و الخوف و الضلال فقد جاء ذكر هذه الجمله فى آخر الآيه و هى: فَزادُوهُمْ رَهَقاً .

و ذكر فى الآيه بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ ممّا يستفاد منه أنّ فيهم إناثا و ذكورا (۲) .

على كل حال فإنّ للآيه مفهوما واسعا،يشمل جميع أنواع الالتجاء إلى الجنّ، و الخرافه المذكوره هى مصداق من مصاديقها،و كان فى أوساط العرب كهنه كثيرون يعتقدون أنّ الجن باستطاعتهم حلّ الكثير من المشاكل و إخبارهم بالمستقبل.

***

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۳۶۹،و روح المعانى،ج ۲۸،ص ۸۵.

۲- ۲) -نقل عن بعضهم فى تفسير الآيه أعلاه أنّ لجوء جماعه من الإنس بالجن ادّى إلى أن يتمادى الجن فى طغيانهم و ظنوا أن بيدهم زمام الأمور المهمّه،و التّفسير الأوّل أوجه(و الضمير حسب التّفسير الأوّل فى(زادوا)يرجع إلى الجن،و الضمير«هم» يرجع إلى الإنس،بعكس التّفسير الأوّل).

الآيات [سوره الجن (۷۲): الآيات ۷ الى ۱۰]

اشاره

وَ أَنَّهُمْ ظَنُّوا كَما ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اَللّٰهُ أَحَداً (۷) وَ أَنّٰا لَمَسْنَا اَلسَّمٰاءَ فَوَجَدْنٰاهٰا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَ شُهُباً (۸) وَ أَنّٰا كُنّٰا نَقْعُدُ مِنْهٰا مَقٰاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ اَلْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهٰاباً رَصَداً (۹) وَ أَنّٰا لاٰ نَدْرِي أَ شَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي اَلْأَرْضِ أَمْ أَرٰادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً (۱۰)

التّفسير

اشاره

كنّا من قبل نسترق السمع و لكن...

يشير سياق الآيه إلى استمرار حديث المؤمنين من الجن،و تبيان الدعوه لقومهم،و دعوتهم إلى الإسلام بالطرق المختلفه،و فيقولون: وَ أَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمٰا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللّٰهُ أَحَداً .

لذا تبادروا لإنكار القرآن و تكذيب نبوّه الرسول الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و كنا عند سماعنا لآيات القرآن أدركنا الحقائق،فلا تكونوا كالإنس و تتخذوا طريق الكفر فتبتلوا بما ابتلوا به.

و هذا تحذير للمشركين ليفيقوا عند سماعهم لكلام الجن و تحكيمهم

و ليتمسكوا بالقرآن و بالنّبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و قال البعض:إنّ الآيه أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللّهُ أَحَداً تشير إلى إنكار البعث لا إلى إنكار بعثه الأنبياء،و قال آخرون:إنّ هذه الآيه و التى قبلها هى من كلام اللّه تعالى و ليست من كلام مؤمنى الجنّ،و إنّها آيات عرضيه جاءت فى وسط حديثهم،و المخاطبون هم مشركو العرب،و طبقا لهذا التّفسير يكون المعنى هكذا،يا مشركى العرب،إنّهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث اللّه أحدا،و لمّا سمعوا الذكر أدركوا خطأهم،و قد حان لكم أن تفيقوا، و لكن هذا القول يبدو بعيدا،بل الظاهر أن الخطاب هو لمؤمنى الجن و المخاطبون هم الكفار منهم.

ثمّ يشيرون إلى علامه صدق قولهم و هو ما يدركه الجن فى عالم الطبيعه، فيقولون: وَ أَنّا لَمَسْنَا السَّمٰاءَ فَوَجَدْنٰاهٰا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَ شُهُباً (۱) (۲) .

و كنّا فى السابق نسترق السمع من السماء و نحصل على أخبار الغيب و نوصلها إلى أصدقائنا من الإنس و لكننا منعنا من ذلك الآن: وَ أَنّا كُنّا نَقْعُدُ مِنْهٰا مَقٰاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهٰاباً رَصَداً أليس هذا الوضع الجديد دليل على حقيقه التغيير العظيم الحاصل فى العالم عند ظهور الرّسول الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كتاب اللّه السماوى،لماذا كانت لكم القدره على استراق السمع و الآن سلبت منكم هذه القدره؟أليس معنى هذا انتهاء عصر الشيطنه و الكهانه و الخداع،و انتهاء ظلمه الجهل بشروق شمس الوحى و النّبوه؟ «شهاب»لهب من النار،و يطلق أيضا على الأنوار النّاريه الممتده فى السماء،و هى قطع حجريه صغيره متحركه فى الفضاء الخارجى للكره الأرضيه، كما يقول علماء الفلك،و تتأثر بجاذبيه الأرض عند وصولها إلى مقربه منها فتسقط على شكل شعله ناريه حارقه،لأنّها عند ما تصل إلى طبقات الهواء

۱- ۱) -«لمسنا»من لمس،و تعنى هنا الطلب و البحث.

۲- ۲) -«حرس»على وزن قفص،جمع حارس،و قيل اسم جمع لحارس،و تعنى الشديد الحفاظ.

الكثيفه و تصطدم لها تتحول إلى شعله ناريه،ثمّ تصل إلى الأرض بصوره رماد، و قد ذكرت الشهب كرارا فى القرآن المجيد،و أنّها كالسهام ترمى صوب الشياطين الذين يريدون أن يسترقوا السمع من السماء،و قد أوردنا بحوثا مفصّله حول كيفيه إخراج الشياطين من السماء بالشهب،و ما يراد من استراق السمع، و ذلك فى ذيل الآيه(۱۸)من سوره الحجر و ما يليها،و فى ذيل الآيه(۱۰)من سوره الصافات و ما يليها.

«رصد»على وزن حسد،و هو التهيؤ لانتظار شىء و يعبّر عنه ب(الكمين) و تعنى أحيانا اسم فاعل بمعنى الشخص أو الشّىء الذى يمكن،و هذا ما أريد به فى هذه الآيات.

ثمّ قالوا: وَ أَنّا لا نَدْرِى أَ شَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِى الْأَرْضِ أَمْ أَرادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً .

أى مع كل هذا فإنّنا لا ندرى أ كان هذا المنع من استراق السمع دليل على مكيده تراد بأهل الأرض،أم أراد اللّه بذلك المنع أن يهديهم،و بعباره أخرى أنّنا لا ندرى هل هذه هو مقدمه لنزول البلاء و العذاب من اللّه،أم مقدمه لهدايتهم، و لكن لا يخفى على مؤمنى الجن أنّ المنع من استراق السمع الذى تزامن مع ظهور نبيّنا الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هو مقدمه لهدايه البشريه،و انحلال جهاز الكهانه و الخرافات الأخرى،و ليس هذا إلّا انتهاء لعصر الظلام،و ابتداء عصر النّور.

و مع هذا،فإنّ الجن و لعلاقتهم الخاصّه بمسأله استراق السمع لم يكونوا يصدقون بما فى ذلك المنع من خير و بركه،و إلّا فمن الواضح أن الكهنه فى العصر الجاهلى كانوا يستغلون هذا العمل فى تضليل الناس.

و الجدير بالذكر أنّ مؤمنى الجنّ صرّحوا بالفاعل لإراده الهديه فنسبوه إلى اللّه،و جعلوا فاعل الشّر مجهولا،و هذا إشاره إلى أنّ ما يأتى من اللّه فهو خير، و ما يصدر من الناس فهو الشرّ و فساد إذا ما أساءوا التصرف بالنعم الإلهيه،ثمّ إنّ

المفروض أن يذكر لفظ«الخير»فی مقابل«الشرّ»،و لكن بما أنّ الخير هنا تعنی الرّشد و الهدايه،لذا اكتفی بذكر المصداق فقط.

ص :۸۷

الآيات [سوره الجن (۷۲): الآيات ۱۱ الى ۱۵]

اشاره

وَ أَنّا مِنَّا اَلصّالِحُونَ وَ مِنّا دُونَ ذٰلِكَ كُنّا طَرٰائِقَ قِدَداً (۱۱) وَ أَنّا ظَنَنّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اَللّٰهَ فِي اَلْأَرْضِ وَ لَنْ نُعْجِزَهُ هَرَباً (۱۲) وَ أَنّا لَمّا سَمِعْنَا اَلْهُدىٰ آمَنّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلا يَخٰافُ بَخْساً وَ لا رَهَقاً (۱۳) وَ أَنّا مِنَّا اَلْمُسْلِمُونَ وَ مِنَّا اَلْقاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً (۱۴) وَ أَمَّا اَلْقاسِطُونَ فَكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً (۱۵)

التّفسير

اشاره

إنّ سمعنا الحقّ فأطعناه:

فى هذه الآيات يستمر مؤمنو الجن فى حديثهم و هم يبلغون قومهم الضالّين فيقولون: وَ أَنّا مِنَّا الصّالِحُونَ وَ مِنّا دُونَ ذٰلِكَ كُنّا طَرٰائِقَ قِدَداً .

و يحتمل أن يكون المراد من قولهم هذا هو أن وجود إبليس فيما بينهم قد أوجد شبهه لبعضهم،بأنّ الجن متطبّع على الشرّ و الفساد و الشيطنه،و محال أن يشرق نور الهدايه فى قلوبهم.

و لكن مؤمنى الجن يوضحون فى قولهم هذا أنّهم يملكون الإختيار و الحريه، و فيهم الصالح و الطالح،و هذا يوفرّ لهم الأرضيه للهدايه،و أساسا فإنّ أحد العوامل المؤثره فى التبليغ هو إعطاء الشخصيه للطرف المقابل،و توجيهه إلى وجود عوامل الهدايه و الكمال فى نفسه.

و احتمل أيضا أنّ الجن قالوا ذلك لتبرئه ساحتهم من موضوع الإساءه فى مسأله استراق السمع أى:و إن كان منّا من يحصل على الأخبار عن طريق استراق السمع و وضعها بأيدى الأشرار لتضليل الناس،و لكن لا يعنى ذلك أنّ الجن كلهم كانوا كذلك،و لهذه الآيه تأثير فى إصلاح ما اشتبه علينا نحن البشر فى عقائدنا حول الجن،لأنّ كثير من الناس يتصورون أنّ لفظه الجن تعنى الشيطنه و الفساد و الضلال و الانحراف،و سياق هذا الآيه يشير إلى أنّ الجن فصائل مختلفه، صالحون و طالحون.

«قدد»على وزن(ولد)و هو جمع قد،على وزن(ضد)و تعنى المقطوع، و تطلق على الجماعات المختلفه،لأنّها تكون على شكل قطع منفصله عن بعضها.

و فى إدامه حديثهم يحذرون الآخرين فيقولون: وَ أَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَ لَنْ نُعْجِزَهُ هَرَباً و إذا كنتم تتصورون أنّكم تستطيعون الفرار من جزاء و تلتجئون إلى زاويه من زوايا الأرض أو نقطه من نقاط السماوات فإنّكم فى غايه الخطأ.

و على هذا الأساس،فإنّ الجمله الأولى إشاره إلى الفرار من قبضه القدره الإلهيه فى الأرض،و الجمله الثّانيه إشاره إلى الفرار المطلق،الأرض و السماء.

و يحتمل أن يكون تفسير الآيه هو أنّه الجمله الأولى إشاره إلى أنّه لا يمكن الغلبه على اللّه،و الجمله الثّانيه إشاره إلى أنّه لا يمكن الفرار من قبضه العداله، فإذا لم يكن هناك طريق للغلبه و لا للفرار،فلا علاج إلّا التسليم لأمر اللّه تعالى و عدالته.

و أضاف مؤمنو الجن فی حدیثهم قائلین: وَ أَنّا لَمّا سَمِعْنَا الْهُدیٰ آمَنّا بِهِ و إذ ندعوکم لهدی القرآن فإنّنا ممّن عمل بذلک أوّلا،و لذا نحن لا ندعو الآخرین إلی أمر لم نکن فاعلیه.

ثمّ بیّنوا عاقبه الإیمان فی جمله قصیره واحده فقالوا: فَمَنْ یُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلا یَخافُ بَخْساً وَ لا رَهَقاً .

«بخس»:علی وزن(شخص)و یراد به النقص علی سبیل الظلم.

«رهق»:علی وزن(سقف)یراد به-و کما أشرنا من قبل-غشیان السیء بالقهر،و قال البعض:إنّ البخس هو عدم نقصان شیء من حسناتهم،و الرهق:هو عدم إضافه شیء إلی سیئاتهم،قیل البخس:هو نقص الحسنات،و الرهق:

التکالیف الشاقه،علی کل حال فالمراد هو أن المؤمنین مهما یعملوا من عمل کبیرا کان أو صغیرا فإنّهم یستوفون أجور ذلک بلا نقص أو قلّه،و صحیح أنّ العداله الإلهیه غیر منحصره بالمؤمنین،لکنّ الطالحین لیس لهم عمل صالح، فلیس هناک ذکر لأجورهم.

و فی الآیه الأخری توضیح أکثر حول عاقبه المؤمنین و الکافرین فیقولون:

وَ أَنّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَ مِنَّا الْقاسِطُونَ (۱) فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولئِکَ تَحَرَّوْا رَشَداً

(۲) .

وَ أَمَّا الْقاسِطُونَ فَکانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً

.

الملاحظ فی الآیات أن کلمه«المسلم»جاءت مقابل کلمه«الظالم»، و إشاره إلی أن ما یقی الإنسان من الظلم هو الإیمان،و إذا لم یکن الفرد مؤمنا فإنّه سوف یظلم بأی شکل من الأشکال،و کذا تشیر إلی أنّ المؤمن الحقیقی هو

---

۱ - ۱) -«القاسط»من أصل(قسط)و تعنی التقسیم العادل،فإن أتت علی وزن(أفعال)،(أقساط)فإنّها تعنی إجراء العداله،و إذا استعملت بصوره الثّلاثی المجرّد کما فی هذه الآیه فإنّها تعطی معنی الظلم و الانحراف عن سبیل الحقّ.

۲- ۲) -«تحروا»:من أصل تحری و تعنی توخیه و قصده.

المؤمن الذی لا یظلم،کما

فی حدیث النّبی الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «المؤمن من آمنه الناس علی أنفسهم و أموالهم». (۱)

و

جاء فی حدیث آخر عنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه و یده». (۲)

و التعبیر ب تَحَرَّوْا رَشَداً یشیر إلی أنّ المؤمنین إنّما یتوجهون إلی الهدی بالتحقیق و التوجه الصادق،و لیس بالغفله و الأغماض،و جزاءهم الأوفی هو نیلهم الحقائق التی بظلها ینالون النعم الإلهیه،و الظالمون هم فی أسوأ حال،حیث إنّهم حطب لجهنم،أی أنّ النار تلتهب فی أعماق وجودهم.

۱- ۱) -تفسیر روح البیان،ج ۱۰،ص ۱۹۵.

۲- ۲) -أصول الکافی،ج ۲،باب المؤمن و علاماته و صفاته.

الآیات [سوره الجن (۷۲): الآیات ۱۶ الی ۱۹]

اشاره

وَ أَنْ لَوِ اِسْتَقامُوا عَلَى اَلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً (۱۶) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَ مَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذاباً صَعَداً (۱۷) وَ أَنَّ اَلْمَساجِدَ لِلّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اَللّهِ أَحَداً (۱۸) وَ أَنَّهُ لَمّا قامَ عَبْدُ اَللّهِ يَدْعُوهُ كادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً (۱۹)

التّفسير

اشاره

الفتنه باغدق النعمه:

هذه الآیات تشیر ظاهرا إلی استمرار الجن فی حدیثهم مع قومهم:(و إن کان بعض المفسّرین یعتبرون هذه الآیه معترضه بین کلام الجن)و لکن اعتراضها خلاف الظاهر،و سیاق هذه الآیات یشابه السابقه و الذی کان من کلام الجن،و لذا یستبعد أن یکون هذا الکلام هو لغیر الجن. (۱)

۱- ۱) -من الملاحظ أنّ السبب الوحید الذی دعا المفسّرین إلی أن یعتبروا هذا الکلام من کلام اللّه تعالی و أنّها جمله اعتراضیه هو ضمائر(المتکلم مع الغیر)ففی موضع یقول:لأسقیناهم ماء غدقا،و فی موضع آخر یقول:لنفتنهم فیه،و لکن لا ضمیر عند ما نعتبر هذه التعابیر من باب النقل،کما لو تحدث شخص عن صاحبه فیقول:إنّ فلانا یعتقد بأنّی شخص حسن،(بالطبع هو لم یستعمل کلمه(أنا)و إنّما استعمل کلمه(هو)و لکن القائل یختار مثل هذا التعبیر).

على كل حال فإنّ سياق الآيات السابقه يشير إلى ثواب المؤمنين فى يوم القيامه،و فى هذه الآيات يتحدث عن ثوابهم الدّنيوى فيقول: وَ أَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَهِ لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً ننزل عليهم مطر رحمتنا،و نذلل لهم منابع و عيون الماء الذى يهب الحياه و بوجود الماء يوجد كل شىء و على هذا فإنّنا نشملهم بأنواع النعم.

«غدق»على وزن شفق،و تعنى الماء الكثير القرآن المجيد اكّد و لعدّه مرات على أنّ الإيمان و التقوى ليست فقط منبعا للبركات المعنويه،بل تؤدّى إلى زياده الأرزاق و النعم و العمران،أى(البركه و الماديه).

(لنا بحث مفصل فى هذا الباب فى نفس المجلد فى تفسير سوره نوح عليه السّلام ذيل الآيه ١٢ تحت عنوان الرابطه بين الإيمان و التقوى و بين العمران).

الملاحظ حسب هذا البيان أنّ سبب زياده النعمه هو الاستقامه على الإيمان،و ليس أصل الإيمان،لأنّ الإيمان المؤقت لا يستطيع أن يظهر هذه البركات،فالمهم هو الاستقامه و الاستمرار على الإيمان و التقوى،و لكن هناك الكثير ممن تزل أقدامهم فى هذا الطريق.

و الآيه الأخرى إشاره إلى حقيقه أخرى بنفس الشأن،فيضيف: لِنَفْتِنَهُمْ هل أنّ كثره النعم تتسبب فى غرورهم و غفلتهم؟أم أنّها تجعلهم يفيقون و يشكرون و يتوجهون أكثر من ذى قبل إلى اللّه؟ و من هنا يتّضح أن وفور النعمه من إحدى الأسباب المهمّه فى الامتحان الإلهى،و ما يتفق عليه هو أنّ الاختبار بالنعمه أكثر صعوبه و تعقيدا من الاختبار بالعذاب،لأنّ طبيعه ازدياد النعم هو الانحلال و الكسل و الغفله،و الغرق فى الملذات و الشهوات،و هذا ما يبعد الإنسان عن اللّه تعالى و يهيء الأجواء لمكائد الشيطان،و الذين يستطيعون أن يتخلصوا من شراك النعم الوافره هو الذاكرون للّه

على كلّ حال،غير الناسين له تعالى،حيث يحفظون قلوبهم بالذكر من نفوذ الشياطين (۱) .

و لذا يضيف تعقيبا على ذلك: وَ مَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذاباً صَعَداً .

«صعد»:على وزن(سفر)و تعنى الصعود إلى الأعلى،و أحيانا الشعب المتعرجه فى الجبل،و بما أنّ الصعود من الشعاب المتعرجه عمل شاق،فإنّ هذه اللفظه تستعمل بمعنى الأمور الشّاقه،و فسّرها الكثير بمعنى العذاب الشّاق،و هو مماثل لما جاء فى الآيه(۱۷)من سوره المدّثر حول بعض المشركين: سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً .

و لكن،أنّه مع أنّ التعبير أعلاه يبيّن كون هذا العذاب شاقّا شديدا فإنّه يحتمل أن يشير إلى اليوم الطويل،و على هذا الأساس فإنّه يبيّن فى الآيات أعلاه رابطه الإيمان و التقوى بكثره النعم من جهه،رابطه كثره النعم بالاختبارات الإلهيه من جهه أخرى و رابطه الإعراض عن ذكر اللّه تعالى بالعذاب الشاق الطويل من جهه ثالثه،و هذه حقائق أشير إليها فى الآيات القرآنيه الأخرى كما نقرأ فى الآيه (۱۲۴)من سوره طه: وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَهً ضَنْكاً .

و كذا فى الآيه(۴۰)من سوره النمل عن لسان سليمان عليه السّلام: هٰذا مِنْ فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِى أَ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ،و ما جاء فى الآيه(۲۸)من سوره الأنفال:

وَ اعْلَمُوا أَنَّمٰا أَمْوٰالُكُمْ وَ أَوْلاٰدُكُمْ فِتْنَهٌ .

و قال مؤمنو الجن فى الآيه الأخرى و هم يدعون إلى التوحيد: وَ أَنَّ الْمَسٰاجِدَ لِلّٰهِ فَلاٰ تَدْعُوا مَعَ اللّٰهِ أَحَداً و للمساجد فى هذه الآيه تفاسير عديده منها:

---

۱ - ۱) -احتمل بعض المفسّرين أن يكون المراد من«الطريقه»هو سبيل الكفر و زياده النعم الحاصله نتيجه للاستقامه فى هذه الطريقه فى الحقيقه هى مقدمه العقوبات و مصداق الاستدراج فى النعم،و لكن هذا التّفسير لا يتناسب أبدا مع سياق الآيات السابقه و اللاحقه.

أولا:قيل هى المواطن التى يسجد فيها للّه تعالى كالمسجد الحرام و بقيه المساجد،و بشكل أعم هى الأرض التى يصلّى فيها و يسجد عليها،و هو مصداق

القول الرّسول الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «جعلت لى الأرض مسجدا و طهورا». (۱)

و هذا ردّ لمن اتّخذ الأصنام و الأوثان للعباده فأشرك باللّه،و من اتّخذ الكعبه معبدا للأصنام،أو انصرف إلى إحياء الطقوس المسيحيه حيث(التثليث)أو عبد الأرباب الثّلاثه فى الكنائس و اللّه تعالى يقول: أَنَّ الْمَساجِدَ لِلّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللّهِ أَحَداً ثانيا:المراد بالمساجد السبعه الأعضاء السبعه،فيجب أن يكون وضعها على الأرض خالصا للّه،و لا يجوز أن يكون لغيره،كما ورد فى الحديث عن الإمام محمّد بن على الجواد عليهما السّلام و هو يجيب المعتصم فى مجلسه الذى كان قد جمع فيه العلماء من أهل السنه حيث سأله عن يد السارق من أى موضع يجب أن تقطع؟فقال بعض الجالسين تقطع من الساعد و استدلوا فى ذلك بآيه التيمم،و قال آخرون من المرفق و استدلوا فى ذلك بآيه الوضوء،فأراد المعتصم جواب ذلك من الإمام الجواد عليه السّلام فرفض و

قال: «أعفنى عن ذلك» فأصرّ عليه المعتصم.

فقال الإمام الجواد عليه السّلام: «ما قيل فى ذلك خطأ،و إنّ القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع فتترك الكف».فقال:و ما الحجّه فى ذلك؟ قال الإمام عليه السّلام:«قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:السجود على سبعه أجزاء،الوجه،و اليدين،و الركبتين،و الرجلين،فإذا قطع من الكرسوع أو المرفق لم يدع له يد يسجد عليه،و قال اللّه تعالى شأنه: وَ أَنَّ الْمَساجِدَ لِلّهِ... أى إنّ هذه الأعضاء السبعه خاصّه للّه،فما كان للّه لا يقطع» (۲) .

۱- ۱) -وسائل الشيعه،ج ۲،ص ۹۷۰،الحديث ۳.

۲- ۲) -وسائل الشيعه،ج ۱۸،ص ۴۹۰(أبواب حدّ السرقه الباب الرّابع الحديث ۵).

فتعجب المعتصم لجواب الإمام علیه السّلام و أمر أن تقطع ید السارق من مفصل اصول الأصابع،کما قال الإمام علیه السّلام و ذکرت فی ذلک أحادیث کثیره. (۱)

و لکن الأحادیث المنقوله بها الشأن هی مرسله غالبا،أو أنّ سندها ضعیف، و هناک نقائض لها لیس من السهل الإجابه علیها،فمثلا- ما هو مشهور فی أوساط الفقهاء أنّ السارق إذا ما سرق للمرّه الثّانیه تقطع الأقسام الأمامیه لقدمه، و یترکون کعب القدم سالما(هذا بعد إقامه الحدّ علیه جزاء السرقه الاولی) و الواضح أنّ الأصبع الکبیر للقدم یعتبر من المساجد السبعه،و کذا فی شأن المحارب فإنّ إحدی عقوباته هو مقطع قسم من الید و القدم.

ثالثا:قیل إنّ المراد بالمساجد هو السّجود،أی أنّ السجود یجب أن یکون دائما للّه تعالی و لا یکون لغیره،و هذا خلاف ظاهر الآیه حیث لا دلیل علیه.

و یستفاد من مجموع ما قیل أنّ ما یناسب ظاهر الآیه هو التّفسیر الأوّل،و کذا یناسب ظاهر الآیات السابقه و اللاحقه فی شأن التوحید،و تخصیص العباده للّه، و التّفسیر الثّانی یمکن أن یکون موسعا لمعنی الآیه،و أمّا الثّالث فلا دلیل علیه.

و یضیف فی إدامه الآیه بیانا عن التأثیر غیر العادی للقرآن المجید و قیام الرّسول للدّعاء فیقول: وَ أَنَّهُ لَمّا قامَ عَبْدُ اللّهِ یَدْعُوهُ کادُوا یَکُونُونَ عَلَیْهِ لِبَداً (۲) ،أی عند ما کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم یقوم للصلاه،فإنّ طائفه من الجن کانوا یجتمعون علیه بشکل متزاحم.

«لبد»:علی وزن(فعل)و تعنی الأشیاء المجتمعه المتراکمه،و هذا التّعبیر بیان لتعجب الجنّ ممّا یشاهدونه من عبادته صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قراءته قرآنا لم یسمعوا کلاما یماثله،و قیل فی ذلک قولان آخران:

۱- ۱) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۴۳۹ و ۴۴۰

۲ - ۲) -ما یطابق هذا التّفسیر و کون هذه الآیه من حدیث مؤمنی الجنّ فإنّ إتیان الضمیر الغائب بدل المتکلم هو من باب الالتفات، أو من باب أنّ بعضهم یبیّن حال البعض الآخر.

الأوّل:أنّهم-أی الجن-یبیّنون حال أصحاب الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و المجتمعین علیه المقتدین به فی صلاته إذا صلّی و المنصتین لما یتلوه کلام اللّه،و المراد من ذلک هو الاقتداء الجنّ بهم و الإیمان فی ذلک.

الثّانی:لبیان حال المشرکین،أی لمّا قام النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یعبد اللّه بالصلاه کاد المشرکون بازدحامهم أن یکونوا علیه لبدا مجتمعین متراکمین لیستهزئوا به.

و الوجه الأخیر لا یلائم هدف مبلغی الجن الذین أرادوا ترغیب الآخرین فی الإیمان و المناسب هو أحد القولین السابقین.

ملاحظه

اشاره

التّحریف فی تفسیر الآیه: وَ أَنَّ الْمَسٰاجِدَ لِلّٰهِ

إنّ مسأله التوسل النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و بأولیاء دین اللّه علیهم السّلام تعنی اتّخاذهم وسیله و ذریعه الی اللّه تعالی،و هذا ممّا لا یتنافی مع حقیقه التوحید و لا مع آیات القرآن، بل هی تأکید علی التوحید و علی أنّ کلّ شیء هو من عند اللّه،و أشیر إلی الشفاعه و طلب النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم المغفره للمؤمنین فی کثیر من آیات القرآن (۱) و بهذا یصرّ بعض المبتعدین عن التعالیم الإسلامیه و القرآن الکریم علی إنکار شیء من قبیل التوسل و الشفاعه.

و قد تذرعوا بعده ذرائع لإثبات مقاصدهم،منها ما یقولهم:إنّ الآیه: وَ أَنَّ الْمَسٰاجِدَ لِلّٰهِ فَلاٰ تَدْعُوا مَعَ اللّٰهِ أَحَداً تعنی أنّ اللّه یأمر ألاّ تدعوا معه أحدا،و لا ندعوا غیره أو نطلب الشفاعه من غیره!و الإنصاف أنّ ما قالوه لا یناسب سیاق الآیه و لا یرتبط هذا المعنی بالآیه،بل الهدف من الآیه نفی الشرک،أی جعل

۱- ۱) -بحثنا مسأله(الشفاعه فی نظر القرآن و الحدیث)بحثا مفصلا فی ذیل الآیه(۴۸)من سوره البقره و حول حقیقه(التوسل) فی ذیل الآیه(۳۵)من سوره المائده.

الشیء مع اللّه فی مرتبه واحده فی العباده أو طلب الحاجه،و بعباره أخری أنّ المشرک هو من یبتغی الحوائج من غیر اللّه تعالی و یجعل له الخیره و یظن أنّ قضاء حوائجه منه.

کما أنّ کلمه(مع)فی الآیه: فَلاٰ تَدْعُوا مَعَ اللّٰهِ أَحَداً تشیر إلی هذا المعنی،و هو ألاّ یجعل مع اللّه أحدا،و یکون ذلک مبدءا للتأثیر المستقل،و لیست نفیا لتشفع الأنبیاء أو جعلهم وسطاء عند اللّه تعالی،بل إنّ القرآن الکریم یطلب أحیانا ذلک من النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم نفسه و أحیانا أخری یأمر بطلب الشفاعه من النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کما نقرأ فی الآیه(۱۰۳)من سوره التوبه: خُذْ مِنْ أَمْوٰالِهِمْ صَدَقَهً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَکِّیهِمْ بِهٰا وَ صَلِّ عَلَیْهِمْ إِنَّ صَلاٰتَکَ سَکَنٌ لَهُمْ .

و کذا الآیه(۹۷)من سوره یوسف عن لسان إخوته و هم یخاطبونه أباهم:

یٰا أَبٰانَا اسْتَغْفِرْ لَنٰا ذُنُوبَنٰا إِنّٰا کُنّٰا خٰاطِئِینَ فلم یرفض النّبی یعقوب علیه السّلام ذلک الطلب،بل وعدهم فی ذلک و قال: سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَکُمْ رَبِّی .

و لهذا فإنّ مسأله التوسل و طلب الشّفاعه کما تقدم هی من المفاهیم الصریحه فی القرآن.

الآيات [سوره الجن (۷۲): الآيات ۲۰ الى ۲۴]

اشاره

قُلْ إِنَّما أَدْعُوا رَبِّی وَ لا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً (۲۰) قُلْ إِنِّی لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لا رَشَداً (۲۱) قُلْ إِنِّی لَنْ يُجِيرَنِی مِنَ اَللّهِ أَحَدٌ وَ لَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً (۲۲) إِلاّ بَلاغاً مِنَ اَللّهِ وَ رِسالاتِهِ وَ مَنْ يَعْصِ اَللّهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها أَبَداً (۲۳) حَتّی إِذا رَأَوْا ما يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ ناصِراً وَ أَقَلُّ عَدَداً (۲۴)

التّفسير

اشاره

الأمور كلّها بيد اللّه لا بيدی:

فی هذا الآيات يأمر اللّه تعالی نبيّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم أن يقول: قُلْ إِنَّما أَدْعُوا رَبِّی وَ لا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً و ذلك لتقويه قواعد التوحيد،و نفی كلّ أنواع الشرك،كما مرّ فی الآيات السابقه،ثمّ يأمره أن: قُلْ إِنِّی لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لا رَشَداً .

ثمّ يضيف:قل لهم بأنّی لو خالفت أمر اللّه تعالی فسوف يحيق بی العذاب

أیضا و لن یستطیع أحد أن ینصرنی أو یدفع عنّی عذابه: قُلْ إِنِّی لَنْ یُجِیرَنِی مِنَ اللّهِ أَحَدٌ وَ لَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً (۱) و علی هذا الأساس لا یستطیع أحد أن یجیرنی منه تعالی و لا شیء یمکنه أن یکون لی ملجأ و هذا الخطاب یشیر من جهه إلی الإقرار الکامل بالعبودیه للّه تعالی،و إلی نفی کلّ أنواع الغلو فی شأن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من جهه أخری،و یشیر من جهه ثالثه إلی أنّه الأصنام لیس فقط لا تنفع و لا تحمی،بل إنّ نفس الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أیضا مع ماله من العظمه لا یمکنه أن یکون ملجأ من عذاب اللّه،و ینهی من جهه الذرائع و الآمال للمعاندین الذین کانوا یطلبون من النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أن یریهم المعاجز الإلهیه،و یثبت أن التوسل و الشفاعه أیضا لا یتحققان إلّا بإذنه تعالی.

«ملتحدا»:هو المکان الآمن و هو من أصل(لحد)،و تعنی الحفره المتطرفه، کالذی یتّخذ للأموات فی عمق القبر حتی لا ینهال التراب علی وجه المیت و یطلق علی کل مکان یلجأ و یطمأن إلیه.

و من الملاحظ أنّ الآیه: قُلْ إِنِّی لا أَمْلِکُ لَکُمْ ضَرًّا وَ لا رَشَداً و قد جعلت الضرّ فی قابل الرشد،لأنّ النفع الحقیقی یمکن فی الهدایه،کما فی حدیث الجن فی الآیات السابقه إذ اتّخذ الشرّ فی قبال الرشد،و الاثنان متماثلان معا.

و یضیف فی الآیه الأخری: إِلّا بَلاغاً مِنَ اللّهِ وَ رِسالاتِهِ (۲) ،و قد مرّ ما یشابه هذا التعبیر مرارا فی آیات القرآن الکریم، کما فی الآیه(۹۲)من سوره المائده: أَنَّما عَلی رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِینُ .

و کذا فی الآیه(۱۸۸)من سوره لأعراف:

۱- ۱) -قیل فی سبب نزول هذا الآیه:إن کفار قریش قالوا للنبی صلی الله علیه و آله و سلم عد إلی دیننا لنجیرک فنزلت الآیه جوابا علی قولهم (تفسیر أبو الفتوح الرازی،ج ۱۱،ص ۲۹۳).

۲- ۲) -بما أن البلاغ یتعدی ب(عن)فقد قال البعض:إن(من)بمعنی(عن)و یتعلق بمحذوف تقدیره(کائنا)فیکون المعنی(إلا بلاغا کائنا من الله).

قُلْ لاٰ أَمْلِكَ لِنَفْسِي نَفْعاً وَ لاٰ ضَرًّا إِلاّٰ مٰا شٰاءَ اللّٰهُ وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَ مٰا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاّٰ نَذِيرٌ وَ بَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ .

و قيل أيضا فى تفسير هذه الآيه:إنّ المعنى:قل لن يجيرنى من اللّه أحد إلّا تبليغا منه و من رسالاته،أى إلّا أن أمتثل ما أمرنى به من التبليغ منه تعالى. (۱)

و أمّا عن الفرق بين«البلاغ»و«الرسالات»فقد قيل:إنّ البلاغ يخص اصول الدين،و الرسالات تخصّ بيان فروع الدين.

و قيل المراد من إبلاغ الأوامر الإلهيه،و الرسالات بمعنى تنفيذ تلك الأوامر، و لكن الملاحظ أنّ الإثنين يرجعان إلى معنى واحد،بقرينه الآيات القرآنيه المتعدده:و كقوله تعالى فى الآيه(۶۲)سوره الأعراف فيقول: أُبَلِّغُكُمْ رِسٰالاٰتِ رَبِّي و غيرها من الآيات،و يحذر فى نهايه الآيه فيقول: وَ مَنْ يَعْصِ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نٰارَ جَهَنَّمَ خٰالِدِينَ فِيهٰا أَبَداً .

الواضح أنّ المراد فيها ليس كلّ العصاه،بل المشركون و الكافرون لأنّ مطلق العصاه لا يخلدون فى النّار.

ثمّ يضيف: حَتّٰى إِذٰا رَأَوْا مٰا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نٰاصِراً وَ أَقَلُّ عَدَداً . (۲)

و فى المراد من العذاب فى: مٰا يُوعَدُونَ هل هو العذاب الدنيوى أم الاخروى أم الاثنان معا؟ورد فى ذلك أقوال،و الأوجه هو أن يكون المعنى عامّا، و فيما يخصّ الكثره و القلّه و الضعف و القوّه للأنصار فإنّه متعلق بالدنيا،و لذا فسّره البعض بأنّه يتعلق بواقعه بدر التى كانت قوّه و قدره المسلمين فيها ظاهره

۱- ۱) -هذه الجمله مستثناه من الجمله السابقه لَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً حسب هذا التّفسير و مستثناه من الآيه السابقه حسب التّفسير الأوّل.

۲- ۲) -«متى»:تأتى عاده لبيان الغايه و النهايه للشيء و قيل فى ذلك و جهان: الأوّل:إنّ الغايه جمله محذوفه و تقديرها(و لا يزالون يستهزؤن و يستضعفون المؤمنين حتى إذا رأوا ما يوعدون...). الثّانى:إنّ الغايه هى للآيه يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً و التى مرّت سابقا،و الأوّل أوجه.

و واضحه و قيل حسب الرّوايات المتعدده أنّها تخصّ الإمام المهدى(أرواحنا فده)و إذا أردنا تفسير الآيه بمعانيها فإنّها تشمل كلّ ذلك.

إضافه إلى ما جاء فى الآيه(٧٥)من سوره مريم عليها السّلام: حَتّى إِذا رَأَوْا ما يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذابَ وَ إِمَّا السّاعَهَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكاناً وَ أَضْعَفُ جُنْداً و على كل حال فإنّ سياق هذه الآيه يشير إلى أنّ أعداء الإسلام كانوا يتبجّجون قدرات جيوشهم و كثره جنودهم أمام المسلمين يستضعفونهم،الأنصار لهذا كان القرآن يواسيهم و يبشرهم بأنّ العاقبه ستكون بانتصارهم و خسران عدوهم.

***

ملاحظات

اشاره

١-صفاء القاده الإلهيين

إحدى خصوصيات القاده الإلهيين هى أنّهم بعكس العاده الشيطانيين، ليسوا بمغرورين و لا متكبرين و لا ممن يدّعون ما ليس فيهم.

فإذا كان فرعون ينادى لحماقته:أنّا ربّكم الأعلى!و هذه الأنهار تجرى من تحتى،فإنّ الإلهيون يرون أنفسهم من أصغر عباد اللّه لشدّه تواضعهم للّه،و ما كانوا يحسبون لأنفسهم قدره أمام إراده اللّه تعالى،كما نقرأ فى الآيه(١١٠)من سوره الكهف: قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ و ورد فى موضع آخر: وَ ما أَدْرِى ما يُفْعَلُ بِى وَ لا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاّ ما يُوحى إِلَيَّ وَ ما أَنَا إِلاّ نَذِيرٌ مُبِينٌ .

و نقرأ فى آيه اخرى: قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِى خَزائِنُ اللّهِ وَ لا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَ لا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ . (١)

حتى لو وصلوا إلى ذروه القدره الماديه فإنّهم لا يغترون بها و لا يتيهون فيها

١- ١) -الأنعام، ٥٠.

كما قال سليمان عليه السّلام: هٰذا مِنْ فَضْلِ رَبِّی . (۱)

و من الطريف أنّ كثيرا من الآيات القرآنيه توجّه خطابات حاده إلى النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تعاتبه ليكون فى أمره على حذر.

إنّ مجموع هذه الآيات و الآيات السابقه هى وثيقه حيّه على أحقّيه هذا النّبى العظيم،و إلاّ فما هو المانع من أن يدعى لنفسه المنازل العظيمه فوق ما يدركه البشر و هو يعيش فى فئه تتقبل منه ما يدّعيه و من دون احتجاج و تساؤل من الناس كما أشار التاريخ إلى ذلك فى شأن الظالمين.

نعم،إنّ هذا التعابير فى مثل هذه الآيات تكون شواهد حيّه لأحقّيه دعوه الرّسول الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

۲-ليس المهم الكم بل الكيف!

أخذ هذا الموضوع بنظر الإعتبار فى كثير من آيات القرآن،و هو أنّ طاغوت كل زمان يتظاهر بكثره أعوانه،كما فى شأن فرعون عند ما كان يستهين بمن مع موسى عليه السّلام فقال: إِنَّ هٰؤُلاٰءِ لَشِرْذِمَهٌ قَلِيلُونَ (۲) ،و قال مشركو العرب: نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوٰالاً وَ أَوْلاٰداً وَ مٰا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ و كان المعاند يتظاهر بأمواله و أعوانه، و يفتخر بذلك ليغيظ به المؤمنين،و يقول: أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مٰالاً وَ أَعَزُّ نَفَراً . (۳)

و لم يكن المؤمنون السائرون على خط الأنبياء يتأثرون بمظاهر الثروه و غيرها،بل كان قولهم هو: كَمْ مِنْ فِئَهٍ قَلِيلَهٍ غَلَبَتْ فِئَهً كَثِيرَهً بِإِذْنِ اللّٰهِ . (۴)

و

يقول أمير المؤمنين عليه السّلام: «أيّها الناس لا تستوحشوا فى طريق الهدى لقلّه

۱- ۱) -النمل،۴۰.

۲- ۲) -الشعراء،۵۴.

۳- ۳) -الكهف،۳۴.

۴- ۴) -البقره،۲۴۹.

أهله» (۱) إنّ تاریخ الأنبیاء،و بالخصوص تاریخ حیاه النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،یشیر کیف أن المعاندین علی کثرتهم و امتلاکهم لجمیع القدرات انکسروا و عجزوا أمام القلّه القلیله من المؤمنین،و تعکس الآیات القرآنیه هذا المعنی جیدا و هی تروی قصص بنی إسرائیل و فرعون و طالوت و جالوت،و کذلک ما فی واقعه بدر و الأحزاب.

***

ص: ۱۰۴

۱- ۱) -نهج البلاغه،الخطبه ۲۰۱.

الآيات [سوره الجن (۷۲): الآيات ۲۵ الى ۲۸]

اشاره

قُلْ إِنْ أَدْرِى أَ قَرِيبٌ مّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّى أَمَداً (۲۵) عَالِمُ اَلْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلىٰ غَيْبِهِ أَحَداً (۲۶) إِلاّ مَنِ اِرْتَضىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً (۲۷) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاٰتِ رَبِّهِمْ وَ أَحٰاطَ بِمٰا لَدَيْهِمْ وَ أَحْصىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَداً (۲۸)

التّفسير

اشاره

اللّه عالم الغيب:

لقد تبيّن فى الآيات السابقه حقيقه أنّ العصاه يبقون على عنادهم و استهزائهم حتى يأتى وعد اللّه بالعذاب،و هنا يطرح السؤال،و هو:متى يتحقق وعد اللّه؟و قد بيّن المفسّرون سبب نزول الآيه،و ذكروا أنّ بعض المشركين كالنضر بن الحارث سألوا عن وعد اللّه بعد نزول هذه الآيات أيضا،و قد أجاب القرآن على ذلك فقال: قُلْ إِنْ أَدْرِى أَ قَرِيبٌ مّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّى أَمَداً .

هذا العلم يخص ذاته المقدسه تعالى شأنه،و أراد أن يبقى مكتوما حتى عن

عباده المؤمنين،ليتحقق الاختبار الإلهى للبشريه،و إلّا فلم يؤثر الاختبار.

«أمد»:على وزن(صمد)و تعنى الزمان،و على ما يقوله الراغب فى مفرداته:

إنّ هناك اختلافا بين الزمان و الأمد،فالزمان يشمل الابتداء و الانتهاء،و أمّا الأمد فإنّها الغايه التى ينتهى إليها.

و قيل أيضا بتقارب المعنى فى الأمد و الأبد مع اختلاف،و هو أنّ الأبد يراد به المدّه غير المحدوده،و أمّا الأمد فهى المدّه المحدوده و إن طالت.

و على كل حال،فإنّنا كثيرا ما نواجه مثل هذه المعانى فى آيات القرآن، و عند ما يسأل الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن يوم القيامه يجيب بأنّه ليس لهم علم بذلك، و أن علمه عند اللّه،و

ورد فى حديث أنّ جبرئيل عليه السّلام ظهر عند النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على هيئه أعرابى،فسأله عن الساعه،فقال النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»فأعاد عليه السؤال رافعا صوته:يا محمّد متى الساعه؟فقال النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

«ويحك،إنّها كائنه فما أعددت لها؟»فقال الأعرابى:لم أعد كثيرا من الصلاه و الصيام،و لكن أحبّ اللّه و رسوله،فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«فأنت مع من أحببت»، فقال أنس(و هو أحد الصحابه):فما فرح المسلمون بشىء كفرحهم بهذا الحديث. (۱)

ثمّ يبيّن فى هذا الحديث قاعده كليه بشأن علم الغيب فيقول: عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً . (۲)

ثمّ يضيف مستثنيا: إِلّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ .

أى يبلغه ما يشاء عن طريق الوحى الإلهى: فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً .

۱- ۱) -تفسير المراغى،ج ۲۹،ص ۱۰۵.

۲- ۲) -عالم الغيب خبر لمبتدأ محذوف،و التقدير:هو عالم الغيب،و قيل:صفه أو بدل لربّى فى الآيه السابقه.

«رصد»:فی الأصل مصدر،و یراد به الاستعداد للمراقبه من شیء،و یطلق علی الاسم الفاعل و المفعول،و یستعمل فی المفرد و الجمع،أی یطلق علی المراقب و الحارس أو علی المراقبین و الحرّس.

و یراد به هنا الملائکه الذین یبعثهم اللّه مع الوحی إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لیحیطوه من کل جانب،و یحفظوا الوحی من شرّ شیاطین الجنّ و الإنس و وساوسهم:و من کل شیء یخدش أصاله الوحی،لیوصلوا الرسالات إلی العباد من دون خدش أو زیاده أو نقصان،و هذا هو دلیل من الأدله علی عصمه الأنبیاء علیهم السّلام المحفوظین من الزّلات و الخطایا بالإمداد الإلهی و القوه الغیبیه، و الملائکه.

فی بحثنا للآیه الأخیره التی تنهی السوره تبیان لدلیل وجود الحراس و المراقبین فیقول: لِیَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ وَ أَحاطَ بِما لَدَیْهِمْ وَ أَحْصیٰ کُلَّ شَیْءٍ عَدَداً (۱) .

المراد من العلم هنا هو العلم الفعلی،و بعباره أخری لیس معنی الآیه أنّ اللّه ما کان یعلم عن أنبیائه شیئا ثمّ علم،لأنّ العلم الإلهی أزلی و أبدی و غیر متناه،بل إنّ المراد هو تحقق العلم الإلهی فی الخارج،و یتخذ لنفسه صوره عینیه واضحه، أی لیتحقق إبلاغ الأنبیاء و رسالات ربّهم و یتمموا الحجّه بذلک.

***

ص: ۱۰۷

۱- ۱) -أرجع بعض المفسّرین ضمیر(لیعلم)إلی الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قالوا:المراد من ذلک هو أنّ اللّه قد جعل لأسرار الوحی و الرساله حفظه و حراسا،و لیعلم الرّسول أنّ الملائکه قد أبلغوا إلیه الوحی الإلهی فتطمئن نفسه و لا یتردد فی أصاله الوحی، و لکن هذا القول فی غایه البعد،و ذلک لأنّ حمل الرساله من عمل النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لا من عمل الملائکه و عباره الرّسول فی الآیه السابقه و الرسالات فی الآیات التی مضت تخصّ شخص الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و لذا فإنّ التّفسیر الأوّل هو الأوجه.

بحوث

اشاره

۱-تحقیق موسّع حول علم الغیب

من خلال التمعن فی الآیات المختلفه للقرآن الکریم یتّضح لنا أنّ الآیات المتعلقه بعلم الغیب قسمان:

القسم الأوّل:ما یتعلق بـذاته جلّ شأنه و لا یعلمه إلاّ هو،کما فی الآیه(۵۹) من سوره الأنعام: وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَیْبِ لا یَعْلَمُها إِلاّ هُوَ و الآیه(۶۵)من سوره النمل: قُلْ لا یَعْلَمُ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ الْغَیْبَ إِلاَّ اللّهُ و کما ورد فی شأن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی الآیه(۵۰)من سوره الأنعام: قُلْ لا أَقُولُ لَکُمْ عِنْدِی خَزائِنُ اللّهِ وَ لا أَعْلَمُ الْغَیْبَ .

و نقرأ فی الآیه(۱۸۸)من سوره الأعراف: وَ لَوْ کُنْتُ أَعْلَمُ الْغَیْبَ لَاسْتَکْثَرْتُ مِنَ الْخَیْرِ و أخیرا نقرأ فی الآیه(۲۰)من سوره یونس: فَقُلْ إِنَّمَا الْغَیْبُ لِلّهِ و غیرها من الآیات.

القسم الثّانی:یطرح بوضوح اطلاع أولیاء اللّه علی الغیب،کما نقرأ فی الآیه (۱۷۹)من سوره آل عمران: مَا کانَ اللّهُ لِیُطْلِعَکُمْ عَلَی الْغَیْبِ وَ لکِنَّ اللّهَ یَجْتَبِی مِنْ رُسُلِهِ مَنْ یَشاءُ و نقرأ فی معاجز المسیح صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: وَ أُنَبِّئُکُمْ بِما تَأْکُلُونَ وَ مَا تَدَّخِرُونَ فِی بُیُوتِکُمْ (۱) و الآیه السابقه مورد البحث أیضا تشیر إلی أنّ اللّه تعالی یهب العلم لمن یرتضیه من رسله:(و ذلک لأنّ استثناء النفی إثبات)، و من جهه أخری فإنّ الآیات التی تشمل الأخبار الغیبیه لیست بقلیله.کالآیه الثّانیه حتی الرّابعه من سوره الروم: غُلِبَتِ الرُّومُ فِی أَدْنَی الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَیَغْلِبُونَ فِی بِضْعِ سِنِینَ ،و تقول الآیه(۸۵)من سوره القصص: إِنَّ الَّذِی فَرَضَ عَلَیْکَ الْقُرْآنَ لَرادُّکَ إِلی مَعادٍ

۱- ۱) -آل عمران،۴۹.

و تقول الآیه(۲۷)من سوره الفتح: لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللّهُ آمِنِینَ .

و من المعروف أنّ الوحی السماوی الذی یهبط علی الرسل هو نوع من الغیب الذی أطلعهم اللّه علیه،فکیف یمکن أن ننفی اطلاعهم بالغیب فی الوقت الذی یهبط علیهم الوحی.

بالإضافه إلی ذلک کلّه فإنّ هناک روایات کثیره تدل علی أنّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و الأئمّه المعصومین علیهم السّلام مطّلعون علی الغیب،و یخبرون به أحیانا،فمثلا نجد ذلک فی قصّه«فتح مکّه»و حادث حاطب بن أبی بلتعه الذی کتب کتابا لأهل مکّه و سلمه لامرأه تدعی«ساره»لتوصله إلی مشرکی مکّه،و أطلعهم فیه علی نیّه الرّسول فی الهجوم علی مکّه،فأخفت تلک المرأه الکتاب فی ضفائرها،قصدت الذّهاب إلی مکّه،فأرسل النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إلیها أمیر المؤمنین علیه السّلام و معه بعض أصحابه و

قال لهم: «ستجدون امرأه عندها کتاب من حاطب إلی المشرکی قریش فی منزل یسمّی(خاخ)» فلمّا وجدوها أنکرت علیهم الکتاب، و لکنّها سرعان ما اعترفت و أخذوا منها الکتاب (۱) .

و کذلک إخبارهم بحوادث معرکه مؤته،و استشهاد جعفر الطیار علیه السّلام و بعض القاده المسلمین،فی الوقت الذی کان الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یطلع الناس علی ذلک فی المدینه (۲) ،و الأمثله علی ذلک لیست قلیله فی حیاه النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

و ورد فی نهج البلاغه أیضا أخبار کثیره سابقه لأوانها تشیر إلی حوادث مستقبلیه،أخبر عنها أمیر المؤمنین علیه السّلام،ممّا یدل علی اطلاعه علیه السّلام بأسرار الغیب، کما

جاء فی الخطبه(۱۳)فی ذمّه أهل البصره حیث یقول: «کأنّی بمسجدکم کجؤجؤ لسفینه قد بعث اللّه علیها العذاب من فوقها و من تحتها و غرق من فی ضمنها».

۱- ۱) -شرح هذه الحادثه و دلیله فی هذا المجلد فی تفسیر سوره الممتحنه.

۲- ۲) -کامل ابن الأثیر،ج ۲،ص ۲۳۷،(حادثه غزوه مؤته).

و وردت فی روایات أخری عن طریق الخاصّه و العامّه أخبار متعدده عنه علیه السّلام و هی سابقه لأوانها،

کقوله لحجر بن قیس: «إنّک من بعدی تجبر علی لعنی» (۱) .

و ما

قاله فی مروان: «إنّه یحمل رایه الضلال بعد الکبر علی أکتافه» (۲) .

و ما

قاله کمیل بن زیاد للحجاج أنّ أمیر المؤمنین علیه السّلام قد أخبرنی بأنّک قاتلی. (۳)

و ما

قاله علیه السّلام فی خوارج النهروان: «إنّه لا یقتل منّا فی حربهم عشره و لا ینجو منهم إلّا عشره» (۴) و قد حدث ما قال علیه السّلام.

و ما قاله حول موضع قبر الإمام الحسین علیه السّلام عند مروره بکربلاء للأصبغ بن نباته (۵) ،و فی کتاب فضائل الخمسه وردت روایات کثیره عن کتب أبناء العامّه حول علم الإمام الخارق للعاده،و ذکرها یطول فی هذا المقام (۶) .

و ذکرت أیضا روایات عدیده فی هذا الباب عن لسان الأئمّه المعصومین علیهم السّلام؛منها ما ذکر فی کتاب الکافی المجلد الأوّل من تصاریح و إشارات متعدده فی أبواب عدیده منه.

و قد أورد المرحوم العلّامه المجلسی فی کتابه بحار الأنوار المجلد(۲۶) أحادیث کثیره فی هذا الإطار تبلغ ۲۲ حدیثا.

و مضافا إلی ذلک فإنّ روایات فی باب علم الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و الائمّه

۱- ۱) -مستدرک الصحیحین،ج ۲،ص ۳۵۸.

۲- ۲) -طبقات ابن سعد،ج ۵،ص ۳۰.

۳- ۳) -الإصابه لابن حجر،ج ۵،القسم ۳،ص ۳۲۵.

۴- ۴) -الهیثمی فی المجمع،ج ۶،ص ۲۴۱.

۵- ۵) -الریاض النضره،ج ۳،ص ۲۲۲.

۶- ۶) -فضائل الخمسه،ج ۲،ص ۲۳۱ الی ۲۵۳.

المعصومين عليهم السّلام بأسرار الغيب هى على حدّ التواتر،أمّا كيف نجمع بين هذه الآيات و الرّوايات التى ينفى بعضها علم الغيب لغير اللّه و إثبات البعض الآخر لغيره تعالى؟هناك طرق مختلفه للجمع بينها:

١-أشهر طرق الجمع هو أنّ المراد من اختصاص علم الغيب باللّه تعالى هو العلم الذاتى و الاستقلالى،و لهذا لا يعلم الغيب إلّا هو،و ما يعلمونه فهو من اللّه، و ذلك بلطفه و عنايته،و الدليل على هذا الجمع هو تلك الآيه التى بحثت من قبل و التى تقول: عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً إِلاّ مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ .

و قد أشير إلى هذا المعنى

فى نهج البلاغه عند ما كان أمير المؤمنين عليه السّلام يخبر عن الحوادث المقبله(و هو يتصور هجوم المغول على البلاد الإسلاميه)فقال أحد أصحابه:يا أمير المؤمنين،هل عندك علم الغيب؟فتبسّم أمير المؤمنين عليه السّلام و قال:«ليس هو بعلم غيب،إنّما هو تعلم من ذى علم». (١)

و قد وافق على هذا الجمع كثير من العلماء المحققين.

٢-أسرار الغيب قسمان:قسم خاص باللّه عزّ و جلّ لا يعلمه إلاّ هو كقيام الساعه،و غيرها ممّا يشابه ذلك،و القسم الآخر علّمه الأنبياء و الأولياء،كما

يقول على عليه السّلام فى نهج البلاغه فى ذيل تلك الخطبه المشار إليها: «و إنّما علم الغيب علم الساعه،و ما عدده اللّه سبحانه بقوله: إِنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَهِ وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَ يَعْلَمُ ما فِى الْأَرْحامِ،وَ ما تَدْرِى نَفْسٌ ما ذا تَكْسِبُ غَداً وَ ما تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ (٢) .

ثمّ أضاف الإمام عليه السّلام فى شرح هذا المعنى.

يمكن لبعض الناس أن يعلموا بزمان وضع الحمل أو نزول المطر و مثل ذلك علما إجماليا،و أمّا العلم التفصيلى و التعرف على هذه الأمور فهو خاص بذات

١- ١) -نهج البلاغه،الخطبه ١٢٨.

٢- ٢) -المصدر السّابق.

اللّه تعالى المقدسه و إنّ علمنا بشأن يوم القيامه هو علم إجمالى و نجهل جزئيات و خصوصيات يوم القيامه.

و إذا كان النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أو الأئمّه المعصومون عليهم السّلام قد أخبروا البعض فى أحاديثهم عمّن يولد أو عمن ينقضى عمره،فذلك يتعلق بالعلم الإجمالى.

۳-الطريق الآخر للجمع بين القسمين من الآيات و الرّوايات هو ثبوت أسرار الغيب فى مكانين:فى اللوح المحفوظ(الخزانه الخاصّه لعلم اللّه و هو غير قابل للتغيير و لا يمكن لأحد أن يعلم عنه شيئا).

و لوح المحو و الإثبات الذى هو علم المقتضيات و ليس العلّه التامه،و لهذا فهو قابل للتغيير،و ما لا يدركه الآخرون يرتبط بهذا القسم.

لذا نقرأ

فى حديث عن الإمام الصّادق عليه السّلام: «إنّ للّه علما لا يعلمه إلاّ هو، و علما أعلمه ملائكته و رسله،فما أعلمه ملائكته و أنبياءه و رسله فنحن نعلمه» (۱) .

و

نقل عن على بن الحسين عليه السّلام أيضا أنّه قال: «لولا آيه فى كتاب اللّه لحدثتكم بما كان و ما يكون إلى يوم القيامه»فقلت له:أيّه آيه؟ فقال:«قول اللّه:

يَمْحُوا اللّهُ مَا يَشَاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ

(۲)

.

و طبقا لهذا الجمع يكون تقسيم العلوم على أساس حتميته أو عدمه،و فى الجمع السابق يكون على أساس مقدار المعلومات.

۴-و الطريق الآخر هو أنّ اللّه تعالى يعلم بكل أسرار الغيب،و أمّا الأنبياء و الأولياء فإنّهم لا يعلمونها كلّها،و لكنّهم إذا ما شاءوا ذلك أعلمهم اللّه تعالى بها، و بالطبع هذه الإراده لا تتمّ إلاّ بإذن اللّه تعالى.

و محصله ذلك أنّ الآيات و الرّوايات التى تقول إنّهم لا يعلمون بالغيب هى إشاره إلى عدم المعرفه الفعليه،و التى تقول إنّهم يعلمون تشير إلى

۱- ۱) -بحار الأنوار،ج ۲۶،ص ۱۶۰،الحدیث ۵،هناک روایات متعدده فی هذا الإطار قد نقلت من هذا المصدر.

۲- ۲) -تفسیر نور الثقلین،ج ۲،ص ۵۱۲،الحدیث ۱۶.

إمكان معرفتهم لها.

و هذا فی الحقیقه کمن یسلم رساله بید شخص ما لیوصلها إلی آخر،و یمکن القول هنا:إنّ الشخص الموصل لها لا یعلم بمحتوی الرساله،و لکن یمکنه فتحها و التعرف علی ما فیها إذا ما حصل علی الموافقه علی قراءتها،ففی هذه الصوره یمکن القول علی أنّه عالم بمحتوی الرساله،و ربّما لا یسمح له ذلک.

و الدلیل علی هذا الجمع هو ما نقرأه فی الرّوایات المنقوله فی کتاب الکافی للکلینی رحمه اللّه فی باب(أنّ الأئمّه إذا شاءوا أن یعلموا اعلموا)و منها

فی حدیث ورد عن الإمام الصّادق علیه السّلام قال: «إذا أراد الإمام أن یعلم شیئا أعلمه اللّه ذلک». (۱)

و هذا الوجه من الجمع یمکن أن یحلّ الکثیر من المشاکل المتعلقه بعلم النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و الأئمّه علیهم السّلام،منها أنّهم کانوا یتناولون مثلا الغذاء المسموم فی حین أن تناول ما یؤدی بالإنسان إلی الهلاک غیر جائز،فکیف یکون ذلک؟فلهذا یجب القول:إنّ فی مثل هذه الموارد ما کان یسمح لهم معرفه أسرار الغیب.

و هکذا تقتضی المصلحه أحیانا فی ألاّ یتعرّف النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أو الإمام علی أمر من الأمور،أو یعرض إلی اختبار لیتکامل بتجاوزه مرحله الاختبار،کما جاء فی قصّه لیله المبیت عند ما بات الإمام علی علیه السّلام فی فراش النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و هو لا یعلم هل أنّ الإمام علیه السّلام سوف ینجو من المشرکین عند ما یهجمون علی أم یستشهد، فالمصلحه هنا تقتضی ألاّ یعلم الإمام عاقبه هذا الأمر لیتحقق الاختبار الإلهی، و إذا کان الإمام بنجاته عند هجوم القوم علیه لم یکن له حینئذ أیّ،و لم یکن ما ذکر فی الآیات الکریمه و الرّوایات فی أهمیه هذا الإیثار محل من الاعراب.

نعم،إنّ مسأله العلم الإرادی هی جواب لکلّ هذه الإشکالات.

۵-هناک طریق آخر أیضا لجمع الرّوایات المختلفه فی علم الغیب(و إن کان

---

۱ - ۱) -کتاب الکافی باب(أنّ الأئمّه إذا شاءوا أن یعلموا أعلموا)الحدیث ۳،و نقلت روایات عدیده فی هذا الباب بنفس المضمون.

هـذا الطريق صادقا فى بعض هـذه الرّوايات)و ذلك هو أنّ المخاطبين فى هـذه الرّوايات هم على مستويات مختلفه،فمن كان له الاستعداد الكامـل و التهيؤ لقبول مسأله علم الغيب للأئمّه عليهم السّـلام كانت تستوفى لهم المطاليب بتمامها،و أمّا المخالفون و الضعفاء فقد كان الحديث معهم على قدر عقولهم.

فنقرأ مثلا فى حديث أنّ أبا بصـير و عدّه من أصـحاب الإمام الصادق عليه السّـلام كانوا ذات يوم فى مجلس فدخل عليهم الإمام عليه السّلام غضبان،و عند ما جلس قال:

«يـا عجبا لأقوام يزعمون أنّا نعلم الغيب!ما يعلم الغيب إلاّ اللّه عزّ و جلّ لقـد هممت بضـرب جاريتى فلانه،فهربت منّى فما علمت فى أى بيوت الدار هى». (۱)

يقول الراوى:فلمّـا قـام الإمام و دخل الـدّار قمنا خلفه،و قلنا له:فـدتك نفوسـنا قلت هـذا عن جاريتك،و نحن نعلم أنّ لكم علوما كثيره،و لا نسمّى ذلك بعلم الغيب؟عندئذ

قال الإمام: «إنّ ما أردته كان العلم بأسرار الغيب».

يتّضح من ذلك أنّ الجالسين كانوا لا يملكون الاستعداد و التهيؤ لإدراك مثل هذه المعانى و يجهلون مقام الإمام عليه السّلام.

و يجب الالتفات إلى أنّ هذه الطريق الخمسه لا تتنافى مع بعضها،و يمكن أن تكون كلّها صادقه.

۲-الطريق الآخر لإثبات علم الغيب للأئمّه عليهم السّلام

يوجـد هنـا طريقان لإثبات حقيقه أنّ النّبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم و الأئمّه عليهم السّـلام المعصومين يعلمون الغيب بصوره إجماليه:

الأوّل:هو أنّنا نعلم أنّ مهمتهم لم تجدّد بمكان و زمان خاص،بل أنّ رساله النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و إمامه الأئمّه عليهم السّلام هى عالميه و خالده،فكيف يمكن لمن يملك هذه

۱- ۱) -اصول الكافى،ج ۱،باب نادر فيه ذكر الغيب الحديث ۳.

المهمّه ألّا يعلم شيئا سوى ما يحيط به و بزمانه؟هل يمكن لمن يتسلم مهمّه الإمره على إماره،و المحافظه على قسم عظيم من بلاد ما و هو لا يعلم منها شيئا، و فى نفس الوقت يطلب منه أن ينفذ المهمّه على أحسن وجه؟! و بعباره أخرى،أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أو الإمام عليه أن يبيّن الأحكام الإلهيه و يطبقها فى فتره حياته بحيث يلبّى احتياجات البشريه فى كلّ زمان و مكان، و هذا لا يمكن إلّا بمعرفته على الأقل لقسم من أسرار الغيب.

ثمّ هناك ثلاث آيات فى القرآن المجيد إذا وضعت إلى جانب بعضها البعض فسرعان ما يتّضح لنا ما يتعلق بعلم الغيب النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الأئمّه عليهم السّلام فالأوّل ما يذكره القرآن حول من أحضر عرش ملكه سبأ فى طرفه عين(و هو آصف بن برخيا) فيقول تعالى فى كتابه: قالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قالَ هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّى (۱) ، و نقرأ فى آيه أخرى: قُلْ كَفى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِى وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ (۲) .

و من جهه أخرى

نقل فى أحاديث مختلفه فى كتب الخاصّه و العامّه أنّ أبا سعيد الخدرى قال سألت النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن معنى الآيه: اَلَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ فقال:«هو وصى أخى سليمان بن داود»قلت و من المراد فى: وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ ؟فقال:«ذاك أخى على بن أبى طالب» (۳) .

فالملاحظ فيما يقوله إنّ(علم من الكتاب)الذى جاء فيما يخص«آصف» هو علم جزئى،و أمّا حينما يقول فى(علم الكتاب)الذى ورد فيما يخص عليا عليه السّلام هو علم كلى،و هذا ما يوضح الاختلاف بين المقام العلمى لآصف و بين المقام العلمى لعلى عليه السّلام.

۱- ۱) -النّمل،۴۰.

۲- ۲) -الرّعد،۴۳.

۳- ۳) -راجع الجزء الثالث من(إحقاق الحقّ)ص ۲۸۰-۲۸۱،و نور الثقلين،ج ۲،ص ۵۲۳.

و من جهه ثـالثه:نقرأ فی الآیه(۸۹)من سوره النحل: وَ نَزَّلْنا عَلَیْکَ الْکِتابَ تِبْیاناً لِکُلِّ شَیْءٍ فمن الواضـح أنّ من یعلم بأسـرار مثل هذا الکتاب،لا بدّ أن یکون مطّلعا علی أسـرار الغیب،و هذا دلیل واضح علی إمکان الاطلاع و المعرفه علی أسـرار الغیب بأمر من اللّه لإنسان هو من أولیاء اللّه.

و کانت لنا بحوث ح علم الغیب فی ذیل الآیه(۵۰)و(۵۹)من سوره الأنعام و الآیه(۱۸۸)من سوره الأعراف.

۳-تحقیق حول خلق الجن

الجن کما جاء فی المفهوم اللغوی هو نوع من الخلق المستور،و قد ذکرت له مواصفات کثیره فی القرآن منها:

۱-إنّهم مخلوقون من النار،بعکس الإنسان المخلوق من التراب: وَ خَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ . (۱)

۲-إنّهم یمتلکون الإدراک و العلم و التمییز بین الحق و الباطل و القدره علی المنطق و الاستدلال،(کما هو واضح من آیات سوره الجن).

۳-إنّهم مکلّفون و مسئولون(کما فی آیات سوره الجن و الرحمن).

۴-و فیهم المؤمنون و الصالحون و الطالحون: وَ أَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَ مِنَّا دُونَ ذلِکَ . (۲)

۵-إنّهم یحشرون و ینشرون: وَ أَمَّا الْقاسِطُونَ فَکانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً . (۳)

۶-لهم القدره علی النفوذ فی السماوات و أخذ الأخبار و استراق السمع، و لکنّهم منعوا من ذلک فیما بعد:

۱- ۱) -الرحمن،۱۵.

۲- ۲) -الجن،۱۱.

۳- ۳) -الجن،۱۵.

وَ أَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً . (۱)

۷-کانوا یوجدون ارتباطا مع بعض الناس لإغوائهم بما لدیهم من العلوم المحدوده التابعه إلی بعض الأسرار الروحیه: وَ أَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً . (۲)

۸-و یوجد فیهم من یتمتع بالقدره الفائقه کما وجود فی أوساط الإنس:

قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ . (۳)

۹-لهم القدره علی قضاء بعض الحوائج التی یحتاجها الإنسان وَ مِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ... يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَ تَمَاثِيلَ وَ جِفَانٍ كَالْجَوَابِ (۴) .

۱۰-إنّ خلقهم کان قبل خلق الإنسان: وَ الْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ (۵) و لهم خصائص أخری.

بالإضافه إلی ذلک فإنّه یستفاد من الآیات القرآنیه أنّ الإنسان هو نوع أفضل من الجن،و بخلاف ما هو مشهور علی الألسن لأنّهم أفضل منّا،و دلیل اختیار الأنبیاء من الإنس،و إنّهم آمنوا بنبی الإسلام الذی هو من الإنس و اتبعوه،و هکذا وجوب سجود الشیطان لآدم علیه السّلام کما صرّح القرآن بذلک،و کون الشیطان من أکابر طائفه الجن(الکهف ۵۰)هو دلیل علی أفضلیه بنی الإنسان علی الجنّ.

إلی هنا کان الحدیث عن أمور تستفاد من القرآن المجید حول هذا الخلق المستور و الخالیه من کل الخرافات و المسائل غیر العلمیه،و لکنّنا نعلم أن السذج و الجهلاء ابتدعوا خرافات کثیره فیما یخص هذا الکائن بما یتنافی مع العقل

۱- ۱) -الجن،۹.

۲- ۲) -الجن،۶.

۳- ۳) -النمل،۳۹.

۴- ۴) -سبأ،۱۲-۱۳.

۵- ۵) -الحجر،۲۷.

و المنطق،منها ما نسب إليهم الأشكال الغريبه و العجيبه و المرعبه،و أنّهم موجودات سامه و ذوات أذناب!مؤذيه،و مبغضه،سيئه التصرف و السلوك إذ يمكن أن تحرق دورا بمجرّد أن يسكب إناء ماء مغلى فى بالوعه مثلا،و أوهام أخرى من هذا القبيل،فى حين أنّ أصل الموضوع إذا تمّ تطهيره من هذه الخرافات قابلا للقبول،لأننا لا نملك دليلا على حصر الموجودات الحيه بما نحن نراه،بل يقول علماء العلوم الطبيعيه:إنّ الكائنات التى يستطيع الإنسان أن يدركها بحواسه ضئيله بالنسبه للموجودات التى لا تدرك بالحواس.

و فى الفتره الأخيره و قبل أن يكشف المجهر هذه الكائنات الحيه،لم يصدق أحد أنّ هناك الآلاف المؤلفه من الموجودات الجيه المتواجده فى قطره الماء أو الدم لا يمكن للإنسان أن يراها و يقول أيضا:إنّ أعيننا ترى ألوانا محدوده،و كذا آذاننا تسمع أمواجا صوتيه محدوده،و الألوان و الأصوات التى لا ندركها بآذاننا و أعيننا أكثر بكثير من تلك التى تدرك،و عند ما تكون الدنيا بهذا الشكل لا يبقى موضع للتعجب من وجود هذه الكائنات الحيه،و التى لا يمكن لنا إدراكها بالحواس،و لم لا نتقبل ذلك عند ما يخبرنا انسان صادق كالنّبى العظيم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

على أى حال فإنّ القرآن المجيد قد أخبرنا من جهه بوجود الجن و خصوصياته المذكوره سلفا،و من جهه أخرى ليس هناك دليل عقلى على عدم وجود الجن،و لهذا لا بدّ من الإعتقاد بهم،و تجنب الأقوال التى لا تليق بهم كما فى خرافات العوام.

و ممّا يلاحظ أيضا أنّ لفظ الجن يطلق أحيانا على مفهوم أوسع يشمل أنواعا من الكائنات المستوره أعم من الكائنات ذوات العقل و الإدراك و لفاقده لهما،و حتى مجاميع الحيوانات التى ترى بالعين و المختفيه فى الأوكار أيضا، و الدليل على ذلك

روايات وردت عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حيث قال: «خلق اللّه الجن خمسه أصناف:صنف كالريح فى الهواء،و صنف حيات،و صنف عقارب،و صنف

حشرات الأرض،و صنف كنبى آدم عليهم الحساب و العقاب» (۱) .

و بالتوجه إلى هذه الرّوايات و مفهومها فسوف تحلّ الكثير من المشاكل التى تطرح فى الرّوايات و القصص الخاصّه بالجن.

ففى روايه وردت عن أمير المؤمنين عليه السّلام حيث قال: «لا تشرب الماء من ثلمه الإناء و لا عروته،فإنّ الشيطان يقعد على العروه و الثلمه». (۲) لأنّ الشيطان هو من الجن،و لأنّ ثلمه الإناء و عروته محل لاجتماع المكروبات المتنوعه،فلا يستبعد أن يكون الجن و الشيطان بمفهومه العام شاملا لمثل هذه الكائنات،و إن كان المعنى الخاص له هو الكائن ذو فهم و شعور و إنّه مكلّف و مسئول،و الرّوايات كثيره فى هذا الباب.

ربّنا!ألطف بنا يوم يحضر الجن و الإنس فى محكمه عدلك،و يوم يندم المسيؤون على ما عملوا.

اللّهم!إنّ أركان ملكك واسعه و معرفتنا و معلوماتنا محدوده فاحفظنا و صنّا من المزالق و الخطايا و الحكم بغير الحقّ.

إلهنا!إنّ مقام رسولك الكريم من العظمه و السمو أن آمن به الجن مضافا إلى الإنس،فاجعلنا من المؤمنين بدعوته...

آمين ربّ العالمين انتهاء سوره الجن ***

۱- ۱) -سفينه البحار،ج ۱،ص ۱۸۶(ماده الجن).

۲- ۲) -الكافى،ج ۶،ص ۳۸۵،كتاب الأشربه،باب الأوانى،الحديث ۵.

سوره المزّمّل

اشاره

مکیه و عدد آیاتها عشرون آیه

ص: ۱۲۱

محتوى السوره:

يدل سياق السوره على وجود تشابه بينها و بين المكيه الأخرى،و لهذا يستبعد ما قاله البعض من أنّها مدنيه،و اختلاف سياق الآيات الأولى و الأخيره منها يشير إلى نزوله فى فترات متعدده و طويله،فقد ذكر البعض:إنّه نزلت فى ثمانيه أشهر و قيل:سنه،و قيل:عشر سنوات. (۱)

إنّ الكثير من آيات هذه السوره تشير إلى أنّها نزلت عند بدء الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لدعوته العلنيه،و اعتراض المخالفين و تكذيبهم له،و لكن الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان قد أمر بالمسالمه و المجازاه لهم،و لذا يبعد احتمال نزولها جميعا فى أوّل دعوته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و يمكن احتمال ذلك فى شأن الآيات الأولى لها،و أمّا البقيه فليست كذلك،لأنّ آياتها تشير إلى سعه الإسلام و الدعوه،و ذلك على نطاق مكّه على الأقل،و بروز مخالفه المخالفين و صراعهم مع الحق،و هذا ما لم يحصل فى السنوات الثلاث الأولى للدعوه.

و وردت روايات مختلفه و متفاوته فى سبب نزول السوره أو بعض الآيات منها،

ففى بعض الرّوايات أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عند ما استلم البلاغ الإلهى الأوّل رجع إلى خديجه و فؤاده يرتجف فقال:«زملونى»فنزل جبرائيل عليه السّلام ب أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ .

۱- ۱) -راجع تفسير الدر المنثور،ج ۶،ص ۲۷۶،و مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۳۷۷.

فی حین أنّه جاء فی بعض الرّوایات أن شأن نزول هذه السوره یتعلق بإعلان النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم دعوته،فکان أن اجتمع مشرکو قریش فی دار الندوه لیفکروا فی أمر النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و لیختاروا لمواجهته شعارا أو عنوانا خاصّا،فقال بعضهم:إنّه (کاهن)لکن بعضهم لم یوافق علی هذه التسمیه،فقال آخرون:إنّه(مجنون)إلاّ جمعا آخر منهم لم یوافق علیه أیضا،و رجّح بعضهم أن یسمّی ب(الساحر)فلم یوافق الآخرون علی ذلک أیضا.

أخیرا قالوا:إنّه یفرق بین الأحباب،فبناء علی ذلک فهو ساحر ثمّ تفرق المشرکون،فبلغ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ما قاله المشرکون،فدثّر نفسه تزّمل بأثوابه و رکن إلی الرّاحه...فجاءه الوحی فی ذلک الحین بسورتی،یا أیّها المزّمل،و یا أیّها المدثر. (۱)

و الحاصل هو ما أشرنا إلیه فی أنّ ظاهر السوره مکّیه،و نزول قسم منها بعد الدعوه العلنیه و نفوذ الإسلام النسبی فی مکّه أمر حتمی،و إن کان یحتمل نزول آیات من أوّل السوره فی أوّل البعثه.

و یتلخص محتوی السوره فی خمسه أقسام:

القسم الأوّل:الآیات الأولی للسوره و التی تأمر النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بقیام اللیل و الصلاه فیه،لیستعد بذلک لنقل ما سیلقی علیه من القول الثقیل.

القسم الثّانی:یأمره صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بالصبر و المقاومه و مداراه المخالفین.

القسم الثّالث:بحوث حول المعاد،و إرسال موسی بن عمران إلی فرعون و ذکر عذابه الألیم.

القسم الرّابع:فیه تخفیف لما ورد فی الآیات الأولی من الأوامر الشدیده عن قیام اللیل،و ذلک بسبب محنه المسلمین و الشدائد المحیطه بهم.

۱- ۱) -نور الثقلین،ج ۶،ص ۲۷۶.

القسم الخامس:هو القسم الأخير من السوره يعود ليدعو إلى تلاوه القرآن و إقامه الصلاه و إيتاء الزّكاه،و الإنفاق فى سبيل اللّه و الاستغفار.

فضيله السّوره:

ورد فى حديث عن النّبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «من قرأ سوره المزمل رفع عنه العسر فى الدنيا و الآخره» (۱) .

و

فى حديث آخر ورد عن الإمام الصّادق عليه السّلام: «من قرأ سوره المزّمل فى العشاء الآخره،أو فى آخر الليل كان له الليل و النهار شاهدين مع السوره،و أحياه اللّه حياه طيبه و أماته ميته طيبه» (۲) .

و من الطبيعى أنّ هذه الفضائل لا بدّ أن تكون ملازمه مع قيام الليل و قراءه القرآن و الصبر و الاستقامه و الإيثار و الإنفاق و العملى،و ليس بالتلاوه الخاليه من العمل.

***

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۳۷۵.

۲- ۲) -المصدر السّابق.

الآيات [سوره المزمل (۷۳): الآيات ۱ الى ۵]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ يٰا أَيُّهَا اَلْمُزَّمِّلُ (۱) قُمِ اَللَّيْلَ إِلاّٰ قَلِيلاً (۲) نِصْفَهُ أَوِ اُنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (۳) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَ رَتِّلِ اَلْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (۴) إِنّٰا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً (۵)

التّفسير

يشير سياق الآيات كما بيّنا إلى دعوه الرّسول الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم للاستقامه و الاستعداد لقبول مهمّه كبيره و ثقيله،و هذا لا يتمّ إلاّ بالبناء المسبق للذات، فيقول: يٰا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (۱) ، قُمِ اللَّيْلَ إِلاّٰ قَلِيلاً، نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً .

الطريف فى هذه الآيات أنّ المخاطب هو الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و لكن لا بعنوان يا أيّها الرّسول،أو يا أيّها النّبى،بل بعنوان يا أيّها المزمل،إشاره إلى إنّ هذا ليس زمان التزمل و الانزواء، بل زمان القيام و البناء الذاتى و الاستعداد لأداء الرساله العظيمه،و اختيار الليل لهذا العمل أوّلا:لأنّ أعين الأعداء نائمه،و ثانيا:تتعطل الأعمال المكاسب،و لهذا فإنّ الإنسان يستعد للتفكر و لتربيه النفس.

۱- ۱) -«مزّمل»:أصلها متزمل،و هى من التزمل،و تعنى لف الثوب على نفسه،و لهذا جاء لفظ الزميل،أى المصاحب و الرفيق.

و كذلك إختيار القرآن لأنّ يكون الماده الأولى فى البرنامج العبادى فى الليل إنّما هو لاقتباس الدروس اللازمه فى هذا الباب،و هو يعدّ من أفضل الوسائل لتقويه الإيمان و الاستقامه و التقوى و تربيه النفوس،و التعبير بالترتيل الذى يراد به التنظيم و الترتيب الموزون هنا هو القراءه بالتأنى و الانتظام اللازم،و الأداء الصحيح للحروف،و تبيّن الحروف،و الدقّه و التأمل فى مفاهيم الآيات،و التفكر فى نتائجها.

و بديهى أنّ مثل هذه القراءه تعطى الإنسان الرّشد و النمو المعنوى السريع و الشهامه الخلقيه و تهب التقوى،و إذا فسّره البعض بالصلاه فذلك لأنّ أحد أجزاء الصلاه المهمّه هى قراءه القرآن.

عباره«قم الليل»تعنى النهوض فى مقابل النوم،و ليس الوقوف فحسب، و أمّا ما جاء من العبارات المختلفه فى هذه الآيات حول مقدار إحياء الليل فهو فى الحقيقه لتبيان التخيير،و أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مخيّر فى الاستيقاظ فى نصف الليل أو أقل من ذلك أو أكثر لقراءه القرآن،ففى المرحله الأولى يذكر الليل كلّه إلّا قليلا منه،ثمّ يخففه ليوصله إلى النصف،و بعدئذ إلى أقل من النصف.

و قيل:المراد هو التخيير بين الثلث الثّانى و النصف و الثلث الأوّل،بقرينه الآيه التى فى آخر السوره: إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ و يستفاد من هذه الآيه أيضا أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لم يكن وحده الذى يقوم الليل، بل معه عدّه من المؤمنين كانوا ملتزمين أيضا بهذا النظام للبناء الذاتى و التربيه و الاستعداد متخذين النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أسوه لهم.

و قال البعض:إنّ المراد من«قم الليل إلّا قليلا»،هو القيام فى الليالى كلّها إلّا بعض الليالى،و ليس الاستثناء فى أجزاء الليل،و لكن هذا القول بعيد عن الصواب حيث أنّ الليل جاء بصيغه مفرد«ليل»،و جاء التعبير بالنصف أو أقل النصف.

ثمّ يبيّن الهدف النهائى لهذا الأمر المهم و الشاق فيقول: إِنّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ

قَوْلاً ثَقِيلاً.

ذکر المفسّرین فی القول الثقیل أقوالا مختلفه،لکن الملاحظ أن ثقل القول یراد به القرآن المجید بأبعاده المختلفه...ثقیل بلحاظ المحتوی و مفاهیم الآیات.

ثقیل بلحاظ حمل علی القلوب له لما یقوله القرآن: لَوْ أَنْزَلْنا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلیٰ جَبَلٍ لَرَأَیْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْیَهِ اللّٰهِ (۱) .ثقیل بلحاظ الوعد و الوعید و بیان المسؤولیات.

ثقیل بلحاظ التبلیغ و مشاکل طریق الدعوه.

و ثقیل فی میزان العمل و فی عرصه القیامه،و بالتالی ثقیل بلحاظ تخطیطه و تنفیذه بشکل تام.

نعم،و إن قراءه القرآن و أن کانت سهله و جمیله و مؤثره،و لکن تحقق مفاده لیس بأسهل الیسیر بالخصوص فی أوائل الدعوه النّبویه فی مکّه حیث الظلام و الجهل و عباده الأصنام و الخرافات،إذ أنّ الأعداء المتعصبین القساه کانوا قد تکاتفوا ضد الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و لکن الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أصحابه القلائل استطاعوا أن یتغلبوا علی کل تلک هذه المشاکل باستمدادهم من تربیه القرآن،و الاستعانه بصلاه اللیل،و بالاستفاده من قربهم من ذات اللّه المقدسه،و استطاعوا بذلک حمل هذا القول الثقیل و الوصول إلی مرادهم.

***

بحوث

اشاره

۱-قیام اللیل بتلاوه القرآن و الدعاء

قلنا إنّ الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و إن کان هو المخاطب فی هذه الآیات،و لکن آخر السوره یشیر إلی وجود مؤمنین کانوا معه فی هذا العمل،و السؤال هو هل أنّ

۱- ۱) -سوره الحشر،۲۱.

إحیاء اللیل کان واجبا علی الجمیع فی أوائل دعوته أم لا؟قال البعض:إنّ هذا الأمر کان واجبا فی البدء ثمّ نسخ بالآیه الأخیره للسوره و مدّه ذلک حوالی السنه،حتی و أنّ البعض ذهب إلی أنّ هذا الحکم کان قبل تشریع الصلوات الخمس،ثمّ نسخ هذا الحکم بعد تشریعها، و لکن المرحوم الطبرسی رحمه اللّه کما ذکر فی تفسیره«مجمع البیان»أنّ ظاهر آیات هذه السوره لا یشیر إلی النسخ، الأفضل هو القول بأنّ هذه العباده مستحبه و سنّه مؤکّده،و لم یکن لها طابع الوجوب إلّا لشخص النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کما فی بعض الآیات الأخری للقرآن،و لا مانع ذلک من وجوبها علی النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و استحبابها علی المؤمنین،و مضافا إلی أنّ الآیات المذکوره لا تنحصر بصلاه اللیل،لأنّها لم تشغل نصف ممن اللیل أو ثلثی اللیل بل و حتی ثلثه،و ما ذکر فی الآیه هو النهوض لترتیل القرآن.

فعلی هذا کان الحکم فی البدء مستحبّا مؤکّدا ثمّ خفف،و بما أنّ بدایه کلّ عمل بالخصوص بدایه الثوره العظیمه،یحتاج إلی قدره و قوّه أکثر من أی وقت، فلا عجب فی أن یصدر مثل الأمر العظیم للنّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أصحابه،و ذلک أن یقوموا لقسط وافر من اللیل لیتعرفوا و یتفهموا محتوی هذا العمل الجدید و علی تعالیمه الثوریه،و لتطبیق ذلک لا بدّ أن یروضوا أرواحهم بالعلم و المعرفه.

۲-معنی التّرتیل

إنّ ما أکّدت علی الآیات المذکوره هو الترتیل و لیس قراءه القرآن،و وردت روایات عن الأئمّه المعصومین علیهم السّلام فی معنی الترتیل کلّ منها یشیر إلی بعد من أبعاد هذه الکلمه الواسعه.

فقد ورد فی حدیث عن أمیر المؤمنین علیه السّلام: «بینه بیانا و لا تهذّه هذّ الشعر و لا تنثره نثر الرمل،و لکن اقرع به القلوب القاسیه،و لا یکونن همّ أحدکم آخر

السوره» (۱) .

و نقرأ

فی حدیث آخر ورد عن الإمام الصّادق علیه السّلام: «إذا مررت بآیه فیها ذکر الجنّه فأسأل اللّه الجنّه،و إذا مررت بآیه فیها ذکر النّار فتعوذ باللّه من النار» (۲) .

و

فی روایه اخری عنه علیه السّلام: «هو أن تتمکث فیه و تحسن به صوتک» (۳) ، و

عنه أیضا: «أنّ القرآن لا یقرأ هذرمه،و لکن یرتل ترتیلا و إذا مررت بآیه فیها ذکر النّار وقفت عندها و تعوذت باللّه من النّار» (۴) .

و قد نقل عن حالات النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنّه کان یقطع قراءته آیه آیه،و یمد صوته مدّا (۵) ،هذه الرّوایات و الرّوایات الأخری المنقوله بنفس المضمون فی کتاب الکافی و نور الثقلین و الدر المنثور و بقیه الکتب الأخری من کتب الحدیث و التّفسیر تشیر إلی ضروره التمعن فی کلمات القرآن،و التدبّر فیها و تذکر بأنّ القرآن هو خطاب اللّه تعالی للإنسان.

و لکن و للأسف إنّ الکثیر من المسلمین ابتعدوا عن هذا الواقع،و اکتفوا بالتلفظ و غدا همّهم ختمه،من دون الاهتمام بمعرفه سبب نزوله و محتواه!صحیح أنّ ألفاظ القرآن عظیمه و لقراءتها فضیله،و لکن لا ینبغی أن ننسی أنّ هذه الألفاظ و تلاوتها هی مقدمه لبیان المحتوی.

۳-فضیله صلاه اللیل

هذه الآیات تبیّن أهمّیه إحیاء اللیل بالعباده و قراءه القرآن عند ما یکون

---

۱ - ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۳۷۸،ذکر ذلک فی کتاب الکافی،ج ۲،باب(ترتیل القرآن بالصوت الحسن)و کذا فی کتب اخری مع الاختصار.

۲- ۲) -المصدر السابق.

۳- ۳) -المصدر السّابق.

۴- ۴) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۴۴۷.

۵- ۵) -مجمع البیان،ذیل الآیات التی بصدد البحث.

الغافلون نياما،و كما أشرنا من قبل فإنّ العباده فی اللیل و بالخصوص عند السحر لها الأثر البالغ فی تصفیه الروح و تهذیب النفوس و التربیه المعنویه للإنسان و طهاره القلب و إیقاظه،و کذا فی تقویه الإیمان و الإراده،و توکید ارکان التقوی فی الروح و القلب،و یمکن لمس ذلک بمجرّد الإختیار مرّه واحده،و قد أکّدت الرّوایات علی ذلک بالإضافه إلی ما ذکرته الآیات القرآنیه.

منها

ورد عن الإمام الصّادق علیه السّلام: «إنّ من روح اللّه تعالی ثلاثه،التهجد باللیل،و إفطار الصّائم،و لقاء الإخوان» (۱) .

و

عنه أیضا علیه السّلام فی تفسیر: إِنَّ الْحَسَناتِ یُذْهِبْنَ السَّیِّئاتِ قال:«صلاه اللیل تذهب بذنوب النهار» (۲) .

و لنا بحث مفصل فی هذا الباب فی ذیل الآیه(۷۹)من سوره الإسراء،و قد نقلنا بهذا الشأن عشره أحادیث رائعه فی أهمیه صلاه اللیل.

***

۱- ۱) -بحار الأنوار،ج ۸۷،ص ۱۴۳.

۲- ۲) -المصدر السّابق.

الآيات [سوره المزمل (۷۳): الآيات ۶ الى ۱۰]

اشاره

إِنَّ ناشِئَهَ اَللَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئاً وَ أَقْوَمُ قِيلاً (۶) إِنَّ لَكَ فِى اَلنَّهارِ سَبْحاً طَوِيلاً (۷) وَ اُذْكُرِ اِسْمَ رَبِّكَ وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً (۸) رَبُّ اَلْمَشْرِقِ وَ اَلْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً (۹) وَ اِصْبِرْ عَلىٰ مٰا يَقُولُونَ وَ اُهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً (۱۰)

التّفسير

اشاره

تأثير الدعاء و المناجاه فى أعماق الليل:

تستمر هذه الآيات فى البحث حول عباده الليل و التعاليم المعنويه الموجوده قراءه القرآن فى الليل،و هى بمنزله بيان الدليل على ما جاء فى الآيات السالفه، فيقول تعالى: إِنَّ ناشِئَهَ اللَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئاً وَ أَقْوَمُ قِيلاً (۱) .

«الناشئه»:من ماده(نشأ)،على وزن نثر،و تعنى الحادثه،و قد ذكر هنا ثلاثه تفاسير لما يراد منها.

الأوّل:المراد به ساعات الليل الحادثه بالتوالى،أو أنّها تخصّ الساعات

۱- ۱) -«الناشئه»:اسم فاعل و احتمل كونها مصدرا كالعاقبه.

الأخیره للیل و السحر.

و الآخر:إنّ المراد هو إحیاء اللیل بالصلاه و العباده و قراءه القرآن کما

ورد فی حدیث عن الإمامین الصادق و الباقر علیهما السّلام حیث قالا: «هی القیام فی آخر اللیل إلی صلاه اللیل» (۱) .

و

فی حدیث آخر عن الإمام الصادق علیه السّلام فی تفسیر هذه الآیه،قال: «قیامه عن فراشه لا یرید إلّا اللّه». (۲)

و الثّالث:الحالات المعنویه و الروحیه و النشاط و الجذوه الملکوتیه التی تحصل فی القلب الإنسان و روحه فی هذه الساعات الخاصّه باللیل،و التی تکون آثارها فی روح الإنسان أعمق و استمرارها أکثر،و التّفسیران الثّانی و الثّالث متلازمان،و یمکن جمعها فی ما یراد بمعنی الآیه.

«وطأ»:تعنی فی الأصل وضع القدم،و تعنی کذلک الموافقه.

و التعبیر ب أَشَدُّ وَطْئاً :العناء و المشقّه الحاصله فی عباده اللیل،أو أنّه یعنی التأثیرات الثابته و الراسخه الحاصله من شعاع هذه العبادات فی روح الإنسان، و المعنی الثّانی أوجه.

و یحتمل أن یراد له التوافق الحاصل بین قلب الإنسان و عینه و أذنه و بالتالی تعبئتها فی طریق العباده.

«أقوم»:من القیام،و یراد بکونها أثبت للقول و أصوب لحضور القلب.

«قیلا»:تعنی القول،و تشیر هنا إلی ذکر اللّه و قراءه القرآن.

و محصله ذلک أنّ هذه الآیه من الآیات التی تحتوی علی أبلغ الأحادیث حول العباده اللیله،و رمز إظهار المحبّه مع المحبوب فی ساعات یختلی فیها الحبیب بحبیبه و أکثر من غیرها.

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۳۷۸.

۲- ۲) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۴۴۸،الحدیث،۱۶.

و يضيف فى الآيه الأخرى: إِنَّ لَكَ فِى النَّهٰارِ سَبْحاً طَوِيلًا .

أى إنّـك مشـغول بهـدايه الخلق و إبلاـغ الرساله و حلّ المشاكل المتنوعه،و لا مجال لك بالتوجه التام إلى ربّك و الانقطاع إليه بالذكر،فعليك بالليل و العباده فيه.

و هنـاك معنى أدق و تفسير ينـاسب الآيات السابقه أيضا هو:أنّك تتحمل فى النهار مشاغل ثقيله و مساعى كثيره،فعليك بعباده الليل لتقوى بها روحك و تستعد للفعاليات و النشاطات الكثيره فى النهار.

«سـبح»:على وزن مدح،و تعنى فى الأصل الحركه و الذهاب و الإيّاب، و يطلق على السباحه لما فيها من الحركه المستمره،و كأنّه يشـبه المجتمع الإنسانى بالمحيط اللامتناهى الذى يغرق فيه الكثير من الناس،و أمواجه المتلاطمه تتحرك فى كل الجهات،و فيها من السفن المضطربه التى تبحث عن الملجأ الأمين،و الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هو المنجى الوحيد للغريق،و قرآنه سفينه النجاه الوحيده فى هذا المحيط،فعلى هذا السباح العظيم أن يهىء نفسه يوميا بالعباده الليله لإتمام هذه المهمّه و الرساله العظيمه.

و بعـد الإشاره إلى العباده الليليه،و الإشاره الإجماليه إلى آثارها العميقه يـذكّر القرآن بخمسه أوامر اخرى مكمله لتلك فيقول: وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ .

و الطبيعى أنّ المراد ليس ذكر الاسم فحسب،بل التوجه إلى المعنى،لأنّ الـذكر اللفظى مقدمه للذكر القلبى،و الذكر القلبى يبعث على صفاء القلب و الروح و يروى منهل المعرفه و التقوى فى القلب.

المراد ب«الربّ»هو الإشـاره إلى التوجه إلى النعم اللامتنـاهيه و ذلـك عنـد الإتيان بـذكره المقـدس،و أن يكون ذكره ملازما مع التوجه إلى تربيته تعالى شأنه لنا،و يبيّن بعض المفسّرين مراحل لذكر الربّ تعالى.

المرحله الاولى:ذكره تعالى كما أشير إلى ذلك.

المرحله الثّانيه:الذكر القلبى لذاته المقدسه،كما هو فى الآيه(٢٠٥)من

سوره الأعراف: وَ اذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَ خِيفَةً .

ثمّ تبدأ المرحله الثّالثه،و فيها يتعدى الذكر مقام الرّبوبيه ليصل إلى مقام مجموعه الصفات الجماليه و الجلاليه المجتمعه فى اللّه تعالى،كما هو فى الآيه (۴۱)من سوره الأحزاب حيث يقول: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً و على هذا الأساس يستمر هذا الذكر ليتكامل فى مراحله ليوصل الذاكر نفسه إلى أوج الكمال. (۱)

و يقول فى الأمر الثّانى: وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً . (۲)

«التبتل»:من(البتل)على وزن(حتم)،و تعنى فى الأصل الانقطاع،و لهذا سمّيت«مريم العذراء»عليها السّلام بالبتول،لأنّها لم تتخذ لنفسها زوجا و سمّيت الزّهراء عليها السّلام بالبتول لأنّها كانت أفضل نساء عصرها فى السيره و السلوك، و كانت بالغه درجه الانقطاع إلى اللّه تعالى.

فالتبتل هو التوجه القلبى التام إلى اللّه تعالى،و الانقطاع عن غيره إليه تعالى، و الإتيان بالأعمال الخالصه للّه،و كذا الخلوص له تعالى.

و ما

روى عن الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قوله: «لا رهبانيه،و لا تبتل فى الإسلام» (۳) ،فهو اشاره لما هو حاصل فى أوساط المسيحيين فى تركهم للدنيا،إذ أنّهم اعتزلوا الزواج لاعتزالهم الدنيا،و اعتزلوا بذلك الوظائف الاجتماعيه،و هذا ما لم يكن حاصلا عند المسلمين،إذ أن أحدهم يعيش فى أوساط المجتمع الإنسانى و هو فى نفس الوقت متوجّه إلى اللّه تعالى.

۱- ۱) -تفسير الفخر الرازى،ج ۳۰،ص ۱۷۷(مع الاقتباس).

۲- ۲) -«التبتل»:يجب أن يكون التبتل هنا حسب القاعده مفعول مطلق و هو مصدر من باب(تفعل)و لكنّه جاء على وزن تفعيل، لحفظ توافق أواخر الآيات،و يمكن أن يكون مصدر إشاره إلى أن الانقطاع إلى اللّه لا يكون كلّه اكتسابيا،و لا يكون هبه بتمامه أيضا،بل يكون ذلك بشروط السعى و العمل الجاد للعبد المتقى من جهه،و بلطف اللّه و عنايته من جهه اخرى.

۳- ۳) -المفردات،و مجمع البحرين باب البتل.

و ممّا روى عن أئمّه أهل البيت عليهم السّلام

«التبتل رفع اليد إلى اللّه حال الصّلاه» (۱) و الواضح أنّ هذا هو مظهر من مظاهر الإخلاص و الانقطاع إلى اللّه.

على أىّ حال فإنّ ذلك الذكر للّه تعالى و هذا الإخلاص هما الثّروه العظيمه لأهل اللّه فى مهامهم الثقيله لهدايه الخلق.

ثمّ ينتهى إلى الأمر الثّالث فيقول: رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً و هنا تأتى مسأله إيداع الأمور إلى اللّه،و ذلك بعد مرحله ذكر اللّه و الإخلاص، إيداع الأمور للربّ الذى بيده الحاكميه و الرّبوبيه على المشرق و المغرب و المعبود الوحيد المستحق للعباده،و هذا التعبير فى الحقيقه هو بمنزله الدليل على موضوع التوكل على اللّه،فكيف لا يتوكل الإنسان عليه،و لا يودعه أعماله،و ليس فى العالم الواسع من حاكم و آمر و منعم و مولى و معبود غيره؟ و بالتالى يقول فى الأمر الرّابع و الخمس: وَ اصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ وَ اهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً .

و يأتى هنا مقام الصبر و الهجران،لكثره اتهامات الأعداء و إيذاءهم له فى طريق الدعوه إلى اللّه،فالفلاح إذا أراد قطف الورود،عليه أن يصبر و يتحمل أذى الأشواك،مضافا إلى ذلك يلزم الابتعاد عنهم و هجرانهم أحيانا،و ليبقى فى مأمن من شرّهم،و يعطيهم بذلك درسا بالغا،و لا يعنى ذلك قطع سبل التربيه و التبليغ و الدعوه إلى اللّه.

و على هذا فإنّ الآيات المذكوره آنفا تعتبر وثيقه من الأوامر تعطى للنّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لمن يحذو حذوه هذا المفهوم،و هو أن يستمد العون من عباده الليل و الدعاء و التضرع إلى اللّه تعالى و يسقى هذه الشجره بماء الذكر اللّه تعالى، و الإخلاص و التوكل و الصبر و الهجران الجميل،يا لها من صحيفه جامعه و جميله!

۱- ۱) -نور الثقلين،ج ۵،ص ۴۵۰،ح ۲۷.

التعبير ب«ربّ المشرق و المغرب»إشاره إلى الحاكميه و الرّبوبيه على العالم المشهور كلّه.

«الهجر الجميل»:كما أشرنا من قبل،يعنى الهجران الملازم للشفقه و الاستمرار بالدعوه إلى اللّه الذى يعتبر أحد طرق التربيه فى مراحل خاصّه،و لا يتنافى ذلك مع الجهاد فى المراحل الاخرى،فلكل أمر مقام.

و بعباره اخرى أنّ ذلك لا يعتبر من الابتعاد عنهم و عدم الاكتراث بهم،بل هو اكتراث بحدّ ذاته،و ما قيل من أنّ الجهاد نسخ هذه الآيات فليس صحيحا.

يقول المرحوم الطّبرسى فى مجمع البيان فى ذيل الآيه:و فى هذا دلاله على وجوب الصبر على الأذى لمن يدعو إلى الدين و المعاشره بأحس الأخلاق، و استعمال الرفق ليكونوا أقرب إلى الإجابه (۱) .

***

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۳۷۹.

الآيات [سوره المزمل (۷۳): الآيات ۱۱ الى ۱۹]

اشاره

وَ ذَرْنِی وَ اَلْمُکَذِّبِینَ أُولِی اَلنَّعْمَهِ وَ مَهِّلْهُمْ قَلِیلاً (۱۱) إِنَّ لَدَیْنا أَنْکالاً وَ جَحِیماً (۱۲) وَ طَعاماً ذا غُصَّهٍ وَ عَذاباً أَلِیماً (۱۳) یَوْمَ تَرْجُفُ اَلْأَرْضُ وَ اَلْجِبالُ وَ کانَتِ اَلْجِبالُ کَثِیباً مَهِیلاً (۱۴) إِنّا أَرْسَلْنا إِلَیْکُمْ رَسُولاً شاهِداً عَلَیْکُمْ کَما أَرْسَلْنا إِلی فِرْعَوْنَ رَسُولاً (۱۵) فَعَصی فِرْعَوْنُ اَلرَّسُولَ فَأَخَذْناهُ أَخْذاً وَبِیلاً (۱۶) فَکَیْفَ تَتَّقُونَ إِنْ کَفَرْتُمْ یَوْماً یَجْعَلُ اَلْوِلْدانَ شِیباً (۱۷) اَلسَّماءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ کانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً (۱۸) إِنَّ هٰذِهِ تَذْکِرَهٌ فَمَنْ شاءَ اِتَّخَذَ إِلی رَبِّهِ سَبِیلاً (۱۹)

التّفسير

اشاره

ذرنی و المکذبین المستکبرین:

أشارت فی الآیه الأخیره من الآیات السابقه إلی أقوال المشرکین البذیئه، و عدائهم و إیذائهم للنّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،أمّا فی هذه الآیات فإنّ اللّه تعالی یهددهم بالعذاب الألیم،و یدعوهم إلی ترک ما هم علیه،و یواسی المؤمنین الأوائل،فیقول تعالی

شأنه: وَ ذَرْنِی وَ الْمُکَذِّبِینَ أُولِی النَّعْمَهِ وَ مَهِّلْهُمْ قَلِیلًا .

أی دعنی و ایّاهم،و اترک عقابهم لی و مهلهم قلیلا-لتتمّ الحجّه علیهم و لتظهر ماهیتهم الحقیقیه، و یثقلوا ظهورهم بالخطایا فعندها یحلّ علیهم غضبی.

و لم یمض کثیر حتی ازدادت شوکه المسلمین،و وجهوا ضرباتهم القویه لأعداء الرساله،و ذلک فی معارک بدر و حنین و الأحزاب،و بالتالی کان العذاب الإلهی ینتظرهم فی البرزخ،حتی یخلدوا بعد ذلک فی النّار فی یوم القیامه.

و التعبیر ب«أولی النعمه»إشاره الغرور و الغفله الناجمه من کثره الأموال و الثروه المادیه،و لهذا یذکرهم القران فی النصف الأوّل من المخالفین علی طول تاریخ الأنبیاء،و فی الحقیقه أنّ هذه الآیه مشابهه للآیه(۳۴)من سوره سبأ حیث یقول تعالی: وَ مٰا أَرْسَلْنٰا فِی قَرْیَهٍ مِنْ نَذِیرٍ إِلاّٰ قٰالَ مُتْرَفُوهٰا إِنّٰا بِمٰا أُرْسِلْتُمْ بِهِ کٰافِرُونَ فی حین أنّ هؤلاء لا بدّ أن یلبوا دعوه الحق قبل غیرهم لیشکروا اللّه علی ما أنعم علیهم بهذا الوسیله.

ثمّ یقول مصرّحا: إِنَّ لَدَیْنٰا أَنْکٰالاً وَ جَحِیماً .

«الأنکال»:جمع(نکل)،علی وزن(فکر)و هی السلاسل الثقال،و أصلها من نکول الضعف و العجز،أی أنّ الإنسان یفقد الحرکه بتقیید أعضائه بالسلاسل.

نعم،لقد تنعموا فی الدنیا و أخذوا حریتهم المطلقه،و لهذا لا بدّ لهم من القیود و النّار.

و کذا یضیف: وَ طَعٰاماً ذٰا غُصَّهٍ وَ عَذٰاباً أَلِیماً .

هذا مصیر من کان یتلذذ بالطعام بعکس ما کان طعامهم فی الدنیا الحرام، حیث العذاب الألیم،و لمّا تمتع به المغرورون و المستکبرون من الراحه غیر المشروعه فی هذه الدنیا،و الطعام الموصوف بالغصّه هو بحدّ ذاته عذاب ألیم،ثمّ یتبع ذلک بذکر العذاب الألیم علی انفراد،و هذا یشیر إلی أنّ أبعاد العذاب الاخروی الذی لا یعلم شدّته و عظمته إلاّ اللّه تعالی،و لهذا ورد فی حدیث أنّ

النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم سمع قارئا یقرأ هذه فصعق. (۱)

و جاء فی حدیث آخر أنّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم هو الذی کان یتلو الآیه فصعق (۲) ، و کیف لا یکون هذا الطعام ذا غصّه فی حین الآیه(۶)من سوره الغاشیه تقول:

لَیْسَ لَهُمْ طَعٰامٌ إِلاّٰ مِنْ ضَرِیعٍ .

و کذا نقرأ فی الآیه(۴۳)و(۴۴)من سوره الدخان: إِنَّ شَجَرَهَ الزَّقُّومِ طَعٰامُ الْأَثِیمِ .

ثمّ یشرح ما یجری فی ذلک الیوم الذی یظهر فیه هذا العذاب فیقول: یَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَ الْجِبٰالُ وَ کٰانَتِ الْجِبٰالُ کَثِیباً مَهِیلاً .

«الکثیب»:یراد به الرمل المتراکم،و«المهیل»من هیل-علی وزن کیل-هو صبّ شیء ناعم کالرمل علی شیء،و یراد بالمعنی هنا الرمل الناعم و ما لا یستقر، و المعنی أنّ الجبال تتلاشی بحیث تظهر بهیئه الرمل الناعم،و إذا ما دیست بالأقدام فإنّها تطمس فیها.

و للقرآن المجید تعابیر مختلفه عن مصیر الجبال فی یوم القیامه،و تحکی عن انعدامها و تبدیلها بالأتربه الناعمه(أوردنا شرحا مفصلا حول المراحل المختلفه لانعدام الجبال و التعابیر المختلفه للقرآن فی هذا الباب فی ذیل الآیه ۱۰۵ من سوره طه).

ثمّ یقارن بین بعثه النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و مخالفه الأشداء العرب،و بین نهوض موسی بن عمران بوجه الفراعنه فیقول تعالی: إِنّٰا أَرْسَلْنٰا إِلَیْکُمْ رَسُولاً شٰاهِداً عَلَیْکُمْ کَمٰا أَرْسَلْنٰا إِلیٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً .

إنّ هدف النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم هدایتکم و الإشراف علی أعمالکم کما کان هدف موسی علیه السّلام هدایه فرعون و أتباعه و الإشراف علی أعمالهم.

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۳۸۰.

۲- ۲) -روح المعانی،ج ۲۹،ص ۱۰۷.

لم يكن جيش فرعون مانعا من العذاب الإلهى،و لم تكن سعه مملكتهم و أموالهم و ثراؤهم سببا لرفع هذا العذاب،ففى النهايه أغرقوا فى أمواج النيل المتلاطمه إذ أنّهم كانوا يتباهون بالنيل،فبماذا تفكرون لأنفسكم و أنتم أقل عدّه و عددا من فرعون و أتباعه و أضعف؟!و كيف تغترون بأموالكم و أعدادكم القليله؟! «الوبيل»:من(الوبل)و يراد به المطر الشديد و الثقيل،و كذا يطلق على كل ما هو شديد و ثقيل بالخصوص فى العقوبات،و الآيه تشير إلى شدّه العذاب النازل كالمطر.

ثمّ وجه الحديث إلى كفّار عصر بنىّ الإسلام صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و يحذرهم بقوله: فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدانَ شِيباً (۱) (۲) .

بلى إنّ عذاب ذلك اليوم من الشدّه و الثقيل بحيث يجعل الولدان شيبا،و هذه كنايه عن شدّه ذلك اليوم.

هذا بالنسبه لعذاب الآخره،و هناك من يقول:إنّ الإنسان يقع أحيانا فى شدائد العذاب فى الدنيا بحيث يشيب منها الرأس فى لحظه واحده.

على أى حال فإنّ الآيه تشير إلى أنّكم على فرض أنّ العذاب الدنيوى لا ينزل عليكم كما حدث للفراعنه؟فكيف بكم و عذاب يوم القيامه؟ فى الآيه الاخرى يبيّن و صفا أدقّ لذلك اليوم المهول فيضيف: اَلسَّماءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً .

إنّ الكثير من الآيات الخاصّه بالقيامه و أشراط الساعه تتحدث عن

---

۱ - ۱) -يوما مفعول به لتتقون،و«تتقون»ذلك اليوم يراد به تتقون عذاب ذلك اليوم،و قيل(يوم)ظرف ل(تتقون)أو مفعول به ل(كفرتم)و الاثنان بعيدان.

۲ - ۲) -«شيب»جمع(أشيب)و يراد به المسن،و هى من أصل ماده شيب-على وزن عيب-و المشيب يعنى تغير لون الشعر إلى البياض.

انفجارات عظیمه و زلازل شدیده و متغیرات سریعه،و الآیه أعلاه تشیر إلی جانب منها.

فما حیله الإنسان الضعیف العاجز عند ما یری تفطر السموات بعظمتها لشدّه ذلک الیوم؟! (۱) و فی النّهایه یشیر القرآن إلی جمیع التحذیرات و الإنذارات السابقه فیقول تعالی: إِنَّ هٰذِهِ تَذْکِرَهٌ .

إنّکم مخیرون فی اختیار السبیل،فمن شاء اتّخذ إلی ربّه سبیلا،و لا فضیله فی اتّخاذ الطریق إلی اللّه بالإجبار و الإکراه،بل الفضیله أن یختار الإنسان السبیل بنفسه و بمحض إرادته.

و الخلاصه أنّ اللّه تعالی هدی الإنسان إلی النجدین،و جعلهما واضحین کالشمس المضیئه فی وضح النهار،و ترک الإختیار للإنسان نفسه حتی یدخل فی طاعته سبحانه بمحض إرادته،و قد احتملت احتمالات متعدده فی سبب الإشاره إلی التذکره،فقد قیل أنّها إشاره إلی المواعظ التی وردت فی الآیات السابقه، و قیل هی إشاره إلی السوره بکاملها،أو إشاره إلی القرآن المجید.

و لعلها إشاره إلی إقامه الصلاه و قیام اللیل کما جاء فی الآیات من السوره، و المخاطب هو النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و الآیه تدل علی توسعه الخطاب و تعمیمه لسائر المسلمین،و لهذا فإنّ المراد من«السبیل»فی الآیه هو صلاه اللیل،و التی تعتبر سبیل خاصّ و مهمّه تهدی إلی اللّه تعالی،کما ذکرت فی الآیه(۲۶)من سوره الدهر بعد أن أشیر إلی صلاه اللیل بقوله تعالی: وَ مِنَ اللَّیْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَ سَبِّحْهُ لَیْلًا طَوِیلًا .

و یقول بعد فاصله قصیره: إِنَّ هٰذِهِ تَذْکِرَهٌ فَمَنْ شٰاءَ اتَّخَذَ إِلیٰ رَبِّهِ سَبِیلًا

۱- ۱) -«المنفطر»:من الانفطار بمعنی الإنشقاق،و الضمیر(به)یعود للیوم،و المعنی السماء منشقه بسبب ذلک الیوم و السماء جائزه للوجهین أی أنّه تذکر و تؤنث.

و هی بعینها الآیه التی نحن بصدد البحث فیها (۱) .

و بالطبع هذا التّفسیر مناسب،و الأنسب منه أن تکون الآیه ذات مفهوم أوسع حیث تستوعب هذه السوره جمیع مناهج صنع الإنسان و تربیته کما أشرنا إلی ذلک سابقا.

***

ملاحظه

اشاره

المراحل الأربع للعذاب الإلهی

الآیات السابقه تهدد المکذبین المغرورین بأربعه أنواع من العذاب الألیم:

النکال،الجحیم،الطعام ذو الغصّه،و العذاب الألیم،هذه العقوبات فی الحقیقه هی تقع فی مقابل أحوالهم فی هذه الحیاه الدنیا.

فمن جهه کانوا یتمتعون بالحریه المطلقه.

الحیاه المرفهه ثانیا.

لما لهم من الأطعمه السائغه من جهه ثالثه.

و الجهه الرابعه لما لهم من وسائل الراحه،و هکذا سوف یجزون بهذه العقوبات لما قابلوا هذه النعم بالظلم و سلب الحقوق و الکبر و الغرور و الغفله عن اللّه تعالی.

***

۱- ۱) -تفسیر المیزان،ج ۲۰،ص ۱۴۷.

الآیه [سوره المزمل (۷۳): آیه ۲۰]

اشاره

إِنَّ رَبَّکَ یَعْلَمُ أَنَّکَ تَقُومُ أَدْنیٰ مِنْ ثُلُثَیِ اَللَّیْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ وَ طٰائِفَةٌ مِنَ اَلَّذِینَ مَعَکَ وَ اَللّٰهُ یُقَدِّرُ اَللَّیْلَ وَ اَلنَّهٰارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتٰابَ عَلَیْکُمْ فَاقْرَؤُا مٰا تَیَسَّرَ مِنَ اَلْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَیَکُونُ مِنْکُمْ مَرْضیٰ وَ آخَرُونَ یَضْرِبُونَ فِی اَلْأَرْضِ یَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اَللّٰهِ وَ آخَرُونَ یُقٰاتِلُونَ فِی سَبِیلِ اَللّٰهِ فَاقْرَؤُا مٰا تَیَسَّرَ مِنْهُ وَ أَقِیمُوا اَلصَّلاٰةَ وَ آتُوا اَلزَّکاٰةَ وَ أَقْرِضُوا اَللّٰهَ قَرْضاً حَسَناً وَ مٰا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِکُمْ مِنْ خَیْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اَللّٰهِ هُوَ خَیْراً وَ أَعْظَمَ أَجْراً وَ اِسْتَغْفِرُوا اَللّٰهَ إِنَّ اَللّٰهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۲۰)

التّفسیر

اشاره

فاقرؤوا ما تیسر من القرآن:

هذه الآیه هی من أطول آیات هذه السوره و تشتمل علی مسائل کثیره،و هی مکمله لمحتوی الآیات السابقه،و هناک أقوال کثیره للمفسّرین حول ما إذا کانت

هذه الآیه ناسخه لحکم صدر السوره أم لا،و کذلک فی مکّیتها أو مدنیتها،و یتّضح لنا جواب هذه الأسئله بعد تفسیر الآیه.

فیقول تعالی: إِنَّ رَبَّکَ یَعْلَمُ أَنَّکَ تَقُومُ أَدْنیٰ مِنْ ثُلُثَیِ اللَّیْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ وَ طائِفَهٌ مِنَ الَّذِینَ مَعَکَ وَ اللّٰهُ یُقَدِّرُ اللَّیْلَ وَ النَّهارَ (۱) .

الآیه تشیر إلی نفس الحکم الذی أمر به الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی صدر السوره من قیام اللیل و الصلاه فیه، و ما أضیف فی هذه الآیه هو اشتراک المؤمنین فی العباده مع النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم(بصیغه حکم استحبابی أو باحتمال حکم وجوبی لأنّ ظروف صدر الإسلام کانت تتجاوب مع بناء ذواتهم و الاستعداد للتبلیغ و الدفاع عنه بالدروس العقائدیه المقتبسه من القرآن المجید،و کذا بالعمل و الأخلاق و قیام اللیل،و لکن یستفاد من بعض الرّوایات أنّ المؤمنین کانوا قد وقعوا فی إشکالات ضبط الوقت للمده المذکوره(الثلث و النصف و الثلثین)و لذا کانوا یحتاطون فی ذلک،و کان ذلک یستدعی استیقاظهم طول اللیل و القیام حتی تتورم أقدامهم،و لذا بنی هذا الحکم علی التخفیف،فقال: عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتابَ عَلَیْکُمْ فَاقْرَؤُا مٰا تَیَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ .

«لن تحصوه»:من(الإحصاء)و هو عد الشیء،أی علم أنّکم لا تستطیعون إحصاء مقدار اللیل الذی أمرتم بقیامه و الإحاطه بالمقادیر الثلاثه.

و قال البعض:إنّ معنی الآیه أنّکم لا تتمکنون من المداومه علی هذا العمل طیله أیّام السنه،و لا یتیسر لعامّه المکلّفین إحصاء ذلک لاختلاف اللیالی طولا و قصرا،مع وجود الوسائل التی توقظ الإنسان.

و المراد ب فَتابَ عَلَیْکُمْ خفف علیکم التکالیف، و لیس التوبه من الذنب، و یحتمل أنّه فی حال رفع الحکم الوجوبی لا یوجد ذنب من الأساس،و النتیجه

۱- ۱) -یجب الالتفات إلی أنّ(نصفه)و(ثلثه)معطوف علی أدنی و لیس علی(ثلثی اللیل)فیکون المعنی أنّه یعلم أنّک تقوم بعض اللیالی أدنی من ثلثی اللیل أو نصفه أو ثلثه،.کذا الالتفات إلی أن أدنی تقال لما یقرب من الشیء،و هنا إشاره إلی الزمن التقریبی.

تکون مثل المغفره الإلهیه.

و أمّا عن معنی الآیه: فَاقْرَؤُا مَا تَیَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ فقد قیل فی تفسیرها أقوال،فقال بعضهم:إنّها تعنی صلاه اللیل التی تتخللها قراءه الآیات القرآنیه، و قال الآخرون:إنّ المراد منها قراءه القرآن،و إن لم تکن فی أثناء الصلاه،و فسّرها البعض بخمسین آیه،و قیل مائه آیه،و قیل مائتان،و لا دلیل علی ذلک،بل إنّ مفهوم الآیه هو قراءه ما یتمکن علیه الإنسان.

و بدیهی أنّ المراد من قراءه القرآن هو تعلم الدروس لبناء الذات و تقویه الإیمان و التقوی.

ثمّ یبیّن دلیلا آخرا للتخفیف فیضیف تعالی: عَلِمَ أَنْ سَیَکُونُ مِنْکُمْ مَرْضیٰ وَ آخَرُونَ یَضْرِبُونَ فِی الْأَرْضِ یَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللّهِ وَ آخَرُونَ یُقَاتِلُونَ فِی سَبِیلِ اللّهِ ،و هذا تخفیف آخر کما قلنا فی الحکم،و لذا یکرر قوله«فاقرؤوا ما تیسر منه»، و الواضح أنّ المرض و الأسفار و الجهاد فی سبیل اللّه ذکرت بعنوان ثلاثه أمثله للأعذار الموجهه و لا تعنی الحصر،و المعنی هو أنّ اللّه یعلم أنّکم سوف تلاقون،کثیرا من المحن و المشاکل الحیاتیه،و بالتالی تؤدی إلی قطع المنهج الذی أمرتم به،فلذا خفف علیکم الحکم.

و هنا یطرح هذا السؤال،و هو:هل أنّ هذا الحکم ناسخ للحکم الذی ورد فی صدر السوره،أم هو حکم استثنائی؟طاهر الآیات یدل علی النسخ،و فی الحقیقه أنّ الغرض من الحکم الأوّل فی صدر السوره هو إقامه المنهج العبادی،و هذا ما حصل لمدّه معینه ثمّ نسخ بعد ذلک بهذه الآیه،و أصبح أخف من ذی قبل،لأنّ ظاهر الآیه یدل علی وجود معذورین،فلذا خفف الحکم علی الجمیع،و لیس للمعذورین فحسب،و لذا لا یمکن أن یکون حکما استثنائیا بل هو حکم ناسخ.

و یرد سؤال آخر،هو:هل أنّ الحکم المذکور بقراءه ما تیسّر من القرآن واجب أم مستحب؟إنّه مستحب،و احتمل البعض الآخر الوجوب،لأنّ قراءه القرآن تبعث علی معرفه دلائل التوحید،و إرسال الرسل،و واجبات الدین،و علی

هذا الأساس تكون القراءه واجبه.

و لكن يجب الالتفات إلى أنّ الإنسان لا- يلزم بقراءه القرآن ليلا- أثناء صلاه الليل،بل يجب على المكلّف أن يقرأ بمقدار ما يحتاجه للتعليم و التربيه لمعرفه اصول و فروع الإسلام و حفظه و إيصاله إلى الأجيال المقبله،و لا- يختص ذلك بزمان و مكان معينين، و الحقّ هو وجوب القراءه لما فى ظاهر الأمر(فاقرؤا كما هو مبيّن فى اصول الفقه)إلّا أن يقال بقيام الإجماع على عدم الوجوب،فيكون حينها مستحبا،و النتيجه هى وجوب القراءه فى صدر الإسلام لوجود الظروف الخاصّه لذلك،و اعطى التخفيف بالنسبه للمقدار و الحكم،و ظهر الاستحباب بالنسبه للمقدار الميسّر،و لكن صلاه الليل بقيت واجبه على الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم طيله حياته(بقرينه سائر الآيات و الرّوايات).

و نقرأ

فى حديث ورد عن الإمام الباقر عليه السّلام حيث يقول: «...متى يكون النصف و الثلث نسخت هذه الآيه فَاقْرَؤُا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ... و اعلموا أنّه لم يأت نبىّ قط إلّا خلا بصلاه الليل،و لا جاء نبى قط صلاه الليل فى أوّل الليل» (۱) .

و الملاحظ فى الآيه ذكر ثلاثه نماذج من الأعذار،أحدها يتعلق بالجسم (المرض)،و الآخر بالمال(السفر)،و الثالث بالدين(الجهاد فى سبيل اللّه)،و لذا قال البعض:إنّ المستفاد من الآيه هو السعى للعيش بمثابه الجهاد فى سبيل اللّه! و قالوا:إنّ هذه الآيه مدنيّه بدليل سياقها فى وجوب الجهاد،إلّا أنّ الجهاد لم يكن فى مكّه،و لكن بالالتفات إلى قوله: سَيَكُونُ يمكن أن تكون الآيه مخبره على تشريع الجهاد فى المستقبل،أى بسبب ما لديكم من الأعذار و ما سيكون من الأعذار،لم يكن هذا الحكم دائميا،و بهذا الصوره يمكن أن تكون الآيه مكّيه و لا منافاه فى ذلك.

ثمّ يشير إلى أربعه أحكام اخرى،و بهذه الطريقه يكمل البناء الروحى للإنسان فيقول:

۱- ۱) -تفسير نور الثقلين،ج ۵،۴۵۱.

وَ أَقِيمُوا الصَّلاٰهَ وَ آتُوا الزَّكٰاهَ وَ أَقْرِضُوا اللّٰهَ قَرْضاً حَسَناً وَ مٰا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللّٰهِ هُوَ خَيْراً وَ أَعْظَمَ أَجْراً وَ اسْتَغْفِرُوا اللّٰهَ إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

.

هذه الأوامر الأربعه(الصلاه،الزكاه،القروض المستحبه،الاستغفار)مع الأمر بالقراءه و التدبر فی القران الذی ورد من قبل تشكّل بمجموعها منهجا للبناء الروحی،و هذا مهم للغايه بالخصوص لمن كان فی عصر صدر الإسلام.

و المراد من«الصلاه»هنا الصلوات الخمس المفروضه،و المراد من«الزكاه» الزكاه المفروضه و من إقراض اللّه تعالی هو إقراض الناس،و هذه من أعظم العبارات المتصوره فی هذا الباب،فإنّ مالك الملك يستقرض بمن لا يملك لنفسه شيئا،ليرغبهم بهذه الطريقه للإنفاق و الإيثار و اكتساب الفضائل منها و ليتربی و يتكامل بهذه الطريقه.

و ذكر«الاستغفار»فی آخر هذه الأوامر يمكن أن يكون إشاره إلی هذا المعنی و إيّاكم و الغرور إذا ما أنجزتم هذه الطاعات،و بأنّ تتصوروا بأنّ لكم حقّا علی اللّه،بل اعتبروا أنفسكم مقصرين علی الدوام و اعتذروا للّه.

و يری البعض أنّ التأكيد علی هذه الأوامر هو لئلا يتصور المسلّم أنّ التخفيف سار علی جميع المناهج و الأوامر الدينيه كما هو الحال فی التخفيف الذی امر به النّبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم و أصحابه فی قيام و قراءه القرآن،بل إنّ المناهج و الأوامر الدينيه باقيه علی متانتها و قوّتها (۱) .

و قيل إنّ ذكر الزكاه المفروضه فی هذه الآيه هو دليل آخر علی مدنيّه هذه الآيه،لأنّ حكم الزكاه نزل بالمدينه و ليس فی مكّه،و لكن البعض قال:إنّ حكم الزكاه نزل فی مكّه من غير تعيين نصاب و مقدار لها،و الذی فرض بالمدينه تعيين الأنصاب و المقادير.

***

۱- ۱) -تفسير الميزان،ج ۲۰،ص ۱۵۶.

ملاحظات

اشاره

۱-ضروره الاستعداد العقائدی و الثقافی

لغرض إیجاد ثوره واسعه فی جمیع الشؤون الحیاتیه أو إنجاز عمل اجتماعی ذی أهمیه لا بدّ من وجود قوّه عزم بشریه قبل کل شیء،و ذلک مع الإعتقاد الراسخ،و المعرفه الکامله،و التوجیه و الفکری و الثقافی الضروری و التربوی،و التربیه الأخلاقیه،و هذا ما قام به النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی مکّه فی السنوات الاولی للبعثه،بل فی مدّه حیاته صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و لوجود هذا الأساس المتین للبناء أخذ الإسلام بالنمو السریع و الرشد الواسع من جمیع الجهات.

و ما جاء فی هذه السوره هو نموذج حی و منطقی لهذا المنهج المدروس،فقد خلّف القیام لثلثی اللیل أو ثلثه و قراءه القرآن و التمعن فیه أثرا بالغا فی أرواح المؤمنین،و هیأهم لقبول القول الثقیل و السبح الطویل،و تطبیق هذه الأوامر التی هی أشدّ وطأ و أقوم قیلا کما یعبّر عنه القرآن،هی التی أعطتهم هذه الموفقیه، و جهزت هذه المجموعه المؤمنه القلیله،و المستضعفه و المحرومه بحیث أهلتهم لإداره مناطق واسعه من العالم،و إذا ما أردنا نحن المسلمین إعاده هذه العظمه و القدره القدیمه علینا أن نسلک هذا الطریق و هذا المنهج،و لا یجب علینا إزاله حکومه الصهاینه بالاعتماد علی أناس عاجزین و ضعفاء لم یحصلوا علی ثقافه أخلاقیه.

۲-قراءه القرآن و التفکر

یستفاد من الرّوایات الإسلامیه أنّ فضائل قراءه القرآن لیس بکثره القراءه، بل فی حسن القراءه و التدبر و التفکر فیها،و من الطریف أنّ هناک روایه

وردت عن الإمام الرضا علیه السّلام فی تفسیر ذیل الآیه: فَاقْرَؤُا مَا تَیَسَّرَ مِنْهُ رواها عن

جدّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:«ما تیسّر منه لکم فیه خشوع القلب و صفاء السر» (۱) ، لم لا یکون کذلک و الهدف الأساس للقراءه هو التعلیم و التربیه.

و الرّوایات فی هذا المعنی کثیره.

۳-السعی للعیش کالجهاد فی سبیل اللّه

کما عرفنا من الآیه السابقه فإنّ السعی لطلب الرزق جعل مرادفا للجهاد فی سبیل اللّه،و هذا یشیر إلی أنّ الإسلام یعیر أهمیه بالغه لهذا الأمر،و لم لا یکون کذلک فلأمّه الفقیره و الجائعه المحتاجه للأجنبی لا یمکن لها أن تحصل علی الاستقلال و الرفاه،و المعروف أنّ الجهاد الاقتصادی هو قسم من الجهاد مع الأعداء،و قد نقل فی هذا الصدد قول عن الصحابی المشهور عبد اللّه بن مسعود:

«أیما رجل جلب شیئا إلی مدینه من مدائن المسلمین صابرا محتسبا فباعه بسعر یومه کان عند اللّه بمنزله الشهداء»ثمّ قرأ: وَ آخَرُونَ یَضْرِبُونَ فِی الْأَرْضِ (۲) .

اللّهم!وفقنا للجهاد بکلّ أبعاده.

ربّنا!وفقنا لقیام اللیل و قراءه القرآن الکریم و تهذیب أنفسنا بواسطه هذا النور السماوی.

ربّنا!منّ علی مجتمعنا الإسلامی بمقام الرفعه و العظمه بالإلهام من هذه السوره العظیمه.

آمین ربّ العالمین نهایه سوره المزّمل ***

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۳۸۲.

۲- ۲) -مجمع البیان،و تفسیر أبی الفتوح،و تفسیر القرطبی،ذیل الآیه مورد البحث و قد نقل القرطبی حدیثا عن الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یشابه هذه الحدیث،فیستفاد من ذلک أنّ عبد اللّه بن مسعود قد ذکر الحدیث عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و لیس هو من قوله.

سوره المدّثّر

اشاره

مکیه و عدد آیاتها ستّ و خمسون آیه

ص: ۱۵۱

«سوره المدّثّر»

محتوى السوره:

لا شک أنّ هذه السوره هی من السور المکّیه و لکن هناک تساؤل عن أنّ هذه السوره هل هی الاولی النازله علی النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أم نزلت بعد سوره العلق؟ یتّضح من التمعن فی محتوی سوره العلق و المدثر أنّ سوره العلق نزلت فی بدء الدعوه،و أنّ سوره المدثر نزلت فی زمن قد امر النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فیه بالدعوه العلنیه،و انتهاء فتره الدعوه السرّیه،لذا قال البعض أنّ سوره العلق هی أوّل سوره نزلت فی صدر البعثه،و المدثر هی السوره الاولی التی نزلت بعد الدعوه العلنیه، و هذا الجمع هو الصحیح.

و مهما یکن فإنّ سیاق السور المکّیه التی تشیر إلی الدعوه و إلی المبدأ و المعاد و مقارعه الشرک و تهدید المخالفین و إنذارهم بالعذاب الإلهی واضح الوضوح فی هذه السوره.

یدور البحث فی هذه السوره حول سبعه محاور و هی:

۱-یأمر اللّه تعالی رسوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بإعلان الدعوه العلنیه،و یأمر أن ینذر المشرکین،و تمسک بالصبر و الاستقامه فی هذا الطریق و الاستعداد الکامل لخوض هذا الطریق.

۲-تشیر إلی المعاد و أوصاف أهل النّار الذین واجهوا القرآن بالتکذیب و الإعراض عنه.

۳-الإشاره إلی بعض خصوصیات النّار مع إنذار الکافرین.

۴-التأکید علی المعاد بالأقسام المکرره.

۵-ارتباط عاقبه الإنسان بعمله،و نفی کل أنواع التفکر غیر المنطقی فی هذا الإطار.

۶-الإشاره إلی قسم من خصوصیات أهل النّار و أهل الجنّه و عواقبهما.

۷-کیفیه فرار الجهله و المغرورین من الحقّ.

فضیله السوره:

ورد فی حدیث عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: «من قرأ سوره المدثر اعطی من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بمحمّد و کذب به بمکّه» (۱) .

و

ورد فی حدیث آخر عن الإمام الباقر علیه السّلام قال: «من قرأ فی الفریضه سوره المدثر کان حقّا علی اللّه أن یجعله مع محمّد فی درجته،و لا یدرکه فی حیاه الدنیا شقاء أبدا» (۲) و بدیهی أنّ هذه النتائج العظیمه لا تتحقق بمجرّد قراءه الألفاظ فحسب،بل لا بدّ من التمعن فی معانیها و تطبیقها حرفیا.

***

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۳۸۳.

۲- ۲) -المصدر السابق.

الآيات [سوره المدثر (۷۴): الآيات ۱ الى ۱۰]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ يٰا أَيُّهَا اَلْمُدَّثِّرُ (۱) قُمْ فَأَنْذِرْ (۲) وَ رَبَّكَ فَكَبِّرْ (۳) وَ ثِيٰابَكَ فَطَهِّرْ (۴) وَ اَلرُّجْزَ فَاهْجُرْ (۵) وَ لاٰ تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (۶) وَ لِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (۷) فَإِذٰا نُقِرَ فِي اَلنّٰاقُورِ (۸) فَذٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (۹) عَلَى اَلْكٰافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (۱۰)

التّفسير

اشاره

قم و انذر النّاس:

لا شک من أنّ المخاطب فی هذه الآیات هو النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و إن لم یصرح باسمه، و لکن القرائن تشیر إلی ذلک،فیقول أوّلا: يٰا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ فلقد ولی زمن النوم الاستراحه،و حان زمن النهوض و التبلیغ،و ورد التصریح هنا بالإنذار مع أنّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم مبشر و نذیر،لأنّ الإنذار له أثره العمیق فی إیقاظ الأرواح النائمه خصوصا فی بدایه العمل.

و أورد المفسّرون احتمالات کثیره عن سبب تدثره صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و دعوته إلی القیام و النهوض.

۱-اجتمع المشرکون من قریش فی موسم الحج و تشاور الرؤساء منهم

كأبی جهل و أبی سفیان و الولید بن المغیره و النضر بن الحارث و غیرهم فی ما یجیبون به عن أسئله القادمین من خارج مکّه و هم یناقشون أمر النّبی الذی قد ظهر بمکّه،و فکروا فی و أن یسمّی کلّ واحد منهم النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم باسم،لیصدوا الناس عنه،لکنّهم رأوا فی ذلک فساد الأمر لتشتت أقوالهم،فاتفقوا فی أن یسمّوه ساحرا،لأنّ أحد آثار السحره الظاهره هی التفریق بین الحبیب و حبیبه،و کانت دعوه النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قد أثّرت هذا الأثر بین الناس!فبلغ ذلک النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فتأثر و اغتم لذلک،فأمر بالدثار و تدثر،فأتاه جبرئیل بهذه الآیات و دعاه إلی النهوض و مقابله الأعداء.

۲-إنّ هذه الآیات هی الآیات الأولی التی نزلت علی النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لما

نقله جابر بن عبد اللّه قال: جاوزت بحراء فلمّا قضیت جواری نودیت یا محمّد،أنت رسول اللّه،فنظرت عن یمینی فلم أر شیئا،و نظرت عن شمالی فلم أر شیئا، و نظرت خلفی فلم أر شیئا،فرفعت رأسی فإذا الملک الذی جاءنی بحراء جالس علی کرسی بین السماء و الأرض،فملئت منه رعبا،فرجعت إلی خدیجه و قلت:

«دثرونی دثرونی،و اسکبوا علیّ الماء البارد»،فنزل جبرئیل بسوره:یا أَیُّهَا الْمُدَّثِّرُ .

و لکن بلحاظ أن آیات هذه السوره نظرت للدعوه العلنیه،فمن المؤکّد أنّها نزلت بعد ثلاث سنوات من الدعوه الخفیه،و هذا لا ینسجم و الرویه المذکوره،إلّا أن یقال بأنّ بعض الآیات التی فی صدر السوره قد نزلت فی بدء الدعوه،و الآیات الأخری مرتبطه بالسنوات التی تلت الدعوه.

۳-إنّ النّبی کان نائما و هو متدثر بثیابه فنزل علیه جبرائیل علیه السّلام موقظا إیّاه، ثمّ قرأ علیه الآیات أن قم و اترک النوم و استعد لإبلاغ الرساله.

۴-لیس المراد بالتدثر التدثر بالثیاب الظاهریه،بل تلبسه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بالنبوّه و الرساله کما قیل فی لباس التقوی.

۵-المراد به اعتزاله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و انزواؤه و استعد لإنذار الخلق و هدایه العباد (۱) و المعنی الأوّل هو الأنسب ظاهرا.

و من الملاحظ أنّ جمله(فانذر)لم یتعین فیها الموضوع الذی ینذر فیه، و هذا یدل علی العمومیه،یعنی إنذار الناس من الشرک و عباده الأصنام و الکفر و الظلم و الفساد،و حول العذاب الإلهی و الحساب المحشر...إلخ(و یصطلح علی ذلک بأن حذف المتعلق یدل علی العموم).و یشمل ضمن ذلک العذاب الدنیوی و العذاب الاخروی و النتائج السیئه لأعمال الإنسان التی سیبتلی بها فی المستقبل.

ثم یعطی للنّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم خمسه أوامر مهمّه بعد الدعوه إلی القیام و الإنذار،تعتبر منهاجا یحتذی به الآخرون،و الأمر الأوّل هو فی التوحید،فیقول: وَ رَبَّکَ فَکَبِّرْ (۲) .

ذلک الربّ الذی هو مالکک مربیک،و جمیع ما عندک فمنه تعالی،فعلیک أن تضع غیره فی زاویه النسیان و تشجب علی کلّ الآلهه المصطنعه،و امح کلّ آثار الشرک و عباده الأصنام.

ذکر کلمه(ربّ)و تقدیمها علی(کبّر)الذی هو یدل علی الحصر،فلیس المراد من جمله«فکبر»هو(اللّه أکبر)فقط،مع أنّ هذا القول هو من مصادیق التکبیر کما ورد من الرّوایات،بل المراد منه أنسب ربّک إلی الکبریاء و العظمه اعتقادا و عملا،قولا فعلا و هو تنزیهه تعالی من کلّ نقص و عیب،و وصفه

۱- ۱) -أورد الفخر الرازی هذه التفاسیر الخمسه بالإضافه إلی احتمالات أخری فی تفسیره الکبیر،و اقتبس منه البعض الآخر من المفسّرین(تفسیر الفخر الرازی،ج ۳۰،ص ۱۸۹-۱۹۰).

۲- ۲) -الفاء من(فکبر)زائده للتأکید بقول البعض،و قیل لمعنی الشرط،و المعنی هو:لا تدع التکبیر عند کلّ حادثه تقع،(یتعلق هذا القول بالآیات الاخری الآتیه أیضا).

بأوصاف الجمال،بل هو أكبر من أن يوصف،و لذا ورد فى الرّوايات عن أئمّه أهل البيت عليهم السّلام فى معنى اللّه أكبر:

«اللّه أكبر من أن يوصف»، و لذا فإنّ التكبير له مفهوم أوسع من التسبيح الذى هو تنزيهه من كل عيب و نقص.

ثمّ صدر الأمر الثّانى بعد مسأله التوحيد،و يدور حول الطهاره من الدنس فيضيف: وَ ثِيابَكَ فَطَهِّرْ ،التعبير بالثوب قد يكون كنايه عن عمل الإنسان،لأنّ عمل الإنسان بمنزله لباسه،و ظاهره مبين لباطنه،و قيل المراد منه القلب و الروح، أى طهر قلبك و روحك من كلّ الأدران،فإذا وجب تطهير الثوب فصاحبه اولى بالتطهير.

و قيل هو اللباس الظاهر،لأنّ نظافه اللباس دليل على حسن التربيه و الثقافه، خصوصا فى عصر الجاهليه حيث كان الاجتناب من النجاسه قليلا و إن ملابسهم وسخه غالبا،و كان الشائع عندهم تطويل أطراف الملابس(كما هو شائع فى هذا العصر أيضا)بحيث كان يسحل على الأرض،و ما

ورد عن الإمام الصّادق عليه السّلام فى معنى أنّه: «ثيابك فقصر» (۱) ، ناظر إلى هذا المعنى.

و قيل المراد بها الأزواج لقوله تعالى: هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ (۲) ، و الجمع بين هذه المعانى ممكن،و الحقيقه أنّ الآيه تشير إلى أنّ القاده الإلهيين يمكنهم إبلاغ الرساله عند طهاره جوانبهم من الأدران و سلامه تقواهم،و لذا يستتبع أمر إبلاغ الرساله و لقيام بها أمر آخر،هو النقاء و الطهاره.

و يبيّن تعالى الأمر الثّالث بقوله: وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ المفهوم الواسع للرجز كان سببا لأن تذكر فى تفسيره أقوال مختلفه،فقيل:هو الأصنام،و قيل:المعاصى، و قيل:الأخلاق الرّذيله الذميمه،و قيل:حبّ الدنيا الذى هو رأس كلّ خطيئه، و قيل هو العذاب الإلهى النازل بسبب الترك و المعصيه،و قيل:كل ما يلهى

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۳۸۵.

۲- ۲) -البقره،۱۸۷.

عن ذكر اللّه.

و الأصل أنّ معنى«الرجز»يطلق على الاضطراب و التزلزل (۱) ثمّ اطلق على كل أنواع الشرك،عباده الأصنام،و الوساوس الشيطانيه و الأخلاق الذميمه و العذاب الإلهى التى تسبب اضطراب الإنسان،فسّره البعض بالعذاب (۲) ،و قد اطلق على الشرك و المعصيه و الأخلاق السيئه و حبّ الدّنيا تجلبه من العذاب.

و ما تجدر الإشاره إليه أنّ القرآن الكريم غالبا ما استعمل لفظ«الرجز» بمعنى العذاب (۳) ،و يعتقد البعض أنّ كلمتى الرجز و الرجس مرادفان (۴) .

و هذه المعانى الثلاثه،و إن كانت متفاوته،و لكنّها مرتبطه بعضها بالآخر، و بالتالى فإنّ للآيه مفهوما جامعا،و هو الانحراف و العمل السيء،و تشمل الأعمال التى لا ترضى اللّه عزّ و جلّ،و الباعثه على سخر اللّه فى الدنيا و الآخره، و من المؤكّد أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قد هجر و اتقى ذلك حتى قبل البعثه،و تاريخه الذى يعترف به العدو و الصديق شاهد على ذلك،و قد جاء هذا الأمر هنا ليكون العنوان الأساس فى مسير الدعوه إلى اللّه،و ليكون للناس أسوه حسنه.

و يقول تعالى فى الأمر الرّابع: وَ لا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ .

هنا التعلق محذوف أيضا، و يدل على سعه المفهوم كليته،و يشمل المنّه على اللّه و الخلائق،أى فلا تمنن على اللّه بسعيك و اجتهادك،لأنّ اللّه تعالى هو الذى منّ عليك بهذا المقام المنيع.

و لا تستكثر عبادتك و طاعتك و أعمالك الصالحه،بل عليك أن تعتبر نفسك مقصرا و قاصرا،و استعظم ما وفقت إليه من العباده.

۱- ۱) -مفردات الراغب.

۲- ۲) -الميزان،فى ظلال القرآن.

۳- ۳) -راجع الآيات،۱۳۴-۱۳۵ من سوره الأعراف،و الآيه ۵ من سوره سبأ،و الآيه ۱۱ من سوره الجاثيه،و الآيه ۵۹ من سوره البقره،و الآيه ۱۶۲ من سوره الأعراف،و الآيه ۳۴ من سوره العنكبوت.

۴- ۴) -و ذكر ذلك فى تفسير الفخر الرازى بصوره احتمال،ج ۳۰،ص ۱۹۳.

و بعباره أخرى:لا تمنن على اللّه بقيامك بالإنذار و دعوتك إلى التوحيد و تعظيمك للّه و تطهيرك ثيابك و هجرك الرجز،و لا تستعظم كل ذلك،بل أعلم أنّه لو قدمت خدمه للناس سواء فى الجوانب المعنويه كالإرشاد و الهدايه،أم فى الجوانب الماديه كالإنفاق و العطاء فلا ينبغى أن تقدمها مقابل منّه،أو توقع عوض أكبر ممّا أعطيت،لأنّ المنّه تحبط الأعمال الصالحه: يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تُبْطِلُوا صَدَقٰاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذىٰ (۱) .

«لا تمنن»من ماده«المنّه»و تعنى فى هذه الموارد الحديث عن تبيان أهميه النعم المعطاه للغير،و هنا يتّضح لنا العلاقه بينه و بين الاستكثار،لأنّ من يستصغر عمله لا ينتظر المكافأه،فكيف إذن بالاستكثار،فإنّ الامتنان يؤدى دائما إلى الاستكثار،و هذا ممّا يزيل قيمه النعم، و ما جاء من الرّوايات يشير لهذا المعنى:

«لا تعط تلتمس أكثر منها» (۲) كما

جاء فى حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السّلام فى تفسير الآيه: «لا تستكثر ما عملت من خير للّه» (۳) و هذا فرع من ذلك المفهوم.

و يشير فى الآيه الأخرى إلى الأمر الأخير فى هذا المجال فيقول: وَ لِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ،و نواجه هنا مفهوما واسعا عن الصبر الذى يشمل كلّ شىء،أى اصبر فى طريق أداء الرساله،و اصبر على أذى المشركين الجهلاء،و استقم فى طريق عبوديه اللّه و طاعته،و اصبر فى جهاد النفس و ميدان الحرب مع الأعداء.

و من المؤكّد أنّ الصبر هو ضمان لإجراء المناهج السابقه،و المعروف أنّ الصبر هو الثروه الحقيقيه لطريق الإبلاغ و الهدايه،و هذا ما اعتمده القرآن الكريم

۱- ۱) -البقره،۲۶۴.

۲- ۲) -نور الثقلين،ج ۵،ص ۴۵۴،و تفسير البرهان،ج ۴،ص ۴۰۰.

۳- ۳) -المصدر السابق.

کرارا،و لهذا نقرأ

فی حدیث أمیر المؤمنین علیه السّلام: «اصبر من الإیمان کالرأس من الجسد» (۱) ، و لقد کان الصبر و الاعتدال أحد الأصول المهمّه لمناهج الأنبیاء و المؤمنین. و کلما ازدادت علیهم المحن ازداد صبرهم.

ورد فی حدیث عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنّه قال حول أجر الصابرین: «قال اللّه تعالی:

إذا وجهت إلی عبد من عبیدی مصیبه فی بدنه أو ماله أو ولده،ثمّ استقبل ذلک بصبر جمیل استحییت منه یوم القیامه أن أنصب له میزانا أو أنشر له دیوانا».

ثمّ أنّ الآیات الشریفه و فی تعقیب لأمر ورد فی الآیات السابقه فی إطار القیام و إنذار المشرکین،توکّد مرّه اخری علی الإنذار و التحذیر،فیقول تعالی:

فَإِذا نُقِرَ فِی النّاقُورِ فَذلِکَ یَوْمَئِذٍ یَوْمٌ عَسِیرٌ عَلَی الْکافِرِینَ غَیْرُ یَسِیرٍ

.

وردت احتمالات متعدده فی ترکیب هذه الجمله،أفضلها ما جاء فی کتاب (البیان فی غریب إعراب القرآن)و الذی یقول:(ذلک مبتدأ و یومئذ بدل و یوم عسیر خبره)،و الملاحظ أنّ(ناقور)هی فی الأصل من نقر،و یعنی الدق المؤدی إلی الإثقاب و منها سمّی المنقار،و هو ما تمتلکه الطیور لدق الأشیاء و ثقبها، و لذلک یطلق اسم النّاقور علی مزمار الذی یخرق صوته اذن الإنسان و ینفذ إلی دماغه.

و یستفاد من الآیات القرآنیه أنّ فی نهایه الدنیا و بدء المعاد بنفخ فی الصور مرّتین،أی أن له صوتین موحشین و مرعبین یملآن مسامع العالم بأسره،أوّلهما صوت الموت،و الثّانی صوت الیقظه و الحیاه،و یعبر عنهما(نفخه الصور الاولی) و(نفخه الصور الثّانیه)و هذا الآیه تشیر إلی نفخه الصور الثّانیه،و التی یکون معها

۱- ۱) -نهج البلاغه،الکلمات القصار،۸۲.

یوم البعث و هو یوم صعب و ثقیل علی الکفّار،و لقد کان لنا بحث مفصل حول الصور و نفخه الصور فی ذیل الآیه(۶۸)من سوره الزمر.

علی کل حال فإنّ الآیات المذکوره أعلاه تشیر إلی حقیقه أنّ مشاکل الکفّار تظهر الواحده بعد الأخری فی یوم نفخه البعث،و هو یوم ألیم و مفجع،و یرکّع أقوی الناس.

***

ص :۱۶۲

الآيات [سوره المدثر (۷۴): الآيات ۱۱ الى ۱۷]

اشاره

ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً (۱۱) وَ جَعَلْتُ لَهُ مالاً مَمْدُوداً (۱۲) وَ بَنِينَ شُهُوداً (۱۳) وَ مَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً (۱۴) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (۱۵) كَلاّ إِنَّهُ كانَ لِآياتِنا عَنِيداً (۱۶) سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً (۱۷)

سبب النّزول

اشاره

ذكر سببان هذه الآيات،هما:

۱-اجتمعت قريش فى دار الندوه فالتفت الوليد بن المغيره إليهم،و كان الوليد شيخا كبيرا مجربا من دهاه العرب،و قال:وحدوا قولكم،فإنّ العرب يأتونكم من كل صوب و يسألونكم عمّا خفى عنهم لما عندكم من المنزله الساميه،ثمّ قال:ماذا تقولون فى الرجل-و كان يعنى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-قالوا:

شاعر.فقبض الوليد وجهه،و قال إنّنا سمعنا الشعر و ما هو شعر،قالوا:كاهن،قال:

هل يصدر منه كلام الكهنه عند استماعكم إليه؟هل يتحدث عن الغيب؟قالوا:

مجنون.قال:لا يظهر عليه أثر الجنون.قالوا:ساحر:قال:كيف؟قالوا:يفرق بين الحبيب و حبيبه،فقال:بلى-لافتراق من كان يسلّم عن جماعته،فتفرّقوا و صاروا يمرون برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ينادونه يا ساحر يا ساحر، فسمع النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ذلك

و اغتم لهذا الأمر،فنزلت بالآيات المذكوره فی صدر السوره حتی الآیه(۲۵) لمواساه الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

و قیل:لما نزلت علیه: حم تَنْزِیلُ الْکِتابِ مِنَ اللّهِ الْعَزِیزِ الْعَلِیمِ غافِرِ الذَّنْبِ وَ قابِلِ التَّوْبِ شَدِیدِ الْعِقابِ قام إلی المسجد و الولید بن المغیره قریب منه یسمع قراءته،فلما فطن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لاستماعه لقراءته أعاد قراءه الآیه، فانطلق الولید حتی أتی مجلس قومه مخزوم،فقال:و اللّه،لقد سمعت من محمّد آنفا کلاما ما هو من کلام الإنس،و لا من کلام الجن،و إنّ له لحلاوه و إنّ علیه لطلاوه،و إنّ أعلاه لمثمر و أنّ أسفله لمغدق،و إنّه لیعلو و ما یعلی،ثمّ انصرف إلی منزله.

فقالت قریش:صبا-و اللّه-الولید،و اللّه لتصبأنّ قریش کلّها،و کان یقال للولید ریحانه قریش،فقال أبو جهل:أنا أکفیکموه،فانطلق فقعد إلی جانب الولید حزینا،فقال له الولید:ما أراک حزینا یا ابن أخی،قال:هذه قریش یعیبونک علی کبر سنّک،و یزعمون أنّک مدحت کلام محمّد فقام مع أبی جهل حتی أتی مجلس قومه،فقال:أ تزعمون أنّ محمّدا مجنون،فهل رأیتموه یخنق قط؟فقالوا:اللّهمّ لا.

قال:أ تزعمون أنّه کاهن،فهل رأیتم علیه شیئا من ذلک؟قالوا:اللّهم لا.

قال:أ تزعمون أنّه شاعر،فهل رأیتموه أنّه ینطق بشعر قط؟قالوا:اللّهمّ لا.

قال:أ تزعمون أنّه کذّاب،فهل جربتم علی شیئا من الکذب؟قالوا:اللّهمّ لا، و کان یسمی الصادق الأمین قبل النبوّه من صدقه،فقالت قریش للولید:فما هو؟! فتفکر فی نفسه،ثمّ نظر و عبس،فقال:ما هو إلّا ساحر،ما رأیتموه یفرق بین الرجل و أهله و ولده و مواله فهو ساحر و ما یقوله سحر یؤثر (۱) .

***

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۳۸۶؛نقل المفسّرون سبب النزول هذا مع الاختلاف البسیط کالقرطبی و المراغی و الفخر الرازی فی ظلال القرآن و المیزان و غیر ذلک.

التّفسير

اشاره

الوليد بن المغيره...الثرى المغرور:

تواصل هذه الآيات إنذار الكفّار و المشركين كما فى الآيات السابقه مع فارق،و هو أنّ الآيات السابقه كانت تنذر الكافرين بشكل عام،و هذه تنذر أفرادا معينين بتعابير قويه و بليغه بأشدّ الإنذارات، فيقول تعالى: ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً و الآيات الآتيه نزلت فى الوليد بن المغيره كما قلنا،و هو من أقطاب قريش المشهورين و(وحيدا)يمكن أن يكون وصفا للخالق جلّ شأنه،و يمكن أن يكون للمخلوق،و هناك احتمالان للمعنى الأوّل للوحيد.

الأوّل:ذرنى وحيدا مع هذا الكافر لاعذّبه عذابا شديدا.

و الآخر:دعنى و من خلقته حال كونى وحيدا لا يشاركنى فى خلقه أحد،ثمّ دبّرت أمره أحسن التدبير،و لا تحلّ بينى و بينه لكونه منكرا لنعمائى.

و أمّا المعنى الثّانى فهناك احتمالات أيضا،فقد يكون المعنى:دعنى و من خلقته حال كونه وحيدا فى بطن امّه و عند ولادته لا أموال عنده و لا أولاد،ثمّ وهبته من نعمائى.

أو أنّه سمّى نفسه بذلك كما فى المقوله المشهوره:«أنا الوحيد ابن الوحيد، ليس لى فى العرب نظير،و لا لأبى نظير (۱) »!و ذكر المعنى فى الآيه استهزاء بقوله و أحسن الوجوه الأربعه أوّلها.

ثمّ يضيف تعالى: وَ جَعَلْتُ لَهُ مالاً مَمْدُوداً .

«الممدود»:يعنى فى الأصل المبسوط،و يشير إلى كثره أمواله و حجمها.

و قيل:إنّ أمواله بلغت حدّا من الكثره بحيث ملك الإبل و الخيول و الأراضى الشاسعه ما بين مكّه و الطائف،و قيل إنّه يملك ضياع و مزارع دائمه الحصاد،و له

۱- ۱) -تفسير ذيل الآيات المذكوره للفخر الرازى،و الكشاف و المراغى و القرطبى،و يستفاد من بين الرّوايات الوارده فى معنى الوحيد أنّه ولد الزنا الذى ليس له أب،و لا قرينه للرّوايه فى تفسير الآيه و ليس لمعنى الروايه تناسب مع الآيه.

مائه ألف دينار ذهب،و كل هذه المعانى تجتمع فى كلمه«الممدود».

ثمّ أشار تعالى إلى قوته فى قوله: وَ بَنِينَ شُهُوداً .

إذا كانوا يعينونه على حياته،و حضورهم إنس و راحه له،و ما كانوا مضطرين لأن يضربوا فى الأرض طلبا للعيش،و يتركوا أباهم وحيدا،إذ كان له عشره بنين كما فى الرّوايات.

ثمّ يستطرد بذكر النعم التى وهبها له،يقول تعالى: وَ مَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً و لم يهبه ما ينفع من المال و الأولاد فحسب،بل أغدق عليه ما يريد من جاء و قوّه.

«التمهيد»:من(المهد)و هو ما يستخدم لنوم الطفل، و يطلق على ما يتهيأ من وسائل الراحه و المقام و انتظام الأمور.و فى المجموع له معان واسعه تشمل المواهب الحياتيه و الوسائل الحديثه و التوفيق.

و لكنّه كفر بما أنعم اللّه عليه و هو بذلك يريد المزيد: ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ، و ليس هذا منحصرا بالوليد،بل إنّ عبيد الدنيا على هذه الشاكله أيضا،فلن يروى عطشهم مطلقا،و لو أعطوا الأقاليم السبعه لما اكتفوا بذلك.

و الآيه الأخرى تردع الوليد بشدّه،يقول تعالى: كَلَّا إِنَّهُ كانَ لِآياتِنا عَنِيداً و مع أنّه كان يعلم أنّ هذا القرآن ليس من كلام الجن أو الإنس،بل متجذر فى الفطره،و له جاذبيه خاصّه و أغصان مثمره.فكان يعاند و يعتبر ذلك سحرا و مظهره ساحرا.

«العنيد»:من(العناد)و قيل هو المخالفه و العناد مع المعرفه،أى أنّه يعلم بأحقّيه الشىء ثمّ يخالفه عنادا،و الوليد مصداق واضح لهذا المعنى.

و التعبير ب(كان)يشير إلى مخالفته المستمره و الدائمه.

و أشار فى آخر آيه إلى مصيره المؤلم بعبارات قصيره و غنيه فى المعنى، فيقول تعالى: سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً .

«سأرهقه»:من(الإرهاف)و هو غشيان الشىء بالعنف،و تعنى أيضا فرض

العقوبات الصعبه،جاء بمعنى الابتلاء بأنواع العذاب،و الصعود،إشاره إلى ما سيناله من سوء العذاب،و يستعمل فى العمل الشاق،إذا يشق صعود الجبل،و لذا فسّر البعض ذلك بالعذاب الإلهى،و قيل هو جبل فى النار يصعد فيه الكافر عنفا ثمّ يهوى،و هو كذلك فيه أبدا.

و يحتمل أن يراد به العذاب الدنيوى للوليد بن المغيره،فقد ذكر التاريخ عنه أنّه بلغ ذروه الجاه و الرفاه فى حياته،ثمّ عاقبه اللّه تعالى بنقصان ماله و ولده حتى هلك (۱) .

***

۱- ۱) -تفسير المراغى،ج ۲۹،ص ۱۳۱.

الآيات [سوره المدثر (۷۴): الآيات ۱۸ الى ۲۵]

اشاره

إِنَّهُ فَكَّرَ وَ قَدَّرَ (۱۸) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (۱۹) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (۲۰) ثُمَّ نَظَرَ (۲۱) ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ (۲۲) ثُمَّ أَدْبَرَ وَ اِسْتَكْبَرَ (۲۳) فَقالَ إِنْ هٰذا إِلاّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ (۲۴) إِنْ هٰذا إِلاّ قَوْلُ اَلْبَشَرِ (۲۵)

التّفسير

فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ

فى هذه الآيات توضيحات كثيره عمّن أعطاه اللّه المال و البنين و خالف بذلك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،أى الوليد بن المغيره،يقول تعالى: إِنَّهُ فَكَّرَ وَ قَدَّرَ .

لا بأس بالتفكير،و هو حسن،و لكن يشترط أن يكون فى طريق الحق، و تفكر ساعه أفضل من عباده أو عمر بكامله،لما يمكن أن يتغير مصير الإنسان فيها،و أمّا إذا كان التفكر فى طريق الكفر و الفساد فهو مذموم،و تفكر«الوليد»كان من هذه النوع.

«قدّر»:من التقدير،و هو التهيؤ لنظم أمر فى الذهن و التصميم على تطبيقه، ثمّ يضيف فى مذمته: فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ بعدئذ يؤكّد ذلك فيضيف: ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ و هذا إشاره لما قيل فى سبب النّزول حيث كان يرى توحيد الأقوال فيما

يقذف به الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و عند ما سمّوه بالشاعر لم يقبل بذلك،فقالوا:كاهن فلم يقبل،قالوا:مجنون فرفض،فقالوا:ساحر،قال:بلى،و ذلك لمخالفتهم فكره السحر الذى كان يفرق بين المرء و أهله،أو يجمع الواحد و الآخر،و إنّما ظهر ذلك فى عصر الإسلام،قد عبّر القرآن عن هذه الحاله التى حدثت عند الوليد بتعبير مختصر و بليغ لمطالعته للأمر و تفكره،ثمّ تقديره لذلك و إن كان أصل الاقتراح من قريش،و على كل حال فإنّ تكرار المعنى فى الآيتين دليل على دهاء الوليد فى تفكره الشيطانى،و لذا كانت شدّه تفكره سببا للتعجب.

بعدئذ يضيف اللّه تعالى: ثُمَّ نَظَرَ ،أى نظر بعد التفكر و التقدير نظره من يريد أن يقضى فى أمر مهمّ ليطمئن من استحكامه و انسجامه: ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَ اسْتَكْبَرَ، فَقالَ إِنْ هٰذا إِلاّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ، إِنْ هٰذا إِلاّ قَوْلُ الْبَشَرِ ،بهذه الأقوال يظهره عداءه للقرآن المجيد،و ذلك بعد تفكره الشيطانى،و بقوله هذا صار يمدح القرآن من حيث لا يدرى،و إذا أشار إلى جاذبيه القرآن الخارقه و تسخيره للقلوب،و سحر القرآن الذى يسحر القلوب كما فى قولته،و ما كان للقرآن من شبه بسحر الساحرين،بل إنّه كلام منطقى و موزون،و هذا هو دليل على نزول الوحى به،و ليس هو بكلام البشر،بل صدر من عالم ما وراء الطبيعه من علم اللّه اللامتناهى،الذى جمع فى انسجامه و استحكامه كلّ المحاسن.

«عبس»:يعبس عبوسا،و العبوس الذى يقبض وجهه.

«بسر»:من(البسور)و تعنى أحيانا العجله فى إتمام العمل الذى لو يحن حان وقته،و أحيانا بمعنى قبض الوجه و تغيره،و المعنى الثّانى يناسب العبس، و على المعنى الأوّل يكون إشاره إلى اتّخاذ القرار العاجل فى الصاق ما لا يليق بالقرآن المجيد.

«يؤثر»:من(الأثر)،و هو ما يروى عن الماضين ممّا بقى من الآثار،و قيل من «الإيثار»بمعنى الترجيح و التقديم.

و ممّا يؤيد المعنى الأوّل أنّ الوليد يقول:إنّه سحر يروى و يتعلم من السحره.

و على المعنى الثّانى فإنّه يقول:سحر تؤثر حلاوته فى قلوب الناس و بالتالى فإنّ الناس يرجحونه على غيره.

على كلّ حال هو إقرار ضمنى بإعجاز القرآن.و ليس للقرآن أى علاقه و تشبيه بأعمال السحره،فهو كلام رصين عميق المعانى و جذاب لا نظير له كما يقول الوليد،فإنّه ليس من كلام البشر،و إن كان كذلك لكانوا قد أتوا بمثله،و هذا ما دعا إليه القرآن كرارا،فلم يستطع أحد من بلغاء العرب أن يأتى بمثله،بل سوره من مثله،و هذه هى معجزه.

***

الآيات [سوره المدثر (۷۴): الآيات ۲۶ الى ۳۰]

اشاره

سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (۲۶) وَ ما أَدْراكَ ما سَقَرُ (۲۷) لا تُبْقِي وَ لا تَذَرُ (۲۸) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (۲۹) عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ (۳۰)

التّفسير

اشاره

المصير المشؤوم:

فى هذه الآيات بيان للعقوبات المؤلمه لمن أنكر القرآن و الرساله،و كذب النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو ما أشارت إليه الآيات السابقه فيقول اللّه تعالى: سَأُصْلِيهِ سَقَرَ .

«سقر»:فى الأصل من«سقر»على وزن فقر،بمعنى التغير و الذوبان من أثر حراره الشمس،هو من أحد أسماء جهنم،كثير ما ذكر فى القرآن،و اختيار هذا الاسم يشير إلى العذاب المهول لجهنّم الذى يلتهم أهلها،و قيل هى درك من دركاتها المهوله،ثمّ يبيّن عظمه و شدّه عذاب النّار فيقول: وَ ما أَدْراكَ ما سَقَرُ .

أى إنّ العذاب يكون شديدا إلى حدّ يخرج عن دائره التصور،و لا يخطر على بال أحد،كما هو الحال فى عدم إدراك عظمه النعم الإلهيه فى الجنان.

لا تُبْقِي وَ لا تَذَرُ

.

قد تكون هذه الآيه إشاره إلى أنّ نار جهنّم بخلاف نار الدنيا التى ربّما تركت

بعض ما ألقى فيها و لم تحرقه،و إذا نالت إنسانا مثلا نالت جسمه و صفاته الجسميه و تبقى روحه و صفاته الروحيه فى أمان منها،و أمّا«سقر»فلا تدع أحدا ممن ألقى فيها إلّا نالته و احتوته بجميع وجوده،فهى نار شامله تستوعب جميع من القى فيها،و قيل:إنّ المعنى لا يموتون فيها و لا يحيون،أى يبقون بين الموت و الحياه،كما جاء فى الآيه(١٣)من سوره الأعلى: لا يَمُوتُ فِيهَا وَ لا يَحْيى .

أو أنّها لا تبقى على جسد شيئا من العظام أو اللحم،فيتّضح أنّ مفهوم الآيه أنّها لا تحرقهم تماما،لأنّ هذا المعنى لا يتفق و الآيه(٥۶)من سوره النساء حيث يقول تعالى: كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ثمّ ينتقل إلى بيان وصف آخر للنّار المحرقه فيضيف: لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (١) .

إنّها تجعل الوجه مظلما أسود أشدّ سوادا من الليل.

«بشر»:جمع بشره،و تعنى الجلد الظاهر للجسد.

«لوّاحه»:من ماده(لوح)و تعنى أحيانا الظاهر،و أحيانا بمعنى التغيير، و يكون المعنى بمقتضى التّفسير الأوّل:(أنّ جهنم ظاهره للعيان).

كما جاء فى الآيه(٣۶)من سوره النّازعات: وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى و بمقتضى التّفسير الثّانى يكون المعنى:أنّها تغير لون الجلود.

و فى آخر آيه من آيات مورد البحث يقول تعالى: عَلَيْهَا تِسْعَهَ عَشَرَ . (٢)

إنّهم ليسوا مأمورين بالرحم و الشفقه،بل إنّهم مأمورين بالعذاب و الغلظه، و أمّا الآيه الأخرى التى تليها فإنّها تشير إلى أنّ هذا العدد هم ملائكه العذاب، و قيل إنّها تشير إلى تسع عشره مجموعه من الملائكه،و ليس تسعه عشر نفرا، و دليل ذلك قوله تعالى: وَ مَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلّا هُوَ .

١- ١) -لواحه:خبر مبتدأ محذوفه تقديره(هى لواحه).

٢- ٢) -(عليها)خبر مقدم،و تسعه عشر مبتدأ مؤخر،و هى مبنيه على الفتح،و لذا لم ترفع فى الظاهر،و قيل إنّ سببه يتضمّن معنى واو العاطفه.

و أمّا عن سبب اختيار هذا العدد من ملائكه العذاب،فلا يدرى أحد عن ذلك شيئا،و لكن احتمل البعض أنّ المراد من ذلك هو لكون أكبر عدد للأحاد و أقل عدد للعشرات،و قيل لكون اصول الأخلاق الرذيله ترجع إلى ۱۹ أصل ظاهره و باطنه، فلذا تكون كلّ رذيله من الرّذائل عاملا للعذاب الإلهى،و إنّ طبقات جهنّم هى تسع عشره طبقه أى بعددها،و لكل طبقه ملك أو مجموعه من الملائكه مأمورين بالعذاب.

و من المؤكّد أنّ الأمور المرابطه بالقيامه و الجنان و الجحيم،و جزئياتها و خصوصياتها غير واضحه لدنيا تمام الوضوح،و نحن نعيش فى هذا المحيط المحدود،و الذى نعرفه إنّما يتعلق بكلياتها،لذا نجد فى الرّوايات أنّ لهذه الملائكه قدرات عظيمه بحيث يمكن لكل ملك أت يقذف قبيله كبيره فى جهنّم بسهوله،و من هنا يتّضح ضعف و عجز أفكار أناس من قبيل أبى جهل،إذ أنّه لما سمع بالآيه جاء مستهزئا إلى قريش،و قال:ثكلتكم أمهاتكم ألم تسمعوا ما يقوله ابن أبى كبشه(يعنى بذلك النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) (۱) يقول إنّ خزنه النّار تسعه عشر و أنتم الدّهم أ يعجز كل عشره منكم أن يبطشوا برجل منهم؟! فقال أبو الأسد الجمحى و كان شديد البطش:أنا أكفيكم سبعه شعر فاكفونى أنتم اثنين (۲) لقد أراد السفهاء أن يطفئوا بهذه السخريه نور الحق،و أن يتخلصوا بذلك من الفناء المحتم.

. ***

۱- ۱) -قال البعض فى علّه تسميه قريش النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بهذا الاسم،فقد قيل لوجود رجل يدعى أبو كبشه،و هو من خزاعه قد تنحى عن عباده الأصنام فى عصر الجاهليه،و كان النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حينئذ يعارض عباده الأصنام بشدّه فنسبوا الرّسول الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى أبى كبشه،و قيل إنّ أبى كبشه أحد أجداد امّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لكن على كلّ حال لا شك فى أنّهم أرادوا بذلك السخريه لأنّ الكبش فى لغه العرب تستخدم فى المدح و يسمّى بذلك الأبطال و القواد.

۲- ۲) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۳۸۸،و تفاسير اخرى.

ملاحظه

اشاره

ملائکه العذاب تسعه عشر:

هذه الآیه تشیر بوضوح إلی عدد خزنه جهنم بأنّهم تسعه عشر نفرا أو تسعه عشره مجموعه،و الآیات التی تلیها تعتمد علی هذا المعنی،و لکن العجب من أنّ بعض الفرق المنحرفه تصر علی قدسیه هذا العدد،و تسعی إلی أن تجعل من عدد شهور السنه و أیّام نظاما یدور حول محور هذا العدد،بخلاف جمیع الموازین الطبیعیه و الفلکیه!و جعلوا أحکامهم العملیه مطابقا لذلک النظام،و الأعجب من ذلک أنّ کاتبا من الکتاب یمکن أن تکون له علاقه بتنظیماتهم یصرّ إصرارا عجیبا و مضحکا علی أن یجعل کل ما فی القرآن موجّه علی أساس هذا العدد،و فی الموارد الکثیره فی القرآن التی لا تتفق مع هذا العدد المرغوب عنده یعمد إلی إضافه أو حذف ما یرغب فیه لیتفق مع ذلک العدد أو مع مضاربه،و إیراد مطالیبها و الإجابه علیها یمکن أن تعتبر إتلافا للوقت.

نعم فالمذهب الجهنمی یجب أن یدور حول عدد جهنمی،و جماعه جهنمیون یجب أن یتوافقوا مع عدد ملائکه العذاب.

***

الآیه [سوره المدثر (۷۴): آیه ۳۱]

اشاره

وَ مٰا جَعَلْنٰا أَصْحٰابَ اَلنّٰارِ إِلاّٰ مَلاٰئِكَةً وَ مٰا جَعَلْنٰا عِدَّتَهُمْ إِلاّٰ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْكِتٰابَ وَ يَزْدٰادَ اَلَّذِينَ آمَنُوا إِيمٰاناً وَ لاٰ يَرْتٰابَ اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْكِتٰابَ وَ اَلْمُؤْمِنُونَ وَ لِيَقُولَ اَلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ اَلْكٰافِرُونَ مٰا ذٰا أَرٰادَ اَللّٰهُ بِهٰذٰا مَثَلاً كَذٰلِكَ يُضِلُّ اَللّٰهُ مَنْ يَشٰاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشٰاءُ وَ مٰا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاّٰ هُوَ وَ مٰا هِيَ إِلاّٰ ذِكْرىٰ لِلْبَشَرِ (۳۱)

التّفسیر

اشاره

لم هذا العدد من أصحاب النّار؟

ذکر اللّه سبحانه و تعالی کما قرأنا فی الآیات السابقه عدد خزنه جهنم و مأموریها و هم تسعه عشر نفرا(أو مجموعه)،و کذا قرأنا أنّ ذکر هذا العدد صار سببا للحدیث بین أوساط المشرکین و الکفّار،و اتّخذ بعضهم ذلک سخریه،و ظنّ القلیل منهم أنّ الغلبه علی أولئک لیس أمرا صعبا،الآیه أعلاه و التی هی أطول آیات هذه السوره تجیب علیهم و توضح حقائق کثیره فی هذا الصدد.

فيقول تعالى أوّلا: وَ ما جَعَلْنا أَصْحابَ النّارِ إِلاّ مَلائِكَةً (۱) .

ملائكه أقوياء مقتدرون و كما يعبّر القرآن غلاظ شداد قساه،فى مقابل المذنبين بجمعهم الغفير و هم ضعفاء عاجزون.

ثمّ يضيف تعالى: وَ ما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ إِلاّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا .

و هذا الاختبار من وجهين:

أوّلا:لأنّهم كانوا يستهزئون بالعدد تسعه عشر،و يتساءلون عن سبب اختيار هذا العدد،فى حين لو وضع عدد آخر لكانوا قد سألوا السؤال نفسه.

و الوجه الثّانى:أنّهم كانوا يستقلون هذا العدد و يسخرون من ذلك بقولهم:

لكل واحد منهم عشره منّا،لتكسر شوكتهم.

فى حين أنّ ملائكه اللّه وصفوا فى القرآن بأنّ نفرا منهم يؤمرون بإهلاك قوم لوط عليه السّلام و يقلبون عليهم مدينتهم،مضافا إلى ما أشير إليه سابقا حول اختيار عدد تسعه عشر لأصحاب النّار.

ثمّ يضيف تعالى أيضا: لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ .

ورد فى روايه أنّ جماعه من اليهود سألوا أحد أصحاب النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن عدد خزنه النّار فقال:«اللّه و رسوله أعلم»فهبط جبرائيل عليه السّلام على النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالآيه عَلَيْها تِسْعَهَ عَشَرَ . (۲)

و سكوت هؤلاء اليهود و عدم اعتراضهم على هذا الجواب يدلّ على أنّه موافقا لما هو مذكور فى كتبهم،و هذا مدعاه لازدياد يقينهم بنبوه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و صار قبولهم هذا سببا فى تمسك المؤمنين بإيمانهم و عقائدهم.

لذا تضيف الآيه فى الفقره الأخرى: وَ يَزْدادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيماناً .

۱- ۱) -أصحاب النّار:ذكرت هذه العباره فى كثير من آيات القرآن و كلّها تعنى الجهنميين،إلاّ فى هذا الموضع فإنّها بمعنى خزنه جهنم،و ذكر هذه العباره يشير إلى أنّ كلمه«سقر»فى الآيات السابقه تعنى جهنّم بكاملها و ليس قسما خاصّا منها.

۲- ۲) -نقل هذا الحديث البيهقى،و ابن أبى حاتم،و ابن مردويه عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم(تفسير المراغى،ج ۲۹،ص ۱۳۴).

ثمّ تعود مباشره بعد ذكر هذه الآيه إلى التأكيد على تلك الأهداف الثلاثه،إذ يعتمد مجددا على إيمان أهل الكتاب،ثمّ المؤمنين، ثمّ على اختبار الكفّار و المشركين،فيقول: وَ لا يَرْتابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ لِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْكافِرُونَ ما ذا أَرادَ اللّهُ بِهذا مَثَلًا (۱) .

و أمّا من يقصد به فى قوله: اَلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فقيل المراد منهم المنافقون،لأنّ هذا التعبير كثيرا ما ورد فيهم فى آيات القرآن كما هو فى الآيه (۱۰)من سوره البقره التى تتحدث حول المنافقين بقرينه الآيات السابقه لها و اللاحقه حيث نقرأ: فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً و بهذا الدليل تمسكوا بمدنيه الآيه السابقه،لأنّ المنافقين نشؤوا فى المدينه عند اقتدار الإسلام و ليس بمكه،و لكن تحقيق موارد ذكر هذه العباره فى القرآن الكريم يشير إلى أنّ هذه العباره غير منحصره بالمنافقين،بل أطلقت على جميع الكفّار و المعاندين و المحاربين لآيات الحقّ،و عطفت أحيانا على المنافقين حيث يمكن أن يكون دليلا على ثنائيتهم،فمثلا نقرأ فى الآيه(۴۹)من سوره الأنفال:

إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هؤُلاءِ دِينُهُمْ و كذا فى الآيات الأخرى، لذا ليس هناك دليل على نفى مكيه الآيه،خصوصا لما من توافق و ارتباط كامل من الآيات السابقه لها و التى تشير بوضوح إلى مكيتها.

ثمّ يضيف حول كيفيه استفاده المؤمنين و الكفّار الذين فى قلوبهم مرض من كلام اللّه تعالى:فيقول تعالى: كَذلِكَ يُضِلُّ اللّهُ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ .

إنّ الجمل السابقه تشير بوضوح إلى أنّ المشيئه و الإراده الإلهيه لهدايه البعض و إضلال البعض الأخر ليس اعتباطا،فإنّ المعاندين و الذين فى قلوبهم

۱- ۱) -يجب الالتفات إلى أنّ اللام فى(ليستيقن)هى لام التعليل و فى(ليقول)لام العاقبه و يمكن أن يكون قد تكرر لهذا الدليل فى حين لو كان بمعنى واحد لما كان هناك ضروره للتكرار،و بعباره اخرى أن تيقن المؤمنين هو لإراده و أمره،و أمّا حديث الكفّار فليس من إرادته و أمره تعالى شأنه،بل هو عاقبه هذا الأمر.

مرض لا يستحقون إلّا الضلال،و المؤمنون و المسلّمون لأمر اللّه هم المستحقون للهدى.

و يقول فى نهايه الآيه: وَ مٰا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّکَ إِلاّٰ هُوَ وَ مٰا هِیَ إِلاّٰ ذِکْریٰ لِلْبَشَرِ .

فالحديث عن التسعه عشر من خزنه النّار،ليس لتحديد ملائكه اللّه تعالى، بل إنّهم كثيرون جدّا أنّ الرّوايات تصفهم أنّهم يملؤون السموات و الأرض،و ليس هناك موضع قدم فى العالم إلّا و فيه ملك يسبح للّه! و احتمل المفسّرون احتمالات عديده فى من يعود الضمير«هى»، فقيل:

يعود على الجنود و منهم خزنه النّار،و قيل:على سقر،و قيل:على آيات القرآن (السوره)،و القول الأوّل أنسب و أوجه،و إن كانت بقيه الأقوال مدعاه للتذكر و الإيقاظ و المعرفه،و لأنّ الأوّل يبيّن حقيقه أنّ اللّه تعالى إنّما اختار لنفسه ملائكه و أخبر عن عددهم ليكون ذكرى لمن يتعظ بها،لا لكونه غير قادر على معاقبه كل المذنبين و المعاندين.

***

ملاحظه:

اشاره

عدد جنود الرّب!

حضور اللّه تعالى فى كلّ مكان و اتساع قدرته فى العالم يفهمنا أنّ ذاته المقدّسه غير محتاجه لأى ناصر أو معين،لكنّه،لإظهار عظمته للخلائق و لتكون ذكرى لمن يتعظ اختار ملائكه و جنودا كثيرين مطيعين لأمره تعالى.

و قد ذكرت الرّوايات عبارات عجيبه حول كثره و عظمه و قدره جنود اللّه و السماع لهذه الأخبار يثير العجب و الدهشه و لا تتفق مع مقاييسنا المتعارفه، و لذا نقنع بقراءه أوّل.

خطبه فی نهج البلاغه للإمام علی علیه السّلام حول هذا الموضوع حیث یقول علیه السّلام:

«ثمّ فتق ما بین السموات العلا فملأهن أطوارا من ملائکته،فهم سجود لا یرکعون، و رکوع لا ینتصبون،صافون لا یتزایلون،و مسبحون لا یسأمون،لا یغشاهم نوم العیون،و لا سهو العقول،و لا فتره الأبدان،و لا غفله النسیان،و منهم أمناء علی وحیه،و ألسنه إلی رسله،و مختلفون بقضائه و أمره،و منهم الحفظه لعباده و السدنه لأبواب جنانه،و منهم الثابته فی الأرضین السفلی أقدامهم،و المارقه من السماء العلیا أعناقهم،و الخارجه من الأقطار أرکانهم،و المناسبه لقوائم العرش أکتافهم، ناکسه دونه أبصارهم،متلفعون تحته بأجنحتهم،مضروبه بینهم و بین من دونهم حجب العزه،و أستار القدره،لا یتوهمون ربّهم بالتصویر و لا یجرون علیه صفات المصنوعین،و لا یحدونه بالأماکن،و لا یشیرون إلیه بالنظائر» و کما قلنا سابقا إنّ لکلمه(ملک)مفهوما واسعا حیث یشمل الملائکه الذین یملکون العقل و الشعور و الطاعه و التسلیم،و کذلک کثیر من عناصر و قوی عالم الوجود.

و لنا شرح مفصل حول هذا الموضوع فی تفسیر الآیات الأولی لسوره فاطر و ما یلیها.

***

ص: ۱۷۹

الآيات [سوره المدثر (۷۴): الآيات ۳۲ الى ۳۷]

اشاره

كَلاّ وَ اَلْقَمَرِ (۳۲) وَ اَللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (۳۳) وَ اَلصُّبْحِ إِذا أَسْفَرَ (۳۴) إِنَّها لَإِحْدَى اَلْكُبَرِ (۳۵) نَذِيراً لِلْبَشَرِ (۳۶) لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (۳۷)

التّفسير

استمرارا للبحث مع المنكرين لنبوه الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و اليوم الآخر تؤكّد الآيات التاليه فى أقسام عديده على مسأله القيامه و الجحيم و عذابها،فيقول تعالى: كَلاّ وَ الْقَمَرِ .

«كلاّ»:حرف ردع و إنكار لما تقدم أو ردع لما سيأتى،و يعنى هنا نفى تصور المشركين و المنكرين بجهنّم و عذابها،و الساخرين بخزنه جهنّم بقرينه الآيات السابقه.

و أقسم بالقمر لأنّه إحدى الآيات الإلهيه الكبرى،لما فيه من الخلقه و الدوران المعظم و النور و الجمال و التغييرات التدريجيه الحاصله فيه لتعيين الأيّام باعتباره تقويما حيّا كذلك.

ثمّ يضيف: وَ اللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ، وَ الصُّبْحِ إِذٰا أَسْفَرَ . (۱)

فی الحقیقه أنّ هذه الأقسام الثلاثه مرتبطه بعضها بالآخر و مکمله للآخر، و کذلک لأنّنا کما نعلم أنّ القمر یتجلی فی اللیل،و یختفی نوره فی النهار لتأثیر الشمس علیه، و اللیل و إن کان باعثا علی الهدوء و الظلام و عنده سرّ عشاق اللیل، و لکن اللیل المظلم یکون جمیلا عند ما یدبر و یتجه العالم نحو الصبح المضیء و آخر السحر،و طلوع الصبح المنهی اللیل المظلم أصفی و أجمل من کل شیء حیث یثیر فی الإنسان إلی النشاط و یجعله غارقا فی النور الصفاء.

هذه الأقسام الثلاثه تتناسب ضمنیا مع نور الهدایه(القرآن)و استدبار الظلمات(الشرک)و عباده(الأصنام)و طلوع بیاض الصباح(التوحید)، ثمّ ینتهی إلی تبیان ما أقسم من أجله فیقول تعالی: إِنَّهٰا لَإِحْدَی الْکُبَرِ . (۲)

إنّ الضمیر فی(إنّها)إمّا یرجع إلی«سقر»،و إمّا یرجع إلی الجنود،أو إلی مجموعه الحوادث فی یوم القیامه،و أیّا کانت فإنّ عظمتها واضحه.

ثمّ یضیف تعالی: نَذِیراً لِلْبَشَرِ . (۳)

لینذر الجمیع و یحذرهم من العذاب الموحش الذی ینتظر الکفّار و المذنبین و أعداء الحق.

و فی النهایه یؤکّد مضیفا أنّ هذا العذاب لا یخص جماعه دون جماعه،بل:

لِمَنْ شٰاءَ مِنْکُمْ أَنْ یَتَقَدَّمَ أَوْ یَتَأَخَّرَ

فهنیئا لمن یتقدم،و تعسا و ترحا لمن یتأخر.

و احتمل البعض کون التقدم إلی الجحیم و التأخر عنه،و قیل هو تقدم النفس

---

۱ - ۱) -«أسفر»من ماده(سفر)علی وزن(قفر)و یعنی انجلاء الملابس و انکشاف الحجاب،و لذا یقال للنساء المتبرجات (سافرات)و هذا التعبیر یشمل تشبیها جمیلا لطلوع الشمس.

۲- ۲) -«کبر»:جمع کبری و هی کبیره،و قیل المراد بکون سقر إحدی الطبقات الکبیره لجهنّم،هذا المعنی لا یتفق مع ما أشرنا إلیه من قبل و کذا مع الآیات.

۳- ۳) -«نذیرا»:حال للضمیر فی«أنّها»الذی یرجع إلی سقر،و قیل هو تمییز،و لکنه یصح فیما لو کان النذیر مصدرا یأتی بمعنی (الإنذار)،و المعنی الأوّل أوجه.

الإنسانيه و تكاملها أو تأخرها و انحطاطها،و المعنى الأوّل و الثّالث هما المناسبان،دون الثّانى.

***

ص :۱۸۲

الآيات [سوره المدثر (۷۴): الآيات ۳۸ الى ۴۸]

اشاره

كُلُّ نَفْسٍ بِمٰا كَسَبَتْ رَهِينَهٌ (۳۸) إِلاّٰ أَصْحٰابَ اَلْيَمِينِ (۳۹) فِي جَنّٰاتٍ يَتَسٰاءَلُونَ (۴۰) عَنِ اَلْمُجْرِمِينَ (۴۱) مٰا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (۴۲) قٰالُوا لَمْ نَكُ مِنَ اَلْمُصَلِّينَ (۴۳) وَ لَمْ نَكُ نُطْعِمُ اَلْمِسْكِينَ (۴۴) وَ كُنّٰا نَخُوضُ مَعَ اَلْخٰائِضِينَ (۴۵) وَ كُنّٰا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ اَلدِّينِ (۴۶) حَتّٰى أَتٰانَا اَلْيَقِينُ (۴۷) فَمٰا تَنْفَعُهُمْ شَفٰاعَهُ اَلشّٰافِعِينَ (۴۸)

التّفسير

اشاره

لم صرتم من أصحاب الجحيم؟

إكمالا للبحث الذى ورد حول النّار و أهلها فى الآيات السابقه،يضيف تعالى فى هذه الآيات: كُلُّ نَفْسٍ بِمٰا كَسَبَتْ رَهِينَهٌ .

«رهينه»:من ماده(رهن)و هى وثيقه تعطى عاده مقابل القرض،و كأن نفس الإنسان محبوسه حتى تؤدى وظائفها و تكاليفها،فإن أدت ما عليها فكت و أطلقت،و إلاّ فهى باقيه رهينه و محبوسه دائما،و نقل عن أهل اللغه أنّ أحد

معانيها الملازمه و المصاحبه (۱) ،فيكون المعنى:الكلّ مقترنون بمعيه أعمالهم سواء الصالحون أم المسيئون.

لذا يضيف مباشره: إِلاّ أَصْحابَ الْيَمِينِ .

إنّهم حطموا أغلال و سلاسل الحبس بشعاع الإيمان و العمل الصالح و يدخلون الجنّه بدون حساب. (۲)

و هناك أقوال كثيره حول المقصود من أصحاب اليمين:

فقيل هم الذين يحملون كتبهم بيمينهم،و قيل هم المؤمنون الذين لم يرتكبوا ذنبا أبدا،و قيل هم الملائكه،و قيل غير ذلك و المعنى الأوّل يطابق ظاهر الآيات القرآنيه المختلفه،و ما له شواهد قرآنيه،فهم ذو و إيمان و عمل صالح،و إذا كانت لهم ذنوب صغيره فإنّها تمحى بالحسنات و ذلك بحكم إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ (۳) .

فحينئذ تغطّى حسناتهم سيئاتهم أو يدخلون الجنّه بلا حساب،و إذا وقفوا للحساب فسيخفف عليهم ذلك و يسهل،كما جاء فى سوره الإنشقاق آيه(۷):

فَأَمّا مَنْ أُوتِىَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسِيراً .

و نقل المفسّر المشهور«القرطبى»و هو من أهل السنه تفسير هذه الآيه

عن الإمام الباقر عليه السّلام فقال: «نحن و شيعتنا أصحاب اليمين و كل من أبغضنا أهل البيت فهم مرتهنون». (۴)

و أورد هذا الحديث مفسّرون آخرون منهم صاحب مجمع البيان و نور

۱- ۱) -لسان العرب ماده:رهن.

۲- ۲) -قال الشّيخ الطوسى فى التبيان أن الاستثناء هنا هو منقطع و قال آخرون كصاحب(روح البيان)أنّه متصل،و هذا الاختلاف يرتبط كما ذكرنا بالتفسيرات المختلفه لمعنى الرهينه،و ما يطابق ما اخترناه من التّفسير هو أن الاستثناء هنا منقطع و على التفسير الثّانى يكون متصلا.

۳- ۳) -سوره هود،الآيه ۱۱۴.

۴- ۴) -تفسير القرطبى،ج ۱۰،ص ۶۸۷۸.

الثقلين و البعض الآخر أورده تذييلا لهذه الآيات.

ثمّ يضيف مبيّنا جانبا من أصحاب اليمين و الجماعه المقابله لهم:

فِی جَنّٰاتٍ یَتَسٰاءَلُونَ (۱) عَنِ الْمُجْرِمِینَ مٰا سَلَکَکُمْ فِی سَقَرَ

.

یستفاد من هذه الآیات أن الرابطه غیر منقطعه بین أهل الجنان و أهل النّار، فیمکنهم مشاهده أحوال أهل النّار و التحدث معهم،و لکن ماذا سیجیب المجرمون عن سؤال أصحاب الیمین؟إنّهم یعترفون بأربع خطایا کبیره کانوا قد ارتکبوها:

الاولی: قٰالُوا لَمْ نَکُ مِنَ الْمُصَلِّینَ .

لو کنّا مصلّین لذکّرتنا الصلاه باللّه تعالی،و نهتنا عن الفحشاء و المنکر و دعتنا إلی صراط اللّه المستقیم.

و الأخری: وَ لَمْ نَکُ نُطْعِمُ الْمِسْکِینَ .

و هذه الجمله و إن کانت تعطی معنی إطعام المحتاجین،و لکن الظاهر أنه یراد بها المساعده و الإعانه الضروریه للمحتاجین عموما بما ترتفع بها حوائجهم کالمأکل و الملبس و المسکن و غیر ذلک.

و صرّح المفسّرون أنّ المراد بها الزکاه المفروضه،لأنّ ترک الإنفاق المستحب لا یکون سببا فی دخول النّار،و هذه الآیه تؤکّد مرّه أخری علی أنّ الزّکاه کانت قد فرضت بمکّه بصوره إجمالیه،و إن کان التشریع بجزئیاتها و تعیین خصوصیاتها و تمرکزها فی بیت المال کان فی المدینه.

و الثّالثه: وَ کُنّٰا نَخُوضُ مَعَ الْخٰائِضِینَ .

کنّا نؤید ما یصدر ضدّ الحقّ فی مجالس الباطل.نقوم بالترویج لها،و کنّا معهم

۱- ۱) -«یتساءلون»:و هو و إن کان من باب(تفاعل)الذی یأتی عاده فی الأعمال المشترکه بین اثنین أو أکثر،و لکنه فقد هذا المعنی هنا کما فی بعض الموارد الأخری،و لمعنی یسألون،و تنکیر الجنات هو لتبیان عظمتها و(فی جنات)خبر لمبتدأ محذوف تقدیره:هو فی جنات.

أين ما كانوا،و كيف ما كانوا،و كنّا نصدق أقوالهم،و نضفى الصحه على ما ينكرون و يكذبون و نلتذ باستهزائهم الحقّ.

«نخوض»:من ماده(خوض)على وزن(حوض)،و تعنى فى الأصل الغور و الحركه فى الماء،و يطلق على الدخول و التلوث بالأمور،و القرآن غالبا ما يستعمل هذه اللفظه فى الإشتغال بالباطل و الغور فيه.

(الخوض فى الباطل)له معان واسعه فهو يشمل الدخول فى المجالس التى تتعرض فيها آيات اللّه للاستهزاء أو ما تروج فيها البدع،أو المزاح الواقح،أو التحدث عن المحارم المرتكبه بعنوان الافتخار و التلذذ بذكرها،و كذلك المشاركه فى مجالس الغيبه و الاتهام و اللهو و اللعب و أمثال ذلك،و لكن المعنى الذى انصرفت إليه الآيه هو الخوض فى مجالس الاستهزاء بالدين و المقدسات و تضعيفها و ترويج الكفر و الشرك.

و أخيرا يضيف: وَ كُنّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتّى أَتانَا الْيَقِينُ .

من الواضح أنّ إنكار المعاد و يوم الحساب و الجزاء يزلزل جميع القيم الإلهيه و الأخلاقيه،و يشجع الإنسان على ارتكاب المحارم،و يرفع كلّ مانع هذا الطريق، خصوصا إذا استمر إلى آخر العمر،على كل حال فإنّ ما يستفاد من هذه الآيات أنّ الكفار هم مكلّفون بفروع الدين،كما هم مكلّفون بالأصول،و كذلك تشير إلى أن الأركان الاربعه،أى الصلاه و الزّكاه و ترك مجالس أهل الباطل،و الإيمان بالقيامه لها الأثر البالغ فى تربيه و هدايه الإنسان،و بهذا لا يمكن أن يكون الجحيم مكانا للمصلين الواقعيين،و المؤتين الزّكاه،و التاركين الباطل و المؤمنين بالقيامه.

بالطبع فإنّ الصلاه هى عباده اللّه،و لكنّها لا تنفع إذا لم يمتلك الإنسان الإيمان به تعالى،و لهذا فإنّ أداءها رمز للإيمان و الإعتقاد باللّه و التسليم لأوامره، و يمكن القول إنّ هذه الأمور الأربعه تبدأ بالتوحيد ينتهى بالمعاد،و تحقق العلاقه و الرابطه بين الإنسان و الخالق،و كذا بين المخلوقين أنفسهم.

و المشهور بين المفسّرين أنّ المراد من(اليقين)هنا هو الموت،لأنّه يعتبر أمر يقينى للمؤمن و الكافر،و إذا شك الإنسان فى شىء ما فلا يستطيع أن يشك بالموت و نقرأ أيضا فى الآيه(۹۹)من سوره الحجر: وَ اعْبُدْ رَبَّکَ حَتّى يَأْتِيَکَ الْيَقِينُ .

و لكن ذهب البعض إلى أنّ اليقين هنا يعنى المعرفه الحاصله بعد موت الإنسان و هى التى تختص بمسائل البرزخ و القيامه،و هذا ما يتفق نوعا ما مع التّفسير الأوّل.

و فى الآيه الأخيره محل البحث إشاره إلى العاقبه السيئه لهذه الجماعه فيقول تعالى: فَمٰا تَنْفَعُهُمْ شَفٰاعَهُ الشّٰافِعِينَ .

فلا تنفعهم شفاعه الأنبياء و رسل اللّه و الائمّه،و لا الملائكه و الصديقين و الشهداء و الصالحين،و لأنّها تحتاج إلى عوامل مساعده و هؤلاء أبادوا كل هذه العوامل،فالشفاعه كالماء الزلال الذى تسقى به النبته الفتيه،و بديهى إذا ماتت النبته الفتيه،لا يكن للماء الزلال أن يحييها،و بعباره أخرى كما قلنا فى بحث الشفاعه،فإنّ الشفاعه من(الشفع)و تعنى ضم الشىء إلى آخر،و معنى هذا الحديث هو أنّ المشفّع له يكون قد قطع قسطا من الطريق و هو متأخر عن الركب فى مآزق المسير،فتضم إليه شفاعه الشافع لتعينه على قطع بقيه الطريق (۱) .

و هذه الآيه تؤكّد مرّه أخرى مسأله الشفاعه و تنوع و تعدد الشفعاء عند اللّه، و هى جواب قاطع لمن ينكر الشفاعه،و كذلك توكّد على أنّ للشفاعه شروطا و أنّها لا تعنى إعطاء الضوء الأخضر لارتكاب الذنوب،بل هى عامل مساعد لتربيه الإنسان و إيصاله على الأقل إلى مرحله تكون له القابليه على التشفع، بحيث لا تنقطع وشائج العلاقه بينه و بين اللّه تعالى و الأولياء.

***

۱- ۱) -التّفسير الأمثل،المجلد الأوّل،ذيل الآيه(۴۸)من سوره البقره.

ملاحظه:

اشاره

شفعاء يوم القيامه:

نستفيد من هذه الآيات و الآيات القرآنيه الأخرى أنّ الشفعاء كثيرون فى يوم القيامه(مع اختلاف دائره شفاعتهم)و يستفاد من مجموع الرّوايات الكثيره و المنقوله من الخاصّه و العامّه أنّ الشفعاء يشفعون للمذنبين لمن فيه مؤهلات الشفاعه:

١-الشفيع الأوّل هو النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:كما نقرأ

فى حديث حيث قال: «أنا أوّل شافع فى الجنّه» (١) .

٢-الأنبياء من شفعاء يوم القيامه،كما

ورد فى حديث آخر عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حيث قال: «يشفع الأنبياء فى كلّ من يشهد أن لا إله إلاّ اللّه مخلصا فيخرجونهم منها» (٢) .

٣-الملائكه من شفعاء يوم المحشر،كما

نقل عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حيث قال: «يؤذن للملائكه و النّبيين و الشّهداء أن يشفعوا» (٣) .

٤،٥-الأئمّه المعصومين و شيعتهم كما قال فى ذلك أمير المؤمنين عليه السّلام حيث

قال: «لنا شفاعه و لأهل مودتنا شفاعه» (٤) ٦،٧-العلماء و الشّهداء كما

ورد فى حديث عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حيث قال:

«يشفع يوم القيامه الأنبياء ثمّ العلماء ثمّ الشّهداء» (٥) .

و

ورد فى حديث آخر عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: «يشفع الشّهيد فى سبعين إنسانا

١- ١) -صحيح مسلم،ج ٢،ص ١٣٠.

٢- ٢) -مسند أحمد،ج ٣،ص ١٢.

۳- ۳) -مسند أحمد،ج ۵،ص ۴۳.

۴- ۴) -الخصال للصدوق رحمه اللّه،ص ۶۲۴.

۵- ۵) -سنن ابن ماجه،ج ۲،ص ۱۴۴۳.

من أهل بيته» (۱) .

و

فی حدیث آخر نقله المجلسی فی بحار الأنوار: «إنّ شفاعتهم تقبل فی سبعین ألف نفر» (۲) .

و لا منافاه بین الرّوایتین إذ أنّ عدد السبعین و السبعین ألف هی من أعداد الکثره.

۸-القرآن کذلک من الشفعاء فی یوم القیامه کما

قال أمیر المؤمنین علیه السّلام:

«و اعلموا أنّه(القرآن)شافع مشفع» (۳) .

۹-من مات علی الإسلام

فقد ورد عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «إذا بلغ الرجل التسعین غفر اللّه ما تقدم من ذنبه و ما تأخر و شفّع فی أهله» (۴) .

۱۰-العباده:کما

جاء فی حدیث عن الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «الصّیام و القرآن یشفعان للعبد یوم القیامه» (۵) .

۱۱-ورد فی بعض الرّوایات أنّ العمل الصالح کأداء الأمانه یکون شافعا فی یوم القیامه. (۶)

۱۲-و الطریف هو ما یستفاد من بعض الرّوایات من أنّ اللّه تعالی أیضا یکون شافعا للمذنبین فی یوم القیامه،کما

ورد فی الحدیث عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:

«یشفع النّبیون و الملائکه و المؤمنون فیقول الجبار بقیت شفاعتی» (۷) .

و الرّوایات کثیره فی هذه الباب و ما ذکرناه هو جانب منها. (۸)

۱- ۱) -سنن أبی داود،ج ۲،ص ۱۵.

۲- ۲) -بحار الأنوار،ج ۱۰۰،ص ۱۴.

۳- ۳) -نهج البلاغه الخطبه،۱۷۶.

۴- ۴) -مسند أحمد،ج ۲،ص ۸۹.

۵- ۵) -مسند أحمد،ج ۲،ص ۱۷۴.

۶- ۶) -مناقب ابن شهر آشوب،ج ۲،ص ۱۴.

۷- ۷) -صحیح البخاری،ج ۹،ص ۱۴۹.

۸- ۸) -للاستیضاح یمکن مراجعه کتاب مفاهیم القرآن،ج ۴،ص ۲۸۸-۳۱۱.

و نكرر أنّ للشـفاعه شـروطا لا يمكن بـدونها التشـفع و هـذا ما جاء فى الآيات التى بحثناها و التى تشـير بصـراحه الى عـدم تأثير شفاعه الشـفعاء فى المجرمين، فالمهم أن تكون هناك قابليه للتشفع،لأنّ فاعليه الفاعل لوحدها ليست كافيه (أوردنا شرحا مفصلا فى هذا الباب فى المجلد الأوّل فى بحث الشفاعه) ***

ص :١٩٠

الآيات [سوره المدثر (۷۴): الآيات ۴۹ الى ۵۶]

اشاره

فَمٰا لَهُمْ عَنِ اَلتَّذْكِرَهِ مُعْرِضِينَ (۴۹) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَهٌ (۵۰) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَهٍ (۵۱) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ اِمْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتىٰ صُحُفاً مُنَشَّرَهً (۵۲) كَلاّ بَلْ لاٰ يَخٰافُونَ اَلْآخِرَهَ (۵۳) كَلاّ إِنَّهُ تَذْكِرَهٌ (۵۴) فَمَنْ شٰاءَ ذَكَرَهُ (۵۵) وَ مٰا يَذْكُرُونَ إِلاّٰ أَنْ يَشٰاءَ اَللّٰهُ هُوَ أَهْلُ اَلتَّقْوىٰ وَ أَهْلُ اَلْمَغْفِرَهِ (۵۶)

التّفسير

اشاره

يفرّون من الحق كما تفرّ الحمر من الأسد:

تتابع هذه الآيات ما ورد فى الآيات السابقه من البحث حول مصير المجرمين و أهل النّار،و تعكس أوضح تصوير فى خوف هذه الجماعه المعانده و رعبها من سماع حديث الحقّ و الحقيقه.

فيقول اللّه تعالى أوّلا: فَمٰا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَهِ مُعْرِضِينَ (۱) لم يفرّون من دواء

۱- ۱) -«ما»مبتدأ و(لهم)خبر و(معرضين)حال الضمير لهم(و عن التذكره)جار و مجرور و متعلق بالمعرضين،و قيل تقديم (عن التذكره)على(معرضين)دلاله على الحصر أى أنّهم أعرضوا عن التذكره المفيده فقط،على كل حال فإنّ المراد من التذكره هنا كلّ ما هو نافع و مفيد و على رأسها القرآن المجيد.

القرآن الشافی؟لم یطعنون فی صدر الطبیب الحریص علیهم؟حقّا إنّه مثیر کَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَهٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَهٍ .

«حمر»:جمع(حمار)و المراد هنا الحمار الوحشی،بقرینه فرارهم من قبضه الأسد و الصیاد،و بعباره أخری أنّ هذه الکلمه ذات مفهوم عام یشمل الحمار الوحشی و الأهلی.

«قسوره»:من ماده(قسر)أی القهر و الغلبه،و هی أحد أسماء الأسد،و قیل هو السهم،و قیل الصید،و لکن المعنی الأوّل أنسب.

و المشهور أنّ الحمار الوحشی یخاف جدّا من الأسد،حتی أنّه عند ما یسمع صوته یستولی علیه الرعب فیرکض إلی کلّ الجهات کالمجنون،خصوصا إذا ما حمل الأسد علی فصیل منها،فإنّها تتفرق فی کل الجهات بحیث یعجب الناظر من رؤیتها.

و هذا الحیوان وحشی و یخاف من کل شیء،فکیف به إذا رأی الأسد المفترس؟! علی کل حال فإنّ هذه الآیه تعبیر بالغ عن خوف المشرکین و فرارهم من الآیات القرآنیه المربیه للروح،فشبههم بالحمار الوحشی لأنّهم عدیمو العقل و الشعور،و کذلک لتوحّشهم من کل شیء،فی حین أنّه لیس مقابلهم سوی التذکره.

بَلْ یُرِیدُ کُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ یُؤْتیٰ صُحُفاً مُنَشَّرَهً

(۱)

،و ذلک لتکبرهم و غرورهم الفارغ بحیث یتوقعون من اللّه تعالی أن ینزل علی کلّ واحد منهم کتابا.

و هذا نظیر ما جاء فی الآیه(۹۳)من سوره الإسراء:

۱- ۱) -«صحف»:جمع صحیفه،و هی الورقه التی لها وجهان،و تطلق کذلک علی الرساله و الکتاب.

وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتّٰى تُنَزِّلَ عَلَيْنٰا كِتٰاباً نَقْرَؤُهُ .

و كذا فى الآيه(۱۲۴)من سوره الأنعام حيث يقول: قٰالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتّٰى نُؤْتىٰ مِثْلَ مٰا أُوتِيَ رُسُلُ اللّٰهِ .

و على هذا فإنّ كلّا منهم يتنظر أن يكون نبيّا من اولى العزم!و ينزل عليه كتابا خاصّا من اللّه بأسمائهم،و مع كل هذا فليس هناك من ضمان فى أن يؤمنوا بعد كل ذلك.

و جاء فى بعض الرّوايات أنّ أبا جهل و جماعه من قريش قالوا للنّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، لا نؤمن بك حتى تأتينا بصحف من السماء عليها فلان ابن فلان من ربّ العالمين، و يأتى الأمر علنا باتباعك و الإيمان بك. (۱)

و لذا يضيف فى الآيه الأخرى: كَلّٰا ليس كما يقولون و يزعمون،فإنّ طلب نزول مثل لهذا الكتاب و غيره هى من الحجج الواهيه، و الحقيقه بَلْ لاٰ يَخٰافُونَ الْآخِرَهَ .

إذا كانوا يخافون الآخره فما كانوا يتذرعون بكل هذه الذرائع،ما كانوا ليكذبوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و ما كانوا ليستهزئوا بآيات اللّه تعالى،و لا بعدد ملائكته،و من هنا يتّضح أثر الإيمان بالمعاد فى التقوى و الطهاره من المعاصى و الذنوب الكبيره،و الحقّ يقال إن الإيمان بعالم البعث و الجزاء و عذاب القيامه يهب للإنسان شخصيه جديده يمكنه أن يغير إنسانا متكبرا و مغرورا و ظالما إلى إنسان مؤمن متواضع و متق عادل.

ثمّ يؤكّد القرآن على أنّ ما يفكرون به فيما يخصّ القرآن هو تفكّر خاطئ:

كَلّٰا إِنَّهُ تَذْكِرَهٌ فَمَنْ شٰاءَ ذَكَرَهُ

.

فإنّ القرآن الكريم قد أوضح الطريق،و دعانا إلى التبصر فيه،و أنار لنا السبيل

۱- ۱) -تفسير القرطبى،و المراغى،و تفاسير اخرى.

ليرى الإنسان موضع أقدامه،و فى الوقت نفسه لا يمكن ذلك إلّا بتوفيق من اللّه و بمشيئته تعالى،و ما يذكرون إلّا ما يشاء اللّه.

و لهذا الآيه عدّه تفاسير إحداها:كما ذكرناه سابقا،و هو أن الإنسان لا يمكنه الحصول على طريق الهدايه إلّا بالتوسل باللّه تعالى و طلب الموفقيه منه.

و طبيعى أن هذا الإمداد و التوفيق الإلهى لا يتمّ إلّا بوجود أرضيه مساعده لنزوله.

و التّفسير الآخر:ما جاء فى الآيه السابقه: فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ يمكن أن يوجد و هما و أنّ كل شىء مرتبط بإراده الإنسان نفسه،و أنّ إرادته مستقله فى كل الأحوال،و تقول هذه الآيه رافعه بذلك هذا الاشتباه،إنّ الإنسان مرتبط بالمشيئه الإلهيه،و إن هذه الآيه مختارا حرّا و هذه المشيئه هى الحاكمه على كل هذا العالم الموجود،و بعباره اخرى:إنّ هذا الاختبار و الحريه و المعطاه للإنسان فى بمشيئته تعالى و إرادته،و يمكن سلبها أنّى شاء.

و أمّا التّفسير الثّالث فإنّه يقول:إنّهم لا يمكنهم الإيمان إلّا أن يشاء اللّه ذلك و يجبرهم،و نعلم أنّ اللّه لا يجبر أحدا على الإيمان أو الكفر،و التّفسير الأوّل و الثّانى أنسب و أفضل.

و فى النهايه يقول: هُوَ أَهْلُ التَّقْوىٰ وَ أَهْلُ الْمَغْفِرَهِ .

فهو أهل لأن يخافوا من عقابه و أن يتقوا فى اتّخاذهم شريكا له تعالى شأنه، و أن يأملوا مغفرته،و فى الحقيقه،أنّ هذه الآيه إشاره إلى الخوف و الرجاء و العذاب و المغفره الإلهيه،و هى تعليل لما جاء فى الآيه السابقه،لذا نقرأ

فى حديث ورد عن الإمام الصّادق عليه السّلام فى تفسير هذه الآيه أنّه قال: «قال اللّه:أنا أهل

أن اتقی و لا یشرک بی عبدی شیئا و أنا أهل إن لم یشرک بی شیئا أن ادخله الجنّه» (۱) .

و بالرغم من أنّ المفسّرین-کما رأینا-قد أخذوا التقوی هنا بمعناها المفعولی،و قالوا إنّ اللّه تعالی أهل لأن یتّقی من الشرک و المعصیه،و لکن هناک احتمالا آخر،و هو أنّ تؤخذ بمعناها الفاعلی،أی أن اللّه أهل للتقوی من کلّ أنواع الظلم و القبح و من کل ما یخاف الحکمه،و ما عند العباد من التقوی هو قبس ضعیف من ما عند اللّه،و إنّ کان التعبیر بالتقوی بمعناه الفاعلی و الذی یقصد به اللّه تعالی قلیل الاستعمال،علی کل حال فإنّ الآیه قد بدأت بالإنذار و التکلیف،و انتهت بالدعوه إلی التقوی و الوعد بالمغفره.

و نتعرض هنا بالدعاء إلیه خاضعین متضرعین تعالی:

ربّنا!اجعلنا من أهل التقوی و المغفره.

اللّهم!إن لم تشملنا ألطافک فإنّنا لا نصل إلی مرادنا،فامنن علینا بعنایتک.

اللّهم!أعنّا علی طریق ملیء بالمنعطفات و الهموم و المصائد الشیطانیه الصعبه،و أعنا علی الشیطان المتهیئ لإغوائنا،فبغیر عونک لا یمکننا المسیر فی هذا الطریق.

آمین یا ربّ العالمین.

نهایه سوره المدّثّر ***

۱- ۱) -تفسیر البرهان،ج ۴،ص ۴۰۵.

سوره القیامه

اشاره

مکیه و عدد آیاتها أربعون آیه

ص: ۱۹۷

محتوی السوره:

کما هو واضح من اسم السوره فإنّ مباحثها تدور حول مسائل ترتبط بالمعاد و یوم القیامه إلّا بعض الآیات التی تتحدث حول القرآن و المکذبین،و أمّا الآیات المرتبطه بیوم القیامه فإنّها تجتمع فی أربعه محاور:

۱-المسائل المرتبطه بأشراط الساعه.

۲-المسائل المتعلقه بأحوال الصالحین و الطالحین فی ذلک الیوم.

۳-المسائل المتعلقه باللحظات العسیره للموت و الانتقال إلی العالم الآخر.

۴-الأبحاث المتعلقه بالهدف من خلق الإنسان و رابطه ذلک بمسأله المعاد.

فضیله السوره:

فی حدیث روی عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: «من قرأ سوره القیامه شهدت أنا و جبرائیل له یوم القیامه أنّه کا مؤمنا بیوم القیامه،و جاء و وجهه مسفر علی وجوه الخلائق یوم القیامه» (۱) .

و نقرأ

فی حدیث ورد عن الإمام الصّادق علیه السّلام قال: «من أدمن قراءه لا أُقْسِمُ و کان یعمل بها،بعثها اللّه یوم القیامه معه فی قبره،فی أحسن صوره

۱- ۱) -مجمع البیان، ۱۰-،ص ۳۹۳.

تبشّره و تضحک فی وجهه،حتی یجوز الصراط و المیزان» (۱) .

و الجدیر بالملاحظه أنّ ما کنّا نستفید منه فی القرائن التی فی فضائل تلاوه السور القرآنیه قد صرّح بها الإمام هنا فی هذه الرّوایه حیث یقول: «من أدمن قراءه لا اقسم و کان یعمل بها» و لذا فإنّ کل ذلک هو مقدمه لتطبیق المضمون.

***

۱- ۱) -المصدر السّابق.

الآيات [سوره القيامه (۷۵): الآيات ۱ الى ۶]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ لاٰ أُقْسِمُ بِيَوْمِ اَلْقِيٰامَهِ (۱) وَ لاٰ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اَللَّوّٰامَهِ (۲) أَ يَحْسَبُ اَلْإِنْسٰانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظٰامَهُ (۳) بَلىٰ قٰادِرِينَ عَلىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنٰانَهُ (۴) بَلْ يُرِيدُ اَلْإِنْسٰانُ لِيَفْجُرَ أَمٰامَهُ (۵) يَسْئَلُ أَيّٰانَ يَوْمُ اَلْقِيٰامَهِ (۶)

التّفسير

اشاره

قسما بيوم القيامه و النفس اللوامه:

تبدأ هذه السوره بقسمين غزيرين بالمعانى،فيقول تعالى: لاٰ أُقْسِمُ بِيَوْمِ اَلْقِيٰامَهِ وَ لاٰ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوّٰامَهِ و هناك أقوال للمفسّرين فى ذلك،فقيل أنّ(لا)زائده للتأكيد و أنّها لا تنفى القسم،بل تؤكّده،و قيل و ربّما نافيه،و الغايه فى ذلك هو أن يقول لا أقسم بذلك لأهميه هذا الموضوع(كالقول لا أقسم بحياتك لأنّها أعلى من القسم).

و أخذ أغلب المفسّرين بالتّفسير الأوّل،و لكن البعض الآخر بالتّفسير الثّانى حيث قالوا إنّ(لا)الزائده لا تأتى فى أوّل الكلام بل فى وسطه،و الأوّل هو الأصح ظاهرا.لأنّ القرآن الكريم قد أقسم بأمور هى أهم من القيامه،كالقسم بذات اللّه

المقدّسه،لذا ليس هناك دليل على عدم القسم هنا بيوم القيامه،و هناك مثال لاتّخاذ لا الزائده فى أوّل الكلام،و هو ما ورد فى أشعار«امرئ القيس»حيث استعمل«لا»الزائده فى بدايه قصائده الشعريه لا و أبيك ابنه العامر لا يدعى القوم أنى أفر و لكن ما نعتقده أنّ البحث ليس مهمّا حول ما إذا كانت(لا)نافيه أو زائده،و ذلك لأنّ نتيجه القولين هى واحده و هى بيان أهميه الموضوع الذى أقسم لأجله.

المهم أنّ نرى ما هى العلاقه و الرّابطه الموجوده بين القسمين.

الحقيقه أنّ أحد دلائل وجود«المعاد»هو وجود«محكمه الوجدان» الموجوده أعماق الإنسان،و التى تنشط و تسر عند الإقدام لإنجاز عمل صالح، و بهذه الطريقه تثبت صاحبها و تكافئه،و عند ارتكاب الأعمال السيئه و الرذيله فإنّها سوف تقوم بتقريع صاحبها و تأنّبه و تعذبه إلى حدّ أنّه قد يقدم على الانتحار للتخلص ممّا يمرّ فيه من عذاب الضمير.

و فى الحقيقه أنّ الضمير هو الذى أصدر حكم الإعدام،و تمّ تنفيذ ذلك بنفسه،إنّ دوى النفس اللوامه فى وجود الإنسان واسع جدّا،و هى قابله للتمعن و المطالعه فى كلّ الأحوال و فى بحث الملاحظات نشير إلى ذلك بشكل واسع.

عند ما يكون(العالم الصغير)أى وجود الإنسان محكمه فى قلبه،فكيف يمكن للعالم الكبير أن لا يملك محكمه عدل عظمى؟ فمن هنا نفهم وجود البعث و القيامه بواسطه وجود الضمير الأخلاقى،و من هنا تتّضح الرابطه الظريفه بين القسمين،و بعباره أخرى فإنّ القسم الثّانى هو دليل على القسم الأوّل.

و أمّا ما يراد ب«النفس اللوامه» (۱) فهناك أقوال كثيره و مختلفه قد ذكرت

۱- ۱) -اللوامه:صيغه مبالغه و تعنى كثيره اللوم.

للمفسّرين،و أحد تلك التّفاسير المشهوره هو ما ذكرناه آنفا،و هو أنّ أنّها «الوجدان الأخلاقى»الذى يلوم الإنسان فى الدنيا على المعصيه و يحفّزه على إصلاح ما بدا منه.

و التّفسير الآخر هو أنّ المراد بالنفس الإنسانيه بصوره عامه التى تلوم صاحبها يوم القيامه،فإذا كان مؤمنا فإنّها تلومه على عدم الإكثار من الصالحات و على قلّه الطاعه،و إن كان كافرا فإنّها تلوم على كفره و شركه و فجوره.

و أمّا الآخر:فالمراد نفس الكافر التى تلومه يوم القيامه على ما قدمت من كفر و معصيه.

و الوجه الأوّل يناسب الآيه السابقه و التى تليها،أجل إنّ لمحكمه الضمير مقاما و منزله عظيمه و لهذا يقسم اللّه بها،و يستعظم قدرها،و هى بحقّ عظيمه القدر،لأنّها أحد العوامل المهمّه لخلاص لإنسان بشرط أن تكون واعيه و يقظه و غير عاجزه بسبب الذنوب و الآثام.

و ممّا تجدر الإشاره إليه هو أنّ جواب القسم محذوف،و هذا ما تدل عليه الآيات التاليه و التقدير«لتبعثن يوم القيامه»أو«أنّكم تبعثون»فيكون المعنى:لا أقسم بيوم القيامه و لا أقسم بالنفس اللوامه أنّكم تبعثون يوم القيامه و تجزون ما كنتم تفعلون.

و من الظريف أنّ القسم جاء بيوم القيامه على وجود يوم القيامه،و ذلك لأنّه إلى درجه من الوضوح و البداهه أنّه يمكن القسم به حتى فى مقابل المنكرين.

ثمّ يستفهم تعالى فى الآيه الأخرى للتوبيخ فيضيف: أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ بَلى قادِرِينَ عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ .

ورد فى روايه أنّ أحد المشركين و هو«عدى بن أبى ربيعه»كان جارا للنّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فسأل النّبى عن أمر القيامه فأخبره به،فقال عدى:لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك،أو يجمع اللّه هذه العظام؟فنزلت هذه الآيات و أجابته على

ذلک،و لذا

قال فیه النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم «اللّهم اکفنی شر جاری سوء» (۱) .

و هناک نظائر لهذا المعنی فی الآیات القرآنیه الأخری،منها الآیه(۷۸)من سوره(یس)حیث إنّ منکرا من منکری المعاد کانت بیده عظاما، فقال للنّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: مَنْ یُحْیِ الْعِظامَ وَ هِیَ رَمِیمٌ ؟ و التعبیر بکلمه«یحسب»التی هی من الحسبان و تعنی الظن،إشاره إلی أنّ المنکرین لا یؤمنون بما یقولون،بل یعتمدون علی ما یظنون من الوهم.

و لکن نری أنّه قد اعتمد علی العظام خاصّه،و هذا لکون دوام بقاء العظام أکثر من غیرها من أجزاء الجسد،و لذا تکون إعادتها تکون تربا متأثرا بعیدا فی نظر عدیمی الإیمان.

ثمّ إنّ العظام من الأرکان المهمّه فی بدن الإنسان،لأنّها تشکل أعمده البدن، و کلّ الحرکات و التغیرات المهمّه الحاصله فی البدن و کذلک فعالیات المختلفه تتمّ بواسطه العظام،و کثره و تنوع أشکال و مقاییس العظام فی جسم الإنسان من عجائب الخلقه الإلهیه،تتّضح أهمیتها عند ما تتعطل فقره واحده من فقرات الظهر عن العمل و تسبب فی شلّ حرکه البدن.

«البنان»:أطراف الأصابع،و قیل الأصابع،و فی المعنیین إشاره إلی أنّ اللّه تعالی لیس القادر علی جمع العظام و إرجاعها إلی صورتها الأولی فحسب،بل إنّه تعالی یسوی العظام الصغیره و الظریفه و الدقیقه للأصابع علی ما کانت علیها فی الخلق الأوّل،و الأعجب من ذلک یمکنه تعالی اعاده بصمات الأصابع کما کانت علیه أیضا.

و یمکن أن یکون ذلک إشاره لطیفه إلی الخطوط الموجوده فی أطراف الأصابع و التی نادرا ما تتساوی هذه الخطوط عند شخصین.

۱- ۱) -أورد هذه الروایه المراغی،و کذلک ذکرت فی روح المعانی،و تفسیر الصافی بتفاوت یسیر.

و بتعبير آخر إنّ هذ الخطوط الموجوده فى أطراف الأصابع هى المعرّفه لشخص الإنسان،و لذا صار بصم الأصابع فى عصرنا هذا أمرا علميا،و بهذه الطريقه يمكن كشف الكثير من السراق و المجرمين،فيكفى فى كشف السارق وضعه أصابعه على مقبض الباب،أو زجاجه الغرفه،أو قفل الصندوق و بقاء أثر خطوط أنامله عليها،ثمّ يؤخذ من ذلك الطبع نموذج و تتمّ مقابلته مع آثار أصابع اللصوص السابقين التى أخذت منهم سلفا،و هكذا يعرف المجرم و السارق.

و فى الآيه الأخرى إشاره إلى أحد العلل الحقيقه لإنكار المعاد فيقول: بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أَمامَهُ ،إنّهم يريدون أن يكذبوا بالبعث و ينكروا المعاد، ليتسنى لهم الظلم و ارتكاب المحارم و التنصل عن المسؤوليه أمام الخلق،و ذلك لأنّ الإيمان بالمعاد و القيامه و محكمه العدل الإلهيه بمثابه سدّ عظيم فى مقابل المعاصى و الذنوب و النفس الأماره تريد كسر هذا السدّ و هذا الطوق ليفجر الإنسان مدى عمره و يعمل ما يشاء،و هذا ليس منحصرا بالأزمنه السابقه،بل إنّ إحدى علل الميول إلى الماديه و إنكار المبدأ و المعاد فى هذا العصر هو كسب الحريه للفجور و الهروب من المسؤوليه،و تحطيم كل القوانين الإلهيه،و إلاّ فإنّ دلائل المبدأ و المعاد واضحه،و قد ورد فى تفسير على بن ابراهيم فى توضيح معنى هذه الآيه حيث قال:يقدّم الذنب و يؤخر التوبه و يقول سوف أتوب.

و قيل المراد من«الفجور»و«التكذيب»،فيكون المعنى،يريد أن يكذب بالبعث الذى سوف يقع أمامه،و لكن التفسير الأوّل أنسب.

ثمّ يضيف بعد ذلك: يَسْئَلُ أَيّانَ يَوْمُ الْقِيامَهِ .

أجل،إنّه يستفهم مستنكرا عن وقوع يوم القيامه و يهرب ممّا كلّف به لكى يفسح لنفسه طريق الفجور أمامه،و الجدير بالذكر أنّ سؤالهم هذا عن وقت حدوث القيامه لا يعنى أنّهم يؤمنون بأصل القيامه،بل هو مقدّمه لإنكار أصل القيامه كالذى يقول:(فلان سوف يقدم من السفر)و إذا ما تأخر فتره من الزمن يعترض من ينكر قدوم ذلك المسافر فيقول:(متى سوف يأتى المسافر)؟

ملاحظات

اشاره

۱-محکمه الضمیر أو القیامه الصغری

نستفید من آیات القرآن المجید أنّ للنفس الإنسانیه ثلاث مراحل:

۱-النفس الاماره:و هی النفس العاصیه التی تدعو الإنسان إلی الرذائل و القبائح باستمرار،و تزیّن له الشهوات،و هذا ما أشارت إلیه امرأه عزیز مصر حینما نظرت إلی عاقبه أمرها فقالت: وَ مٰا أُبَرِّئُ نَفْسِی إِنَّ النَّفْسَ لَأَمّٰارَهٌ بِالسُّوءِ . (۱) ؟ ۲-النفس اللوامه:و هی ما أشیر إلیها فی الآیات التی ورد البحث فیها،و هی نفس یقظه و واعیه نسبیا،فهی تزل أحیانا لعدم حصولها علی حصانه کافیه مقابل الذنوب،و تقع فی شبک الآثام إلاّ أنّها تستیقظ بعد فتره لتتوب و ترجع إلی مسیر السعاده،و انحرافها ممکن،إلاّ أنّ ذلک یکون مؤقتا و لیس دائما و لا یمضی علیها کثیر وقت حتی تعود إلی الملامه و التوبه.

و هذا هو ما یذکرونه تحت عنوان(الضمیر الأخلاقی)و یکون هذا قویا جدّا عند بعض الأفراد،و ضعیفا و عاجزا عند آخرین،و لکن النفس اللوامه لا تموت بکثره الذنوب عند أی انسان.

۳-النفس المطمئنه:و هی النفس المتکامله المنتهیه إلی مرحله الاطمئنان و الطاعه و المنتهیه إلی مقام التقوی و الإحساس بالمسؤولیه و لیس من السهل انحرافها،و هذا ما ورد فی و قوله تعالی:یٰا أَیَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّهُ ارْجِعِی إِلیٰ رَبِّکِ رٰاضِیَهً مَرْضِیَّهً . (۲)

۱- ۱) -یوسف،۵۳.

۲- ۲) -الفجر،۲۷-۲۸.

على كل حال فإنّ النفس اللوامه كما قلنا هى كالقيامه الصغرى فى داخل الروح و التى تقوم بمحاسبه الإنسان،و لذا تحس أحيانا بالهدوء و الاستقرار بعد القيام بالأعمال الصالحه و تمتلئ بالسرور و الفرح و النشاط.

و بالعكس فإنّها تبتلى أحيانا بكابوس الرذائل و الجرائم الكبيره و أمواج الغم و الحيره،و يحترق بذلك باطن الإنسان حتى يتنفر من الحياه،و ربّما يبلغ ألم الوجدان أنّه يقدم على تسليم نفسه إلى المحاكم القضائيه ليرتقى منصه الإعدام لخلاص نفسه من قبضه هذا الكابوس.

هذه المحكمه الداخليه العجيبه لها شبه عجيب بمحكمه القيامه.

١-إنّ القاضى و الشاهد و المنفذ للأحكام واحد،كما فى يوم القيامه: عالِمَ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَهِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبادِكَ (١) .

٢-إنّ هذه المحكمه ترفض كلّ توصيه و رشوه و واسطه كما هو الحال فى محكمه يوم القيامه،فيقول تعالى: وَ اتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَ لا يُقْبَلُ مِنْها شَفاعَهٌ وَ لا يُؤْخَذُ مِنْها عَدْلٌ وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ (٢) .

٣-إنّ محكمه الضمير تحقق و تدقق الملفات المهمّه بأقصر مدّه و تصدر الحكم بأسرع وقت،فلا استئناف فى ذلك،و لا إعاده نظر،و لا تحتاج فى ذلك شهورا و سنين،و هذا هو ما نقرأه أيضا فى محكمه البعث: وَ اللّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَ هُوَ سَرِيعُ الْحِسابِ (٣) .

٤-مجازاتها و عقوباتها ليست كعقوبات المحاكم الرسميه العالميه،فإنّ

١- ١) -الزمر،٤٦.

٢- ٢) -البقره،٤٨.

٣- ٣) -الرعد،٤١.

شرر النيران تتقد فی الوهله الاولی فی أعماق القلب و الروح،ثمّ تسری إلی الخارج،فتعذب روح الإنسان أوّلا،ثمّ تظهر آثارها فی الجسم و ملامح الوجه و طبیعه النوم و الأکل،فیعبّر تعالی عن ذلک فی قوله: نارُ اللّهِ الْمُوقَدَهُ الَّتِی تَطَّلِعُ عَلَی الْأَفْئِدَهِ (۱) .

۵-عدم احتیاج هذه المحکمه إلی شهود،بل إنّ المعلومات التی یعطیها الإنسان المتهم بنفسه و الذی یکون شاهدا علی نفسه هی التی تقبل منه،نافعه کانت له أم ضاره!کما تشهد ذرات وجود الإنسان حتی یداه و جلده علی أعماله فی محکمه البعث فیقول تعالی: حَتّی إِذا ما جاؤُها شَهِدَ عَلَیْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ (۲) .

و هذا التشبیه العجیب بین المحکمتین دلیل آخر علی فطریه الإعتقاد بالمعاد،لأنّه کیف یمکن أن یکون فی الإنسان الذی یعتبر قطره صغیره فی محیط الوجود العظیم هکذا حساب و محاکم ملیئه بالرموز و الأسرار فی حین لا یوجد حساب و محاکم فی هذا العالم الکبیر؟فهذا ما لا یصدق.

۲-أسماء القیامه فی القرآن المجید

إنّ قسما مهمّا من معارف القرآن و مسائله العقائدیه یدور حول محور القیامه و البعث،لأنّ له تأثیرا مهمّا فی تربیه الإنسان و تکامل سلوکه،و لهذا الیوم العظیم أسماء کثیره فی القرآن،و کل منها تبیّن بعدا من أبعاد ذلک الیوم،یمکن أن تکون هذه الأسماء بحدّ ذاتها انعکاس للکثیر من المسائل المتعلقه بهذا الجانب.

یقول المرحوم الفیض الکاشانی فی المحجه البیضاء:«إنّ تحت کلّ اسم من هذه الأسماء سرّ خفی،و لکل نعت معنی مهم لا بدّ من السعی الجاد لإدراک هذه

۱- ۱) -الهمزه،۶-۷.

۲- ۲) -سوره فصلت،۲۰.

المعانی و معرفه أسرارها،فقد ذکر أکثر من فئه اسم لیوم القیامه یمکن الاستفاده منها أو من أکثرها فی القرآن المجید،کیوم الحسره،یوم القیامه،یوم المحاسبه، یوم المسأله،یوم الواقعه،یو القارعه،یوم الراجفه،یوم الرادفه،یوم الطلاق،یوم الفراق،یوم الحساب،یوم التناد،یوم العذاب،یوم الفرار،یوم الحق،یوم الحکم، یوم الفصل،یوم الجمع،یوم الدین،یوم تبلی السرائر،یوم لا یغنی مولی عن مولی شیئا،یوم یفر المرء من أخیه،یوم لا ینفع مال و لا بنون،یوم التغابن...» (۱) .

و لکن أشهر أسماء ذلک هو الیوم«یوم القیامه»الذی ذکر سبعین مرّه فی القرآن،و یحکی عن قیام عامّه العباد و البعث و العظیم للناس،و التوجه إلی ذلک الیوم یدفع الناس لأداء وظائفهم و تکالیفهم فی هذه الدنیا.

و باعتقادنا أنه یکفی للانتباه من نوم الغفله و الغرور و الأخذ بعنان و زمام النفس العاصیه و تربیتها و تعلیمها أن نتفکر فی هذه الأسماء و نتصور حالنا فی ذلک الیوم،یوم یحضر الجمیع أمام اللّه العظیم و ترفع الستائر و تظهر الأسرار و تتزین الجنان و تتوقد جهنم،و یحضر الجمیع عند میزان العدل الإلهی.

«اللّهم اجعل لنا عندک ملجأ فی ذلک الیوم» ***

۱- ۱) -المحجه البیضاء،ج ۸،ص ۳۳۱.

الآيات [سوره القيامه (۷۵): الآيات ۷ الى ۱۵]

اشاره

فَإِذا بَرِقَ اَلْبَصَرُ (۷) وَ خَسَفَ اَلْقَمَرُ (۸) وَ جُمِعَ اَلشَّمْسُ وَ اَلْقَمَرُ (۹) يَقُولُ اَلْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ اَلْمَفَرُّ (۱۰) كَلاّ لا وَزَرَ (۱۱) إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ اَلْمُسْتَقَرُّ (۱۲) يُنَبَّؤُا اَلْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ بِما قَدَّمَ وَ أَخَّرَ (۱۳) بَلِ اَلْإِنْسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (۱۴) وَ لَوْ أَلْقى مَعاذِيرَهُ (۱۵)

التّفسير

اشاره

الإنسان نعم الحكم لنفسه:

أنهت الآيات السابقه بسؤال كان قد وجهه المنكرون للبعث يوم القيامه،و هو يوم القيامه متى يأتى ذلك اليوم؟و هذه الآيات هى التى تجيب عن هذه السؤال.

فتشير أوّلا- إلى الحوادث السابقه للبعث،أى إلى التحول العظيم و انعدام القوانين الحاصل فى الأنظمه الكونيه فيقول تعالى: فَإِذا بَرِقَ (۱) اَلْبَصَرُ بمعنى

۱- ۱) -«برق»:من ماده برق-على وزن فرق-و هو الضوء الظاهر من بين السحب و يطلق على كل ما هو وضاء،و«برق البصر» فى هذه الآيه إشاره إلى الحركه الشديده،و الاضطراب الشديد للبصر من شده الهول و الخوف،و قيل هو سكون حدقه العين

اضطراب العين و دورانها من شدّه الخوف و الرعب وَ خَسَفَ الْقَمَرُ وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ .

ذكرت معان متعدده للمفسّرين فى ما يراد بالجمع بين الشمس و القمر،فقيل هو اجتماعهما،أو طلوعهما كليهما من المشرق و غروبهما من المغرب،و قيل اجتماعهما بعد زوال نوريهما (۱) و يحتمل أن ينجذب القمر تدريجيا بواسطه الشمس و باتجاهها ثم اجتماعهما معا بعد ذلك،و ينتهى بالتالى ضياؤهما.

على كلّ حال فقد أشير هنا إلى ظاهرتين من أهم الظواهر الانقلابيه لأواخر الدنيا،أى إلى زوال نور القمر و اجتماع الشمس و القمر مع البعض،و هو ما أشير إليه فى الآيات القرآنيه الأخرى أيضا،فيقول تعالى فى سوره التكوير: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ أى إذا أظلمت الشمس،و نعلم أن ضوء القمر من الشمس، و عند ما يزول نور الشمس يزول بذلك نور القمر،و بالتالى تدخل الكره الأرضيه فى ظلام دامس و عتمه مرعبه.

و بهذه الطريقه و التحول العظيم ينتهى العالم،ثم يبدأ بعث البشريه بتحول عظيم آخر(بنفخه الصور الثانيه و التى تعتبر نفخه الحياه)فيقول الإنسان فى ذلك اليوم: يَقُولُ الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (۲) .

أجل،الكفره و المذنبون الذين كذبوا بيوم الدين يبحثون عن ملجأ فى ذلك اليوم لشدّه خجلهم،و يطلبون سبل الفرار لثقل خطاياهم و خوفهم من العذاب، كما كانوا يبحثون عن طريق الفرار فى الدنيا عند ما كانوا يواجهون حادثه خطيره،

۱)

و النظر بدهشه إلى نقطه و غالبا ما تكون علامه الرعب،و هناك شواهد كثيره على هذا المعنى فى أشعار العرب تشير إلى إبراق البصر يراد به التحير،و التفسير الأول أوجه.

---

۱ - ۱) -يقول الطبرسى فى«مجمع البيان»الجمع ثلاثه أنواع:جمع فى المكان،و جمع فى الزمان،و جمع الأوصاف فى الشىء الواحد(كاجتماع العلم و العداله فى الإنسان)و لكن الجمع الذى يراد به اشتراك شيئين فى الصفه كزوال نوريّ القمر و الشمس معا هو تعبير مجازى(إذ لا بدّ من الاستفاده من القرينه)مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۳۹۵.

۲- ۲) -«المفر»:اسم مكان من الفرار،و احتمله البعض الآخر مصدرا و لكنه بعيد.

فيقيسون ذلك اليوم بهذا!و لكن سرعان ما يقال لهم: كَلاّ لاَ وَزَرَ (۱) .

فلا ـ ملجأ إلاّ ـ إلى اللّه تعالى: إِلىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ و ذكرت لهذه الآيه تفاسير أخرى غير التفسير المذكور أعلاه منها:إن الحكم النهائى لذلك اليوم هو بيد اللّه تعالى.

أو إن المقر النهائى للإنسان فى الجنّه أو النّار هو بيد اللّه.

أو أن الاستقرار للمحاكمه و الحساب يومئذ يكون عنده،و لكن بالتوجه إلى الآيه التى تليها نرى أن ما قلناه هو الأنسب و الأوجه.

و يعتقد البعض أن هذه الآيه هى من الآيات التى تبين خط مسير التكامل الأبدى للإنسان،و هى من جمله الآيات التى تقول: وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (۲) و يٰا أَيُّهَا الْإِنْسٰانُ إِنَّكَ كٰادِحٌ إِلىٰ رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاٰقِيهِ (۳) و أَنَّ إِلىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهىٰ (۴) (۵) .

و بعباره أوضح أنّ الناس فى حركه دائبه فى هذا الطريق الطويل من حدود العدم إلى إقليم الوجود،و لا يزالون فى حركه فى هذا الإقليم نحو الوجود المطلق،و الوجود الأزلى،و أن هذه الحركه و السلوك التكاملى فى استمرار الى الأبد ما داموا لا ينحرفون عن هذا الصراط المستقيم حيث يدخلون فى كل يوم مرحله جديده من التقرب إلى اللّه تعالى،و إذا انحرفوا عن مسيرهم فإنهم سوف يسقطون و ينتهون عندئذ يضيف فى إدامه هذا الحديث: يُنَبَّؤُا الْإِنْسٰانُ يَوْمَئِذٍ بِمٰا قَدَّمَ وَ أَخَّرَ أمّا عن معنى هاتين العبارتين فقد ذكرت لهما تفاسير عديده:

۱- ۱) -«وزر»:على وزن قمر،و تعنى فى الأصل الملاجئ الجبليه و أمثالها،و منها يطلق على الوزير لما يلتجأ به فى الأمور، و على كل حال فإنّها تعنى فى هذه الآيه كل نوع من الملجأ و المخبأ.

۲- ۲) -التغابن،۳.

۳- ۳) -الإنشقاق،۶.

۴- ۴) -النجم،۴۲.

۵- ۵) -هناك نظرات أخرى فى تفسير هذه الآيات وضحنا ذلك فى تذييلها.

أوّلا:المراد هو ما قدم من الأعمال فی حیاته،أو الآثار الباقیه منه بعد موته، ممّا ترک بین الناس من السنن الصالحه و السیئه و التی یعملون و یسیرون بها و وصول حسناتها و سیئاتها إلیه.أو الکتب و المؤلفات و الأبنیه القائمه علی الخیر و الشرّ،و الأولاد الصالحین و الطالحین التی تصل آثارهم إلیه.

و الثّانی:یمکن أن یراد به الأعمال الأولی التی أتی بها.و الأعمال الأخیره التی أتی بها فی عمره،و بعباره أخری أنّه ینبّأ بجمیع أعماله.

و الثّالث:أنّ المراد هو ما قدم من ماله لنفسه و ما ترک لورثته،و قیل:ما قدم من الذنوب،و ما أخر من طاعه اللّه أو بالعکس.

و الوجه الأوّل هو الأنسب،لما

ورد عن الإمام الباقر علیه السّلام فی تفسیر «(ینبّؤ) بما قدم من خیر و شرّ،ما أخر من سنّه لیس بها من بعده فإن کان شرّا کان علیه مثل وزرهم،و لا ینقص من وزرهم شیئا،و إن کان خیرا کان له مثل أجورهم،و لا ینقص من أجورهم شیئا» (۱) .

ثم یضیف فی الآیه الأخری و یقول:إنّ اللّه و ملائکته یطلعون العباد علی أعمالهم،و إن کان لا یحتاج إلی ذلک،لأنّ نفسه و أعضاءه هم الشهود علیه فی ذلک الیوم،فیقول تعالی: بَلِ الْإِنْسانُ عَلی نَفْسِهِ بَصِیرَهٌ، وَ لَوْ أَلْقی مَعاذِیرَهُ .

سیاق هذه الآیات فی الحقیقه هو نفس سیاق الآیات التی تشیر إلی شهاده الأعضاء علی أعمال الإنسان،کالآیه(۲۰)من سوره فصلت حیث یقول اللّه تعالی: شَهِدَ عَلَیْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِما کانُوا یَعْمَلُونَ .

و الآیه(۵)من سوره یس: وَ تُکَلِّمُنا أَیْدِیهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِما کانُوا یَکْسِبُونَ .

و علی هذا فإنّ أفضل شاهد علی الإنسان فی تلک المحکمه الإلهیه للقیامه

۱- ۱) -تفسیر البرهان،ج ۴،ص ۴۰۶ و مثله فی تفسیر القرطبی،ج ۱۰،ص ۶۸۹۱.

هو نفسه،لأنه أعرف بنفسه من غيره،و إن كان اللّه تعالى قد أعطاه شواهد أخرى كثيره لإتمام الحجّه عليه.

«بصيره»:لها معنى مصدرى بمعنى(الرؤيا و الاطلاع)،و معنى وصفى (الشخص المطّلع)و لذا فسّره البعض بمعنى(الحجه و الدليل و البرهان)و الذى هو واهب للمعرفه (۱) .

«معاذير»:جمع(معذره)و تعنى فى الأصل البحث عمّا تمحى به آثار الذنوب،و قد تكون أحيانا أعذارا واقعيه،و أخرى صوريه و ظاهريه.

و قيل:المعاذير جمع معذار،و هو الستر،و المعنى و إن أرخى الستور ليخفى ما عمل فإن نفسه شاهده عليه،و الأوّل أوجه.

على كل حال فإن الحاكم على الحساب و الجزاء فى ذلك اليوم العظيم هو المطّلع على الأسرار الداخليه و الخارجيه،و كذلك نفس الإنسان المحاسب لنفسه،كما جاء فى الآيه(۱۴)من سوره الإسراء: اِقْرَأْ كِتابَكَ كَفىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً .

إنّ الآيات مورد بحثنا و إن كانت تتحدث كلّها عن المعاد و القيامه،فإنّ مفهومها واسع،و لذا فإنّها تشمل عالم الدنيا،و تعلم الناس بأحوال أنفسهم و إنّه كان فيهم من يكتم و يغطى وجهه الحقيقى بالكذب و الاحتيال و التظاهر و المراءاه.

لذا

ورد فى حديث عن الإمام الصادق عليه السّلام حيث قال: «ما يصنع أحدكم أن يظهر حسنا و يسرّ سيئا أليس إذا رجع إلى نفسه يعلم أنّه ليس كذلك،و اللّه سبحانه يقول: بَلِ الْإِنْسانُ عَلىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَهٌ إنّ السريره إذا صلحت قويت العلانيه» (۲) .

۱- ۱) -«التاء»:مصدر على الاحتمال الأوّل،و تاء التأنيث على الاحتمال الثّانى،لأنّه يراد بالإنسان هنا الجوارح أو النفس، فالتأنيث مجازى،و قيل إن التاء تاء المبالغه للأخبار بشدّه معرفه الإنسان بنفسه.

۲- ۲) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۳۹۶(و أورد الشيخ الصدوق فى من لا يحضره الفقيه فى كتاب الصيام،ج ۲،ص ۱۳۳ باب حد المرض الذى يفطر صاحبه الحديث ۱۹۴۱).

و

ورد أيضا فی حدیث صیام المریض عن الصادق علیه السّلام عند ما سأله أحد أصحابه:ما حد المرض الذی یفطر صاحبه؟فأجاب الإمام:«بل الإنسان علی نفسه بصیره،هو أعلم بما یطیق» (۱) ***

ص: ۲۱۵

۱- ۱) -المصدر السّابق.

الآيات [سوره القيامه (۷۵): الآيات ۱۶ الى ۱۹]

اشاره

لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (۱۶) إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ (۱۷) فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (۱۸) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ (۱۹)

التّفسير

اشاره

إنّ علينا جمعه و قرآنه:

هذه الآيات بمثابه الجمله الاعتراضيه التى تتداخل أحيانا فى كلام المتحدث.كمن يكون مشغولا بالخطابه فى مجلس ما و الناس مجتمعون فى آخر المجلس،و الحال أنّ صدر المجلس خال،فيقطع حديثه مؤقتا،و يدعو الحاضرين للتقدم لينفتح الطريق للقادمين،ثم يستأنف حديثه مجددا،أو كالأستاذ الذى يقطع حديثه لينبه طالبا،و بعد ذلك يكمل حديثه.

فعند ما يسمع شخص ما حديث الأستاذ عن طريق شريط كاسيت يرى إشكالا فى استمراريّه الحديث،و يتعجب لما يرى من عدم الترابط بين الجمل، و لكن مع التمعن فى شرائط المجلس الخاصّه يتّضح فلسفه هذه الجمل المعترضه.

بعد هذه المقدمه البسيطه نتّجه إلى تفسير الآيات التى يراد بحثها،حيث يترك اللّه تعالى الحديث عن القيامه و أحوال المؤمنين و الكفره مؤقتا،ليعطى

تذكره مختصره للنّبى صلّى اللّه عليه و آله حول القرآن فيقول: لاٰ تُحَرِّكْ بِهِ لِسٰانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ لهذه الآيه أقوال متعدده للمفسّرين،و على المجموع ذكرت لها ثلاثه تفاسير:

الأوّل:هو التفسير المشهور الذى نقل عن ابن عباس فى كتب الحديث،و هو أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان إذا نزل عليه الوحى ليقرأ عليه القرآن،تعجّل بقراءته ليحفظه و ذلك لحبه الشديد للقرآن،فنهاه اللّه عن ذلك و قال: إِنَّ عَلَيْنٰا بَيٰانَهُ .

الثّانى:نعلم أن للقرآن نزولين هما:نزول دفعى،أى نزوله بتمامه على قلب النبى صلّى اللّه عليه و آله فى ليله القدر،و نزول تدريجى و الذى كان أمده ٢٣ عامًا،و كان النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يعجل فى إبلاغ الرساله أحيانا قبل النزول التدريجى للآيات أو قراءه ما يرافق تلك الآيات،فنهاه اللّه عن ذلك.و أمره أن يبلّغ و يتلو ما ينزل عليه فى حينه،و على هذا يكون مضمون هذه الآيه كالآيه(١١۴)من سوره طه: وَ لاٰ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ .

و ليس فى هذين التفسيرين اختلاف واسع،و يكون المعنى:لا ينبغى للنّبى أن يعجل فى استلام الوحى.

الثّالث:و لم يذهب اليه إلاّ القليل،و هو أنّ المخاطبين فى هذه الآيات هم المذنبون،و ذلك فى يوم القيامه حيث يأمرون بمحاسبه أنفسهم و ذكر أعمالهم، و يقال لهم:لا تعجلوا فى ذلك،و من الطبيعى أنّهم سوف يتضجرون عند ذكرهم لسيئاتهم و يمرون عليها باستعجال،فيأمرون بالتأنى فى قراءتها و اتباع الملائكه عند ذكر الملائكه لأعمالهم،و طبقا لهذا التفسير لا تكون هذه الآيه كجمله معترضه،بل مرتبطه مع الآيات السابقه و اللاحقه لها.لأن جميعها تتحدث عن أحوال القيامه و المعاد،و أمّا التفسير الأوّل و الثّانى فيناسبان شكل الجمله المعترضه.

و لكن التفسير الثّالث بعيد و خاصّه مع الالتفات الى ذكر اسم القرآن فى الآيات اللاحقه،و يشير سياق الآيات إلى أن المراد هو أحد التفسيرين السابقين.

و لا إشكال فی الجمع بینهما بالرغم من أنّ سیاق الآیات اللاحقه یؤیّد التفسیر الأول أی المشهور(فتدبّر).

ثمّ یضیف: إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ (۱) و بالتالی لا تقلق علی جمع القرآن، نحن نجمعه و نتلوه علیک بواسطه الوحی.

ثم یقول تعالی: فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ،ثمّ یضیف: ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا بَیانَهُ .

فیکون جمع القرآن و قراءته لک و تبیینه و تفصیل معانیه بعهدتنا،فلا تقلق علی شیء،فالذی أنزل الوحی هو الذی یحفظه،و أمّا ما یعهد إلیک هو اتباعک له و إبلاغک الرساله للناس،و عن بعضهم أنّ المراد من الجمع لیس الجمع فی لسان الوحی،بل جمعه فی صدر النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قراءته علی لسانه أی لا تعجل إنّ علینا أن نجمعه فی صدرک و نثبت قراءته فی لسانک بحیث تقرأه متی شئت.

علی کل حال فإن هذه العبارات تؤید التفسیر الأوّل،و هو أن الوحی النازل بواسطه جبرئیل علیه السّلام عند ما کان یهبط علی النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لیقرأ علیه القرآن کان صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یکرر الآیات بسرعه لئلا ینساها.و هنا جاء الأمر من اللّه أن أهدأ و اطمئن فإنّه تعالی هو الذی یجمع الآیات و یبیّنها.و هذه الآیات تبیّن ضمنیا أصاله القرآن، و حفظه من أی تغیّر و انحراف،لأنّ اللّه تعالی عهد بجمعه و قراءته و تبیینه.

و ورد فی أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کان بعد نزول هذه الآیات إذا أتاه جبرئیل علیه السّلام أطرق،فإذا ذهب قرأ کما وعده اللّه (۲) .

***

۱- ۱) -یجب الانتباه إلی أن«القرآن»فی هذه الآیه و الآیه التی تلیها هو مصدر و یراد به القراءه.

۲- ۲) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۳۹۷.

الآيات [سوره القيامه (۷۵): الآيات ۲۰ الى ۲۵]

اشاره

كَلاّ بَلْ تُحِبُّونَ اَلْعاجِلَهَ (۲۰) وَ تَذَرُونَ اَلْآخِرَهَ (۲۱) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نّاضِرَهٌ (۲۲) إِلىٰ رَبِّهٰا نّاظِرَهٌ (۲۳) وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بّاسِرَهٌ (۲۴) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهٰا فٰاقِرَهٌ (۲۵)

التّفسير

اشاره

الوجوه الضاحكه و الوجوه العابسه فى ساحه القيامه:

ترجع هذه الآيات مرّه أخرى لتكمل البحوث المتعلقه بالمعاد.

و خصوصيات أخرى من القيامه،و كذلك تبيّن علل إنكار المعاد فيقول تعالى كَلاّ- بَلْ تُحِبُّونَ اَلْعاجِلَهَ (۱) فليس الأمر كما يتصور من أن دلائل المعاد خفيّه و لا- يمكنكم الاطلاع عليها،بل إنّكم عشقتكم الدنيا.و لهذا السبب تركتم الآخره وَ تَذَرُونَ اَلْآخِرَهَ .

إنّ الشك فى قدره اللّه تعالى و جمع العظام و هى رميم ليس هو الدافع لإنكار

۱- ۱) -قال البعض إن(كلاّ-)إشاره الى نفى تدبرهم للقرآن المجيد،و ليس هذا المعنى صحيحا لأن المخاطب هو نفس النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لها جانب اعتراضى كما قلنا فى الآيات المتعلقه بالقرآن،و أمّا الآيات التى نحن بصدد البحث فيها فإنّها تتميم للآيات السابقه حول القيامه.

المعاد،بل إنّ حبّكم الشديد للدنيا و الشهوات و الميول المغريه هى التى تدفعكم الى رفع الموانع عن طريق ملذاتكم،و بما أنّ المعاد و الشريعه الإلهيه توجد موانع و حدودا كثيره على هذا الطريق،لذا تتمسكون بإنكار أصل الموضوع،و تتركون الآخره بتمامها.

و كما ذكرنا سابقا أنّ إحدى العلل المهمّه للميول الى الماديه و إنكار المبدأ و المعاد هو كسب الحريه المطلقه للانجراف وراء الشهوات و اللذات و الذنوب، و لا ينحصر هذا فى العهود السابقه،بل يتجلّى هذا المعنى فى عالم اليوم بصوره أوضح.

و هاتان الآيتان تؤكّدان ما ورد فى الآيات السابقه و التى قال فيها تعالى شأنه: بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أَمامَهُ و قال أيضا: يَسْئَلُ أَيّانَ يَوْمُ الْقِيامَهِ .

ثمّ ينتهى إلى تبيان أحوال المؤمنين الصالحين و الكفّار المسيئين فى ذلك اليوم،فيقول تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَهٌ .

«ناضره»:من ماده(نضره)و تعنى البهجه الخاصّه التى يحصل عليها الإنسان عند وفور النعمه و الرفاه،و وفورها يلازم السرور و الجمال و النورانيه، أى أنّ لون محياهم تحكى عن أحوالهم،كيف أنّهم أغرقوا فى النعم الإلهيه،و هذا شبيه لما جاء فى الآيه(٢۴)من سوره المطفّفين: تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَهَ النَّعِيمِ .

هذا من ناحيه العطايا الماديه،و أمّا عن العطايا الروحيه فيقول تعالى: إِلى رَبِّها ناظِرَهٌ نظره بعين القلب و عن طريق شهود الباطن،نظره تجذبهم إلى الذات الفريده و إلى ذلك الكمال و الجمال المطلقين،و تهبهم اللذه الروحانيه و الحال الذى لا يوصف،إذ أنّ لحظه منها أفضل من الدنيا و ما فيها.و الجدير بالذكر أن تقديم(إلى ربّها)على(ناظره)تفيد الحصر، أى ناظره إلى اللّه فقط لا إلى غيره.

و إذا قيل إنّ أهل الجنان ينظرون إلى غير اللّه تعالى أيضا،فإنّنا نقول:إذا نظروا

إلی غیره فإنّهم سوف یرون آثار اللّه فیها،و النظر إلی الأثر هو نظر إلی المؤثر، و بعباره أخری أنّهم یرونه فی کلّ مکان.و یرون تجلی قدرته و جلاله و جماله فی کل شیء،و لذا فإنّ نظرهم إلی نعم الجنان لا یجرهم إلی الغفله عن النظر إلی ذات اللّه.

و لهذا السبب ورد فی بعض الرّوایات فی تفسیر هذه الآیه:(إنهم ینظرون الی رحمه الله و نعمته و ثوابه) (۱) لأن النظر إلی ذلک هو بمثابه النظر إلی ذاته المقدّسه.

قال بعض الغافلین:إن هذه الآیه تشیر إلی شأنه فی یوم القیامه،و یقولون:إنّ اللّه سوف یری بالعین الظاهره فی یوم القیامه.و الحال إنّ مشاهدته بالعین الظاهره تستلزم جسمانیته.و الوجود فی المکان،و الکیفیه و الحاله الخاصّه وجود جسمانی،و نعلم أنّ ذاته المقدّسه منزّهه عن مثل هذا الإعتقاد الملوث،کما اعتمد القرآن هذا المعنی فی آیاته مرات عدیده،منها ما فی الآیه(۱۰۳)من سوره الأنعام: لا تُدْرِکُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ یُدْرِکُ الْأَبْصارَ و هذه الآیه مطلقه لا تختص فی الدنیا.

علی کل حال فإنّ عدم النظر الحسی إلی اللّه تعالی أمر واضح لا یحتاج البحث فیه أکثر من هذا،و یقرّ بذلک من له أدنی اطلاع علی القرآن و المفاهیم الاسلامیه.

و قال البعض فی معنی الناظره أقوالا أخری مثلا:ناظره من ماده الانتظار، أی أنّ المؤمنین لا ینتظرون شیئا إلّا من اللّه تعالی،و حتی أنّهم لا یعتمدون علی أعمالهم الصالحه و أنّهم ینتظرون رحمه اللّه و نعمته بشکل دائم.

و إذا قیل إنّ هذا الانتظار سیکون مصحوبا مع نوع من الانزعاج،و الحال أنّ المؤمن لا شیء یزعجه فی الجنان؟فیقال:إنّ ذلک الانتظار المصحوب

۱- ۱) -تفسیر روح الثقلین،ج ۵،ص ۴۳۶۴ و ۴۶۵.

بالانزعاج هو ما لا يطمأن عقباه،أما إذا ما وجد الاطمئنان.فسيكون مثل هذا الانتظار مصحوبا بالهدوء (۱) .

و الجمع بين معنى(النظر)و(الانتظار)غير بعيد،لجواز استعمال اللفظ الواحد فى المعانى المتعدده.و إذا كان المراد هو أحد المعنيين،فإن الأرجح هو المعنى الأوّل.

و ننهى هذا الكلام

بحديث مسند إلى النّبى صلّى اللّه عليه و آله إذ قال: «إذا دخل أهل الجنّه الجنّه يقول اللّه تعالى تريدون شيئا أزيدكم؟فيقولون:ألم تبيض وجوهنا؟ألم تدخلنا الجنّه و تنجينا من النّار»؟ قال:«فيكشف اللّه تعالى الحجاب فما أعطوا شيئا أحبّ إليهم من النظر الى ربّهم»! (۲) و الظريف هو ما

ورد فى حديث عن أنس بن مالك،عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال:

«ينظرون إلى ربّهم بلا كيفيه و لا حد محدود و لا صفه معلومه» (۳) ، و هذا الحديث تأكيد على المشاهده الباطنيه لا العينيه.

و فى النقطه المقابله لهذه الجماعه المؤمنه،هناك جماعه تكون وجوههم مقطبه. وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بٰاسِرَهٌ .

«باسره»:من ماده(بسر)على وزن(نصر)،و هو الشىء غير الناضج و العمل الذى لم يأت حينه،و لذا يقال لفاكهه النخل غير الناضجه(بسر)على وزن(عسر) و يطلق على عبوس الوجه.و هذا الوصف هو ردّ فعل الإنسان قبل وصول العذاب و الأذى إليه.

۱- ۱) -يعتقد البعض أنّ(النظر)الذى يعنى الانتظار لا يتعدى ب(إلى)بل يتعدى بدون حرف الجر،و لكن هنا شواهد من أشعار العرب تشير إلى أن(النظر)الذى يعنى الانتظار يتعدى كذلك ب(إلى)(راجع مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۳۹۸؛و تفسير القرطبى،ج ۱۰،ص ۶۹۰۰).

۲- ۲) -روح المعانى،ج ۲۹،ص ۱۴۵.

۳- ۳) -تفسير الميزان،ج ۲۰،ص ۲۰۴.

فعنـد مـا ينظر الكـافرون إلى علامات العـذاب و صـحائف أعمالهم الخاليه من الحسـنات و المملوءه بالسـيئات،يصـيبهم النـدم و الحسره و الحزن و يعبسون وجوههم لذلك.

تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فاقِرَهٌ

.

يرى الكثير من المفسّـرين بـأنّ(الظن)هنـا بمعنى العلم.أى أنّهم يوقنون بمثـل هـذا العـذاب،و الحـال أنّ بعضـهم يرى أنّ(ظن)هنا بمعناهـا المعروف أى الاحتمـال القوى،و من الطبيعى أنّهم يوقنون إجمالاـ بـأنّهم سوف يعـذبون،و لكن ليس بمثل هـذا العـذاب الشديد (۱) .

«فـاقره»:مـن مـاده(فقره)على وزن(ضـربه)و جمعهـا(فقـار)و تعنى حلقـات الظهر،و يقـال للحـادثه الثقيلـه الـتى تكسـر حلقـات الظهر«فاقره»،«و الفقير»قيل له ذلك لهذا الوجه،أى أنّه مكسور الظهر (۲) .

على كل حال فإنّ هـذا التعبير كنايه للعقوبات الثقيله و التى تنتظر هذه الجماعه فى جهنّم،إنّهم ينتظرون عذابا قاصـما،و الحال إنّ الجماعه السابقه منتظرون لرحمه اللّه تعالى و مستعدون للقاء المحبوب.هؤلاء لهم أسوأ العذاب.

و أولئك لهم أسمى النعم الجسمانيه و المواهب و اللذات الروحانيه.

***

۱- ۱) -من جمله الشواهـد التى جاءوا بها لهذا الموضوع هو أنّ الظن إذا كان بمعنى العلم فيجب أن يكون(أن)بعد(تظن)مخففه من الثقيله و الحال هو(أن)مصدر بقرينه إعمالها النصب.

۲ - ۲) -«فـاقره»:صـفه الموصوف محـذوف و تقـديره(داهيه فـاقره)و(تظن)فعـل و(وجوه)فـاعله،و فى التقـدير(أربـاب الوجوه)أو (ذوات الوجوه).

الآيات [سوره القيامه (۷۵): الآيات ۲۶ الى ۳۰]

اشاره

كَلاّ إِذا بَلَغَتِ اَلتَّراقِيَ (۲۶) وَ قِيلَ مَنْ رٰاقٍ (۲۷) وَ ظَنَّ أَنَّهُ اَلْفِرٰاقُ (۲۸) وَ اِلْتَفَّتِ اَلسّاقُ بِالسّاقِ (۲۹) إِلىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ اَلْمَسٰاقُ (۳۰)

التّفسير

إتماما للأبحاث المرتبطه بالعالم الآخر و مصير المؤمنين و الكفّار يأتى الحديث فى هذه الآيات عن لحظه الموت المؤلمه و التى تعتبر بابا إلى العالم الآخر فيقول تعالى: كَلاّ إِذا بَلَغَتِ التَّراقِيَ (۱) أى كلاّ إنّه لا يؤمن حتى تصل روحه التراقى.

هو ذلك اليوم الذى تنفتح فيه عينه البرزخيه،و تزال عنها الحجب،و يرى فيها علامات العذاب و الجزاء،و يوقف على أعماله،ففى تلك اللحظه يقرّ بالإيمان و لكن إيمانه لا ينفعه و لا يفيد حاله أبدا.

«تراقى»:جمع«ترقوه»،و هى العظام المكتنفه للنحر عن يمين و شمال،

۱- ۱) -«إذا»:أداه شرطيه و جزاؤه محذوف،و التقدير(إذا بلغت التراقى انكشف له حقيقه الأمر،و وجد ما عمله)،و الفاعل فى (بلغت)هو(النفس)و هو محذوف و يعرف بقرينه الكلام.

و بلوغ الروح إلى التراقى كنايه عن اللحظات الأخيره من عمر الإنسان،و ذلك عند ما تخرج الروح من البدن،تتوقف الأعضاء البعيده عن القلب(كاليدين و الرجلين)قبل غيرها،كأن الروح تطوى نفسها فى البدن تدريجيا حتى تصل إلى الحلقوم.

و فى هذه الفتره يسعى أهله و أصدقائه مستعجلين قلقين لانقاذه،يقول تعالى: وَ قِيلَ مَنْ رٰاقٍ أى هل هناك من منقذ يأتى لإنقاذ هذا المريض؟ و يقولون هذا الحديث عن وجه العجز و اليأس،و الحال أنّهم يعلمون أنّه قد فات الآوان و لا ينفع معه طبيب.

«راق»:من ماده(رقى)على وزن(نهى)و(رقيه)على وزن(خفيفه)و هو الصعود،و لفظه(رقيه)تطلق على الأوراد و الأوعيه التى تبعث على نجاه المريض،و قيل للطبيب الذى ينجى المريض و يخلصه مما هو فيه«راقى»، فيكون مفهوم الآيه:ينادى أهل المريض،و أحيانا المريض نفسه من شدّه الضجر:ألا هل من داع يدعو بدعاء لينجى هذا المريض؟ و قال البعض:إنّ المعنى قول الملائكه بعضها لبعض:من يرقى بروحه من الملائكه،أ ملائكه الرحمه،أم ملائكه العذاب؟ و أضاف البعض إنّ ملائكه اللّه تكره قبض روح غير المؤمن،و لذا يقول ملك الموت:من يرقى بروحه،و المعنى الأوّل أوجه و أنسب.

و فى الآيه التاليه إشاره إلى اليأس الكامل للمحتضر فيقول تعالى: وَ ظَنَّ أَنَّهُ الْفِرٰاقُ أى فى هذه الحاله يصاب باليأس من الحياه و اليقين بالفراق، ثمّ: وَ الْتَفَّتِ السّٰاقُ بِالسّٰاقِ و هذا الالتفاف إمّا لشدّه الأذى لخروج الروح،أو لتوقف عمل اليدين و الرجلين و تعطيل الروح منها.

و ذكرت تفاسير أخرى لهذه الآيه،منها ما نقرأ

فى حديث عن الإمام

الباقر علیه السّلام قال: (التفت الدنیا بالآخره) (۱) و مثله عن علی بن إبراهیم (۲) .

و نقل عن ابن عباس کذلک من المراد من الآیه:التفاف أمر الآخره بأمر الدنیا.

و قال البعض:هو التفاف شدائد الموت بشدائد القیامه.

و الظاهر رجوع جمیع هذه المعانی إلی ما أوردناه فی قول الباقر علیه السّلام،و اتخذ هذا التفسیر لکون أحد معانی«الساق»فی لغه العرب هو الحادثه الشدیده و المصیبه و الباء العظیم.

و قال آخرون هو التفاف الساق فی الکفن.و یمکن جمع هذه التفاسیر فی معنی الآیه إذ لا منافاه بینها.

ثمّ یقول تعالی فی آخر آیه من آیات البحث: إِلیٰ رَبِّکَ یَوْمَئِذٍ الْمَسٰاقُ .

أجل إلی اللّه تعالی المرجع حیث یحضر الخلائق عند محکمه العدل الإلهیه، و هکذا ینتهی المطاف إلیه،و هذه الآیه أیضا تأکید علی مسأله المعاد و البعث الشامل للعباد،و یمکن أن تکون إشاره إلی الحرکه التکامالیه للخلائق و هی متجهه نحو الذات المقدّسه و اللامتناهیه.

***

ملاحظه

اشاره

لحظه الموت المؤلمه:

کما نعلم أنّ القرآن کثیرا ما أکّد علی مسأله الموت خصوصا عن الاحتضار، و ینذر الجمیع أنّهم سیواجهون مثل هذه اللحظه،و قد عبّر عنها أحیانا(بسکره

۱- ۱) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۴۶۵.

۲- ۲) -المصدر السابق.

الموت) (۱) و أحيانا أخرى(بغمرات الموت) (۲) و كذلك ببلوغ الحلقوم (۳) و يعبر عنه أيضا ببلوغ الروح إلى التراقى،أى العظام المكتنفه للنحر كما فى الآيات مورد البحث،و يستفاد من مجموع ذلك أنّ تلك اللحظه على خلاف ما يقوله الماديون،لحظه صعبه و مؤلمه،و لم لا يكون كذلك و الحال أنّها لحظه انتقال من هذا العالم إلى عالم آخر،أى إنّ الإنسان كما ينتقل من عالم الجنين إلى عالم الدنيا مصحوبا بألم شديد،فكذلك الانتقال إلى العالم الآخر بهذا الشكل.

و المستفاد من الرّوايات أنّ هذه اللحظه سهله على المؤمنين،و صعبه و مؤلمه على فاقدى الإيمان،و ذلك لشوق المؤمنين للقاء اللّه و رحمته و نعمه السرمديه بحيث لا يشعرون بآلام لحظه الانتقال.و أمّا المجموعه الثانيه فإنّ الآلام تتضاعف عليهم لحظه الانتقال لخوفهم من العقوبات من جهه،و لمصيبه فراق الدنيا التى يحبونها من جهه أخرى.

نقل

فى حديث للإمام على بن الحسين عليه السّلام عند ما سئل عن الموت،فقال:

«للمؤمن كنزع ثياب وسخه قمله،و فك قيود و أغلال ثقيله،و الاستبدال بأفخر الثياب و أطيبها روائح،و أوطئ المراكب،و آنس المنازل،و للكافر كخلع ثياب فاخره،و النقل عن منازل أنيسه،و الاستبدال بأوسخ الثياب و أخشنها،و أوحش المنازل و أعظم العذاب» (۴) .

و

فى حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السّلام عند ما طلب شخص منه أن يوصف له الموت فقال الإمام عليه السّلام:«للمؤمن كأطيب ريح يشمه فينعس لطيبه و ينقطع التعب و الألم كلّه عنه،و للكافر كلسع الأفاعى و لدغ العقارب أو أشدّ»! (۵) .

۱- ۱) - وَ جٰاءَتْ سَكْرَهُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ سوره ق آيه ۱۹.

۲- ۲) -الأنعام،الآيه ۹۳.

۳- ۳) - فَلَوْ لا إِذٰا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ سوره الوقعه آيه ۸۳.

۴- ۴) -بحار الأنوار،ج ۶،ص ۱۵۵.

۵- ۵) -بحار الأنوار ج ۶ ص،۱۵۲.

على كل حال فإنّ الموت باب يؤدى إلى عالم البقاء،كما

فى حديث عن الإمام أمير المؤمنين إذ قال: «لكل دار باب و باب دار الآخره الموت» (۱) .

أجل،إنّ ذكر الموت له الأثر البالغ و العميق فى كسر الشهوات و إنهاء الآمال الطويله و البعيده و محو آثار الغفله عن مرآه القلب،لذا

ورد فى حديث عن الإمام الصادق عليه السّلام قال: «ذكر الموت يميت الشهوات فى النفس و يقلع منابت الغفله، و يقوّى القلب بمواعد اللّه و يرقّ الطبع،و يكسر أعلام الهوى،و يطفئ نار الحرص،و يحقّر الدنيا،و هو معنى ما قال النّبى:«فكر ساعه خير من عباده سنه» (۲) .

و بالطبع المراد من ذلك هو بيان أحد المصاديق الواضحه للتفكر و لا ينحصر موضوع التفكر بذلك.

و أوردنا فى ما مضى بحثا آخرا لهذا الموضوع فى ذيل الآيه(۱۹)من سوره(ق).

***

۱- ۱) -شرح النهج لابن أبى الحديد،ج ۲،ص ۳۴۵.

۲- ۲) -بحار الأنوار،ج ۶،ص ۱۳۳.

الآيات [سوره القيامه (۷۵): الآيات ۳۱ الى ۴۰]

اشاره

فَلا صَدَّقَ وَ لا صَلّى (۳۱) وَ لكِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلّى (۳۲) ثُمَّ ذَهَبَ إِلى أَهْلِهِ يَتَمَطّى (۳۳) أَوْلى لَكَ فَأَوْلى (۳۴) ثُمَّ أَوْلى لَكَ فَأَوْلى (۳۵) أَ يَحْسَبُ اَلْإِنْسانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً (۳۶) أَ لَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنى (۳۷) ثُمَّ كانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوّى (۳۸) فَجَعَلَ مِنْهُ اَلزَّوْجَيْنِ اَلذَّكَرَ وَ اَلْأُنْثى (۳۹) أَ لَيْسَ ذلِكَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ اَلْمَوْتى (۴۰)

التّفسير

اشاره

خلق الإنسان من نطفه قذره:

استمرارا للبحوث المتعلقه(بالموت)الذى يعتبر الخطوه الأولى فى السفر إلى الآخره يتحدث القرآن فى هذه الآيات عن خواء أيدى الكفّار من الزاد لهذا السفر.

فيقول أوّلا: فَلا صَدَّقَ وَ لا صَلّى (۱) أى إنّ هذا الإنسان المفكر للمعاد لم

۱- ۱) -الضمير فى(صدق و صلى)يعود إلى الإنسان المنكر للمعاد،و هو ما يستفاد منه فى سياق الكلام،و قد أشير إلى ذلك فى صدر السوره.

يؤمن إطلاقا و لم يصدّق بآيات اللّه و لم يصلّ له.

و قال تعالى: وَ لٰكِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلّٰى .

المراد من جمله فَلاٰ صَدَّقَ عدم التصديق بالقيامه و الحساب و الجزاء و الآيات الإلهيه و التوحيد و نبوه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و قال البعض:إنّها إشاره إلى ترك الكافرين للإنفاق و الصدقه بقرينه ذكرها مع الصلاه،و لكن الآيه الثانيه تشهد جيدا على أن النقطه المقابله لهذا التصديق هو التكذيب،و لذا يكون التفسير الأوّل هو الأصح.

و يضيف تعالى فى الآيه الأخرى: ثُمَّ ذَهَبَ إِلىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطّٰى .

إنّه يظنّ بعدم اهتمامه للنّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تكذيبه إيّاه و للآيات الإلهيه قد حقق نصرا باهرا،إنّه كان ثملا من خمره الغرور،و اتجه إلى أهله لينقل لهم كالعاده ما كان قد حدث و ليفتخر بما صدر منه،و كان سيره و حركته تشيران إلى الكبر و الغرور.

«يتمطى»:من ماده(مطا)و أصله الظهر،و(تمطى)مدّ الظهر عن غرور و لا مبالاه.أو عن كسل،و المراد هنا هو المعنى الأوّل.

و قيل هو من ماده(مط)على وزن(خط)أى مدّ الإنسان رجله أو بقيه أعضاء البدن عند ما يريد إظهار اللامبالاه أو الكسل،و لكن اشتقاقه من(مطا) أنسب مع ظاهر اللفظ (۱) .

على كل حال فإنّ ذلك يشابه ما ورد فى الآيه(۳۱)من سوره المطففين:

وَ إِذَا انْقَلَبُوا إِلىٰ أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ .

ثمّ يخاطب القرآن أفرادا كهؤلاء و يهددهم فيقول تعالى:

أَوْلىٰ لَكَ فَأَوْلىٰ، ثُمَّ أَوْلىٰ لَكَ فَأَوْلىٰ

.

---

۱ - ۱) -لأنه إذا اعتبر من ماده(مطا)فإن ظاهر اللفظ لم يظهر عليه تغيير،و الحال إذا كان من ماده(مط)فيكون أصل جمله (يتمطى)هو(يتمطط)حيث بدلت الطاء الآخر بالياء.

هناک تفاسیر أخری متعدده ذکرت لهذه الآیه منها:

إنّها تهدید بمعنی لک العذاب ثم لک العذاب.

و قیل:ما أنت علیه من الحال أولی و أرجح لک فأولی.

و قیل:الذم أولی لک و أحسن ثم أحسن.

و قیل:الویل لک ثمّ الویل لک.

و قیل:یراد به بعدا لک من خیرات الدنیا و بعدا لک من خیرات الآخره.

و قیل:ولیک و صاحبک شرّ و عذاب ثمّ ولیک شرّ و عذاب.

و قیل:أولی لک ما تشاهده یوم بدر فأولی لک فی القبر ثمّ أولی لک یوم القیامه (۱) .

و لا یخفی أنّ غالبیه هذه المعانی تعود إلی معنی کلی و جامع،و تأخذ طابع التهدید بالعذاب،و الذمّ و الشرّ و العقاب أعم من عذاب الدنیا و البرزخ و القیامه.

و

ورد فی الرّوایات أنّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أخذ بید أبی جهل ثم قال له: أَوْلیٰ لَکَ فَأَوْلیٰ ثُمَّ أَوْلیٰ لَکَ فَأَوْلیٰ فقال أبو جهل:بأی شیء تهددنی لا تستطیع أنت و لا ربّک أن تفعلا بی شیئا،و إنّی لأعزّ أهل هذا الوادی،فأنزل اللّه سبحانه کما قال له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

ثم ینتهی القرآن فی هذا البحث إلی استدلالین لطیفین حول المعاد و أحدهما عن طریق(الحکمه الإلهیه و هدف الخلقه)،و الآخر عن طریق بیان قدره اللّه فی تحول و تکامل نطفه الإنسان فی المراحل المختلفه لعالم الجنین،فیقول تعالی عن المرحله الأُلی: أَ یَحْسَبُ الْإِنْسٰانُ أَنْ یُتْرَکَ سُدیً .

«سدی»:علی وزن(هدی)و هو المهمل الذی لا هدف له،و جاء قول العرب

۱- ۱) -المطابق لبعض التفاسیر أن(أولی)هنا هو(أفعل تفضیل)و طبقا للتفاسیر الأخری فإن(أولی)فعل ماض من باب أفعال من ماده(ولی)فیکون المعنی(قاربک اللّه العذاب)و قیل(أولی)من(أسماء الأفعال)و تعنی(قارب)و الأولی هو الأوجه.

(إبل سدى)فى الإبل السائبه التى تترك بلا راع.

و المراد من(الإنسان)فى هذه الآيه هو المنكر للمعاد و البعث،فيكون معنى الآيه:كيف يخلق اللّه هذا العالم العظيم للإنسان و لا يكون له هدف ما؟كيف يمكن ذلك و الحال أنّ كل عضو من أعضاء الإنسان خلق لهدف خاص،فالعين للنظر، و الأذن للسمع،و القلب لإيصال الغذاء و الأوكسجين و الماء إلى جميع الخلايا، حتى أنّ لخطوط أطراف أصابع الإنسان حكمه،و لكن يحسب أن لا هدف فى خلق كلّ ذلك،و هو مهمل لا تخطيط فيه و ليس له من أمر و نهى و مهام و مسئوليه، فلو صنع شخص ما صنعه صغيره لا فائده فيها فإنّ الناس سوف يشكلون عليه ذلك و يحذفون اسمه من زمره العقلاء.فكيف يمكن للّه الحكيم المطلق أن يخلق خلقا لا هدف له؟! و إذا قيل أنّ الهدف من هذه الحياه هو قضاء أيّام الدنيا،هذا الأكل و النوم المكرر الممزوج بآلاف الأنواع من الآلام و العذاب،فإنّ هذا لا يمكن أن يكون مبررا لذلك الخلق الكبير.و لذا فإنّنا نستنتج من أن الإنسان قد خلق لهدف أكبر، أى الحياه الخالده فى جوار رحمه اللّه و التكامل المستمر و الدائم (۱) .

ثم انتهى إلى تبيان الدليل الثّانى،فيضيف تعالى: أَ لَمْ يَكُ نُطْفَهً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنىٰ و بعد هذه المرحله و استقرار المنى فى الرحم يتحول الى قطعه متخثره من الدم، و هى العلقه،ثمّ أنّ اللّه تعالى يخلقها بشكل جديد و متناسب و موزون ثُمَّ كانَ عَلَقَهً فَخَلَقَ فَسَوّىٰ .

و لم يتوقف على ذلك: فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثىٰ .

أليس من يخلق النطفه الصغيره القذره فى ظلمه رحم الأم و يجعله خلقا جديدا كلّ يوم،و يلبسه من الحياه لباسا جديدا و يهبه شكلا مستحدثا ليكون بعد

۱- ۱) -كان لنا بحث آخر فى هذا الإطار فى ذيل الآيه(۱۱۵)من سوره المؤمنين.

ذلک إنسانا کاملا ذکرا أو أنثی ثم یولد من امّه،بقادر علی إعادته: أَ لَیْسَ ذٰلِکَ بِقٰادِرٍ عَلیٰ أَنْ یُحْیِیَ الْمَوْتیٰ ؟! و هذا البیان فی الواقع هو لمن ینکر المعاد الجسمانی و یعده محالا،و ینفی العوده إلی الحیاه بعد الموت و الدفن،و لإثبات ذلک أخذ القرآن بید الإنسان لیرجعه إلی التفکر ببدایه خلقه،و المراحل العجیبه للجنین لیریه تطورات هذه المراحل،و لیعلم أنّ اللّه قادر علی کلّ شیء،و بعباره أخری إن أفضل دلیل لحدوث الشیء هو وقوعه.

***

ملاحظتان

اشاره

۱-أطوار الجنین أو البعثات المکرره!

«النطفه»:أصلها الماء القلیل أو الماء الصافی،و قیل ذلک للقطرات المائیه المسببه لوجود الإنسان أو الحیوان عن طریق اللقاح.

و فی الحقیقه أنّ تحول النطفه فی المرحله الجنینیه من عجائب عالم الوجود و هو موضوع«علم الأجنه»و قد کشف عن کثیر من أسراره فی القرون الأخیره.

القرآن الکریم أکّد منذ ذلک الیوم الذی لم تکشف فیه هذه الأمور بعد-علی ذلک مرارا باعتباره أحد علائم القدره الإلهیه،و هذا هو بحدّ ذاته من علائم عظمه هذا الکتاب السماوی العظیم و إعجازه.

و مع أنّ هذه الآیات ذکرت بعض مراحل الجنین،فإنّ هناک آیات قرآنیه أخری بیّنت مراحل أکثر ممّا ذکر هنا،کصدر آیات سوره الحج و أوائل سوره المؤمنین،و ذکرنا شرحا مفصّلا فی ذیل هذه الآیات فی هذا المجال.

و الآیه تتضمّن کلمه(ذلک)و هو اسم إشاره للبعید،فیما یخص اللّه تعالی،

و هو كنايه لعظمه مقامه تعالى،و إشاره إلى أنّ ذاته المقدّسه لا يتمكن البشر من إدراكها و معرفتها.

و

جاء فى روايه لما نزلت هذه الآيه: أَ لَيْسَ ذٰلِكَ بِقٰادِرٍ عَلىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتىٰ أنّ رسول اللّه قال:«سبحانك اللّهم،و بلى».

و نقل هذا المعنى أيضا عن الإمامين أبى جعفر الباقر و أبى عبد اللّه الصادق عليهما السلام (۱) .

۲-نظام الأجناس البشريه

لا يزال العلم قاصرا فى معرفه العوامل الاصليه التى تؤثر فى تبديل جنس المذكر أو المؤنث رغم البحوث الكثيره التى أجريت فى هذا الصدد،صحيح أنّ بعض المواد الغذائيه أو الأدويه يمكن أن تؤثر فى هذه المسأله،و لكن من اليقين أن أيّا منها لا يكون معيّنا لها،و بعباره أخرى أن هذا هو أمر علمه عند اللّه تعالى.

و يرى من جهه أخرى التعادل النسبى المستمر بين هذين الجنسين فى كلّ المجتمعات،و إن كان عدد النساء أكثر فى أغلب المجتمعات،و ازدياد عدد الرجال فى مجتمعات أخرى،و لكن الحصيله تشير إلى وجود التعادل النسبى بين الجنسين،فلو فرضنا أن اختل يوما هذا التعادل،و تضاعف عدد النساء مثلا- إلى عشره أضعاف،أو أن عدد الرجال تضاعف عشره أضعاف النساء.عندئذ كيف سيختل نظام المجتمع الإنسانى؟و ماذا سيتخلف فيه من المفاسد العجيبه بحيث تقابل المرأه عشره رجال،أو يقابل الرجل عشر نساء،و ما يقام من غوغاء!؟ الآيه السالفه تقول: فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثىٰ و هى إشاره لطيفه لموضوعين:فمن جهه تشير الى تنوع البشر،و تقسيمهم إلى هذين الجنسين فى

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۴۰۲.

مرحله الجنین،و من جهه أخری تشیر إلی هذا التعادل النسبی (۱) .

اللّهم!نحن نشهد أنّک قادر علی احیاء جمیع الموتی فی لحظه واحده،و لا شیء یقف أمام قدرتک اللامتناهیه...

ربّنا!إنّنا فی ذلک الیوم الذی تصل فیه أرواحنا إلی التراقی لیس لنا أمل أو رجاء سوی رحمتک و لطفک...

إلهنا!ارزقنا معرفه الهدف من خلقک...

آمین یا ربّ العالمین نهایه سوره القیامه ***

۱- ۱) -إنّ المشهور هو زیاده عدد النساء علی الرجال فی کلّ المجتمعات،و هذا هو أحد الدلائل علی تعدد الزوجات،و هو أمرّ مقبول،و هذا ممّا لا ینافی التعادل النسبی،فمثلا یکون عدد مجتمع ما ۵۰ ملیون نسمه،فمن الممکن أن یکون عدد النساء ۲۶ ملیونا،و الرجال ۲۴ ملیونا،أی أن التفاوت بینهما بحدود العشر أو أقل من ذلک،أمّا أن یکون عدد النساء أضعاف عدد الرجال فهذا ما لم یلاحظ فی أی مجتمع.

سوره الإنسان

اشاره

(الدهر) مدنيّه و عدد آياتها واحد و ثلاثون آيه

ص: ۲۳۷

محتوى السوره:

هذه السوره رغم قصرها،فانّ لها محتويات عميقه و متنوعه و جامعه، و يمكن بنظره واحده تقسيمها إلى خمسه أقسام:

القسم الأوّل:يتحدث عن إيجاد الإنسان و خلقه من نطفه أمشاج(مختلطه)، و كذلك عن هدايته و حريه إراداته.

القسم الثّانى:يدور الحديث فيه عن جزاء الأبرار و الصالحين،و سبب النزول الخاص بأهل البيت عليهم السّلام.

القسم الثّالث:تكرار الحديث عن دلائل استحقاق الصالحين لذلك الثواب فى عبارات قصيره و مؤثره.

القسم الرّابع:يشير إلى أهميه القرآن و سبيل إجراء أحكامه و منهج تربيه النفس الشاق.

القسم الخامس:جاء الحديث فيه عن حاكميه المشيئه الإلهيه(مع حاكميه الإنسان).

و لهذه السوره أسماء عديده،أشهرها(الإنسان)(الدهر)و(هل أتى)و هذه الكلمات وردت فى أوائل السوره،و إن كانت الرّوايات الوارده فى فضيلتها و التى سوف يأتى ذكرها،قد ذكرت اسم(هل أتى)لهذه السوره.

***

هل أنّ هذه السوره مدنیه؟

هناک أقوال فی أوساط المفسّرین حول مدنیه هذه السوره أو مکیّتها، فالمفسّرون و منهم علماء الشیعه أجمعوا علی أنّ السوره بتمامها أو علی الأقل ما جاء فی صدرها و التی تتحدث عن الأبرار و الأعمال الصالحه هی مدنیه، و سیأتی فیما بعد شرح القصه التی کانت سببا لنزول السوره،و القصه تحکی عمّا نذره أمیر المؤمنین و الزهراء الحسنان علیهم السّلام و خادمتهم و فضه.

و المشهور بین علماء أهل السنه أنّها مدنیه کما قال القرطبی فی تفسیره:

(و قال الجمهور مدنیه) (۱) ،و نذکر هنا أسماء العلماء الذین قالوا بمدنیه السوره أو بعضها:

۱-الحاکم أبو القاسم الحسکانی:فقد نقل عن ابن عباس عددا من السور المکیه و المدنیه،و رتّبها کما نزلت،فکانت هذه السوره عنده فی قائمه السور المدنیه و التی نزلت بعد سوره الرحمن و قبل سوره الطلاق (۲) ،و أورد صاحب کتاب الإیضاح الأستاذ أحمد زاهر نفس المعنی و ذلک عن ابن عباس (۳) .

۲-نقل فی(تاریخ القرآن)لأبی عبد اللّه الزنجانی عن کتاب(نظم الدرر و تناسق الآیات و السور)عن کبار علماء أهل السنه أنّ سوره الإنسان اعتبرت من السور المدنیه (۴) .

۳-و نقل کذلک فی کتاب(فهرست ابن الندیم)عن ابن عباس أن سوره هل أتی هی السوره المدنیه الحادیه عشره (۵) .

۴-نقل فی(الإتقان)للسیوطی عن البیهقی فی(دلائل النبوه)عن عکرمه أنّه

۱- ۱) -تفسیر القرطبی،ج ۱۰،ص ۶۹۰۹.

۲- ۲) -تفسیر مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۴۰۵.

۳- ۳) -المصدر السابق.

۴- ۴) -تاریخ القرآن،ص ۵۵.

۵- ۵) -المصدر السابق.

قال:إنّ سوره(هل أتی)مدنیّه (۱) .

۵-و نقل هذا المضمون أیضا بطرق مختلفه عن ابن عباس فی(الدرر المنثور) (۲) .

۶-نقل الزمخشری فی(تفسیر الکشاف)ما هو مشهور فی سبب نزول آیات صدر السوره و قال:هی فی نذر علی و زوجته و ولدیه علیهم السّلام (۳) .

۷-و نقل کذلک جمع کثیر من کبار علماء أهل السنه فی أنّ سبب نزول الآیات الوارده فی صدر السوره إِنَّ الْأَبْرارَ... قد نزلت فی حق علیّ و فاطمه الزهراء و الحسن و الحسین علیهم السّلام و هی شهاده علی مدنیّه السوره(لأن ولاده الحسن و الحسین علیهما السّلام کانت فی المدینه)کالواحدی فی(أسباب المنزل)و البغوی فی(معالم التنزیل)و سبط بن الجوزی فی(التذکره)و الگنجی الشافعی فی(کفایه الطالب)و جمع آخر (۴) .

و هذه المسأله مشهوره بکثره لغایه أن(محمد بن إدریس الشافعی)و هو أحد الأئمه الأربعه لأهل السنه یقول فی شعره:

إلام،إلام و حتی متی؟

أعاتب فی حبّ هذا الفتی!

و هل زوجت فاطم غیره؟

و فی غیره هل أتی هل أتی؟! (۵)

و هناک أدلّه کثیره فی هذا الإطار و سنبیّن قسما منها عند توضیح سبب نزول الآیه: إِنَّ الْأَبْرارَ یَشْرَبُونَ... .

و مع ذلک کله فإنّ البعض یصرّ بعصبیه علی أنّ السوره مکیه،و ینکرون ما قیل من الرّوایات التی وردت فی حق السوره و نزولها فی المدینه و إنکار نزولها

۱- ۱) -تفسیر المیزان،ج ۲۰،ص ۲۲۱.

۲- ۲) -المصدر السابق.

۳- ۳) -الکشاف،ج ۴،ص ۶۷۰.

۴- ۴) -إحقاق الحق،ج ۳،ص ۱۵۷-۱۷۰(مع ذکر أسماء و صفحات کتبهم).

۵- ۵) -المصدر السابق.

كذلک فی حق علی و أهل بیته علیهم السّلام! و ذلک من العجب حقّا،فأینما تنتهی الآیه أو الروایه إلی فضائل علی و أهل البیت علیهم السّلام یعلو الصراخ و العویل و تظهر الحساسیات الشدیده و کأنّ الإسلام قد وقع فی خطر!رغم أنّهم یدّعون أنّ علیا علیه السّلام من الخلفاء الراشدین و من أئمه الإسلام العظام و أنّهم یتودّدون إلی أهل البیت علیه السّلام،و نری من نتائج حکم الروح الأمویه علی أفکار هذه الجماعه و ولیده الإعلام المضلل لتلک المرحله المشؤومه.حفظنا اللّه من جمیع الشبهات.

فضیله السوره:

فی حدیث عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: «من قرأ سوره(هل أتی)کان جزاؤه علی اللّه جنّه و حریرا» (۱) .

و

ورد فی حدیث عن الإمام الباقر علیه السّلام: «من قرأ سوره هل أتی فی کل غداه خمیس زوجه اللّه من الحور العین مأه عذراء و أربعه آلاف ثیب و کان مع محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم» (۲) .

***

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۴۰۲.

۲- ۲) -المصدر السابق.

الآيات [سوره الإنسان (۷۶): الآيات ۱ الى ۴]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ هَلْ أَتىٰ عَلَى اَلْإِنْسٰانِ حِينٌ مِنَ اَلدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً (۱) إِنّٰا خَلَقْنَا اَلْإِنْسٰانَ مِنْ نُطْفَهٍ أَمْشٰاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنٰاهُ سَمِيعاً بَصِيراً (۲) إِنّٰا هَدَيْنٰاهُ اَلسَّبِيلَ إِمّٰا شٰاكِراً وَ إِمّٰا كَفُوراً (۳) إِنّٰا أَعْتَدْنٰا لِلْكٰافِرِينَ سَلاٰسِلَ وَ أَغْلاٰلاً وَ سَعِيراً (۴)

التّفسير

اشاره

الإنسان مخلوق من النطفه التافهه:

تتحدث الآيات الأولى عن خلق الإنسان،بالرغم من أنّ أكثر بحوث هذه السوره هى حول القيامه و نعم الجنان،فتحدثت فى البدء عن خلق الإنسان،لأنّ التوجه و الالتفات إلى هذا الخلق يهىء الأرضيه للتوجه إلى القيامه و البعث كما شرحنا ذلك سابقا فى تفسير سوره القيامه.

فيقول تعالى: هَلْ أَتىٰ عَلَى الْإِنْسٰانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً (۱) .

ص: ۲۴۳

---

۱ - ۱) -«هل»:يراد بها(قد)أو أنّها بمعنى الاستفهام التقريرى أو الإنكارى،و لكن الظاهر فيها الاستفهام التقريرى،فيكون معنى الجمله:(أليس قد أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا).

نعم،كانت ذرات وجود هذا الإنسان متناثره فى كلّ صوب و بين الأتربه،بين أمواج قطرات ماء البحر.فى الهواء المتناثر فى جو الأرض،و هكذا اختفت المواد الأصليه لوجوده فى كلّ زاويه من زوايا هذه المحيطات الثلاثه،و قد ضاع بينها و لا يمكن ذكره مطلقا.

و لكن هل أنّ المراد من الإنسان هنا هو نوع الإنسان،و يشمل بذلك عموم البشر،أم أنّ هذا الإنسان يختص بالنبى آدم عليه السّلام؟ الآيه الأخرى التى تقول: إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَهٍ قرينه واضحه على المعنى الأوّل،و إن كان البعض يرى أنّ الإنسان فى الآيه الاولى يراد به آدم عليه السّلام، و الإنسان فى الآيه الثّانيه يراد به أولاده،و لكن هذا الاختلاف فى هذه الفاصله القصيره مستبعد جداً.

و هناك أقوال فى تفسير لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً منها:إنّ الإنسان لم يكن شيئا مذكورا عند ما كان فى عالم النطفه و الجنين،و إنّما أصبح ممّن يذكر عند ما طوى مراحل التكامل فيما بعد؛

ففى حديث ورد عن الإمام الباقر عليه السّلام «كان الإنسان مذكورا فى علم اللّه و لم يكن مذكورا فى عالم الخلق» (۱) .

و جاء فى بعض التفاسير أنّ المراد بالإنسان هنا هم العلماء و المفكرون الذين لم يكونوا مذكورين قبل انتشار العلم،و عند وصولهم إلى العلم و انتشاره بين الناس أصبح ذكرهم مشهورا فى حياتهم و بعد موتهم.

و قيل«إنّ عمر بن الخطاب»قد سمع أحدا يتلو هذه السوره فقال:«ليت آدم بقى على ما كان فكان لا يلد و لا يبتلى أولاده» (۲) و هذا من عجائب القول، لاعتراضه على مسأله الخلق.

ثمّ يأتى خلق الإنسان بعد هذه المرحله،و اعتبار ذكره،فيقول تعالى

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۴۰۶.

۲- ۲) -المصدر السابق.

إِنّا خَلَقْنَا الْإِنْسٰانَ مِنْ نُطْفَهٍ أَمْشٰاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنٰاهُ سَمِيعاً بَصِيراً

.

«أمشاج»:جمع مشج،على وزن(نسج)أو(سبب)،أو أنه جمع«مشيج» على وزن(مريض)بمعنى المختلط.

و لعل ذكر خلق الإنسان من النطفه المختلطه إشاره إلى اختلاط ماء الذكور و الإناث،و قد أشير إلى ذلك فى روايات المعصومين عليهم السّلام بصوره إجماليه،أو أنّها إشاره إلى القابليات المختلفه الموجوده داخل النطفه من ناحيه العوامل الوراثيه عن طريق الجيّنات،أو أنّها إشاره إلى اختلاط المواد التركيبيه المختلفه للنطفه، لأنّها تتركب من عشرات المواد المختلفه،أو اختلاط جميع ذلك مع بعضها البعض،و المعنى الأخير أجمع و أوجه.

و يحتمل كون«الأمشاج»إشاره إلى تطورات النطفه فى المرحله الجنينيه (۱) .

«نبتليه»:إشاره إلى وصول الإنسان إلى مقام التكليف و التعهد و تحمل المسؤوليه و الاختبار و الامتحان،و هذه هى إحدى المواهب الإلهيه العظيمه الذى أكرم بها الإنسان و جعله أهلا للتكليف و تحمل المسؤوليه،و بما أنّ الاختبار و التكليف لا يتمّ إلّا بعد الحصول على المعرفه و العلم فقد أشار فى آخر الآيه إلى وسائل المعرفه،و العين و الأذن التى أودعها سبحانه و تعالى فى الإنسان و سخرها له.

و قيل المراد بالابتلاء هنا التطورات و التحولات الحاصله فى الجنين من النطفه حتى ينشئه إنسانا كاملا،و لكن التمعن فى عباره«نبتليه»،و كذلك فى كلمه«الإنسان»نجد أنّ المعنى الأوّل هو الأوجه.

و ممّا يستفاد من هذه العباره أنّ منبع جميع إدراكات و علوم الإنسان هى

---

۱ - ۱) -يجب الالتفات إلى أن النطفه جاءت بصيغه المفرد،و جاءت صفتها بصوره الجمع،و هى«أمشاج»،باعتبار أنّ النطفه تركبت من أجزاء مختلفه،و أنّها فى حكم الجمع،و يعتقد البعض كالزمخشرى فى الكشاف أنّ«أمشاج»مفرد رغم أنّها من أوزان الجمع.

إدراکاته الحسیه،و بعباره أخری إنّ الإدراکات الحسیه هی أمّ المعقولات،و هذه هی نظریه کثیر من فلاسفه المسلمین و من بین فلاسفه الیونان یذهب أرسطو إلی هذه النظریه أیضا.

إنّ اختیار الإنسان بحاجه إلی عاملین آخرین،هما:«الهدایه»و«الاختیار» بالإضافه إلی المعرفه و وسائلها،فقد أشارت الآیه التالیه إلی ذلک: إِنّا هَدَیْنَاهُ السَّبِیلَ إِمّا شَاکِراً وَ إِمّا کَفُوراً (۱) .إنّ للهدایه هنا معنی واسعا،فهی تشمل «الهدایه التکوینیه»و«الهدایه الفطریه»و کذلک«الهدایه التشریعیه»و إن کان سیاق الآیه یؤکّد علی الهدایه التشریعیه.

توضیح:

إنّ اللّه قد خلق الإنسان لهدف الابتلاء و الاختبار و التکامل،فأوجد فیه المقدمات لکی یصل بها إلی هذا الهدف، و وهبه القوی اللازمه لذلک،و هذه هی (الهدایه التکوینیه)،ثمّ جعل فی أعماق فطرته عشقا لطی هذا الطریق،و أوضح له السبیل عن طریق الإلهام الفطری،فسمی ذلک ب(الهدایه الفطریه)،و من جهه أخری بعث القاده السماویین و الأنبیاء العظام لإراءه الطریق بالتعلیمات و القوانین النیّره السماویه،و ذلک هو«الهدایه التشریعیه»،و جمیع شعب الهدایه الثلاث هذه لها صبغه عامّه،و تشمل جمیع البشر.

و علی المجموع فإنّ الآیه تشیر إلی ثلاث مسائل مهمّه مصیریه فی حیاه الإنسان:«مسأله التکلیف»،و«مسأله الهدایه»،و مسأله«الإراده و الإختیار» و التی تعتبر متلازمه و مکمّله بعضها للبعض الآخر.

التعبیر ب(شاکرا)و(کفورا)یعتبر أفضل تعبیر ممکن فی هذه الآیه،لأنّه من قابل النعم الإلهیه الکبیره بالقبول و اتخذ طریق الهدایه مسلکا،فقد أدّی شکر

---

۱ - ۱) -«شاکرا»و کفورا»یعتقد الکثیر أنّهما حال لضمیر المفعول فی(هدیناه)و یحتمل أن یکون خبرا ل(یکون)محذوف و تقدیره(إمّا یکون شاکرا و إمّا یکون کفورا).

هذه النعمه،و أمّا من خالف فقد كفرها.

و بما أنّ الإنسان لا يتمكن من تحقيق الشكر الحقيقى،فقد عبّر عن الشكر باسم الفاعل،و الحال أنّ الكفران جاء بصيغه المبالغه فقال:(كفور)،لأنّ عدم اهتمامهم بهذه النعم الكبيره يعتبر كفرانا شديدا منهم باعتبار أنّ اللّه عزّ و جلّ وضع وسائل الهدايه تحت تصرفهم،و لذا فإنّ إهمال هذه الوسائل و المواهب و الغضّ عنها و اتخاذ السبيل المنافى لها يعتبر كفرانا شديدا.

و الجدير بالذكر أنّ كلمه(كفور)تستعمل لكفران النعمه،و كذلك للكفر الاعتقادى،و هو ما أورده الراغب فى مفرداته.

و أشارت الآيه الأخيره من آيات البحث إشاره قصيره و غنيه بالمعنى إلى الذين سلكوا طريق الكفر و الكفران فتقول: إِنّا أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ سَلاسِلَ وَ أَغْلالاً وَ سَعِيراً .

التعبير ب(اعتدنا)تأكيد على حتميه مجازاه هذه الثلّه،و بالرغم من أنّ تهيئه الشىء مسبقا هو عمل من له قدره محدوده و يحتمل أن يعجز بعد ذلك من إنجاز العمل،و لكن هذا المعنى لا يصدق على اللّه تعالى،لأنّه إذا أراد شيئا يقول له كن فيكون،و فى الوقت نفسه يبيّن للكافرين أنّ هذه العقوبات حتميه و وسائلها جاهزه.

«سلاسل»:جمع(سلسله)،و هى القيد الذى يقاد به المجرم،و«الأغلال» جمع غل،و هى الحلقه التى توضع حول العنق أو اليدين و بعد ذلك يقفل بالقيد (1) .

على كلّ حال فإنّ ذكر الأغلال و السلاسل و لهيب النيران المحرقه تبيان للعقوبات التى يعاقب بها المجرمون،و هو ما أشير إليه فى كثير من آيات القرآن و يشمل ذلك العذاب و الذل،إنّ إطلاقهم لعنان الشهوات يسبب فى تعاستهم فى

۱- ۱) -وضّحنا شرحا مفصلا حول معنى الأغلال فى ذيل الآيه(۸)من سوره يس.

الآخره، و إشعالهم للنيران فى الدنيا تتجسّد لهم فى الآخره لتلهب أطرافهم.

***

ملاحظه

اشاره

عالم الجنين الصاخب:

من الواضح أنّ نطفه الإنسان مركّبه من ماء الرجل و المرأه،و يسمى الأوّل (الحيمن)و الثّانى(البويضه)فالأصل وجود(النطفه)ثمّ تركيبها،و بعد ذلك تتمّ المراحل المختلفه للجنين،و هذا هو من العجائب العظيمه لعالم الخلق،و تطور العلم(علم الأجنّه)قد كشف الكثير من أسراره و إن كانت هناك أسرار كثيره لم يتمّ كشفها لحدّ الآن،و نذكر هنا قسما من العجائب و التى تعدّ زاويه صغيره من عالم الجنين:

١-«الحيمن»و هو ما يخرج مع ماء الرجل،و هو كائن حى متحرك صغير لا يرى بالعين المجرّده،و له رأس و عنق و ذنب متحرك،و ممّا يثير العجب أنّ الرجل فى كلّ إنزال يضم ماؤه من الحيامن المليونين إلى ٥٠٠ مليون حيمن،و هو ما يعادل نفوس عدّه دول،و لكن لا يدخل من هذا العدد الهائل إلى البيضه إلّا واحد أو عدّه حيامن لإخصاب البيضه،و سبب وجود هذا العدد من الحيامن يكمن فى الخسائر التى تلحق بها فى طريقها إلى البيضه و تلقيحها،و لو لم يتوفر مثل هذا العدد لكان أمر الحمل صعبا.

٢-إنّ حجم«الرحم»قبل الحمل يكون بحجم الجوزه الواحده،و عند انعقاد النطفه و نمو الجنين يتسع الرحم بشكل ملحوظ ليشغل مكانا واسعا،و العجب أنّ جدار الرحم يكون مطأطئا إلى حد يكون قادرا على استيعاب حجم الطفل و حركاته.

٣-إنّ الدم لا يجرى فى الرحم بواسطه العروق و الشرايين،بل يجرى بين

عضلات الرحم بصوره میزاب،لأنّ الرحم فی اتساع مستمر فإذا ما وجد العرق فإنّه لن یتحمل السحب و التمدد الکبیر.

۴-یعتقد بعض العلماء أنّ لبیوض المرأه شحنه موجبه،و إنّ للحیمن شحنه سالبه،و لذا یجذب أحدهما الآخر،و لکن عند تخصیب الحیمن للبیضه فإنّ شحنه النطفه المتشکله تکون سالبه.و تطرد بذلک بقیه الحیامن الموجوده،و قال آخرون:عند ما یدخل الحیمن فی البیضه تترشح ماده کیمیائیه خاصّه لتطرد بقیه الحیامن.

۵-إنّ الجنین یسبح فی کیس کبیر فیه ماء غلیظ یدعی ب«آمنی بوس»له خاصیه مقاومه ما یقع علی بطن المرأه من الضربات،و تحمل ما یقع من حرکات الأم الشدیده،بالإضافه إلی ذلک فإنّه یحفظ الجنین بمعدل حراری ثابت،و لا تؤثر فیه تغیرات الحراره الخارجیه بسرعه،و الجدیر بالذکر أنّ الکیس یجعل الجنین عدیم الوزن،و یمنع من حدوث الضغط علی أعضاء الجنین بعضها علی بعض ممّا یسبب ذلک ضررا علی الجنین! ۶-تتمّ تغذیه الجنین عن طریق المشیمه و حبل السرّه،أی أنّ دم الأم و المواد الغذائیه و الأوکسجین یدخل إلی المشیمه ثمّ یبدأ حبل السرّه بتصفیه هذه المواد لتدخل إلی قلب الجنین و تتوزع منه إلی بقیه أعضاء البدن،و الطریق أنّ البطین الأیسر و الأیمن لقلب الجنین مترابطان مع بعضهما الآخر،لأنّ التصفیه هنا لا تتمّ إلّا عن طریق الرئه،و ذلک لأنّ الجنین لا یتنفّس و لکنّه عند تولده تنفصل الأوعیه بعضها عن البعض الآخر،و یبدأ جهاز التنفس عندئذ بالعمل.

***

الآيات [سوره الإنسان (۷۶): الآيات ۵ الى ۱۱]

اشاره

إِنَّ اَلْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُوراً (۵) عَيْناً يَشْرَبُ بِها عِبادُ اَللّهِ يُفَجِّرُونَها تَفْجِيراً (۶) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَ يَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً (۷) وَ يُطْعِمُونَ اَلطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَ يَتِيماً وَ أَسِيراً (۸) إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اَللّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَ لا شُكُوراً (۹) إِنّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً (۱۰) فَوَقاهُمُ اَللّهُ شَرَّ ذلِكَ اَلْيَوْمِ وَ لَقّاهُمْ نَضْرَةً وَ سُرُوراً (۱۱)

سبب النزول

اشاره

البرهان العظيم على فضيله أهل بيت النّبى:

قال ابن عباس:إنّ الحسن و الحسين مرضا فعادهما الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى ناس معه،فقالوا:يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك،فنذر على و فاطمه و فضه جاريه لهما إن برئا ممّا بهما أن يصوموا ثلاثه أيّام(طبقا لبعض الرّوايات أنّ الحسن و الحسين أيضا قالا نحن كذلك ننذر أن نصوم)فشفيا و ما كان معهم شىء،

فاستقرض على عليه السّلام ثلاث أصواع من شعير فطحنت فاطمه صاعا و اختبزته، فوضعوا الأرغفه بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل،و قال:السلام عليكم، أهل بيت محمّد،مسكين من مساكين المسلمين،أطعمونى أطعمكم اللّه من موائد الجنّه،فآثروه و باتوا لم يذوقوا إلّا الماء و أصبحوا صياما.

فلما أمسوا و وضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه(و باتوا مره أخرى لم يذوقوا إلّا الماء و أصبحوا صياما) و وقف عليهم أسير فى الثّالثه عند الغروب،ففعلوا مثل ذلك.

فلما أصبحوا أخذ على بيد الحسن و الحسين و أقبلوا إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فلما أبصرهم و هم يرتعشون كالفراخ من شدّه الجوع،

قال: «ما أشدّ ما يسوؤنى ما أرى بكم»فانطلق معهم،فرأى فاطمه فى محرابها قد التصق بطنها بظهرها، و غارت عيناها،فساءه ذلك،فنزل جبرئيل عليه السّلام و قال:خذها يا محمد هنّاك اللّه فى أهل بيتك فأقرأه السوره.

و قيل:إنّ الذى نزل من الآيات يبدأ من: إِنَّ الْأَبْرارَ حتى كانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً و مجموعها(١٨)آيه.

ما أوردنا هو نص الحديث الذى جاء فى كتاب«الغدير»بشىء من الاختصار كقدر مشترك و هذا الحديث من بين أحاديث كثيره نقلت فى هذا الباب،و ذكر فى الغدير أنّ الرّوايه المذكوره قد نقلت عن طريق(٣۴)عالما من علماء أهل السّنه المشهورين(مع ذكر اسم الكتاب و الصفحه).

و على هذا،فإنّ الرّوايه مشهوره،بل متواتره عند أهل السنه (١) .

و اتفق علماء الشيعه على أنّ السوره أو ثمان عشره آيه من السوره قد نزلت فى حق على و فاطمه عليهما السّلام،و أوردوا هذه الرّوايه فى كتبهم العديده و اعتبروها من

١- ١) -نقلت هذه الروايه فى كتاب الغدير،ج ٣،ص ١٠٧ إلى ١١١ و فى كتاب إحقاق الحق،ج ٣،ص ١٥٧ إلى ١٧١ عن ٣۶ نفر من علماء أهل السنّه مع ذكر المأخذ.

مفاخر الرّوايات الحاكيه عن فضائل أمير المؤمنين و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السّلام،و اشتهارها كان مدعاه لذكرها فى الأشعار حتى أنّها وردت فى شعر(الإمام الشافعى)و تثار عند المتعصبين هنا حساسيات شديده بمجرّد سماعهم روايه تذكر فضائل أمير المؤمنين عليه السّلام فيعمدون إلى اثاره العديد من الإشكالات بهذا الشأن،و منها:

١-ادعاؤهم مكّيه السوره،و الحال أنّ القصّه حدثت بعد ولاده الإمامين الحسن و الحسين عليهما السّلام،و ما كانت ولادتهما إلاّ بالمدينه!و فى أيدينا دلائل واضحه كما بيّنا فى شرح صدر السوره،إذ أنّ السوره تشير إلى أنّها مدنّيه،و إن لم تكن بتمامها فإنّ(١٨)آيه منها مدنيّه.

٢-قولهم:إنّ لفظ الآيه عام،فكيف يمكن تخصيص ذلك بأفراد معيّنين، و لكن عموميه مفهوم الآيه لا ينافى نزولها فى أمر خاص،و هناك عموميه فى كثير من آيات القرآن،و الحال أنّ سبب نزولها الذى يكون مصداقا تامّا لها فى أمر خاص،و العجب لمن يتخذ من عموميه مفهوم آيه ما دليلا على نفى سبب النزول لها.

٣-نقل بعضهم أسبابا أخرى لنزول هذه السوره لا تتفق مع السبب الذى ذكرناه فى نزول الآيه،منها ما

نقله السيوطى فى الدرّ المنثور قال: إنّ رجلا أسود كان يسأل النّبى عن التسبيح و التهليل، فقال له عمر بن الخطاب:مه أكثرت على رسول اللّه،فقال النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«مه يا عمر»و أنزلت على رسول اللّه هل أتى (١) .

و

فى الدرّ المنثور عن ابن عمر قال: جاء رجل من الحبشه إلى رسول اللّه فقال له رسول اللّه:«سل و استفهم»،فقال:يا رسول اللّه فضّلتم علينا بالألوان و الصور و النبوه،أ فرأيت إن آمنت بما آمنت به و عملت بمثل ما عملت به إنّى

١- ١) -الدر المنثور،ج ۶،ص ٢٩٧.

لکـائن معک فی الجنّه؟قال:«نعم،و الـذی نفسـی بیـده،إنّه لیری بیاض الأسود فی الجنّه من مسیره ألف عام»ثمّ بیّن ما یترتب من الثواب لمن یقول لا إله إلا اللّه و سبحان اللّه و بحمده.و نزلت علیه السوره(هل أتی) (۱) .

إنّ مـا ذکر فی هـذه الرّوایـات لاـ یتنـاسب مع مضـمون آیـات السوره،و المتوقع هو وضع هـذه الرّوایه من قبـل عمـال بنی امیّه و تزویرها لدحض ما تقدم و ما قیل فی سبب النزول فی حق علی علیه السّلام.

۴-الإحتجاج الآخر الذی یمکن ذکره هنا:کیف یمکن لإنسان أن یصوم ثلاثه أیّام و لا یفطر إلّا بالماء؟! إنّ هذا الإشـکال مدعاه للعجب،لأنّنـا نری تطبیق ذلـک عنـد بعض النـاس،إذ أنّ بعض المعالجـات الطبیه تسـتدعی الإمساک لمـده(۴۰)یومـا،و لا یتناول خلال الأربعین یوما إلّا الماء،ممّا أدّی ذلک إلی شـفاء الکثیر من الأمراض بهذه الطریقه، حتی أنّ طبیبا من الأطباء غیر المسلمین یدّعی(الکسـی سوفورین)کتب کتابا فی باب الآثار المهمّه فی الشـفاء من جراء الإمساک مع ذکر أسـلوب دقیق لذلک (۲) حتی أنّ بعض زملائنا المشترکین معنا فی تألیف کتاب التفسیر الأمثل قضی إمساکا لمدّه(۲۲)یوما.

۵-البعض الآخر أراد الاسـتهانه بهذه الفضـیله فجاء من طریق آخر کالآلوسی إذ یقول:إن قلنا إنّ هذه السوره لم ترد فی حق علی و فـاطمه لم ینزل من قـدرهم و شـأنهم شـیء،لأـنّ اتصـافهم بالأبرار أمر واضـح للجمیع،ثمّ یبـدأ بتبیان بعض فضائلهم فیقول:ماذا یمکن أن یقوله الإنسـان فی حقّ هـذین العظیمین غیر أنّ علیـا علیه السّـلام أمیر المؤمنین و وصـی رسول اللّه،و أنّ فـاطمه بضـعه رسول اللّه،و أنّها

۱- ۱) -المصدر السابق.

۲- ۲) -اسم الکتاب(الصوم طریقه حدیثه لشفاء الأمراض).

جزء من الوجود المحمدى،و أنّ الحسنين روحه و ريحانتاه و سيدا شباب أهل الجنّه،و لكن لا يعنى ذلك ترك الآخرين،و من يتبع غير هذا فهو ضال.

و لكنّنا نقول إنّنا إذا ما تغاضينا عن هذه الفضيله،فإنّ عاقبه بقيه الأحاديث ستكون بنفس المنوال،و ربّما يحين يوم ينكر فيه البعض جميع فضائل أمير المؤمنين و سيّده النساء و الحسنين عليهم السّلام،و الملاحظ أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام قد احتج على مخالفيه فى كثير من المواطن بهذه الآيات لتبيان حقوقه و فضائله و أهل بيته (۱) .

ثمّ إنّ ذكر الأسير الذى أطعموه،خير دليل على نزول الآيات بالمدينه،إذ لم يكن للمسلمين أسير بمكّه لعدم شروع الغزوات.

و الملاحظه الأخيره التى لا بدّ من ذكرها هنا هو قول بعض العلماء المفسّرين و منهم المفسّر المشهور الآلوسى،و هو من أهل السنّه قال:إنّ كثيرا من النعم الحسيه قد ذكرت فى السوره إلّا الحور العين التى غالبا ما يذكرها القرآن فى نعم الجنان،و هذا إنّما هو لنزول السوره بحق فاطمه و بعلها و بنيها عليهم السّلام و إنّ اللّه لم يأت بذكر الحور العين إجلالا و احتراما لسيده نساء العالمين! لقد طال الحديث فى هذا الباب إلّا أنّنا وجدنا أنفسنا مضطرين لمجابهه و إبطال إشكالات المتعصبين و ذرائع المعاندين.

***

التّفسير

اشاره

جزاء الأبرار العظيم

أشارت الآيات السابقه الى العقوبات التى تنتظر الكافرين بعد تقسيمهم إلى

۱- ۱) -احتجاج الطبرسى و خصال الصدوق طبقا لما نقله الطباطبائى فى الميزان ج ۲۰ ص ۲۲۴.

جماعتين و هى«الشكور»و«الكفور»،و الآيات فى هذا المقطع تتحدث المكافآت التى أنعم اللّه بها على الأبرار و تذكّر بأمور ظريفه فى هذا الباب.فيقول تعالى: إِنَّ الْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُوراً .«الأبرار»:جمع(بر)و أصله الاتّساع،و أطلق البر على الصحراء لا تساع مساحتها،و تطلق هذه المفرده على الصالحين الذين تكون نتائج أعمالهم واسعه فى المجتمع،و«البر»بكسر الباء هو الإحسان،و قال بعض:إنّ الفرق بين البر و الخير هو أنّ البر يراد به الإحسان مع التوجه و الإراده،و أمّا الخير فإنّ له معنى أعمّ.

«كافور»:له معان متعدده فى اللّغه،و أحد معانيها المعروفه الرائحه الطيبه كالنبته الطيبه الرائحه،و له معنى آخر مشهور هو الكافور الطبيعى ذو الرائحه القويه و يستعمل فى الموارد الطبيه كالتعقيم.

على كل حال فإنّ الآيه تشير إلى أنّ هذا الشراب الطهور معطّر جدّا فيلتذ به الإنسان من حيث الذوق و الشم.

و ذهب بعض المفسّرين الى أنّ«كافور»اسم لأحد عيون الجنّه.و لكن هذا التّفسير لا ينسجم مع عباره«كان مزاجها كافورا».و من جهه أخرى يلاحظ أنّ «الكافور»من ماده«كفر»أى بمعنى«التغطيه»،و يعتقد بعض أرباب اللغه كالراغب فى المفردات أنّ اختيار هذا الاسم هو أنّ فاكهه الشجره التى يؤخذ منها الكافور مغطاه بالقشور و الأغلفه.

و قيل:هو إشاره إلى شدّه بياضه و برودته حيث يضرب به المثل،و الوجه الأوّل أنسب الوجوه، لأنّه يعد مع المسك و العنبر فى مرتبه واحده،و هما من أفضل العطور.

ثمّ يشير إلى العين التى يملؤون منها كؤوسهم من الشراب الطهور فيقول:

عَيْناً يَشْرَبُ بِها عِبادُ اللّهِ يُفَجِّرُونَها تَفْجِيراً

(۱)

(۲)

.

هذه العين من الشراب الطهور وضعها اللّه تعالى تحت تصرفهم،فهى تجرى أينما شاءوا،و الظريف هو ما

نقل عن الإمام الباقر عليه السّلام إذ قال فى وصفها: «هى عين فى دار النّبى تفجر إلى دور الأنبياء و المؤمنين».

نعم فكما تتفجر عيون العلم و الرحمه من بيت النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تجرى الى قلوب عباد اللّه الصالحين،كذلك فى الآخره حيث التجسّم العظيم لهذا المعنى تتفجر عين الشراب الطهور الإلهى من بيت الوحى،و تنحدر فروعها،إلى بيوت المؤمنين! «يفجرون»:من ماده تفجير،و أخذت من أصل(الفجر)و يعنى الشق الواسع، سواء أ كان شق الأرض أو غير ذلك،و«الفجر»نور الصبح الذى يشق ستار الليل، و أطلق على من يشق ستار الحياء و الطهاره و يتعدى حدود اللّه(فاجر)و يراد به هنا شقّ الأرض.

و الملاحظ أنّ أوّل ما ذكر من نعم الجنان فى هذه السوره هو الشراب الطهور المعطّر الخاصّ.لكونه يزيل كلّ الهموم و الحسرات و القلق و الأردان عند تناوله بعد الفراغ من حساب المحشر،و هو أوّل ما يقدم لأهل الجنان ثمّ ينتهون إلى السرور المطلق بالاستفاده من سائر مواهب الجنان.

ثمّ تتناول الآيات الأخرى ذكر أعمال«الأبرار»«و عباد اللّه»مع ذكر خمسه صفات توضّح سبب استحقاقهم لكل هذه النعم الفريده:فيقول تعالى يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَ يَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً .

جمله(يوفون)و(يخافون)و الجمل التى تليها جاءت بصيغه الفعل المضارع

۱- ۱) -وردت احتمالات عديده فى سبب نصب(عينا)و أوجه الأقوال هو أنّه منصوب لنزع الخافض و تقديره(من عين)و قيل بدل من(كافورا)أو منصوب بالاختصاص أو المدح،أو مفعول لفعل مقدر و التقدير(يشربون عينا)و لكن الأوّل أوجه كما تقدم.

۲- ۲) -«يشرب»:يتعدى بالباء و بدونها،و يمكن أن تكون الباء فى(بها)بمعنى(من).

و هـذا يشير إلى استمراريه و ديمومه منهجهم،كمـا قلنـا فى سبب النزول فـإنّ المصـداق الأـتم و الأكمل لهـذه الآيات هو أمير المؤمنين و فاطمه الزهراء و الحسـنان عليهم السّـلام،لأنّهم وفوا بما نذروه من الصوم ثلاثه أيّام و لم يتناولوا فى إفطارهم إلّا الماء فى حين أنّ قلوبهم مشحونه بالخوف من اللّه و القيامه.

«مسـتطيرا»:يراد به الاتسـاع و الانتشـار،و هو إشـاره إلى أنواع العـذاب و اتسـاعه فى ذلـك اليوم العظيم،على كلّ حال فإنّهم وفوا بالنـذور التى أوجبوهـا على أنفسـهم،و بالأـحرى كـانوا يحترمون الواجبـات الإـلهيه و يسـعون فى أدائها، و خوفهم من شـرّ ذلك اليوم،و آثار هذا الإيمان ظاهره فى أعمالهم بصوره كامله.

ثمّ يتناول الصفه الثّالثه لهم فيقول: وَ يُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَ يَتِيماً وَ أَسِيراً .

لم يكن مجرّد اطعام،بل اطعام مقرون بالإيثار العظيم عند الحاجه الماسّه للغذاء،و من جهه أخرى فهو إطعام فى دائره واسعه حيث يشمل أصناف المحتاجين من المسكين و اليتيم و الأسير،و لهذا كانت رحمتهم عامّه و خدمتهم واسعه.

الضـمير فى(على حبه)يعود إلى(الطعام)أى أنّهم أعطوا الطعام مع احتياجهم له، و هـذا شبيه ما ورد فى الآيه من سوره آل عمران: لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتّى تُنْفِقُوا مِمّا تُحِبُّونَ .

و قيل:إنّ الضـمير المـذكور يعود إلى«اللّه»الوارد فى ما سبق من الآيات،أى أنّهم يطعمون الطعام لحبّهم الشديد للّه تعالى،و لكن مع الالتفات الى ما يأتى فى الآيه الآتيه يكون المعنى الأوّل أوجه.

و معنى«المسكين»و«اليتيم»و«الأسير»واضح،إلّا أنّ هناك أقوالا متعدده فيما يراد بالأسير؟قال كثيرون:إنّ المراد الأسرى من الكفّار و المشركين الذين يؤتى بهم إلى منطقه الحكومه الاسلاميه فى المدينه،و قيل:المملوك الذى يكون

أسيرا بيد المالك،و قيل هم السجناء،و الأوّل أشهر.

يرد هنا سؤال:كيف جاء ذلك الأسير إلى بيت الإمام على عليه السّلام طبقا لما ورد فى سبب النزول و المفروض أن يكون سجينا؟ و يتضح لنا جواب هذا السؤال بالالتفات إلى أنّ التاريخ يؤكّد عدم وجود سجناء فى عهد النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حيث كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقسّمهم على المسلمين،و يأمرهم بالحفاظ عليهم و الإحسان إليهم،فكانوا يطعمونهم الطعام و عند نفاذ طعامهم كانوا يطلبون العون من بقيه المسلمين و يرافقونهم فى الذهاب الى طلب المعونه،أو أنّ الأسرى يذهبون بمفردهم لأنّ المسلمين كانوا حينذاك فى ضائقه من العيش.

و بالطبع توسعت الحكومه الإسلاميه فيما بعد،و ازداد عدد الأسرى و كذلك المجرمين،فاتخذت عندئذ السجون و صار الإنفاق عليهم من بيت المال.

على كل حال فإنّ ما يستفاد من الآيه أنّ أفضل الأعمال إطعام المحرومين و المعوزين،و لا يقتصر على اطعام الفقراء من المسلمين فحسب بل يشمل حتى الأسرى المشركين أيضا و قد أعتبر إطعامهم من الخصال الحميده للأبرار.

و

قد ورد فى حديث عن النبى صلّى اللّه عليه و آله قال: «استوصوا بالأسرى خيرا و كان أحدهم يؤثر أسيره بطعامه» (۱) .

و الخصله الرابعه للأبرار هى الإخلاص،فيقول: إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَ لا شُكُوراً .

إنّ هذا المنهج ليس منحصرا بالإطعام،إذ أنّ جميع أعمالهم خالصه لوجه اللّه تعالى،و لا يتوقعون من الناس شكرا و تقديرا،و أساسا فإنّ قيمه العمل فى الإسلام بخلوص النيّه و إلاّ فإنّ العمل إذا كان بدوافع غير الهيه،سواء كان رياء أو لهوى النفس،أو توقع شكر من الناس أو لمكافات ماديه،فليس لذلك ثمن

۱- ۱) -كامل ابن الأثير،ج ۲،ص ۱۳۱.

معنوی و إلهی.

و قد أشار النّبی صلّی اللّه علیه و آله إلی ذلک إذ

قال: «لا عمل إلّا بالنیّه و إنّما الأعمال بالنیات».

و المراد من(وجه اللّه)هو ذاته تعالی،و إلّا فلیس للّه صوره جسمانیه،و هذا هو ما اعتمده و أکّده القرآن فی کثیر من آیاته،کما فی الآیه(۲۷۲)من سوره البقره: وَ ما تُنْفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغاءَ وَجْهِ اللّهِ و الآیه(۲۸)من سوره الکهف التی تصف جلساء النبی صلّی اللّه علیه و آله: وَ اصْبِرْ نَفْسَکَ مَعَ الَّذِینَ یَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداهِ وَ الْعَشِیِّ یُرِیدُونَ وَجْهَهُ .

و یقول فی الوصف الأخیر للأبرار: إِنّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا یَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِیراً (أی الشدید)من المحتمل أن یکون هذا الحدیث لسان حال الأبرار،أو قولهم بألسنتهم.

و جاء التعبیر عن یوم القیامه بالعبوس و الشدید للاستعاره،إذ أنّها تستعمل فی وصف الإنسان الذی یقبض وجهه و شکله لیؤکد علی هول ذلک الیوم،أی أنّ حوادث ذلک الیوم تکون شدیده إلی درجه أنّ الإنسان لا یکون فیه عبوسا فحسب،بل حتی ذلک الیوم یکون عبوسا أیضا.

(قمطریرا):هناک أقوال للمفسّرین فی مادته،قیل هو من(القمطر)،و قیل:

مشتق من ماده(قطر)-علی وزن فرش-و المیم زائده،و قیل هو الشدید،و هو الأشهر (۱) .

و یطرح هنا سؤال،و هو:إذا کان عمل الأبرار خالصا للّه تعالی،فلم یقولون:

إنا نخاف عذاب یوم القیامه؟و هل یتناسب دافع الخوف من عذاب یوم القیامه مع الدافع الإلهی؟

۱- ۱) -مفردات الراغب،لسان العرب،المنجد،القرطبی،مجمع البیان.

و يتضح جواب هذا السؤال بالالتفات إلى أنّ الأبرار يسلكون السبيل على كل حال إلى اللّه تعالى،و إذا كانوا يخافون من عذاب يوم القيامه فإنّما هو لأنه عذاب إلهى،و هذا هو ما ورد فى الفقه فى باب النيه فى العباده من أنّ قصد القربه فى العباده لا ينافى قصد الثواب و الخوف من العقاب أو حتى اكتساب المواهب الماديه الدنيويه من عند اللّه(كصلاه الاستسقاء)،لأنّ كل ذلك يرجع إلى اللّه تعالى،كالداعى على الداعى،رغم أنّ أعلى مراحل الإخلاص فى العباده تمكن فى عدم التعلّق بنعم الجنان أو الخوف من الجحيم،بل يكون بعنوان(حبّ اللّه).

و التعبير ب إِنّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً شاهد على أنّ هذا الخوف من اللّه.

و الجدير بالذكر أنّ الوصف الثانى و الخامس من الأوصاف الخمسه،يشيران إلى مسأله الخوف.غايه الأمر أنّ الكلام فى الآيه الأولى عن الخوف من يوم القيامه،و فى الثانيه الخوف من اللّه فى يوم القيامه،ففى مورد وصف يوم القيامه فى أنّ شرّه عظيم،و وصفه فى مورد آخر بأنّه عبوس و شديد،و فى الحقيقه فإنّ أحدهما يصف عظمته وسعته و الآخر شدّته و كيفيته.

و أشارت الآيه الأخيره فى هذا البحث إلى النتيجه الإجماليه للأعمال الصالحه و النيّات الطاهره للأبرار فيقول: فَوَقاهُمُ اللّهُ شَرَّ ذلِكَ الْيَوْمِ وَ لَقّاهُمْ نَضْرَهً وَ سُرُوراً .

(نضره):بمعنى البهجه و حسن اللون و السرور الخاص الذى يظهر عند وفور النعمه و الرفاه على الإنسان،أجل،إنّ لون وجودهم فى ذلك اليوم يخبر عن الهدوء و الارتياح،و بما أنّهم كانوا يحسّون بالمسؤوليه و يخافون من ذلك اليوم الرهيب،فإنّ اللّه تعالى سوف يعوضهم بالسرور و بالبهجه.

و تعبير«لقاهم»من التعابير اللطيفه و التى تدلّ على أنّ اللّه سوف يستقبل ضيوفه الكرام بلطف و سرور خاص و أنّه سوف يجعلهم فى سعه من رحمته.

***

إشباع الجياع من أفضل الحسنات:

ليست هـذه الآيات مورد البحث هى الآيات الوحيده التى عدّت إطعام الطعام من الأعمال الصالحه للأبرار و عباد اللّه،بل إنّ كثيرا من آيات القرآن اعتمـدت هذا المعنى و أكّدت عليه،و أشارت إلى أنّ لهذا العمل محبوبيه خاصّه عند اللّه،و إذا ألقينا نظره على عالم اليوم و الذى يموت فيه بسبب الجوع حسب الأخبار المنتشره ملايين الأشخاص فى كل عالم،و الحال أنّ بقيه المناطق تلقى بالغذاء الكثير فى القمامه تتّضح أهميه هذا الأمر الإسلامى من جهه،و ابتعاد عالم اليوم عن الموازين الأخلاقيه من جهه أخرى.

و نورد هنا من باب المثال عددا من الأحاديث الإسلاميه التى أكّدت على هذا الجانب:

قال النّبى صلّى اللّه عليه و آله: «من أطعم ثلاث نفر من المسلمين أطعمه اللّه من ثلاث جنان فى ملكوت السموات» (۱) .

و

فى حـديث للإمام الصادق عليه السّـلام قال: «من أطعم مؤمنا حتى يشـبعه لم يـدر أحد من خلق اللّه ما له من الأجر فى الآخره،لا ملك مقرب،و لا نبى مرسل إلّا اللّه ربّ العالمين» (۲) .

و

فى حديث آخر عنه عليه السّـلام قال: «لئن أطعم مؤمنا محتاجا أحبّ إلىّ من أن أزوره،و لئن أزوره أحبّ إلىّ من أن أعتق عشر رقاب» (۳) .

و الجـدير بالذكر أنّ الرّوايات لم تؤكّد على إطعام المحتاجين و الجياع فحسب،بل صـرّحت بعض الروايات أنّ إطعام المؤمنين و إن لم يكونوا محتاجين هو كعتق رقبه العبـد،و هـذا يـدلّ على أنّ الهدف لا يقتصـر على رفع الاحتياج،بل جلب المحبّه و تحكيم وشائج الموده بعكس ما هو السائد فى عالم اليوم المادى،

۱- ۱) -أصول الكافى،ج ۲ باب(إطعام المؤمن)الحديث ۳.

۲- ۲) -المصدر السابق،الحديث ۶.

۳- ۳) -المصدر السابق،الحديث ۱۸.

کـدخول صدیقین إلی المطعم و دفعهما حساب الطعام کلّ علی انفراد و کأنّ اسـتضافه الأفراد سـیما إذا کثروا مدعاه للعجب فی تلـک المجتمعـات!! و ورد فی بعض الرّوایـات أنّ إطعـام الجیـاع بصـوره عـامّه من أفضـل الأعمـال (و إن لم یکونـوا مسـلمین و مؤمنین)کما

جاء فی الحدیث عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله إذ قال:

«من أفضل الأعمال عنـد اللّه إبراد الکباد الحاره و إشـباع الکباد الجائعه و الذی نفس محمد بیده لا یؤمن بی عبد یبیت شـبعان و أخوه-أو قال جاره-المسلم الجائع» (۱) .

بالرغم من أنّ ذیل هـذا الحدیث الشـریف ذکر إشـباع الإنسان المسـلم.و لکنه صدره یشـمل کل عطشان و جائع،و لا یبعد اتساع مفهوم الحدیث ل یشمل حتی الحیوانات.

و هناک روایات عدیده فی هذا الباب (۲) ***

ص :۲۶۲

۱- ۱) -بحـار الأنوار،ج ۷۴،ص ۳۶۹ و الملاحـظ أن العلاّـمه المجلسـی أورد عنوانا فی هـذا الباب و ذکر فیه ۱۱۳ حدیث یتعلق بإطعام المؤمن و إشباعه و لبسه و أداء دینه.و لبعض منها عمومیه.

۲- ۲) -المصدر السابق.

الآيات [سوره الإنسان (۷۶): الآيات ۱۲ الى ۲۲]

اشاره

وَ جَزاهُمْ بِما صَبَرُوا جَنَّةً وَ حَرِيراً (۱۲) مُتَّكِئِينَ فِيها عَلَى الْأَرائِكِ لا يَرَوْنَ فِيها شَمْساً وَ لا زَمْهَرِيراً (۱۳) وَ دانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُها وَ ذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلًا (۱۴) وَ يُطافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَ أَكْوابٍ كانَتْ قَوارِيرَا (۱۵) قَوارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوها تَقْدِيراً (۱۶) وَ يُسْقَوْنَ فِيها كَأْساً كانَ مِزاجُها زَنْجَبِيلًا (۱۷) عَيْناً فِيها تُسَمّى سَلْسَبِيلًا (۱۸) وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ إِذا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً (۱۹) وَ إِذا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَ مُلْكاً كَبِيراً (۲۰) عالِيَهُمْ ثِيابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَ إِسْتَبْرَقٌ وَ حُلُّوا أَساوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَ سَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً (۲۱) إِنَّ هذا كانَ لَكُمْ جَزاءً وَ كانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً (۲۲)

التّفسير

اشاره

مكافئات الجنان العظيمه

بعد الإشاره الإجماليه فى الآيات السابقه إلى نجاه الأبرار من العذاب الأليم

يوم القيامه،و وصولهم إلى لقاء المحبوب و الغرق بالسرور و البهجه،تتناول هذه الآيات شرح هذه المواهب الإلهيه فى الجنان،و عددها فى هذه على الأقل خمسه عشره نعمه،فتتحدث فى البدء عن المسكن و الملبس فتقول:

وَ جَزٰاهُمْ بِمٰا صَبَرُوا جَنَّةً وَ حَرِيراً

.

أجل،فى مقابل كل ذلك الإيثار و الاستقامه فى وفائهم بالنذر و صيامهم، و إنفاق طعام الإفطار على المسكين و اليتيم و الأسير جعلهم اللّه فى رياض خاصّه فى الجنان،و ألبسهم أفضل الألبسه،و ليس فقط فى هذه الآيه،بل صرح بهذه الحقيقه فى آيات أخرى من القرآن،و هو أنّ مكافآت القيامه إنّما تعطى للإنسان لصبره(صبر فى الطاعه،و صبر عن المعصيه،و صبر عند المشكلات و المصائب).

فتجد سلام الملائكه لأهل الجنان فى الآيه(٢٤)من سوره الرعد: سَلاٰمٌ عَلَيْكُمْ بِمٰا صَبَرْتُمْ .

و جاء فى الآيه(١١١)من سوره المؤمنون: إِنِّى جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمٰا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفٰائِزُونَ .

ثمّ يضيف سبحانه فى الآيه التاليه: مُتَّكِئِينَ فِيهٰا عَلَى الْأَرٰائِكِ لاٰ يَرَوْنَ فِيهٰا شَمْساً وَ لاٰ زَمْهَرِيراً ذكر حاله(الاتكاء على الأرائك)إشاره إلى اطمئنانهم و ارتياحهم الكاملين،لأنّ الإنسان لا يجلس متكئا عاده إلّا عند الراحه و الاطمئنان و الهدوء.

و يشير ذيل الآيه إلى الاعتدال الكامل فى الجنان،و لا يعنى هذا انعدام الشمس و القمر فى الجنان،بل بسبب ظلال أشجار الجنان لا تكون أشعه الشمس مؤذيه.

(زمهرير):من ماده(زمهر)و هو البرد الشديد،أو شدّه الغضب أو احمرار العين من أثر الغضب،و المراد هنا هو المعنى الأول،و ورد فى الحديث:أنّ فى

جهنّم نقطه تتلاشى فيها الأعضاء من شدّه البرد (۱) .

(أرائك):جمع«أريكه»،و تطلق فى الأصل على الأسره التى توضع فى غرفه العروس،و المراد هنا الأسرّه الجميله و الفاخره.

نقل المفسر المشهور الآلوسى فى روح المعانى فى حديث عن ابن عباس قال:قال النبى صلّى اللّه عليه و آله: «بينا أهل الجنّه فى الجنّه إذ رأوا ضوءا كضوء الشمس،و قد أشرقت الجنان به فيقول أهل الجنّه يا رضوان ما هذا؟و قد قال ربّنا لا يرون فيها شمسا و لا زمهريرا،فيقول لهم رضوان:ليس هذا بشمس،و لا قمر،و لكن على و فاطمه ضحكا،و أشرقت الجنان من ثغريهما»!

و تضيف الآيه الأخرى متمّمه لهذه النعم:

وَ دانِيَهً عَلَيْهِمْ ظِلالُها وَ ذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلًا

(۲)

.

ليست هنا من مشكله لقطف الثمار،و لا شوكه لتدخل فى اليد،و لا تحتاج ذلك إلى مشقّه أو حركه! و نجد من الضرورى التذكير مرّه أخرى إنّ هناك تفاوتا كثيرا بين الأصول المتحكمه فى حياه الإنسان فى ذلك العالم و بين هذا العالم،و ما جاء حول النعم الأخرويه فى هذه الآيات و الآيات القرآنيه الأخرى ليس إلّا كونه إشاره بليغه إلى تلك المواهب العظيمه،و إلّا فإنّ بعض الرّوايات تصرح أنّ هناك من النعيم ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا تخطر ببال أحد.

و فى حديث لابن عباس بيّنه فى ذيل آيات هذه السوره قال:«كلما ذكره اللّه فى القرآن ممّا فى الجنّه و سمّاه ليس له مثل فى الدنيا و لكن سمّاه اللّه بالاسم الذى يعرف الزنجبيل ممّا كانت العرب تستطيبه فلذلك ذكره فى القرآن و وعدهم أنّهم

۱- ۱) -الدر المنثور ج ۶ ص ۳۰۰.

۲ - ۲) -«قطوف»:على وزن(ظروف)جمع(قطف)على وزن(حفظ)أو جمع(قطف)على وزن(حذف)و الأوّل وصف و الثّانى مصدر،و يعنى الفواكه المقطوفه أو قطف الفاكهه.

يسقون فی الجنّه الکأس الممزوجه بزنجبیل الجنّه» (۱) .

ثمّ توضح الآیه الأخری کیفیه استضافه أصحاب الجنان،و أدوات الضیافه، و المستقبلین لهم،فیقول: وَ یُطافُ عَلَیْهِمْ بِآنِیَهٍ مِنْ فِضَّهٍ وَ أَکْوابٍ کانَتْ قَوارِیرَا، قَوارِیرَا مِنْ فِضَّهٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِیراً .

تحتوی هذه الآنیه علی أنواع الأغذیه و الأشربه المتعدده الأصناف و اللذیذه و الباعثه علی النشاط،بالقدر الذی یشاءونه و یحبّونه،و الولدان المخلدون یطوفون علیهم لیعرضوا علیهم الآنیه و الأکواب المملیئه بما وعدهم اللّه بها.

(آنیه):جمع(إناء)و هو الوعاء،و«أکواب»جمع«کوب»،و هو إناء للشراب الذی لا عروه له،و یعبر عنه أحیانا بالقدح.

«قواریر»:جمع(قاروره)،و هی الوعاء البلّوری و الزجاجی.و العجب فی قوله:أوعیه بلّوریه مصنوعه من الفضه!و الحال لا یوجد مثل هذا فی عالم الدنیا، و الأوعیه البلّوریه إنّما تصنع من رمال خاصّه و ذلک بعد اذابتها،و لکنّ اللّه الذی جعل خاصیّه فی الرمل تجعله یتحول إلی زجاج و بلّور لهو قادر أن یجعلها فی معدن آخر کالفضه.

علی کل حال فإنّ المستفاد من الآیه إنّ هذه الأوعیه و الکؤوس تکون جامعه بین صفاء الزجاجه و شفافیه البلوّر و بین بیاض الفضه و جمالها،و یکون الشراب فیه متجلیا،و الملاحظ أنّ هذا المعنی قد أشار إلیه

الامام الصادق علیه السّلام أیضا إذ قال: «ینفذ البصر فی فضه الجنّه کما ینفذ فی الزجاج» (۲) .

و فی العصر الحدیث تمّ اکتشاف أنواع من الأشعه(مثل اشعه ایکس)لها قابلیه النفوذ الی باطن المواد و الأجسام المعتمّه و استجلاء محتویاتها.

و عن ابن عباس قال:«إن لکل نعمه من نعم الجنان شبه فی الدنیا إلّا أکواب

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۴۱۱.

۲- ۲) -المصدر السابق.

الفضه إذ لا شبيه لها» (۱) .

ثمّ يضيف تعالى: وَ يُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كانَ مِزاجُها زَنْجَبِيلًا .

صرح الكثير من المفسرين بأنّ عرب الجاهليه كانوا يتلذذون بالشراب الممزوج بالزنجبيل،لأنّه كان يعطى قوّه خاصه للشراب.

و يتحدث القرآن هنا عن الشراب الطهور الممزوج بالزنجبيل، و من البديهى أنّ الفرق بين هذا الشراب و ذلك الشراب كالفرق بين السماء و الأرض و بالأخرى بين الدنيا و الآخره.

و الجدير بالذكر أنّ العرب كانوا يستخدمون نوعين من الشراب:أحدهما يبعث على النشاط و الحركه،و الآخر مفتّر و مهدّئ و الأوّل يمزج مع الزنجبيل، أمّا الثّانى فمع الكافور،و بما أنّ حقائق عالم الآخره لا يمكن أن يعبر عنها فى إطار ألفاظ هذا العالم،فلا سبيل إلّا استخدام هذه الألفاظ للدلاله على معان أوسع و أعلى تحكى عن تلك الحقائق العظيمه.و لفظ«الزنجبيل»غالبا ما يطلق على الجذر المعطر للتوابل الخاصّه للأغذيه و الأشربه،و إن كانت الأقوال مختلفه فى معناه.

ثمّ يضيف تعالى: عَيْناً فِيهَا تُسَمّى سَلْسَبِيلًا (۲) .

(سلسبيلا):هو الشراب الهنىء و اللذيذ جدّا الذى ينحدر بسهوله فى الحلق و يرى الكثير أنّه مأخوذ من ماده(سلاسه)المأخوذ من السيلان و لهذا يقال للكلام الجذّاب و الممتع«سليس».

و قيل أخذ من ماده(تسلسل)و هى الحركه المستمره التى يتداعى منها السيوله و الاتصال،و على هذا فإنّ المعنّيين متقاربين،و الباء زائده فى الصورتين.

و قيل:هو مركب من(سال)و(سبيل) و المعنى الكنائى للإثنين

۱- ۱) -روح المعانى،ج ۲۹،ص ۱۵۹.

۲- ۲) -«عينا»:محله فى الأعراب-كما تقدم-أن يكون منصوبا بنزع الخافض.

هو الصائغ و الهنىء.

و قيل:لا وجود لهذه الكلمه فى اللغه عند العرب،و أنّها من إبداعات القرآن المجيد (۱) .

و الأول أشهر و أوجه.

ثمّ يتحدث عن المستقبلين فى هذا الحفل البهيج المقام بجوار اللّه فى النعيم الأعلى فيقول تعالى وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ إِذا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً .

إنّهم مخلدون فى الجنان،و طراوه أشبابهم و جمالهم و نشاطهم خالد أيضا، و كذا استقبالهم للأبرار،لأنّ عباره(مخلدون)و عباره(يطوف عليهم)من جهه أخرى تبيان لهذه الحقيقه.

«لؤلؤا منثورا»:يراد به الإشاره إلى جمالهم و صفائهم و إشراق وجوههم و كذلك حضورهم فى كل مكان من المحفل الإلهى و الروحانى.

و بما أنّ من المحال وصف النعم و المواهب للعالم الآخر مهما بلغ الكلام من البيان و البلاغه،و لهذا يقول تعالى فى الآيه الأخرى كلاما مطلقا: وَ إِذا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَ مُلْكاً كَبِيراً (۲) .

وردت فى(النعيم)و(الملك الكبير)أقوال كثيره،منها ما

ورد فى حديث للإمام الصادق عليه السّلام عند ما سئل عن معنى الآيه إذ قال:(أى لا يفنى و لا يزول) (۳) .

أو أنّ نعم الجنان لا توصف لكثرتها.

أو أنّ«الملك الكبير»هو استئذان الملائكه للدخول على أهل الجنان و يحيوهم بالسلام.

۱- ۱) -قيل إن«السلسبيل»هو ما لا ينصرف عاده للعمليه و العجمه و التنوين الموجود للاتساق مع الآيات السابقه لها.

۲ - ۲) -قيل إنّ(ثمّ)هنا ظرف مكان و ل(رأيت)معنى فعل لازم و التقدير(إذا رميت ببصرك ثمّ رأيت نعيما و ملكا كبيرا)و يحتمل أن يكون(ثمّ)اسم إشاره للبعد و مفعولا لرأيت.

۳- ۳) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۴۱۱.

أو أنّ أهل الجنان يحصلون على ما يشاءون.

أو أنّ أقل أهل الجنان مرتبه يحصل على ملك من السعه أنّه يرى من الطريق ما يكون على بعد ألف سنه لو نظر إليه كان بينه و بين ملكه ألف سنه.

أو يراد به الملك الدائم و الأبدى المقترن مع تحقيق جميع الآمال...

«النعيم»:يراد بها فى اللغه النعم الكثيره و(ملك كبير)يخبر عن عظمه و اتساع رياض أهل الجنّه،و لذا فإنّ لهما معنيين واسعين بحيث يشملان جميع ما قيل فيهما.

إلى هنا أشير إلى قسم من نعم الجنان من قبيل المساكن و الأسره و الظلال و الفواكه و الشراب و الأوانى و الجماعه المستقبله للضيوف،و حان الآن دور زينه أهل الجنان فيقول تعالى: عالِيَهُمْ ثِيابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَ إِسْتَبْرَقٌ (۱) .

«سندس»:ثوب رقيق من الحرير،و«الإستبرق»ثوب غليظ من الحرير، و قيل أنّه مشتق من الكلمه الفارسيه«أستبر»أو«ستبر»،و قيل:أخذ من أصل عربى(برق)أى التلألؤ.

ثم أضاف تعالى: وَ حُلُّوا أَساوِرَ مِنْ فِضَّهٍ .

و هى الفضه الشفّافه اللامعه كالبلّور و أجمل من الياقوت و الدّر و اللؤلؤ.

«أساور»:جمع«أسوره»على وزن(مغفره)و هى بدورها جمع(سوار)على وزن(غبار)أو«سوار»على وزن(حوار)و أخذ فى الأصل من الكلمه الفارسيه، (دستوار)و عند انتقالها إلى العربيه تغيّرت و اختصرت و جاءت بصوره(سوار).

إنّ اختيار اللون الأخضر للباس أهل الجنّه هو لكونه يبعث على النشاط

۱- ۱) -«عاليهم»:هناك احتمالان لمحله من الاعراب،الأول كونه ظرفا و يراد به فوق،فيكون معنى الآيه(فوقهم ثياب سندس) و الآخر كونه لا يرجع للضمير«هم»المذكور فى الآيات السابقه،بل يرجع إلى(الأبرار)فيكون المعنى(حال كونهم يعلوهم ثياب سندس خضر).

كأوراق الأشجار الجميله،و بالطبع إنّ للّون الأخضر أنواعا و أقساما،و لكل منها لطافه:

و ورد فی بعض آیات القرآن کالآیه(۳۰)من سوره الکهف أنّ أهل الجنان یزینون بأساور من ذهب: یُحَلَّوْنَ فِیهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ و هذا لا ینافی ما جاء فی الآیه التی نحن بصدد بحثها،إذ یمکن أن یکون من باب التنویع،فمرّه هذا،و مرّه ذاک.

و یأتی هنا سؤال:ألیس سوار الذهب و الفضه من زینه النساء،فکیف ذکر زینه لرجال الجنّه؟ و الجواب واضح،فهناک الکثیر من المجتمعات تکون زینه الذهب و الفضه للرجال و النساء(و إن حرمّ الإسلام لبس الذهب للرجال)و لکن بالطبع هناک اختلاف بین أساور الرجال و بین أساور النساء،و نقل عن لسان فرعون فی الآیه (۵۳)من سوره الزخرف: فَلَوْ لا أُلْقِیَ عَلَیْهِ أَسْوِرَهٌ مِنْ ذَهَبٍ و یظهر من هذا أنّ لبس الرجال للذهب فی مصر کان من علائم العظمه.بالإضافه إلی ما أشرنا إلیه فی السابق أنّه لا یکفی استعمال الألفاظ العادیه المتداوله فی هذه الدنیا لبیان نعم الجنان،و لیس هناک من حلّ إلاّ باستعمال هذه الألفاظ للإشاره إلی تلک النعم العظیمه التی لا توصف.

ثمّ یقول تعالی فی نهایه الآیه مشیرا إلی آخر نعمه و أهمّها من سلسله النعم:

وَ سَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً

.

صحیح أنّ من بین هذه النعم ورد الحدیث عن الأشربه السائغه من الأکواب المترعه من عین السلسبیل، و لکنّ بینها و بین ما جاء فی هذه الآیه فرق کبیر،لأنّ السقاه هناک هم«الولدان المخلدون»من جهه،و الساقی هنا هو«اللّه تعالی»،یا له من تعبیر عجیب!خصوصا مع ذکر کلمه(رب)الرب الذی طالما تلطف علی الإنسان برعایته المستمره له فکان مالکه و مربیه و الذی کان یأخذ بیده فی

مراحل التكامل حتى يوصله إلى المرحله الأخيره التى يريدها له،ثمّ تتجلّى ربوبيته إلى أعلى المراتب و الحدود فيسقى بيده عباده الأبرار بالشراب الطهور.

و من جهه أخرى فإنّ«الطهور»هو الطاهر و المطهر،و على هذا فإنّ هذا الشراب يطهر جسم الإنسان و روحه من كل الأدران و النجاسات و يهبه من الروحانيه و النورانيه و النشاط ما لا يوصف بوصف:حتى

ورد فى حديث عن الإمام الصادق عليه السّلام أنّه قال: «يطهرهم عن كلّ شىء سوى اللّه» (۱) .

إنّ هذا الماء الطهور أفضل من أيّه نعمه و أعلى من كلّ موهبه،إذ أنّه يمزق ستار الغفله،و يزيل الحجب،و يجعل الإنسان أهلا للحضور الدائم فى جوار القرب من اللّه تعالى،فإذا كان شراب الدنيا يزيل العقل و يبعد الإنسان عن اللّه،فإنّ الشراب الطهور يعطى من يد ساقى الجنّه،فيجرّد الإنسان عن ما سوى اللّه،ليغرق فى جماله و جلاله،و هذا أفضل ما ذكره اللّه تعالى من النعيم الخفى الموهوب فى الجنّه،

ففى حديث روى عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله حول عين الشراب الطهور المستقره عند باب الجنّه قال: «فيسقون منها شربه فيطهر اللّه بها قلوبهم من الحسد!...و ذلك قول اللّه عزّ و جلّ وَ سَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً (۲) .

و الظريف فى عباره طهور أنّها لم ترد فى القرآن إلاّ فى موردين:أحدهما فى مورد المطر(الفرقان ۴۸)الذى يطهر كل شىء و يحيى البلاد الميته،و الآخر فى مورد الآيه التى نحن بصدد بحثها،و هو الشراب الخاص بأهل الجنّه.

و فى آخر آيه من آيات البحث يتحدث حديثا أخيرا فى هذا الإطار فيقول:

إنّه يقال لهم من قبل ربّ العزّه بأنّ هذه النعم العظيمه ما هى إلاّ جزاء أعمالكم فى الدنيا إِنَّ هٰذا كانَ لَكُمْ جَزاءً وَ كانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً .لئلا يتصور أحد أنّ هذا الجزاء و هذه المواهب العظيمه تعطى من دون مقابل،إنّ كل ذلك جزاء السعى

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۴۱۱.

۲- ۲) -نور الثقلين،ج ۵،ص ۴۸۵ ذيل الحديث ۶۰.

و العمل،و ثمره الرياضات و جهاد النفس و بناء الذات و ترک المعاصی (۱) .

ثمّ إنّ نفس بیان هذا الموضوع فیه لذّه خاصّه،إذ أنّ اللّه تعالی أو«ملائکته» یخاطب الأبرار و یقدم لهم الشکر و التقدیر و یقول:إنّ هذا جزاء أعمالکم و إنّ سعیکم مشکور،بل قیل:إنّها نعمه ما فوقها نعمه و موهبه أعلی من کل المواهب و هی شکر اللّه للإنسان.

«کان»،فعل ماضی و یخبر عن الماضی،و لعلّه إشاره إلی أنّ هذه النعم کانت موفره لکم من قبل،لأنّ من یهتم کثیرا بضیفه یهیء وسائل الضیافه له من قبل.

***

ص: ۲۷۲

۱- ۱) -إن لهذه الآیه تقدیر مثل(یقال لهم)أو(یقول اللّه لهم).

الآيات [سوره الإنسان (۷۶): الآيات ۲۳ الى ۲۶]

اشاره

إِنّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ اَلْقُرْآنَ تَنْزِيلاً (۲۳) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً (۲۴) وَ اُذْكُرِ اِسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَ أَصِيلاً (۲۵) وَ مِنَ اَللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَ سَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً (۲۶)

التّفسير

اشاره

خمسه مبادئ مهمّه فى تنفيذ حكم اللّه:

شرعت السوره منذ البدايه و حتى هذه الآيه فى تبيان خلق الإنسان ثمّ المعاد و البعث،و فى هذه الآيات مورد البحث يتوجه الخطاب إلى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بإصدار أوامر مؤكّده لهدايه الناس و الصبر و الثبات فى هذا الطريق،و فى الواقع إنّ هذه الآيات تشير إلى أنّ نيل كل تلك النعم و المواهب الأخرويه لا يتمّ إلّا بالتمسك بالقرآن و إتباع النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و اطاعه أوامره.

و يقول فى البدء: إِنّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً .

قال بعض العلماء إنّ مجيء(تنزيلا)بصوره مفعول مطلق هو إشاره إلى النزول التدريجى للقرآن،إذ لا يخفى الأثر التربوى لذلك،و قيل هو إشاره إلى عظمه مقام هذا الكتاب السماوى و تأكيد نزوله من قبل اللّه تعالى،خصوصا ما

ورد من التأكيدات الأخرى فى الآيات الآتيه(التأكيد بأنّ،و نحن،و الجمله الاسميه)و هو جواب لمن يتهم النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالكهانه و السحر و الافتراء على اللّه تعالى.

ثمّ يأمر النّبى بأمور خمسه،أولها الدعوه إلى الصبر و الاستقامه فيقول:

فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ

.

أى لا تخف من المشاكل و من موانع الطريق و كثره الأعداء و عنادهم و استقم فى سيرك على الصراط المستقيم.و الجدير بالانتباه أنّ الأمر بالصبر(مع ملاحظه (فاء التفريع)فى(فاصبر)متفرع على نزول القرآن من اللّه تعالى،أى إذا كان اللّه قد أيّدك و حماك فيجب عليك أن تصبر فى هذا الطريق،و التعبير ب(الرب)إشاره لطيفه أخرى إلى نفس هذا المعنى.

و الأمر الثّانى الموجّه للنّبى صلّى اللّه عليه و آله هو تحذيره من أى توافق مع المنحرفين، فيقول تعالى: وَ لا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً .

فى الحقيقه أنّ هذا الحكم هو تأكيد ثان على الحكم الأوّل،لأنّ جموع الأعداء كانوا يسعون بطرق مختلفه للتوافق مع النّبى و جرّه إلى طريق الباطل،كما نقل أنّ«عتبه بن ربيعه»و«الوليد بن المغيره»قالا لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:إن تركت دعوتك،فإنّنا سنغنيك حتى ترضى،و نزوجك أجمل بنات العرب،و عروض أخرى من هذا القبيل،فما كان على الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هنا باعتباره المرشد الحقيقى و العظيم إلّا أن يقف أمام هذه الوساوس الشيطانيه و التهديدات التى صدرت منهم بعد ذلك،و لا يستسلم للترغيب أو الترهيب.

صحيح أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لم يكن قد استسلم،و لكن هذا التأكيد يشير الى أهميه الموضوع ليكون نموذجا خالدا لسائر مرشدى طريق اللّه عزّ و جلّ رغم أنّ بعض المفسّرين ذهبوا الى أنّ(آثما)هو عتبه بن ربيعه،و«كفور»هو الوليد بن المغيره أو أبو جهل،و هم من مشركى العرب،و لكنّ الواضح أنّ كل من(آثم)أى

(العاصی)و«کفور»أی(المبالغ فی الکفر)له معنی واسع إذ یشمل جمیع المجرمین و المشرکین و إن کان هؤلاء الثلاثه من مصادیقها الواضحه،و الملاحظ أنّ(آثما)له مفهوم عام یستوعب بذلک(الکفور)أیضا،لذا فإنّ ذکر(کفور)کذکر الخاص بعد العام للتأکید.

و لکن بما أنّ الصبر و الاستقامه فی مقابل هذه المشکلات العظیمه لیس بالأمر الیسیر، کان من الضروری لسلوک هذا الطریق التزوّد بنوعین من الزاد،لذا یضیف القرآن فی الآیه الأخری: وَ اذْکُرِ اسْمَ رَبِّکَ بُکْرَهً وَ أَصِیلًا أی فی کل صباح و مساء،.و یقول تعالی أیضا: وَ مِنَ اللَّیْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَ سَبِّحْهُ لَیْلًا طَوِیلًا .

لتتوفر لدیک فی ظل ذلک الذکر و هذا السجود و التسبیح قوّه کافیه و قدره معنویه لمواجهه مشاکل هذا الطریق.

(بکره)علی وزن(نکته)یعنی بدایه الیوم،و(أصیل)نقیض بکره،أی آخر الیوم.

و قیل إنّ إطلاق هذه اللفظه علی آخر الیوم مع أنّها مشتقه من ماده(أصل) هو کون آخر الیوم یشکل الأصل و الأساس للّیل.

و یستفاد من بعض التعابیر أنّ(أصیل)تطلق أحیانا علی الفتره ما بین الظهر و الغروب(مفردات الراغب الأصفهانی).

و یظهر من آخرین أنّ(أصل)یقال لأوائل اللیل،لأنّهم فسروا ذلک ب«العشی»و العشی هو بدایه اللیل کما یقال لصلاتی المغرب و العشاء بالعشائین، حتی أنّه یستفاد من بعض الکلمات أنّ«العشی»هو من زوال الظهر حتی صباح الغد (۱) و لکنّ بالالتفات إلی أنّ کلمه(أصیل)وردت فی الآیه الشریفه فی مقابل «بکره»ثمّ تحدثت الآیه بعد ذلک عن العباده اللیلیه.یتّضح أنّ المراد هو الطرف الآخر للنهار.

۱- ۱) -مفردات الراغب.

على كل حال فإنّ هاتين الآيتين فى الحقيقه تأكيد لضروره التوجّه الدائم و المستمر لذات اللّه المقدسه.

و قال آخرون:إنّ المراد هو الصلوات الخمس،أو بإضافه صلاه الليل،أو خصوص صلاه الصبح و العصر و المغرب و العشاء و لكنّ الظاهر هو أنّ هذه الصلوات مصاديق من هذا الذكر الإلهى المستمر و التسبيح و السجده لمقامه المقدس.

التعبير ب(ليلا طويلا)إشاره إلى ضروره التسبيح لفتره طويله من الليل،

ففى حديث عن الإمام على بن موسى الرضا عليه السّلام لمّا سئل عن المقصود من التسبيح فى هذه الآيه؟قال عليه السّلام:«هو صلاه الليل» (۱) .

و لا يستبعد أن يكون هذا التفسير من باب تبيان المصداق الواضح لما تترك صلاه الليل من الأثر البالغ فى تقويه روح الإيمان،و تهذيب النفوس.و الحفاظ على حيويه إراده الإنسان فى طريق طاعه اللّه.

و يجب هنا الالتفات إلى أن الأوامر الخمسه المذكوره فى الآيات أعلاه و إن ذكرت بصوره منهج للنّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،فهى فى الحقيقه دستورا يحتذى به كلّ من يخطو فى مسير قياده المجتمع البشرى،إنّهم يجب أن يعلموا بعد الإيمان الكامل بأهدافهم و رسالتهم بضروره احتراف الصبر و الاستقامه.

و أن لا يستوحشوا من كثره مشاكل الطريق،لأنّ هدايه المجتمع من المشاكل العظيمه،و هى كذلك دائما، و لم تثمر الرساله إن لم يمتلك قادتها الصبر و الاستقامه.

و فى المرحله الأخرى يجب الثبات التام أمام الوساوس الشيطانيه و التى تعتبر مصداقا للآثم و الكفور،و الثبات أمام سعيهم فى حرف القاده و الأئمه بأنواع

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۴۱۳.

الحيل و المكائد،و أن لا ينخدعوا بالتطميع و لا يتأثروا بالتهديد،و يذكروا اللّه تعالى فى كل المراحل لاكتساب القدره الروحيه و قوه الإراده و العزم الراسخ، و الاستمداد من العبادات الليليه،و المناجاه مع اللّه،فإذا ما روعيت هذه الأمور فالنصر حتمى،و حتى لو عرضت مصيبه أو هزيمه فإنّه يمكن إصلاحها من خلال هذه الأصول،و منهج الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و سلوكه فى دعوته نموذج مؤثر لجميع السالكين فى هذا الطريق.

***

ص: ۲۷۷

الآيات [سوره الإنسان (۷۶): الآيات ۲۷ الى ۳۱]

اشاره

إِنَّ هؤُلاءِ يُحِبُّونَ اَلْعاجِلَهَ وَ يَذَرُونَ وَرٰاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً (۲۷) نَحْنُ خَلَقْنٰاهُمْ وَ شَدَدْنٰا أَسْرَهُمْ وَ إِذٰا شِئْنٰا بَدَّلْنٰا أَمْثٰالَهُمْ تَبْدِيلاً (۲۸) إِنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَهٌ فَمَنْ شٰاءَ اِتَّخَذَ إِلىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً (۲۹) وَ مٰا تَشٰاؤُنَ إِلاّٰ أَنْ يَشٰاءَ اَللّٰهُ إِنَّ اَللّٰهَ كٰانَ عَلِيماً حَكِيماً (۳۰) يُدْخِلُ مَنْ يَشٰاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَ اَلظّٰالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذٰاباً أَلِيماً (۳۱)

التّفسير

اشاره

تحذير مع بيان السبيل!!

رأينا فى الآيات السابقه تحذيرا للنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لكى لا يقع تحت تأثير كل آثم أو كفور من المجرمين،و التاريخ يشهد أنّهم كانوا يستعينون لسذاجتهم بالمال و الجاه و النساء للنفوذ فى إراده النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و عزمه على ادامه الدعوه.

الآيات أعلاه عرّفت الأعداء بشكل أكثر و قالت: إِنَّ هؤُلاءِ يُحِبُّونَ اَلْعاجِلَهَ وَ يَذَرُونَ وَرٰاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً .لا تتعدى أفق أفكارهم دائره الطعام و النوم و الشهوه،و تمثل هذه اللذائذ المادّيه الرخيصه أسمى غايه لهم فى الحياه.

و العجيب أنّهم قاسوا روح النّبى صلّى اللّه عليه و آله العظيمه بهذا المقياس!و لم ينتبه هؤلاء الغافلين إلى اليوم الثقيل الذى ينتظرهم،ثقيل من حيث العقوبات،ثقيل من حيث المحاسبه،و ثقيل من حيث طول الزمان و شدّه الفضيحه.

و قد جاء التعبير ب(وراءهم)مع أنّ المفروض أن يقال(أمامهم)لأنّهم نسوا ذلك اليوم، و كأنّهم تركوه وراءهم،و لكن على قول بعض المفسّرين أنّ كلمه (وراء)تستعمل أحيانا بمعنى«خلف»و أحيانا بمعنى«أمام» (۱) .

الآيه التاليه تحذرهم من الاغترار بقوتهم و قدرتهم،إذ أنّ اللّه الذى أعطاهم إيّاها قادر على أن يستردها بسرعه متى شاء،فيقول تعالى: نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَ شَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَ إِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا (۲) .

(أسر)على وزن(عصر)و أصله الربط بالقيد،و لهذا سمى الأسير بهذا الاسم لربطه و شدّه،و هنا إشاره إلى استحكام خلقه الإنسان بحيث يقدر على مزاوله مختلف النشاطات و الفعاليات المهمّه.

هنا يشير القرآن إلى نقطه حساسه،و هى الأعصاب الصغيره و الكبيره التى تشدّ العضلات فيما بينها كالحبال الحديديه و تربط بعضها بالبعض الآخر،و حتى المفاصل و العضلات المختلفه و قطع العظام الصغيره و الكبيره و أعضاء الإنسان بحيث يتكون من مجموع ذلك إنسان واحد مهيأ للقيام بأيه فعاليه،و على كل حال فهذه الجمله كنايه عن القدره و القوّه.

و توضّح هذه الآيه ضمنا استغناء ذات اللّه المقدّسه،عنهم،و عن طاعتهم و إيمانهم،ليعلموا أنّ الإصرار على إيمانهم فى الحقيقه هو من رحمه اللّه بهم.

۱- ۱) -جاء فى تفسير(روح البيان)أن كلمه(وراء)إذا أضيفت إلى الفاعل فإنّها تعنى الخلف،و إذا أضيفت إلى المفعول فإنّها بمعنى«الأمام»روح البيان،ج ۸،ص ۴۳۹.

۲- ۲) -فى هذه الآيه حذف،و فى التقدير(بدلناهم أمثالهم)كلمه(تبديل)غالبا ما تأخذ مفعولين و هنا الضمير(هم)مفعول أوّل و(أمثالهم)مفعول ثان.

و قد ورد نظير هذا المعنى فى الآيه(۱۳۳)من سوره الأنعام إذ يقول: وَ رَبُّکَ الْغَنِیُّ ذُو الرَّحْمَهِ إِنْ یَشَأْ یُذْهِبْکُمْ وَ یَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِکُمْ مٰا یَشٰاءُ .

ثمّ أشار تعالى إلى جميع البحوث الوارده فى هذه السوره و التى تشكل بمجموعها برنامجا متكاملا للحياه السعيده،فيقول تعالى: إِنَّ هٰذِهِ تَذْکِرَهٌ فَمَنْ شٰاءَ اتَّخَذَ إِلیٰ رَبِّهِ سَبِیلاً (۱) .

إن علينا إيضاح الطريق،لا اجباركم على اختيار الطريق،و عليكم تمييز الحق من الباطل بما لديكم من العقل و الإدراك،و اتخاذ القرار بإرادتكم و اختياركم،و هذا فى الحقيقه تأكيدا على ما جاء فى صدر السوره فى قوله: إِنّٰا هَدَیْنٰاهُ السَّبِیلَ إِمّٰا شٰاکِراً وَ إِمّٰا کَفُوراً .

و قد يتوهّم بعض السذّج من العباره أعلاه أنّها تعنى التفويض المطلق للعباد، فجاءت الآيه التاليه لتنفى هذا التصور و تضيف: وَ مٰا تَشٰاؤُنَ إِلاّٰ أَنْ یَشٰاءَ اللّٰهُ إِنَّ اللّٰهَ کٰانَ عَلِیماً حَکِیماً (۲) .

و هذا فى الحقيقه إثبات لأصل مشهور هو(الأمر بين الأمرين)،إذ يقول من جهه: إِنّٰا هَدَیْنٰاهُ السَّبِیلَ فعليكم أن تختاروا ما تريدون،و يضيف من جهه أخرى: وَ مٰا تَشٰاؤُنَ إِلاّٰ أَنْ یَشٰاءَ اللّٰهُ أى ليس لكم لاستقلال الكامل،بل إن قدرتكم و استطاعتكم و حريتكم لا تخرج عن دائره المشيئه الإلهيه،و هو قادر على أن يسلب هذه القدره و الحريه متى شاء.

من هذا يتّضح أنّه لا جبر و لا تفويض فى الأوامر،بل إنّها حقيقه دقيقه و ظريفه بين الأمرين،أو بعباره أخرى:إنّها نوع من الحريه المرتبطه بالمشيئه

۱- ۱) -قيل أن فى الآيه حذف،و التقدير:(فمن شاء اتخذ إلى رضى ربّه سبيلا)و لكن الحق عدم احتياج الآيه للتقدير،لأن جميع طرق التكامل تنتهى إلى اللّه تعالى.

۲- ۲) -جمع من المفسرين قالوا أن جمله(إن يشاء اللّه)محلها من الإعراب منصوبه على الظرفيه فيكون المعنى:(ما تشاءون إلا وقت مشيئه اللّه)و يحتمل أن التقدير هنا(شيئا)فيكون المعنى:(و ما تشاءون إلا شيئا يشاء اللّه).

الإلهيه،إذ يمكن سلبها متى يشاء ليتسنى للعباد تحمل ثقل المسؤوليه الذى يعتبر رمزا للتكامل من جهه،و من جهه أخرى أن لا يتوهموا استغنائهم عن اللّه تعالى.

و الخلاصه،أنّ هذه الآيه تدعو الإنسان إلى أن لا يتوهّم أنّه مستغن عن رعايه اللّه و توفيقه.و فى نفس الوقت تؤكد حريته فى أعماله و سلوكه.

و يتضح هنا أنّ تمسك بعض المفسّرين القائلين بالجبر كالفخر الرازى بهذه الآيه بسبب الخلفيات الذهنيه المسبقه فى هذه المسأله،فيقول:و اعلم أنّ هذه الآيه من جمله الآيات التى تلاطمت فيها أمواج الجبر و القدر! (۱) نعم،إذا فصلنا هذه الآيه عن الآيات السابقه فهناك محلّ لهذا الوهم.و لكن بالالتفات إلى ما ورد من تأثير الإختيار فى آيه،و فى آيه أخرى تأثير المشيئه الإلهيه،يتّضح بصوره جيده مفهوم(الأمر بين الأمرين).

و عجيب أن أنصار التفويض يتمسكون بتلك الآيه التى تتحدث عن الإختيار المطلق فقط،و أنصار الجبريه يتمسكون بالآيه التى تشير إلى الجبر فقط،و يريد كل منهما تبرير أحكامهم المسبقه بتلك الآيه،و الحال أنّ الفهم الصحيح للكلام الإلهى(أو أى كلام آخر)يستوجب ضمّ الآيات جنبا إلى جنب، و ترك التعصب و القضاء بالأحكام المسبقه.

و لعلّ آخر الآيه: إِنَّ اللّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً .يشير حكمه إلى هذا المعنى، لأنّ حكمه اللّه تستوجب إعطاء الحريه للعباد فى سلوك طريق التكامل،و إلاّ فإنّ التكامل الإجبارى لا يعدّ تكاملا،بالإضافه إلى أنّ حكمه اللّه لا تتفق مع فرض الأعمال الخيره على أناس و فرض الأعمال الشريره على أناس آخرين،ثمّ أنّه يثيب الجماعه الأولى و يعاقب الثانيه.

ثمّ تشير الآيه الأخرى بعد ذلك إلى مصير الصالحين و الطالحين فى جمله

۱- ۱) -تفسير الفخر الرازى ج ۳۰ ص ۲۶۲.

يسيره غنيه المحتوى إذ تقول الآيه: يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَ الظّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً و الظريف أنّ صدر الآيه يقول: يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ فِي رَحْمَتِهِ و يقول ذيلها: وَ الظّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً و هذا يشير إلى أنّ مشيئته تعالى بعقوبه الإنسان تتبع مشيئه الإنسان للظلم و المعاصى،و بقرينه المقابله يتّضح أنّ مشيئته تعالى فى الرحمه تتبع إراده الإنسان فى الإيمان و العمل الصالح و إقامه العدل،و لا يمكن أن يكون هذا الأمر إلّا من حكيم.

و العجيب أنّ مع هذه القرينه فهناك أفراد كالفخر الرازى ممن يتخذ صدر هذه الآيه دليلا على مسأله الجبر من دون الالتفات إلى آخر الآيه التى يتحدث عن حريه الإراده فى أعمال الظالمين (۱) .

اللهم!أدخلنا فى رحمتك و نجّنا من العذاب الأليم الذى ينتظر الظالمين. (۲)

اللهم!أدخلنا فى رحمتك و نجّنا من العذاب الأليم الذى ينتظر الظالمين.

ربّنا!إنّك أوضحت السبيل إليك.و قد عزمنا على سلوكه،فأعنّا على ذلك.

ربّنا!إنّنا إن لم نكن من الأبرار و لكنّا نحبّهم،فاحشرنا معهم.

آمين يا ربّ العالمين نهايه سوره الدهر ***

۱- ۱،۲) -لمزيد من التوضيح حول آيات(المشيئه)راجع تفسير الآيه ۳۷ سوره الزمر.

۲-

سوره المرسلات

اشاره

مکیه و عدد آیاتها خمسون آیه

ص :۲۸۳

«سوره المرسلات»

محتوى السوره:

المشهور أنّ هذه السوره مكيّه،و لكن صرح البعض أنّ الآيه(۴۸) وَ إِذٰا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لاٰ يَرْكَعُونَ مدنيه،و لكن لم يذكروا لذلك دليلا واضحا،و إذا كانت مسأله الركوع و الصلاه سببا لهذا الاستنباط فإنّ ذلك يبدو بعيدا.إذ كثيرا ما كان المسلمون يقيمون الصلاه مع الركوع فى مكّه،على كلّ حال فإنّ أكثر محتويات هذه السوره تدور حول المسائل المرتبطه بالقيامه و تهديد و إنذار المشركين و المنكرين،و من خصائص هذه السوره تكرار الآيه: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ عشر مرات بعد كل موضوع جديد،و تنبئ السوره بعد ذكر الأقسام عن القيامه و الحوادث الثقيله و الصعبه للبعث،ثمّ تذكر عقب ذلك هذه الآيه: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ :

و تتحدث السوره أولا عن الوقائع المؤسفه للأقوام المذنبين الأوائل.

ثمّ تتحدث ثانيا عن جانب من خصوصيات خلق الإنسان.

و فى المرحله الثّالثه عن بعض المواهب الإلهيه فى الأرض.

و فى الرّابعه تشرح السوره جانبا من عذاب المكذبين،و فى كل من هذه المراحل إشاره إلى مواضيع موقظه و محركه،ثمّ تأكيد تلك الآيه بعد ذكر كلّ موضوع من هذه المواضيع،و حتى أنّه أشار فى قسم من ذلك إلى نعم الجنان للمتقين ليمزج الإنذار بالبشاره و الترهيب بالترغيب.

ص: ۲۸۵

على كل حال فإنّ هـذا التكرار يـذكر بتكرار بعض الآيات فى سوره الرحمن باختلاف أنّ الكلام يـدور عن النعم،أمّا فى السوره فغالبا ما تتحدث عن عذاب المكذبين.

اختيار اسم(المرسلات)لهذه السوره هو لتناسبه مع الآيه الأولى لهذه السوره.

فضيله السوره:

روى عن النبى صلّى اللّه عليه و آله أنّه قال: «من قرأ سوره المرسلات كتب أنّه ليس من المشركين» (۱) .

و

روى عن الإمام الصادق عليه السّلام أنّه قال: «من قرأها عرّف اللّه بينه و بين محمد» (۲) لا شك أنّ الثواب و الفضيله تكون لمن يقرؤها و يتفكر و يعمل بها،لذا

روى فى حديث أنّ أحد أصـحاب النّبى قال: أسـرع الشيب إليك يا رسول اللّه! فقال:«شيبتنى سوره هود و الواقعه و المرسلات و عم يتساءلون» (۳) .

و الملاحظ أنّ جميع هذه السور تعكس أحوال القيامه و المسائل المهوله لتلك المحكمه العظيمه،و هذه هى التى تركت أثرا فى روح النّبى المقدّسه.

من البديهى أنّ القراءه بدون تدبّر و تصميم على العمل لا يمكن أن تترك مثل هذا الأثر.

***

۱- ۱) -مجمع البيان ج ۱۰ ص ۴۱۴.

۲- ۲) -المصدر السابق.

۳- ۳) -الخصال للشيخ الصدوق باب الأربعه حديث ۱۰.

الآيات [سوره المرسلات (۷۷): الآيات ۱ الى ۱۵]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ وَ اَلْمُرْسَلاٰتِ عُرْفاً (۱) فَالْعاصِفاتِ عَصْفاً (۲) وَ اَلنّاشِرٰاتِ نَشْراً (۳) فَالْفارِقاتِ فَرْقاً (۴) فَالْمُلْقِيٰاتِ ذِكْراً (۵) عُذْراً أَوْ نُذْراً (۶) إِنَّمٰا تُوعَدُونَ لَوٰاقِعٌ (۷) فَإِذَا اَلنُّجُومُ طُمِسَتْ (۸) وَ إِذَا اَلسَّمٰاءُ فُرِجَتْ (۹) وَ إِذَا اَلْجِبٰالُ نُسِفَتْ (۱۰) وَ إِذَا اَلرُّسُلُ أُقِّتَتْ (۱۱) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (۱۲) لِيَوْمِ اَلْفَصْلِ (۱۳) وَ مٰا أَدْرٰاكَ مٰا يَوْمُ اَلْفَصْلِ (۱۴) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (۱۵)

التّفسير

اشاره

الوعود الإلهيه و جزاء المكذبين:

ذكرت فى صدر السوره ابتداء خمسه أيمان،و ذلك فى خمس آيات.

الحديث وافر فى تفسير معانيها:

يقول تعالى: وَ الْمُرْسَلاٰتِ عُرْفاً (۱) أى قسما بالتى ترسل تباعا.

---

۱ - ۱) -«عرفا»:بمعنى متتابعا،و أصله بمعنى(عرف الفرس)المتساقط بعضها على البعض الآخر،و فسر أحيانا بالعمل الحسن و المعروف.

فَالْعاصِفاتِ عَصْفاً

التی تسرع فی حرکتها کالعاصفه.

وَ النّاشِراتِ نَشْراً

...التی توسّع و تنشر ما وکّلت به.

فَالْفارِقاتِ فَرْقاً

...التی تفرق و تفصل.

فَالْمُلْقِیاتِ ذِکْراً

التی تلقی بالآیات الموقظه و المذکّره.

عُذْراً أَوْ نُذْراً

(۱)

إمّا لإتمام الحجه أو للانذار.

و الآن لنر ما هو مفهوم هذه الأیمان المغلقه التی تخبر عن مسائل مهمّه، و یوجد هنا ثلاث تفاسیر مهمّه:

۱-إنّ هذه الأیمان الخمسه إشاره إلی الریاح و العواصف التی لها الأثر البالغ فی کثیر من مسائل الطبیعه فی العالم،فیصبح معنی الآیات حینئذ:أقسم بالریح المتواله الهبوب.

و أقسم بالأعاصیر السریعه.

و أقسم بالناشرات السحاب التی تنزل المطر إلی الأراضی المیته.

و أقسم بالریاح التی تفرّق السحاب بعد هطول المطر.

و أقسم بالریاح المذکّره باللّه بهذه المعطیات النافعه.

(و قیل أنّ فَالْعاصِفاتِ عَصْفاً إشاره إلی أعاصیر العذاب النقیضه للریاح الباعثه للحیاه و التی تعتبر بدورها سببا للتذکر و الیقظه).

۲-إنّ هذه الأیمان إشاره إلی(ملائکه السماء):أی أقسم بالملائکه المرسله تباعا إلی الأنبیاء(و الملائکه المرسلین بالمناهج المعروفه)،و أقسم بأولئک المسرعین کالأعصار لتنفیذ مهامهم، و الذین ینشرون ما أنزل اللّه علی الأنبیاء، و أولئک الذین

يفصلون بعملهم هذا الحق عن الباطل،و الذين يلقون ذكر الحق و أوامر اللّه على الأنبياء.

ص :۲۸۸

۱- ۱) -«عذرا أو نذرا»:محله من الإعراب النصب على أنّه(مفعول لأجله)و قيل(حال).

۳-القسم الأوّل و الثّانی ناظر إلی الریاح و الأعاصیر،و القسم الثّالث و الرّابع و الخامس یتعلق بنشر آیات الحق بواسطه الملائکه،ثمّ فصل الحق عن الباطل، و بعد ذلک إلقاء الذکر و الأوامر الإلهیه علی الأنبیاء بقصد إتمام الحجّه و الإنذار.

و ما یمکن أن یکون شاهدا علی التفسیر الثّالث هو:

أوّلا:فصل المجموعتین من الأقسام التی فی الآیات(بالواو)،و الحال أنّ البقیه عطفت بالفاء و هی علامه ارتباطها.

ثانیا:إنّ هذه الأیمان کما سوف نری وارده لموضوع الآیه السابعه،أی أحقیّه البعث و المعاد و واقعیته،و نعلم أنّ تغیّرا عظیما یحصل فی الدنیا عند البعث حیث العواصف الشدیده و الزلازل و الحوادث المهیبه من جهه،ثمّ تشکیل محکمه العدل الإلهیه من جهه أخری و عندها تنشر الملائکه صحائف الأعمال و تفصل بین المؤمنین و الکافرین،و تلقی بالحکم الإلهی فی هذا المجال.

و طبقا لهذا التّفسیر سوف یتناسب القسم مع المقسم له،و لهذا فإنّ التّفسیر الأخیر أفضل.

«الذکر»فی جمله: فَالْمُلْقِیَاتِ ذِکْراً أمّا أن یکون بمعنی العلوم الملقاه علی الأنبیاء،أو الآیات النازله علیهم،و نعلم أنّ القرآن جاء التعبیر عنه بالذکر کما فی الآیه(۶)من سوره الحجر: وَ قالُوا یا أَیُّهَا الَّذِی نُزِّلَ عَلَیْهِ الذِّکْرُ إِنَّکَ لَمَجْنُونٌ .

کلمه«الملقیات»بصیغه الجمع مع أنّ ملک الوحی-أی جبرئیل علیه السّلام-واحد لیس إلّا لما یستفاد من الرّوایات أنّ جماعات کثیره من الملائکه کانوا یصاحبون جبرئیل علیه السّلام عند نزول الآیات القرآنیه،کقوله تعالی فی الآیه(۱۵)من سوره عبس: بِأَیْدِی سَفَرَهٍ .

و الآن لا بدّ أن نری الغرض من هذه الأیمان،الآیه التالیه ترفع الستار عن هذا المعنی،فتقول: إِنَّما تُوعَدُونَ لَواقِعٌ .

إنّ البعث و النشور،و الثواب و العقاب و الحساب و الجزاء کلها حق لا ریب

فیه.

و یری البعض أنّها إشاره إلی جمیع الوعود الإلهیه،و تشمل و عود الصالحین و الصالحین،فی الدنیا کانت أو فی الآخره،و لکنّ الآیات التالیه توحی أنّ المراد هو الوعد بالقیامه (۱) .

و هنا و إن لم یستدل فی هذه الآیه علی مسأله المعاد و اکتفی بالادعاء،فإنّ ظرافه الموضوع تکمن فی أنّ مواضیع الأیمان السابقه تعتبر بحدّ ذاتها دلائل للمعاد،منها إحیاء الأراضی المیته بالأمطار،و هذا نموذج ممّا یحدث فی المعاد، ثمّ نزول التکالیف الإلهیه علی الأنبیاء و إرسال الرسل ممّا لا یکون الهدف منه واضحا و مفهوما إلّا بوجود المعاد،و هذا یشیر إلی أنّ واقعه البعث أمر حتمی.

و جاء ما یشابه هذا الموضوع فی الآیه(۲۳)من سوره الذاریات إذ یقول اللّه تعالی: فَوَ رَبِّ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ القسم بالربّ یعتبر إشاره إلی أنّ ربوبیه الربّ و تدبیره عالم الخلق یستوجب عدم ترکه للخلق دون رزق.

ثمّ ینتهی إلی تبیان علامات ذلک الیوم الموعود،فیقول:إذا تحقّق ذلک الیوم الموعود فإنّ النجوم سوف تنطفئ و تمحی فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ .

وَ إِذَا السَّماءُ فُرِجَتْ

أی انشقت.

وَ إِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ

أی زالت و انقلعت من مکانها.

(طمست):من ماده(طمس)-علی وزن شمس-و هو محو و زوال آثار الشیء،و من الممکن أن تشیر العباره هنا إلی محو نور النجوم أو اختفائها،و لکن التفسیر الأول أنسب،کقوله فی الآیه(۲)من سوره التکویر: وَ إِذَا النُّجُومُ انْکَدَرَتْ .

نسفت:من ماده(نسف)-علی وزن حذف-و فی الأصل،بمعنی وضع حبوب الغذاء فی الغربال و تحریکه لعزل القشور عن الحبوب،و یعنی هنا تفتیت

۱- ۱) -العطف بالفاء أیضا یقوی هذا المعنی.

الجبال ثمّ نسفها فی الریح،و نستفید من بعض آیات القرآن المجید أنّ انقراض العالم یلازم وقوع حوادث مهوله بحیث یتلاشی نظام العالم بکامله.و حلول نظام الآخره الجدید مکان ذلک النظام،و لا یمکن وصف تلک الحوادث بأی بیان لما فیها من الرعب و العجب،و هل یوصف حادث تنقلع فیه الجبال و تندک لتتحول إلی غبار و تکون کالصوف المنفوش؟!و کما یری بعض المفسّرین أنّ هذه الحوادث عظیمه للغایه بحیث أنّ أشد الزلازل المهیبه فی الدنیا بالنسبه لها کفرقعه صغیره یفرقعها الأطفال للّعب بها مقابل أقوی قنبله ذریه.

و علی أی حال فإنّ هذه التعابیر القرآنیه تشیر إلی الاختلاف الکبیر بین أنظمه الآخره و أنظمه الدنیا.

ثمّ أشار القرآن بعد ذلک إلی ما یجری فی البعث،فیضیف:و فی ذلک الوقت یتمّ تعیین وقت للأنبیاء و الرسل لیأتوا إلی ساحه المحشر و یدلوا بشهادتهم: وَ إِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (۱) و هو کقوله: فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِینَ أُرْسِلَ إِلَیْهِمْ وَ لَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِینَ . (۲) ثمّ یضیف تعالی: لِأَیِّ یَوْمٍ أُجِّلَتْ (۳) ،أی لماذا تمّ تأخیر هذه الشهاده و لأی وقت؟ثم یقول: لِیَوْمِ الْفَصْلِ یوم فصل الحق عن الباطل،فصل صفوف المؤمنین عن الکافرین،و الأبرار عن الأشرار،و یوم حکم اللّه المطلق علی الجمیع،و قد جاء هذا الحوار لبیان عظمه ذلک الیوم،و یا له من تعبیر بلیغ عمیق لذلک الیوم،..إنّه«یوم الفصل»!!.

ثمّ یبیّن عظمه ذلک الیوم أیضا،فیقول تعالی: وَ مَا أَدْرَاکَ مَا یَوْمُ الْفَصْلِ

۱- ۱) -(أقّتت)أصلها(وقّتت)من ماده(وقت)إذ أن الواو المضمومه بدلت إلی الهمزه،و یعنی توقیت الوقت لرسل اللّه تعالی،و هذا واضح إذ لا یعین لهم وقت بل یتعیّن لعملهم،أی لشهادتهم علی الأمم،و لذا قیل إن فی الآیه حذفا.

۲- ۲) -الأعراف،الآیه ۶.

۳- ۳) -طبقا لهذا التفسیر فإن الضمیر فی(أجلت)یعود إلی شهاده الأنبیاء و الرسل علی الأمم،و هو ما یستفاد منه فی الآیه السابقه، و قیل إنّه یعود إلی جمیع الأمور المرتبطه بالأنبیاء و ما أعطوا من الأخبار بالثواب و العقاب و حوادث القیامه و غیرها،و قیل:إنّها إشاره إلی جمیع الأمور التی وردت فی الآیات السابقه کظلام النجوم و غیرها،و لکن من الواضح أن التّفسیر الأوّل أنسب،لأنّ مرجع الضمیر فی الآیه متصل بذلک.

إنّ الرسول صلّى اللّه عليه و آله بعلمه الواسع و بنظره الحاد الذى كان يرى من خلاله أسرار الغيب لم يكن مطلقا بصوره كامله على أبعاد عظمه ذلك اليوم،فكيف بسائر الناس:و قد قلنا مرارا إنّنا لا نستطيع الإحاطه و العلم بجميع أسرار القيامه العظيمه فنحن سجناء قفص الدنيا،و ما نتصوره عن ذلك اليوم ليس إلّا شبحا و خيالا يحكى عن مجريات الآخره.

و فى آخر آيه من آيات بحثنا هدد اللّه تعالى المكذبين بيوم القيامه تهديدا شديدا و قال: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ .

ويل:قيل هو الهلاك،و قيل المراد به العذاب المتنوع،و قيل هو واد فى جهنّم ملىء بالعذاب،و تستخدم هذه الكلمه عاده فيما يخص الحوادث المؤسفه،و هنا تحكى الآيه عن مصير المكذبين المؤلم فى ذلك اليوم (۱) .

المراد بالمكذبين هنا هم المكذبون بيوم القيامه،و نعلم أنّ من لا يؤمن بيوم القيامه و محكمه العدل الإلهى و بالحساب و الجزاء يسهل عليه أن يرتكب الذنوب و الظلم و الفساد،بعكس الإيمان الراسخ بذلك اليوم فإنّه يهب الإنسان التقوى و الإحساس بالمسؤوليه.

***

ملاحظات

اشاره

۱-محتوى هذه الأيمان

فى الآيات السابقه ذكر أولا- بالرياح و الأعاصير لما لها من الدور الهام فى عالم الخلقه،فإنّها تحرك السحاب لتقودها إلى الأراضى اليابسه و الميته، و تصريفها بعد نزول الأمطار،و تنقل بذور النباتات من مكان إلى آخر و بذلك تنمو الغابات و المراتع،و تلقّح الرياح أيضا كثيرا من الأزهار و الثمار، و تنقل الحراره

۱- ۱) -ورد مزيد من التوضيح فى باب معنى(ويل)و اختلافه مع(ويس)و(ريح)فى ذيل الآيه(۶۰)من سوره الذاريات.

و البروده من مناطق الأرض المختلفه إلى نقاط أخرى فتساعد بذلك على تعديل المناخ،و تأخذ الهواء الطازج الملىء بالأوكسجين من المزارع و الصحارى إلى المدن،ثم ترسل الهواء الملوث إلى الصحارى و البحار لغرض التصفيه.ثم إنّها تثير مياه البحار و تجعلها أمواجا متلاطمه،و تدخل الأوكسجين إلى الموجودات المائيه الحيّه،نعم إنّ للرياح و النسيم خدمات عظيمه و حياتيه فى الكون.

القسم الآخر من الأيمان يتحدث عن منهج نزول الوحى بوسيله الملائكه، فإنّ فى عالم المعنى أيضا شبها مع النسيم فى عالم الماده،الملائكه يهبطون بكلمات الوحى على قلوب أنبياء اللّه تعالى كما تنزل قطرات المطر المباركه فتنمو أزهار و ثمار المعارف الإلهيه فى القلوب.

و على هذا الأساس فإنّ اللّه تعالى قد أقسم بمربّى عالم الماده و بمربّى عالم المعنى،و الظريف أنّ جميع هذه الأقسام هو من أجل بيان حقيقه ذلك اليوم الذى تثمر فيه جميع المساعى و هو يوم القيامه،يوم الفصل.

***

الآيات [سوره المرسلات (۷۷): الآيات ۱۶ الى ۲۸]

اشاره

أَ لَمْ نُهْلِكِ اَلْأَوَّلِينَ (۱۶) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ اَلْآخِرِينَ (۱۷) كَذٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (۱۸) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (۱۹) أَ لَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مٰاءٍ مَهِينٍ (۲۰) فَجَعَلْنٰاهُ فِي قَرٰارٍ مَكِينٍ (۲۱) إِلىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ (۲۲) فَقَدَرْنٰا فَنِعْمَ اَلْقٰادِرُونَ (۲۳) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (۲۴) أَ لَمْ نَجْعَلِ اَلْأَرْضَ كِفٰاتاً (۲۵) أَحْيٰاءً وَ أَمْوٰاتاً (۲۶) وَ جَعَلْنٰا فِيهٰا رَوٰاسِيَ شٰامِخٰاتٍ وَ أَسْقَيْنٰاكُمْ مٰاءً فُرٰاتاً (۲۷) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (۲۸)

التّفسير

اشاره

جزاء المكذبين بالمعاد

هـذه الآيات أيضا تحذّر و بطرق مختلفه المنكرين للبعث،و توقظهم ببيانات مختلفه من نوم الغفله العميق؛فتأخذ بأيديهم أوّلا إلى ما مضى من التاريخ لتريهم الأراضى المترامیه الأطراف التى كانت ملكا للأقوام السابقين،فيقول تعالى: أَ لَمْ نُهْلِكِ اَلْأَوَّلِينَ .

إنّ آثارهم واضحه على صفحات البسيطه.و ليس على صفحات التاريخ فحسب، أقوام-كقوم عاد و ثمود و قوم نوح و قوم لوط و قوم فرعون-عوقبوا جزاء لأعمالهم فبعض أبيدوا بالطوفان و آخرون بالصاعقه،و جماعه بقوه الرياح،و قوم بالزلزله و أحجار السماء.

ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ

لأنّها سنّه مستمره لا- تبعيض فيها و لا- استثناء،و هل يمكن أن يعاقب جماعه لجرم ما،و يقبل ذلك الجرم من آخرين؟! و لذا يضيف تعالى فى الآيه الأخرى: كَذٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ .

هذه الآيه فى الحقيقه هى بمنزله بيان الدليل على هلاك الأمم الأولى و يستتبعه هلاك الأمم الأخرى،لأنّ العذاب الإلهى ليس فيه جانب الثأر و لا الانتقام الشخصى.بل إنّه تابع لأصل الاستحقاق و مقتضى الحكمه.

و قال البعض:إنّ المراد من(الأولين)هم الأمم المتوغله فى الماضى البعيد كقوم نوح و عاد ثمود،و(الآخرين)اللاحقون بهم من الأمم الغابره أمثال قوم لوط و قوم فرعون و لكنّنا نلاحظ أنّ(نتبعهم)جاءت بصيغه فعل مضارع،و الحال أنّ عباره(ألم نهلك)وردت بصيغه الماضى،فيتضح من ذلك أنّ(الأولين)هم الأمم السابقه الذين هلكوا بالعذاب الإلهى و(الآخرين)هم الكفار المعاصرون للنّبى صلّى اللّه عليه و آله أو الذين يأتون إلى الوجود فيما بعد،و يتلوثون بالجرائم و المعاصى و الظلم و الفساد.

ثمّ يضيف مستنتجا: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ .

يَوْمَئِذٍ

:إشاره إلى يوم البعث الذى يعاقب فيه المكذبون بالعقوبات الشديده،و التكرار هو لتأكيد المطلب،و ما احتمله البعض من أنّ هذه الآيه ناظره إلى العذاب الدنيوى،و الآيه المشابهه لها و التى وردت سابقا ناظره إلى العذاب الأخروى يبدو بعيدا جدّا.

ثمّ يمسك القرآن بأيديهم ليأخذهم إلى عالم الجنين و يريهم عظمه اللّه

و قدرته و كثره مواهبه فى هذا العالم الملىء بالأسرار،ليفهموا قدره اللّه تعالى على المعاد و البعث من جهه و أنّهم غارقون فى نعمه اللامتناهيه من جهه أخرى،فيقول تعالى: أَ لَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ أى تافه و حقير فَجَعَلْناهُ فِى قَرارٍ مَكِينٍ (۱) .

مقرّ فيه ضمان لجميع ظروف الحياه و التربيه و النمو و المحافظه على نطفه الإنسان،فهو عجيب و ظريف و موزون بحيث يثير إعجاب كل إنسان.

ثمّ يضيف تعالى:أنّ بقاء النطفه فى ذلك المكان المكين و المحفوظ إنّما هو لمده معينه: إِلى قَدَرٍ مَعْلُومٍ .

مده لا يعلمها إلّا اللّه تعالى،مده مملوءه بالتغيرات و التحولات الكثيره بحيث ترتدى النطفه فى كل يوم لباسا جديدا من الحياه يؤدى به إلى التكامل فى داخل ذلك المخبأ.

ثمّ يستنتج من قدرته تعالى على خلق الإنسان الكامل و الشريف من نطفه حقيره بأن اللّه تعالى نعم القادر: فَقَدَرْنا فَنِعْمَ الْقادِرُونَ (۲) (۳) و هذا الدليل اعتمده القرآن مرات عديده لإثبات مسأله المعاد منها قوله تعالى فى أول سوره الحج: يا أَيُّهَا النّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِى رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَهٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَهٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَهٍ مُخَلَّقَهٍ وَ غَيْرِ مُخَلَّقَهٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَ نُقِرُّ فِى الْأَرْحامِ ما نَشاءُ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ... ذلِكَ بِأَنَّ اللّهَ هُوَ الْحَقُّ وَ أَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتى وَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

۱- ۱) -(قرار):هو محل الاستقرار و(مكين)يعنى محفوظ،و أصله من المكانه المشتقه من التمكن(و تأتى المكانه أحيانا بمعنى المنزله).

۲- ۲) -للآيه حذف تقديره(فنعم القادرون نحن)أى أن المحذوف هو المخصوص بالمدح.

۳- ۳) -قال بعض المفسّرين إن معنى الآيه هكذا:(إنا قدرنا النطفه بمقاييس ضروريه و مقادير مختلفه،و خصوصيات فى جسم الإنسان و روحه،فنعم القادرون)و لكن هذا المعنى يبدو بعيدا لأن متن القرآن و القراءه المعروفه له غير مشدده و لذا يبدوا بعيدا و إن قال بعض إن الماده الثلاثيه المجرده وردت بمعنى التقدير،و لكن فى الاستعمالات العادّيه لا تستعمل كلمه(قادر) بهذا المعنى.

ثمّ يعود فى النهايه ليكرر تلك الآيه و هو قوله: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ الويل لأولئك الذين يرون آثار قدره اللّه تعالى ثمّ ينكرونها،

يقول أمير المؤمنين عليه السّلام:

«أيّها المخلوق السوى،و المنشأ المرعى فى ظلمات الأرحام و مضاعف الأستار،بدئت من سلاله من طين،و وضعت فى قرار مكين،إلى قدر معلوم،و أجل مقسوم،تمور فى بطن أمّك جنينا لا تحير دعاء،و لا تسمع نداء،ثمّ أخرجت من مقرّك إلى دار لم تشهدها،و لم تعرف سبل منافعها،فمن هداك لاجترار الغذاء من ثدى أمّك،و عرفك عند الحاجه مواضع طلبك و إرادتك؟!» (۱) .

ثمّ يقول تعالى: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً (۲) ، أَحْياءً وَ أَمْواتاً (۳) .

«كفات»:-على وزن كتاب-و(كفت)-على وزن كشف-هو جمع و ضم الشىء للآخر،و يقال أيضا لسرعه طيران الطيور«كفات»لجمعه لأجنحته حال الطيران السريع حتى يتمكن من شق الهواء و التقدم أسرع.

و المراد هو أنّ الأرض مقر لجميع البشر:إذ تجمع الأحياء على ظهرها و تهىء لهم جميع ما يحتاجونه،و تضم أمواتهم فى بطنها،فلو أنّ الأرض لم تكن مهيئه لدفن الأموات لسبب العفونه و الأمراض الناتجه منها فاجعه لجميع الأحياء.

نعم،إنّ الأرض هى كالأم التى تجمع أولادها حولها و تضمهم تحت أجنحتها،و تغذيهم،و تلبسهم،و تسكنهم،و تقضى جميع حوائجهم،و تحفظ أمواتهم فى قلبها أيضا،و تمتصهم و تزيل مساوئ آثارهم.

و فسّر بعضهم«الكفات»بالطيران السريع،و الآيه تشير إلى حركه الأرض

۱- ۱) -نهج البلاغه،الخطبه ۱۶۳.

۲- ۲) -«كفاتا»:مفعول ثانى ل(جعلنا)و هو مصدر قد جاء بصيغه اسم فاعل.

۳- ۳) -«أحياء و أمواتا»:حال لضمير مفعول محذوف تقديره(كفاتا لكم أحياء أمواتا).

حول الشمس و الحركات الأخرى و التى كانت غير مكتشفه زمن نزول القرآن.

و لكن بملاحظه الآيه الأخرى أى أَحْيٰاءً وَ أَمْوٰاتاً يتضح أنّ التفسير الأوّل أنسب،و يؤيد ذلك قول أمير المؤمنين على عليه السّلام عنـد رجـوعه مـن صـفين و وصـوله قرب الكـوفه،حيـث قـال و هـو ينظر إلى مقـبره خـارج الكـوفه:«هـذه كفـات الأـموات» أى مساكنهم.ثم نظر إلى منازل الكوفه فقال:«هذه كفات الأحياء»ثم تلا هذه الآيات: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفٰاتاً أَحْيٰاءً وَ أَمْوٰاتاً (۱) .

ثمّ يشير تعالى إلى إحدى النعم الإلهيه العظيمه فى الأرض،فيضيف:

وَ جَعَلْنٰا فِيهٰا رَوٰاسِيَ شٰامِخٰاتٍ

(۲)

هذه الجبال التى قاربت بارتفاعها السماء، و اتصلت أصولها بالبعض الآخر قد لزمت الأرض كالدرع من جهه لحفظها من الضغط الداخلى و الضغوط الناتجه من الجزر و المد الخارجى،و من جهه أخرى تمنع اصطكاك الرياح مع الأرض حيث تمدّ قبضتها فى الهواء لتحركه حول نفسها و كذلك تنظم حركه الأعاصير و الرياح من جهه ثالثه،و لهذا تكون الجبال باعثه على الاستقرار لأهل الأرض.

و فى آخر الآيه إشاره إلى إحدى البركات الأخرى للجبال فيضيف تعالى:

وَ أَسْقَيْنٰاكُمْ مٰاءً فُرٰاتاً

ماءا سائغا لكم و باعثا للحياه،و لحيواناتكم و لبساتينكم.

صحيح أنّ كل ماء مستساغ هو من المطر،و لكن للجبال الدور الأهم فى الإيفاء بهذا الغرض،فإنّ كثيرا من العيون و القنوات هى من الجبال،و مصدر الأنهار العظيمه هى من الجليد المتراكم على قمم الجبال،حيث تعتبر من الذخائر المائيه المهمّه للإنسان،إنّ قمم الجبال تكون بارده على الدوام لبعدها عن سطح الأرض،و لهذا فإنّها تحافظ على الجليد المتراكم عليها لآجال طويله حتى تتأثر

۱- ۱) -تفسير البرهان،ج ۴،ص ۴۱۷(نقلا عن تفسير على بن إبراهيم).

۲- ۲) -«رواسى»:جمع راسيه،و هى الثابتات،و(شامخات)جمع شامخ،أى عال،و تأتى بعض العبارات كالقول(شمخ بأنفه) كنايه عن التكبر(مفردات الراغب).

بشعاع الشمس فيتحول إلى ماء و يتدفق بالتالى على شكل أنهار و جداول.

ثمّ يقول فى نهايه هذا القسم: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ .

أولئک الذين ينكرون کل هذه الآيات و علامات قدره اللّه التى يرونها بأعينهم،و کذلک يشاهدون النعم الإلهيه التى غرقوا فيها،ثمّ ينكرون البعث و محكمه القيامه التى هى مظهر العدل و الحكمه الإلهيه.

***

ص :۲۹۹

الآيات [سوره المرسلات (۷۷): الآيات ۲۹ الى ۴۰]

اشاره

اِنْطَلِقُوا إِلىٰ مٰا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (۲۹) اِنْطَلِقُوا إِلىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلاٰثِ شُعَبٍ (۳۰) لاٰ ظَلِيلٍ وَ لاٰ يُغْنِي مِنَ اَللَّهَبِ (۳۱) إِنَّهٰا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (۳۲) كَأَنَّهُ جِمٰالَتٌ صُفْرٌ (۳۳) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (۳۴) هٰذٰا يَوْمُ لاٰ يَنْطِقُونَ (۳۵) وَ لاٰ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (۳۶) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (۳۷) هٰذٰا يَوْمُ اَلْفَصْلِ جَمَعْنٰاكُمْ وَ اَلْأَوَّلِينَ (۳۸) فَإِنْ كٰانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (۳۹) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (۴۰)

التّفسير

اشاره

لا قدره لهم للدفاع و لا طريقا للفرار

فى هذه الآيات تبيان لمصير المكذبين بيوم القيامه،و المنكرين لتلك المحكمه الإلهيه العادله،تبيان يدخل الرعب و الرهبه فى قلب الإنسان،و يوضح أبعاد الفاجعه،يقول تعالى: اِنْطَلِقُوا إِلىٰ مٰا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ،انطلقوا إلى جهنّم التى طالما كنتم تستهزئون بها، توجهوا إلى أنواع العذاب التى هيئتموها بأعمالكم

السيئه.

(انطلقوا):من ماده(انطلاق)و هو الانتقال من غير مكث،و يظهر منه كذلك الحريه المطلقه،و هذا فى الحقيقه توضيح لحالهم فى عرصه المحشر إذ يوقفوهم للحساب مدّه طويله،ثمّ يتركونهم و يقال لهم:انطلقوا إلى جهنّم من غير مكث أو توقف.و من الممكن أن يكون المتكلم هنا هو اللّه تعالى،أو ملائكه العذاب، و على كلّ حال فإنّه سياق ممزوج بالتوبيخ الشديد الذى يعتبر بحدّ ذاته عذابا مؤلما.

ثمّ يعمد إلى مزيد من التوضيح حول هذا العذاب،فيقول سبحانه: اِنْطَلِقُوا إِلىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلاٰثِ شُعَبٍ :توجهوا نحو ظلّ من دخان خانق له ثلاث شعب:

شعبه من الأعلى،و شعبه من الجهه اليمنى،و شعبه من الجهه اليسرى،و على هذا الأساس فإنّ دخال النّار المميت هذا يحيط بهم من كل جانب و يحاصرهم.

ثمّ يقول تعالى: لاٰ ظَلِيلٍ وَ لاٰ يُغْنِى مِنَ اللَّهَبِ فليس فى هذا الظل راحه، و لا يمنع من الاحتراق بالنّار لأنّه نابع من النّار.

و ربّما كان التعبير ب(ظل)سببا لتصور وجود الظل الذى يخفف من حراره النّار،و لكنّ هذه الآيه تنفى هذا التصور و تقول:ليس هذا الظل كما تتصورون،أنّه ظل محرق و خانق،و ناتج من دخان النّار الغليظ الذى يعكس حراره اللهب بصوره كامله (۱) و يشهد على هذا الحديث قوله تعالى فى سوره الواقعه حول أصحاب الشمال: فِى سَمُومٍ وَ حَمِيمٍ وَ ظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ لاٰ بٰارِدٍ وَ لاٰ كَرِيمٍ . (۲)

و قيل:إنّ هذه الشعب الثلاث هى انعكاس للتكذيبات الثلاثه لأساس الدين، و هى التوحيد و النبوّه و المعاد،لأنّ تكذيب المعاد لا ينفصل عن التكذيب بالنبوّه و التوحيد،و قيل،إنّها إشاره إلى مبادئ الذنوب الثلاثه:القوّه الغضبيه و الشهويه

۱- ۱) -(لا ظليل):صفه ل(ظل)و لهذا جاء مجرورا.

۲- ۲) -الواقعه،۴۲-۴۴.

و الوهميه،نعم،إنّ ذلک الدخان المظلم تجسيد لظلمات الشهوات.

ثمّ يضيف وصفا آخر لتلک النار المحرقه: إِنَّها تَرْمِی بِشَرَرٍ کَالْقَصْرِ (۱) ليس کشرر نار هذه الدنيا التی لا تکون أحيانا إلّا بمقدار رأس الإبره،التعبير ب «القصر»هنا تعبير ملیء بالمعنی،و ربّما يتوهّم أحد أنّه لو قيل شرر کالجبل کان أنسب،و لکن لا ينبغی نسيان أنّ الجبال کما أشير إليها فی الآيات السابقه هی أساس أنواع البرکات و عيون المياه العذبه و السائغه،و لکن قصور الظالمين هی التی تکون منشأ للنيران المحرقه و الشرر المتطاير منها (۲) .

ثمّ ينتهی فی الآيه الأخری إلی وصف آخر من أوصاف هذه النّار المحرقه، فيقول تعالی: کَأَنَّهُ جِمالَتٌ صُفْرٌ (۳) .

«جماله»:جمع«جمل»،و هو البعير(مثل الحجر و الحجاره)و«صفر»-علی وزن قفل-جمع أصفر و يطلق أحيانا علی اللون الداکن المائل إلی الأسود،و لکنّ الأوّل يبدو أنسب،لأنّ شرر النّار يکون أصفر مائلا إلی الحمره،و فی الآيه السابقه شبّه حجم الشرر بالقصر الکبير،و فی هذه الآيه من حيث الکثره و اللون و السرعه و الحرکه و التفرق الجميع الجهات شبهها بمجموعه من الجمال الصفر المتجهه إلی کل صوب.

و إذا کان الشرر هکذا،فکيف بنفس النّار المحرقه،و ما جعل من العذاب الأليم فی تلک النّار؟! و يعود مره أخری فی آخر قسم من الآيات ليبّه بذلک التنبيه المکرر،فيقول:

۱- ۱) -(شرر):علی وزن(ضرر)جمع شراره،و هو ما يتطاير من النّار،و أخذت من ماده(الشر).

۲- ۲) -نقل بعض المفسّرين کالفخر الرازی عن ابن عباس فی تفسير«القصر»فقال:أعواد فی الصحراء کانوا يقطعونها ثمّ يجمعوها و يضعوها فوق بعض للشتاء(لا يستبعد هذا التفسير أيضا و ذلک لما کانوا يشبهون الأعواد المجموعه و المتراصه بالقصر العالی).

۳- ۳) -لعلّ ضمير(کان)يعود علی(قصر)أو إلی(الشرر)و بما أنّ(شرر)بصيغه الجمع فلا يمکن ذلک من دون تأويل إلّا أن نجعل (شرر)اسم جمع.

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ

.

ثمّ يبدأ فصلا آخر من علامات ذلك اليوم المهول،فيضيف تعالى: هٰذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ (۱) .

نعم إنّ اللّه يختم فى ذلك اليوم على أفواه المجرمين،و المذنبين كقوله فى الآيه (۶۵)من سوره يس: اَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلىٰ أَفْوٰاهِهِمْ ،و كذلك ما ورد فى آخرها:

وَ تُكَلِّمُنٰا أَيْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ و طبقا لآيات أخر فإنّ جلودهم تبدأ بالتكلم و تكشف عن جميع الخفايا.

ثمّ يضيف تعالى فى القول: وَ لا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (۲) ليس لهم الرخصه فى الكلام،و لا فى الاعتذار و الدفاع عن أنفسهم،لأنّ الحقائق واضحه هناك، و ليس لديهم ما يقولوه،نعم يجب أن يعاقب هذا اللسان الذى أساء الاستفاده من الحريه و سعى فى تكذيب الأنبياء،و الاستهزاء بالأولياء،و إبطال الحق و إحقاق الباطل..يجب أن يعاقب على أعماله بالإقفال و الختم،لإبطال مفعوله،و هذا عذاب شديد و أليم بحدّ ذاته أن لا يتمكن الإنسان هناك من الدفاع عن نفسه أو الاعتذار.

روى عن الإمام الصادق عليه السّلام أنّه قال: «اللّه أجل و أعدل و أعظم من أن يكون لعبده عذر و لا يدعه يعتذر به،لكنه فلج فلم يكن له عذر» (۳) .

و بالطبع يستفاد من بعض الآيات القرآنيه أنّ المجرمين يتحدثون أحيانا فى يوم القيامه،و قد ذكرنا السبب فيما سبق أنّ ذلك لتعدد المواقف فى يوم القيامه، ففى بعض المواقف يتوقف اللسان و يبدأ دور الأعضاء بالشهاده،و أحيانا أخرى

۱- ۱) -يجب الالتفات إلى أن(يوم)هنا غير منوّن،لأنه أضيف إلى مفهوم الجمله(لا ينطقون).

۲- ۲) -قد يتساءل عن السبب فى كون جمله(فيعتذرون)مرفوعه فى حين أن القاعده تنص على النصب و حذف النون،قيل:أنّهم تركوا الاعتذار،لأنّهم لا عذر لهم و ليس لعدم الإذن الإلهى.

۳- ۳) -تفسير نور الثقلين،ج ۵،ص ۴۹۰،الحديث ۲۲.

ينطق اللسان بكلمات الحسره و الندم و الأسف الشديد.

ثمّ يكرر تعالى فى نهايه هذا المقطع قوله: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ .

فى المقطع الآخر يوجه الخطاب إلى المجرمين ليحكى عمّا يجرى فى ذلك اليوم فيقول تعالى: هٰذا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْناكُمْ وَ الْأَوَّلِينَ جمعنا فى هذا اليوم جميع البشر من دون استثناء للحساب،و فصل الخصام فى هذه العرصه و المحكمه العظمى.

و يقول:و الآن إذا كان لكم قدره على الفرار من العقاب فاعملوا ما بدا لكم:

فَإِنْ كانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ

(۱)

.

هل يمكنكم الهرب من دائره نفوذ حكومتى؟ أو هل يمكنكم التغلّب على قدرتى؟ أو هل تستطيعون دفع الفديه لتتحرروا؟ أو أنّ لكم القدره على أن تخدعوا الملائكه الموكلين بكم و بحسابكم؟ اعملوا ما بدا لكم و لكن اعلموا أنّكم لا تستطيعون!! فى الحقيقه إنّه أمر تعجيزى،أى أنّ الإنسان يعجز أمام هذا الأمر،كالذى جاء فى شأن القرآن المجيد حيث يقول تعالى: إِنْ كُنْتُمْ فِى رَيْبٍ مِمّا نَزَّلْنا عَلىٰ عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَهٍ مِنْ مِثْلِهِ .

(كيد):على وزن(صيد)يقول الراغب فى مفرداته:هو نوع من الاحتيال، و يكون أحيانا مذموما،و أحيانا ممدوحا،و إن كان الغالب استعماله فى الذم(كما هو الحال فى الآيه محل بحثنا).

و من الطبيعى أنّهم لم يستطيعوا شيئا فى ذلك اليوم،لأنّ ذلك اليوم تنقطع فيه جميع الأسباب و الوسائل أمام الإنسان،كما ورد فى الآيه(۱۶۶)من سوره

۱- ۱) -النون فى(فكيدون)مكسوره و جاءت الكسره محل ياء المتكلم،و أصلها(فكيدونى)فحذفت الياء و بقيت الكسره لتدل على الياء،و ضمير المتكلم يعود إلى ذات اللّه المقدّسه طبقا لظاهر الآيات،و احتمال رجوعه إلى شخص النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بعيد جدّا.

البقره: وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبابُ .

و الملاحظ أنّه يقول من جهه:ذلك اليوم(يوم الفصل)و من جهه أخرى يقول:ذلك اليوم(يوم الجمع)و كلاهما يتحققان فى وقت واحد،فيجمعون أوّلا- فى تلك المحكمه العظيمه،ثمّ يفصلون كل حسب عقيدته و عمله فى صفوف مختلفه،حتى الذين ينطلقون إلى الجنان فإنّ لهم صفوفا و درجات،و المتوجهون جهنّم أيضا لهم صفوف و دركات مختلفه،نعم إنّ ذلك اليوم هو يوم فصل الحق عن الباطل،و الظالم عن المظلوم.

ثمّ أنّه تعالى أعاد تلك الجمله المهدده و المنبّهه مرّه أخرى،و قال: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ .

***

ص :۳۰۵

الآيات [سوره المرسلات (۷۷): الآيات ۴۱ الى ۵۰]

اشاره

إِنَّ اَلْمُتَّقِينَ فِي ظِلاٰلٍ وَ عُيُونٍ (۴۱) وَ فَوٰاكِهَ مِمّٰا يَشْتَهُونَ (۴۲) كُلُوا وَ اِشْرَبُوا هَنِيئاً بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۴۳) إِنّٰا كَذٰلِكَ نَجْزِي اَلْمُحْسِنِينَ (۴۴) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (۴۵) كُلُوا وَ تَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ (۴۶) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (۴۷) وَ إِذٰا قِيلَ لَهُمُ اِرْكَعُوا لاٰ يَرْكَعُونَ (۴۸) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (۴۹) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (۵۰)

التّفسير

اشاره

إن لم يؤمنوا بالقرآن فبأيّ حديث يؤمنون؟!

من المعلوم فى منهج القرآن أنّه يمزج الإنذار بالبشاره،و التهديد بالترغيب، و كذلك يذكر مصير المؤمنين فى مقابل مصير المجرمين لفهم المسائل بصوره أكثر بقرينه المقابله،و على أساس هذه السنّه المتّبعه فى القرآن،فإنّ هذه الآيات و بعد بيان العقوبات المختلفه للمجرمين فى القيامه،أشارت بصوره مختصره و بليغه إلى وضع المتقين فى ذلك اليوم فيقول تعالى: إِنَّ اَلْمُتَّقِينَ فِي ظِلاٰلٍ وَ عُيُونٍ .

و الحال أنّ المجرمين كما علم من الآيات السابقه هم فى ظل الشرر و حرقه الدخان المميت.

(ظلال):جمع«ظل»سواء كان ظلا كظل الأشجار فى النهار،أو الظل الحاصل من ظلام الليل،و الحال أنّ«الفىء»يقال فقط للظل الحاصل من النور، كظل الأشجار المقابل للشمس.

ثمّ يضيف: وَ فَواكِهَ مِمّا يَشْتَهُونَ .

من الواضح أنّ ذكر«الفواكه»و«الظلال»و«العيون»إشاره إلى جانب من المواهب الإلهيه العظيمه المعطاه إلى أهل الجنان..جانب يمكن بيانه و رسمه بلسان أهل الدنيا،و أمّا ما لا يمكن حصره بالبيان،و لم يخطر ببال أهل الدنيا فهو أعلى من هذه المراتب و أفضل.

و الظريف أنّهم فى هذا المضيف الإلهى يستضافون بأحسن الوجوه،كما هو الحال فى الآيه التاليه إذ يقول لهم: كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئاً بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ هذه الجمله سواء كانت خطابا من اللّه بشكل مباشر،أو بوسيله الملائكه تقال لهم مشفوعه باللطف و المحبّه التى هى غذاء لروحهم.

و عباره بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إشاره إلى أنّ هذه المواهب لا تعطى لأىّ كان من دون عمل،و لا يمكن حصولها بالادعاء و التخيل و التصور، و إنّما يمكن نيلها و الحصول عليها بالأعمال الصالحه فقط.

(هنىء):على وزن(صبيح)و يقول الراغب فى مفرداته:هو كل شىء ليست فيه مشقه و لا يستتبعه قلق،و لذا يقال للماء و الغذاء السائغ(هنىء)،و يطلق أحيانا على الحياه السعيده.

و هذا إشاره إلى أنّ فواكه الجنّه و أغذيتها و أشربتها ليست كأغذيه الدنيا و أشربتها التى تترك أحيانا آثارا سيئه فى البدن،أو تترك أعراضا غير مرضيه.

و هناك اختلاف بين المفسّرين فى أنّ هذه الآيه تبيان لإباحه الاستفاده من

هـذه النعم،أم أنّه أمر من اللّه تعـالى؟و لكن يجب أن يلاحـظ أنّ مثـل هـذه الأـوامر التى تقال عنـد الاسـتقبال هو نوع من الطلب للشخص المضيّف،و أنّها تقال لتعظيم الضيوف و احترامهم،و المضيّف يجب أن يؤكل طعامه أكثر لإكرام ضيفه أكثر.

ثمّ تؤكد الآيه الأخرى على مسأله النعم و أنّها لا تمنح اعتباطا فيضيف: إِنّا كَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ .

الظريـف أنّ فى الآـيه الأـولى تأكيـد على«التقـوى»،و فى الآـيه الـتى تليهـا تأكيـد على«العمـل»،و أمّـا فى هـذه الآـيه فقـد أكّد على«الإحسان».

(التقوى):هى اتّقـاء و اجتنـاب الـذنوب و الفساد و الشـرك و الكفر،و«الإحسان» هو أداء كل عمل حسن،و«العمل»يتعلق بالأعمال الصالحه،ليتضـح أنّ منهـج النعم الإلهيه مرتبط بهذه الجماعه فقط،و ليس بمن يدعى الإيمان الكاذب، و الملوثين بأنواع الفساد،و إن كانوا فى الظاهر من أهل الإيمان.

و فى نهـايه هـذا المقطع يعيـد تلـك الآـيه: وَيْـلٌ يَوْمَئِـذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ الويل لمن يحرم من كل هـذه النعم و الألطاف،إذ أنّ عـذاب حسـرات هـذا الحرمان ليس بأقل من نيران الجحيم المحرقه! و بما أنّ إحـدى عوامل إنكار المعاد الاهتمام بلـذّات الدنيا الزائله و الميـل إلى الحريه المطلقه للانتفـاع بهـذه اللـذّات،و يتوجه بالحـديث فى الآيه التاليه إلى المجرمين بلحن تهديـدى فيقول:كلوا و تمتعوا بالملـذات الـدنيويه فى هـذه الأيّـام القلائل،و لكن اعلموا أنّ العـذاب الإلهى ينتظركم،لأنّكم مجرمون: كُلُوا وَ تَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ .

و قـد يكون التعبير ب(قليلا)إشاره إلى مدّه عمر الإنسان القصـيره فى الدنيا، و كذا المواهب الدنيويه التافهه مقابل النعم الأخرويه اللامتنـاهيه،إلاّـ أنّ بعض المفسّـرين يرى أنّ هـذا الخطاب هو للمجرمين فى الآخره،و لكن الالتفات إلى أنّ الآخره ليس فيها متع من مواهب الحياه للمجرمين ليتمتعوا بها،فينبغى،القول بأنّ

هذا الخطاب موجّه لهم فی الدنیا.

فی الحقیقه أنّ المتقین یستضافون فی الآخره بکامل الاحترام و التقدیر، و یخاطبون بهذه الجمله المملیئه باللطف و الحنان: کُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِیئاً و أمّا عبید الدنیا فإنّهم یخاطبون بجمله تهدیدیه فی هذه الدنیا: کُلُوا وَ تَمَتَّعُوا قَلِیلًا .

یقول للمتقین: بِمٰا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ و یقول لهؤلاء أیضا: إِنَّکُمْ مُجْرِمُونَ (۱) .

و علی کل حال فإنّها تشیر إلی أنّ مصدر العذاب الإلهی هو عمل الإنسان و ذنبه،الناشئ من عدم الإیمان أو الأسر فی قبضه الشهوات.

ثمّ یکرر التهدید بجمله: وَیْلٌ یَوْمَئِذٍ لِلْمُکَذِّبِینَ هم أولئک الذین غرّروا و خدعوا بزخارف الدنیا و لذاتها و شهواتها و اشتروا عذاب اللّه.

و أشار فی الآیه الأخری إلی عامل آخر من عوامل الانحراف و التعاسه و التلوث،و قال: وَ إِذٰا قِیلَ لَهُمُ ارْکَعُوا لاٰ یَرْکَعُونَ .

قال کثیر من المفسّرین:إنّ هذه الآیه نزلت فی«ثقیف»حین أمرهم النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بالصلاه فقالوا:لا ننحنی فإنّ ذلک سبّه علینا،

فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «لا خیر فی دین لیس فیه رکوع و سجود» (۲) .

إنّهم لم یأبوا الرکوع و السجود فحسب،بل إنّ روح الغرور و الکبر هذه کانت منعکسه علی جمیع أفکارهم و حیاتهم،فما کانوا یسلّمون للّه،و لا لأوامر النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و لا یقرّون بحقوق الناس،و لا یتواضعون للّه تعالی و للناس.

فی الحقیقه أنّ هذین العاملین(الغرور و حب الشهوه)من أهم عوامل

۱- ۱) -لهذه الآیه حذف و تقدیره علی قول مجمع البیان:(کلوا و تمتعوا قلیلا فإن الموت کائن لا محاله)و لکن یبدو أن التقدیر الأنسب هو(کلوا و تمتعوا قلیلا و انتظروا العذاب فإنّکم مجرمون).

۲- ۲) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۴۱۹ و نقل هذا المعنی أیضا الآلوسی فی روح المعانی و القرطبی فی تفسیره و الزمخشری فی الکشّاف و روح البیان ذیل الآیه التی هی مورد البحث.

الإجرام و الذنب و الكفر و الظلم و الطغيان.

و احتمل البعض أنّ خطاب(اركعوا)يقال لهم فى القيامه،و لكن هذا الاحتمال بعيد،خصوصا بعد التمعن فى الآيات السابقه و الآتيه.

ثمّ يعيد هذه الآيه للمرّه العاشره و الأخيره إذ يقول: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ .

و فى آخر آيه من آيات البحث-و هى آخر آيه من السوره-يأتى السياق ممزوجا بالعتاب و مليئا بالملائمه،فجاءت الآيه بصيغه الاستفهام التعجبى،إذ يقول فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ إنّ من لم يؤمن بالقرآن الذى لو أنزل على الجبال لتصدعت و ارتجفت،فسوف لن يسلم و لن يؤمن بأى كتاب سماوى،و لا يقبل بأى منطق عقلائى،و هذ يدّل على روح العناد و التعصب.

***

ملاحظه:

كما أشرنا سابقا فى بدايه السوره إلى تكرار الآيه: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ عشر مرّات.و هذا تأكيد لواقع مهم،و شبيه ذلك كثير فى حديث العظماء و البلغاء، إذ أنّ القسم الذى يعتنون به و يؤكّدون عليه يظهر مكررا فى نثرهم و أشعارهم.

و لكن بعض المفسّرين يرى أنّ لكل آيه من هذه الآيات العشر معنى خاصّا، و تشير كل منها إلى تكذيب مواضيع سابقه لها،و لذا فإنّها لا تعد مكرره.

و نختم هذه السوره بجمله من تفسير روح البيان،يقول:إنّ هذه السوره نزلت على النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى غار قرب مسجد(خيف)بمنى و هو معروف،و أنا شخصيا قد زرت ذلك الغار.

اللّهم!جنّبنا أبدا التلوث بتكذيب آياتك.

ربّنا!جنّبنا الغرور و الهوى فإنّهما رأس كلّ خطيئه.

إلهنا!احشرنا مع المتّقين الذين ينالون رضاك و ضيافتك فى ذلك اليوم.

آمين يا ربّ العالمين نهايه سوره المرسلات ***

ص :۳۱۱

بدايه الجزء الثلاثون من القرآن الكريم

ص :۳۱۳

سوره النّبإ

اشاره

مكيه و عدد آياتها أربعون آيه

ص: ۳۱۵

محتويات السوره:

تمتاز أغلب السور القرآنيه فی الجزء الأخير من القرآن بأنّها نزلت فی مكّه، و تؤكّد فی مواضيعها على مسأله:

المبدأ،المعاد،البشاره و الإنذار،و تتّبع أسلوب الإثاره فی الحديث،و تتعامل مع الأوتار الموقظه للضمير الإنسانی،و تمتاز معظم آياتها بقصر العباره المتضمنه لإشارات جمه،حيث تبث الحياه فی الأجساد الخاليه من الروح،و تنقلها من عالم الغفله و اللامبالاه إلى عالم الشعور بعظم المسؤوليه الملقاه على العواتق، و إلى البناء الجاد الملتزم للشخصيه الإنسانيه الحقه.

و مع كل ذلك..فلآياتها عالما خاصّا ملیء بالتفاعلات و الحركيه.

و سوره النبأ لا- تشذّ عن الإطار العام لطبيعه السور المكيّه،حيث تستهل السوره بسؤال يستوقف الإنسان،و تختتم بجمله زاخره بالعبره...

و يمكننا تلخيص محتوى السوره بما يلی:

۱-السؤال عن«النبأ العظيم»و هو يوم القيامه كحدث بالغ الخطوره.

۲-الاستدلال على إمكانيه المعاد و القيامه،من خلال الاستدلال بمظاهر القدره الإلهيه فی:السماء،الأرض،الحياه الإنسانيه و النعم الرّبانيه.

۳-بيان بعض علامات بدء البعث.

۴-تصوير جوانب من عذاب الطغاه الأليم.

۵-التشويق للجنّه،بوصف أجوائها الفياضه بالنعم.

۶-و تختم السوره بالإنذار الشديد من عذاب قريب،بالإضافه لتصوير حال الذين كفروا.

و اشتق اسم السوره من الآيه(۲)..و يطلق عليها أيضا اسم سوره(عمّ)نسبه إلى أوّل كلمه وردت فى السوره بعد البسمله.

فضل تلاوتها:

روى عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-فى فضل تلاوتها-أنّه قال: «من قرأ سوره عمّ يتساءلون سقاه اللّه برد الشراب يوم القيامه» (۱) .

و

فى حديث آخر عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال: «من قرأها و حفظها كان حسابه يوم القيامه بمقدار صلاه واحده» (۲) .

و

عن الإمام الصادق عليه السّلام أنّه قال: «من قرأ عمّ يتساءلون لم يخرج سنته إذا كان يدمنها فى كل يوم حتى يزور البيت الحرام» (۳) .

***

۱- ۱) -مجمع البيان،۴۲۰،۱۰.

۲- ۲) -تفسير البرهان،۴۱۹،۴.

۳- ۳) -مجمع البيان،۴۲۰،۱۰.

الآيات [سوره النبإ (۷۸): الآيات ۱ الى ۵]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ عَمَّ يَتَسٰاءَلُونَ (۱) عَنِ اَلنَّبَإِ اَلْعَظِيمِ (۲) اَلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (۳) كَلاّٰ سَيَعْلَمُونَ (۴) ثُمَّ كَلاّٰ سَيَعْلَمُونَ (۵)

التّفسير

اشاره

خبر هام!

تأتى الآيه الأولى لتستفهم بتعجب: عَمَّ يَتَسٰاءَلُونَ (۱) ! و دون انتظار للجواب،تجيب الآيه الثّانيه ما سئل عنه فى الآيه الأولى: عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ .

ذلك الخبر: اَلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ .

أورد المفسّرون آراء متباينه فى المقصود من«النبأ العظيم»،فمنهم من اعتبره إشاره إلى يوم القيامه،و منهم من قال بأنّه إشاره إلى القرآن الكريم،و منهم من اعتبره إشاره إلى أصول الدين من التوحيد حتى المعاد.

و قد فسّرته الرّوايات بالولايه و الإمامه(و سنشير إلى ذلك فى البحوث الآتيه).

۱- ۱) -«عمّ»:مخفف(عمّا)،و هى مركبه من(عن)و(ما)الاستفهاميه.

و بنظره دقيقه إلى مجموع آيات السوره و سياق طرحها،و ما ذكرته الآيات اللاحقه من ملامح القدره الإلهيه بعرض بعض مصاديقها فى السماء و الأرض، و بعد هذا العرض تؤكّد إحدى الآيات، إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كانَ مِيقاتاً ثمّ مخالفه و عدم تقبل المشركين لمبدأ«المعاد»،كل ذلك يدعم التّفسير الأوّل القائل:بأنّ النبأ العظيم هو يوم القيامه.

«النبأ»:كما يقول الراغب فى مفرداته:خبر ذو فائده عظيمه يحصل به علم أو غلبه ظن، و لا يقال للخبر فى الأصل نبأ حتى يتضمّن هذه الأشياء الثلاثه (۱) .

فوصف«النبأ»ب«العظيم»للتأكيد على أهميته،و للبت بأنّ ما يشك فيه البعض إنّما هو:أمر واقع،بالغ الأهميه،خطير..و كما قلنا فهذا المعنى يناسب كونه يوم القيامه أكثر ممّا يناسب بقيه التفاسير.

و ربّما كانت جمله«يتساءلون»إشاره إلى الكفّار دون غيرهم،لأنّهم كثيرا ما كانوا يتساءلون فيما بينهم بخصوص«المعاد»،و ما كان تساؤلهم لأجل الفحص و التحقيق وصولا للحقيقه،بل كان لغرض التشكيك لا أكثر.

و ثمّه احتمال آخر:كون تساؤلهم كان موجها إلى المؤمنين عموما،أو إلى النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم خاصّه (۲) .

و قد يتساءل أنّه إذا كان«النبأ العظيم»هو يوم القيامه،فلما ذا يقول القرآن الكريم: اَلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ،و فى علمنا أنّ الكفار مجمعون على إنكاره؟؟

۱- ۱) -مفردات الراغب،ماده(نبأ).

۲- ۲) -مع أنّ باب(التفاعل)غالبا ما يشير إلى الفعل المقابل،إلّا أنه-أحيانا-قد يعطى معنى الفعل الثلاثى المجرّد أو معان أخرى..(و ذكر بعض أهل اللغه خمسه معان للتفاعل: ۱-اشتراك اثنين أو أكثر فى فعل ما. ۲-المطاوعه،مثل(تباعد). ۳-إظهار خلاف الواقع،مثل(تمرض). ۴-الوقوع التدريجى،مثل(توارد). ۵-معنى فعل ثلاثى،مثل(تعالى)بمعنى(علا).

و الجواب:أنّ المشركين لا- يقطعون فى إنكارهم للمعاد بشكل جازم، و الكثير منهم يعتقدون بصوره إجماليه ببقاء الروح بعد البدن،و هو ما يسمى ب (المعاد الروحانى).

أمّا بخصوص(المعاد الجسمانى)،فالمشركون ليسوا على وتيره واحده فى إنكاره،فهناك من يظهر الشكّ و التردد،كما تشير إلى ذلك الآيه(۶۶)من سوره النحل..و هناك من ينكر المعاد الجسمانى بشدّه حتى دفعهم جهلهم و عنادهم لأن ينعتوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم(و العياذ باللّه)بالجنون لقوله بالمعاد الجسمانى،و قد عرفوه تاره أخرى بالكاذب على اللّه!كما أخبرت بذلك سوره سبأ فى الآيتين(۷ و ۸)..

و عليه،فاختلاف المشركين فى«المعاد»أمر واقع و لا يمكن إنكاره.

و يضيف القرآن قائلا: كَلاّ سَيَعْلَمُونَ (۱) ،فليس الأمر كما يقولون أو يظنون.

و يجدد التأكيد: ثُمَّ كَلاّ سَيَعْلَمُونَ .

فسيعلمون فى ذلك اليوم الواقع حتما: أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ فِى جَنْبِ اللّهِ (۲) ،يوم ينهال العذاب الإلهى على الكافرين فيقولون بصرخات مستغيثه: هَلْ إِلى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ (۳) .

بل و إنّ طلب العوده إلى الحياه لجبران خطيئاتهم سيطرح فى أولى لحظات الموت،حين تزال الحجب عن عين الإنسان فيرى بأمّ عينيه حقيقه عالم الآخره، فيستيقن حياه البرزخ و المعاد،و لا يبقى عنده إلاّ أن يقول: رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّى أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ (۴) .

«السين»فى«سيعلمون»حرف استقبال(يستعمل للمستقبل القريب)،و هو

۱- ۱) -المعروف بين أوساط علماء اللغه بأن«كلاّ»حرف ردع،و لكنّ ثمّه من قال باستعمالات أخرى لهذا الحرف و لكنها نادره، و هى:أ-حرف تأكيد.ب-بمعنى(ألا)الاستفتاحيه.ج-حرف جواب بمنزله(نعم).(راجع مجمع البحرين و كتب اللغه).

۲- ۲) -الزمر،الآيه ۶.

۳- ۳) -الشورى،الآيه ۴۴.

۴- ۴) -المؤمنون،۹۹-۱۰۰.

فی الآیه المبارکه یشیر إلی قرب وقوع یوم القیامه،و ما نسبه أیّام الدنیا للآخره إلاّ ساعه من الزمن! أمّا تکرار جمله«کلاّ سیعلمون»،فقیل:للتأکید.و قیل:لبیان وقوع أمرین..

الأوّل:قرب وقوع العذاب الدنیوی.و الثّانی:الإشاره إلی قرب عذاب الآخره أیضا.و قد رجح المفسّرون التفسیر الأوّل.

و ثمّه احتمال آخر،و هو أنّ نمو و تطور الفکر البشری سیوصل البشریه إلی التقدم العلمی الذی یثبت بالأدله العلمیه و الشواهد الحیّه تحقق یوم القیامه، بالشکل الذی یبطل کل حیل الإنکار و عدم الإقرار.

و یشکل علی هذا الاحتمال..کون ما سیحصل من تطور و تقدم إنّما یختص بالأجیال القادمه،فی حین أنّ الآیه تتحدث عن المشرکین فی عهد النّبی صلّی اللّه علیه و آله، و تناولت مسأله اختلافهم فی أمر یوم القیامه.

***

بحوث

اشاره

۱-«الولایه»و«النبأ العظیم»

تقدم أنّ هناک عدّه معان لل«النبأ العظیم»،مثل:القیامه،القرآن،أصول الدین..إلاّ أنّ القرائن الموجوده فی مجموع آیات السوره تدعم تفسیر«النبأ» ب«المعاد»و ترجحه علی الجمیع.

و لکنّنا نجد فی روایات أهل البیت علیهم السّلام و فی بعض روایات أهل السنّه أنّ «النبأ العظیم»بمعنی إمامه أمیر المؤمنین علی علیه السّلام،حیث کانت مثار جدال و نقاش بین جمع من المسلمین،و هناک من فسّر«النبأ العظیم»بالولایه بشکل عام.

و إلیکم ثلاث روایات،علی سبیل المثال لا الحصر:

۱-ما

روی الحافظ محمّد بن مؤمن الشیرازی(أحد علماء السنّه)عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أنّه قال فی تفسیر عَمَّ یَتَسٰاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِیمِ :«ولایه علی یتساءلون عنها فی قبورهم،فلا یبقی میت فی شرق و لا غرب و لا فی برّ و لا فی بحر إلّا و منکر و نکیر یسألانه عن ولایه أمیر المؤمنین بعد الموت،یقولان للمیت:

«من ربّک؟و ما دینک؟و من نبیّک؟و من إمامک؟» (۱) .

۲-و

روی أنّ رجلا خرج یوم صفین عن عسکر الشام و علیه سلاح و فوقه مصحف و هو یقرأ: عَمَّ یَتَسٰاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِیمِ فخرج له علی علیه السّلام،فقال له:

«أتعرف النبأ العظیم الذی هم فیه یختلفون»؟قال:لا.

فقال له علیه السّلام:«أنا و اللّه النبأ العظیم الذی فیه اختلفتم و علی ولایته تنازعتم، و عن ولایتی رجعتم بعد ما قبلتم،و ببغیکم هلکتم بعد ما بسیفی نجوتم،و یوم الغدیر قد علمتم،و یوم القیامه تعلمون ما علمتم» (۲) .

۳-

روی عن الإمام الصادق علیه السّلام أنّه قال، «النبأ العظیم الولایه» (۳) .

و للجمع بین مضمون ما تناولته الروایات و ما جاء فی تفسیر النبأ العظیم بالمعاد،لا بدّ من الانتباه إلی ما یلی:

۱-«النبأ العظیم»کمفهوم قرآنی-مثل سائر المفاهیم القرآنیه-له من السعه ما یشمل کل ما ذکر من معان،و إذا کانت قرائن السوره تدلّ علی أنّ المقصود منه «المعاد»،فهذا لا یمنع من أن تکون له مصادیق أخری.

۲-کما هو معلوم أنّ للقرآن بطونا مختلفه و ظواهرا متعدده،و أدله و قرائن الاستخراج مختلفه أیضا،و بعباره أخری:أنّ لمعانی آیات القرآن دلالات التزامیه لا یعرفها إلّا من غاص فی بحر علمها و معرفتها،و لا یکون ذلک إلّا

۱- ۱) -رساله الإعتقاد لأبی بکر محمد بن مؤمن الشیرازی(علی ما ذکر فی إحقاق الحق،ج ۳،ص ۴۸۴).

۲- ۲) -تفسیر البرهان،ج ۹،ص ۴۲۰.

۳- ۳) -تفسیر البرهان،ج ۳،ص ۴۱۹.

للخاصّه من الناس.

و ليست الآيه المذكوره منفرده فى أنّ لها ظاهر و باطن دون بقيه آيات القرآن،حيث أنّ الأحاديث و الرّوايات الشريفه فسّرت كثير من الآيات بمعان مختلفه،بعضها ما ينسجم مع ظاهر الآيه،و البعض الآخر يشير إلى المعنى الباطن لها.

و لا بدّ من التأكيد على حقيقه خطيره،و هى:لا يجوز قطعا بأن نضع للقرآن معنى باطنا بحسب رأينا و فهمنا،بل لا بدّ من وجود قرائن و أدله واضحه،أو بالاعتماد على تفاسير النّبى صلّى اللّه عليه و آله و الأئمّه عليهم السّلام الصحيحه،لكى لا يكون وجود بطون للقرآن ذريعه بأيد المنحرفين و المتطرفين و ذوى الأهواء ليفسّروا القرآن بحسب ما يشتهون و يرغبون.

٢-سرّ التأكيد على المعاد:

قلنا،إنّ من كبريات المسائل المهمّه التى يتمّ التأكيد عليها فى السور المكيّه للجزء الأخير من القرآن هى مسأله«المعاد»مع تصوير حياه الإنسان فى عالم البرزخ لما لهذه المسأله من أهميه و تأثير على الإنسان فى حياته الدنيا،فمجرّد أن يحسب و يفكر الإنسان بأنّ ثمّه عالم ينتظره و فيه محاسبه دقيقه و بعدها إمّا ثواب أو عقاب،فمجرّد هذا الإحساس كفيل لأن يدفع الإنسان بالتفكير فى مستقبله الأبدى،و أن يعمل على ضوء تحسبه.

فهناك محكمه..لا تخفى عليها خافيه،لا ظلم فيها و لا جور،لا تخطئ و لا تشتبه،و لا رشوه فيها و لا توصيه،و فوق هذا و ذلك فلا مجال للمتهم فيها لأن يكذب أو ينكر...إذن فلا سبيل للنجاه من عقاب الآخره إلّا بترك الذنوب و العمل وفق مقتضيات الشرع فى هذه الحياه الفانيه.

إنّ الإيمان بوجود محكمه العدل الإلهى تدفع الإنسان لأن:يتحرك ضميره،

تتیقظ نفسه من غفلتها الماکره،تحیی فیه روحیه التقوی فیه و یتحسس عظم المسؤولیه الملقاه علی عاتقه،فیبدأ بتشخیص وظائفه و تکالیفه الشرعیه للقیام بها علی أحسن وجه.

و أساسا فإنّ شیوع الفساد فی أی محیط یرجع إلی أمرین:ضعف التوجیه و المراقبه،و فقدان القوه القضائیه الرادعه،فإذا خضعت أعمال الناس إلی توجیه مبرمج یقظ،بالإضافه إلی توفر القوانین القضائیه الصارمه لکل من یشذ عن جاده القانون،فإنّ الفساد و الاعتداء و الطغیان و الحال هذه یکاد ینعدم فی ذلک المحیط.

الحیاه الدنیویه التی تفعم ببرنامج موجه إلی طریق الحق،و قوه قضائیه ساعیه لرضوانه جلّ شأنه،و عامله علی خدمه البشریه، تدفع الإنسان لأن یدرک بوضوح مصادیق الهدایه الإلهیه،و یشعر لذه حیاته الروحیه.

فالإیمان بوجود من: لا یَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّهٍ (۱) ،و الإیمان بحتمیه «المعاد»الذی تصدقه الآیه: فَمَنْ یَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ خَیْراً یَرَهُ وَ مَنْ یَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ شَرًّا یَرَهُ (۲) ،فهکذا الإیمان کفیل بأن یخلق فی الإنسان حاله التقوی التی هی بمثابه مرکز للإشعاع الرّبانی علی جمیع أبعاد حیاته.

***

۱- ۱) -سبأ،الآیه ۳.

۲- ۲) -الزلزله،الآیه ۷-۸.

الآيات [سوره النبإ (۷۸): الآيات ۶ الى ۱۶]

اشاره

أَ لَمْ نَجْعَلِ اَلْأَرْضَ مِهاداً (۶) وَ اَلْجِبالَ أَوْتاداً (۷) وَ خَلَقْناكُمْ أَزْواجاً (۸) وَ جَعَلْنا نَوْمَكُمْ سُباتاً (۹) وَ جَعَلْنَا اَللَّيْلَ لِباساً (۱۰) وَ جَعَلْنَا اَلنَّهارَ مَعاشاً (۱۱) وَ بَنَيْنا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِداداً (۱۲) وَ جَعَلْنا سِراجاً وَهّاجاً (۱۳) وَ أَنْزَلْنا مِنَ اَلْمُعْصِراتِ ماءً ثَجّاجاً (۱۴) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَ نَباتاً (۱۵) وَ جَنّاتٍ أَلْفافاً (۱۶)

التّفسير

اشاره

كل شيء بأمرك يا ربّ...

تجيب الآيات المذكوره على أسئله منكرى المعاد و المختلفين فى هذا «النبأ العظيم»لأنّها تستعرض جوانب معينه من نظام الكون و عالم الوجود الموزون،مع تبيانها لبعض النعم الإلهيه الواسعه ذات التأثير الفعال فى حياه الإنسان،و ذلك من جهه دليل على قدره البارى عزّ و جل المطلقه،و منها قدرته على إعاده الحياه إلى الإنسان بعد موته.

و من جهه أخرى إشاره إلى أنّ الكون و ما فيه من دقّه تنظيم،لا يمكن أن يخلق لمجرّد العبث و اللهو!بل لا بدّ من وجود حكمه بالغه لهذا الخلق.فى حين

أنّه لو كان الموت يعنى نهايه كل شىء،فمعنى ذلك أنّ وجود العالم عبث و خال من أيّه حكمه!! و بهذا فقد استدل القرآن الكريم على حقيقه«المعاد»بطريقين:

۱-برهان القدره.

۲-برهان الحكمه.

و قد عرضت الآيات الإحدى عشر،اثنتى عشر نعمه إلهيه،بأسلوب ملؤه اللطف و المحبّه،مصحوبا بالاستدلال،لأنّ الاستدلال العقلى لو لم يقترن بالإحساس العاطفى و النشاط الروحى يكون قليل التأثير.

و تشرع الآيات بالإشاره إلى نعمه الأرض،فتقول: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً .

(المهاد):كما يقول الراغب فى المفردات:المكان الممهّد الموطأ،و هو فى الأصل مشتق من«المهد»،أى المكان المهيأ للصبى.

و فسّره بعض أهل اللغه و المفسّرين بالفراش،لنعومته و استوائه و كونه محلا للراحه.

و اختيار هذا الوصف للأرض ينم عن مغزى عميق..

فمن جهه:نجد فى قسم واسع من الأرض الإستواء و السهوله،فتكون مهيئه لبناء المساكن و الزراعه.

و من جهه ثانيه:أودع فيها كل ما يحتاجه الإنسان لحياته من المواد الأوليه إلى المعادن الثمينه،سواء كان ذلك على سطحها أم فى باطنها.

و من جهه ثالثه:تحلل الأجساد الميته التى تودع فيها،و تبيد كل الجراثيم الناشئه عن هذه العمليه بما أودع فيها البارى من قدره على ذلك.

و من جهه رابعه:ما لحركتها السريعه المنظمه و لدورانها حول الشمس و حول نفسها من أثر على حياه البشريه خاصّه،بما ينجم عنها الليل و النهار

و الفصول الأربعه.

و من جهه خامسه:خزنها لقسم كبير من مياه الأمطار الغزيره،و إخراج ذلك على شكل عيون،آبار،أنهار.

و الخلاصه:إنّ جميع وسائل الاستقرار و العيش لبنى آدم متوفره فى هذا المهد الكبير،و قد لا يلتفت الإنسان إلى عظم هذه النعمه الرّبانيه،إلّا إذا ما أصاب الأرض زلزالا..،و عندها سيدرك معنى استقرار الأرض،و معنى كونها مهادا.

و بما أنّ نعمه استواء الأرض و سهولتها قد تهمش نعمه الجبال،فقد جاءت الآيه التاليه لتبيّن أهميه الجبال و دورها المهم فى حياه الإنسان: وَ الْجِبالَ أَوْتاداً .

تشكل الجبال آيه ربانيه زاخره بالعطاء،و تؤدى وظائف كثيره،منها أنّها تحفظ القشره الأرضيه من الانهيار أمام الضغط الحاصل من المواد المذابه داخلها، و ذلك لعمق تجذرها المترابط داخل الأرض..و تحافظ عليها من تأثيرات جاذبيه القمر فى عمليه المد و الجزر..و تشكل جدران الجبال سدا منيعا للتقليل من آثار الرياح الشديده و العواصف المدمره..و تهيأ للإنسان الملاجئ الهادئه فى مغاراتها و بين تعرجاتها لتأمنه من ضربات العواصف المهلكه..و تقوم بخزن المياه و ادخار أنواع المعادن الثمينه فى باطنها..

بالإضافه لكل ما ذكر،فتوزيع الجبال على الأرض بالشكل الموجود و تعاملا مع حركه الأرض يعمل على تنظيم حركه الهواء المحيط بالكره الأرضيه بالشكل الذى يؤثر ايجابيا على الحياه فوق الأرض.و فى هذا المجال،يقول العلماء:لو كان سطح الكره الأرضيه مستويا كله،لتولدت عواصف شديده لا يمكن السيطره عليها جراء حركه الأرض و سكون الغلاف الجوى،و لفقدت الأرض صلاحيتها بتوفير مستلزمات السكن للإنسان،لأنّ استمرار الاحتكاك

الحاصل من حركه الأرض الدائمه و سكون الغلاف الجوى سيؤدى بلا شك إلى زياده حراره القشره الأرضيه ممّا يجعل الأرض غير صالحه لسكنى الإنسان.

و بعد أن بيّن القرآن هذين النموذجين من النعم الإلهيه و الآيات الآفاقيه، عرج إلى ذكر ما أنعم البارى على الإنسان من النعم و الآيات الانفسيه فقال:

وَ خَلَقْناكُمْ أَزْواجاً

(۱)

.

«الأزواج»:جمع زوج،المتشكل من الذكر و الأنثى،و يخرج الإنسان إلى حياه الوجود من هذين الجنسين،و يستمر وجوده فى الحياه من خلال عمليه التناسل التى تساهم فى استقرار الإنسان من الناحيتين الجسميه و النفسيه،كما تشير إلى هذا الآيه(۲۱)من سوره الروم: وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً .

و بعباره أخرى:إنّ كلا من الذكر و الأنثى مكمل لوجود الآخر،و عاملا على إشباع احتياجات الطرف الآخر من الناحيتين الجسميه و النفسيه.

و فسّر البعض كلمه«أزواج»بالأصناف المختلفه للناس،لأنّ من معانى (أزواج):الأصناف و الأنواع،فاعتبروها إشاره إلى ذلك التباين الموجود بين البشر من حيث:اللون،الجنس،الاستعدادات و القابليات،للدلاله على عظمه البارى جلّ شأنه و العامل على تكامل المجتمع الإنسانى.

و يشير بعد ذلك إلى نعمه النوم،فيقول: وَ جَعَلْنا نَوْمَكُمْ سُباتاً .

«السبات»:من السبت،بمعنى القطع،ثمّ استعملت بمعنى(تعطيل العمل) لأجل الاستراحه،و سمى«يوم السبت»بذلك لأنّ اليهود كانوا يعطلون أعمالهم فى اليوم المذكور.

و يحمل وصف«النوم»بالسبات إشاره لطيفه إلى تعطيل قسم من الفعاليات

۱- ۱) -جمله وَ خَلَقْناكُمْ أَزْواجاً و ما بعدها،جاءت بصيغه الإثبات،أمّا ما احتمله البعض من كونها جملا منفيه معطوفه على قوله تعالى: أَ لَمْ نَجْعَلِ المتقدم فى الآيه الأولى فبعيد و يحتاج إلى تقدير لا موجب.

الجسميه و الروحيه للإنسان عند النوم.

و يعطى التعطيل فرصه:لاستراحه أعضاء البدن..لتجديد القوى..لتقويه الروح و الجسد،لتجديد النشاط و رفع أىّ نوع من التعب و الآلام،و الاستعداد لتقبل المرحليه القادمه(بعد النوم)بفاعليه و نشاط متجدد.

و بالرغم من أنّ النوم يشكّل ثلث حياه الإنسان،و لكنّ الإنسان لا زال يجهل الكثير من خفاياه،بل و لا زال الإنسان(منذ القديم و حتى الآن)لا يعرف سبب تعطيل بعض فعاليات الدماغ فى مدّه معينه و تغمض العين أجفانها و تسكن جميع أعضاء البدن! و بات من المعروف ما للنوم من دور مهم فى حياه الإنسان،حتى حرص أطباء علم النفس دوما على تنظيم نوم مرضاهم بصورته الطبيعيه حفاظا على حاله التوازن النفسى للمرضى.

فالذين لا يتمتعون بنوم طبيعى تراهم مصابون بحدّه المزاج،القلق، الاضطراب،الكآبه،و بالمقابل،نرى الذين يتمتعون بنوم طبيعى ينهضون كل صباح بنشاط و حيويه و بقدره جديده.

و من بين ما يقدمه النوم من تأثير مهم على الإنسان:سرعه تقبل ذهن الإنسان للدراسه و المطالعه بعد فتره نوم طبيعيه و هادئه و سرعه إنجاز الأعمال الفكريه و البدنيه و لعلّ من أسهل أساليب تعذيب الإنسان هو حرمانه من النوم، خصوصا و أنّ التجارب العلميه أثبتت بأنّ قابليه الإنسان على تحمل الأرق ضعيفه جدّا،و إذا حاول أىّ إنسان أن يجرب ذلك،فلا تمضى عليه فتره وجيزه إلاّ و يصاب فى سلامته و يمرض.

و كلّ ما ذكر من فوائد النوم فإنّه يختص بالنوم الطبيعى الموزون،و أمّا إذا زاد عن حدّه الطبيعى فلا يجنى صاحبه سوى الآثار السلبيه لهذا الإفراط،كحال الإفراط فى الطعام.

و من الغريب أنّ نسبه فتره النوم تختلف من إنسان لآخر،و لا يمكن تعيين فتره محدده لكل الناس،و عليه..فكل إنسان يعرف الفتره التى تناسبه طبيعيا بما يناسب فعالياته الجسميه و الروحيه،و تجربه الإنسان هى التى تعين نسبه النوم الضرورى له.

و الأغرب من ذلك،إنّه قد يضطر الإنسان فى الحوادث و الشدائد إلى السهر و اليقظه مدّه طويله،و لذلك تزداد مقاومته للنوم بشكل ملحوظ و لكنّه مؤقت، و قد يستكفى فى تلك الأحيان بساعه أو ساعتين من النوم لليوم الواحد،و لكن..

سرعان ما ينتهى ذلك التمكن بمجرّد الرجوع إلى الحاله الطبيعيه،بل و قد يحتاج لساعات نوم أطول من السابق للتعويض عمّا فاته من نوم! و من النادر أن نرى إنسانا يعيش حاله اليقظه لعده أشهر،و فى قبال ذلك نرى بعض الناس ينامون أثناء المشى،بل و هناك من ينام و أنت تشاطره أطراف الحديث،و مثل هكذا أشخاص يعيشون حاله غير طبيعيه و غالبا ما تكون الحوادث المؤسفه فى انتظارهم،فالضروره تقتضى ألاّ يتركوا بدون مراقب أو مرافق.

و الخلاصه:إنّ هذا الحادث العجيب و الظاهره الغامضه التى تدعى ب«النوم» مصحوبه بعجائب كثيره و كأنّها معجزه من المعاجز (۱) .

و مع أنّ ذكر النوم فى الآيه قد جاء باعتباره إحدى النعم الإلهيه،إلاّ أنّ الآيه المباركه قد تشير بذلك إلى الموت،لما للنوم من شبه بالموت،و الاستيقاظ بالبعث.

و بعد الانتهاء من ذكر نعمه النوم،ينتقل القرآن الكريم لذكر نعمه الليل، فيقول: وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً .

۱- ۱) -للتزود من عجائب عالم النوم،راجع ما بحثناه فى تفسير الآيه(۳۴)من سوره الروم.و كذا الرؤيا و عجائبها فى ذيل الآيه (۴)من سوره يوسف.

و تضیف الآیه التالیه مباشره: وَ جَعَلْنَا النَّهٰارَ مَعٰاشاً (۱) .

الآیتان تفندان جهل الثنویون بأسرار الخلق،حیث یقولون:إنّ النور و النهار نعمه،و الظلام و اللیل شر و عذاب،و یجعلون لکلّ منهما خالق(إله الخیر و إله الشر)..و بقلیل من التأمل نجد أنّ کلاً منهما یمثل نعمه إلهیه معطاءه،حیث تنبع منها نعم أخری.

و شبهت الآیه اللیل باللباس و الغطاء الذی یلقی علی الأرض لیشمل کل من علی الأرض،و لیجبر فعالیات الموجودات الحیّه المتعبه علی الأرض بالتعطل عن الحرکه و ممارسه النشاطات،و یخیم الظلام و السکون لیضفی علی الأرض الهدوء لیستریح الناس من رحله العمل و المعاناه خلال النهار،و لیتمکنوا من مواصله نشاطهم للیوم التالی لأنّ النوم المریح لا یتیسر للإنسان إلاّ فی أجواء مظلمه.

و بالإضافه لکل ما ذکر،فحلول اللیل یعنی زوال نور الشمس و إلاّ لانعدمت الحیاه و احترقت جمیع النباتات و الحیوانات فی حال استمرار شروق الشمس.

و لذا نجد القرآن الکریم یؤکّد علی هذه الحقیقه،فتاره یقول: قُلْ أَ رَأَیْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللّٰهُ عَلَیْکُمُ النَّهٰارَ سَرْمَداً إِلیٰ یَوْمِ الْقِیٰامَهِ مَنْ إِلٰهٌ غَیْرُ اللّٰهِ یَأْتِیکُمْ بِلَیْلٍ تَسْکُنُونَ فِیهِ (۲) .و تأتی الآیه التالیه لتقول: وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَکُمُ اللَّیْلَ وَ النَّهٰارَ لِتَسْکُنُوا فِیهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ (۳) و یلاحظ فی القرآن الکریم أنّه قد أقسم بأمور کثیره،و لکن قسمه لا یتعدی المره الواحده لکل ما قسم به،ما عدا اللیل فقد جاء القسم به سبع مرات!و لمّا کان القسم بشیء دلیل علی أهمیته،فهذا یعنی

۱- ۱) -«المعاش»:إمّا أن یکون اسم زمان أو اسم مکان،بمعنی زمان و مکان الحیاه..و یمکن أن یکون مصدرا میمیا،فیکون له محذوف،و التقدیر:(سببا لمعاشکم).و المعاش:من العیش،أی الحیاه،إلاّ أنّ تعبیر الحیاه یمکن إطلاقه علی الباری عزّ و جلّ و الملائکه،فیما تختص کلمه العیش بحیاه الإنسان و الحیوان.

۲- ۲) -القصص،الآیه ۷۲.

۳- ۳) -القصص،الآیه ۷۲.

فقد جاء القسم به سبع مرات!و لمّا كان القسم بشیء دلیل علی أهمیته،فهذا یعنی أنّ للّیل أهمیّه بالغه.

الأشخاص الذین یضیئون اللیل بأنوار صناعیه و یسهرون لیلهم و یقضون نهارهم بالنوم،هم أناس غیر طبیعیین،و تری علامات الکسل و الخمول بادیه علیهم.فی حین نری القرویین أکثر صحه من أهل المدن و أسلم بدنا و حواسا، لأنّهم ینامون بعد حلول اللیل بقلیل و یستیقظون مبکرا.

و من منافع اللیل الجانبیه أنّ فیه(وقت السحر)الذی هو أفضل أوقات الدعاء و الصلاه و مناجاه الباری جلّ شأنه لتربیه و تزکیه النفوس،کما تصف الآیه (۱۸)من سوره الذاریات عبّاد اللیل: وَ بِالْأَسْحارِ هُمْ یَسْتَغْفِرُونَ (۱) .

و النهار بنوره الفیاض نعمه ربانیه عظیمه،حیث یدفع الإنسان لیتحرک و یسعی لبناء حیاته و مجتمعه،و بالنور تنمو النباتات،و تمارس الحیوانات شؤون حیاتها و حقّا قال الباری: وَ جَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً ،بما لا یدع مجالا للتفصیل و الشرح.

و خاتمه المقال:إنّ تعاقب اللیل و النهار و ما فیهما من نظام دقیق آیه بیّنه من آیات خلقه سبحانه و تعالی،إضافه إلی أنّه تقویم طبیعی لتفصیل الزمن فی حیاه الإنسانیه علی مرّ التاریخ.

و تأتی الآیه التالیه لتنقلنا من عالم الأرض إلی عالم السماء حین تقول:

وَ بَنَیْنا فَوْقَکُمْ سَبْعاً شِداداً

.

قد یراد من العدد المذکور بالآیه«الکثره»،للإشاره إلی کثره الأجرام السماویه و المنظومات الشمسیه و المجرات و العوالم الواسعه لهذا الوجود،و التی تتمتع بخلق محکم و بناء رصین لا خلل فیه..و یمکن أن یراد منه العدد،للإشاره

۱- ۱) -راجع بحوثنا حول أسرار اللیل و النهار،و نظام النور و الظلمه فی ذیل الآیات(۷۱-۷۳)من سوره القصص،فی ذیل الآیه (۴۷)من سوره الفرقان،فی ذیل الآیه(۱۸)من سوره الذاریات.

إلى أنّ الكواكب و ما يبدو لنا منها إنّما تعود إلى السماء الأولى،كما أشارت الآيه (۶)من سوره الصافات إلى ذلك: إِنّا زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنيا بِزِينَهٍ الْكَواكِبِ .و ثمّه سماوات سته و عوالم أخرى وراء السماء الأولى«الدنيا»خارجه عن حدود معرفتنا.

و ثمّه احتمال آخر،و هو أنّ المراد منها طبقات الهواء المحيطه بالأرض فإنّها مع رقتها تتمتع باستحكام و قوه عجيبه بحيث تحمى الأرض من آثار الشهب الملتهبه و المتساقطه عليها باستمرار،فبمجرّد دخول الشهب فى الغلاف الجوى الرقيق نتيجه لجاذبيه الأرض لها،تحترق تلك الشهب لاحتكاكها السريع بالغلاف الجوى حتى تتلاشى،و لولا تلك الطبقات الجويه المحيطه بالكره الأرضيه لكانت المدن و القرى عرضه للإصابه بتلك الصخور و الأحجار السماويه المتساقطه عليها على الدوام.

و قد توصل بعض العلماء إلى أنّ سمك الغلاف الجوى يقرب من مائه كيلومتر،و له من الأثر ما يعادل سقف فولاذى بسمك عشره أمتار! و بذلك نحصل على تفسير آخر لما جاء فى الآيه.. ...سَبْعاً شِداداً (۱) .

و بعد أن أشار القرآن إجمالا إلى السماوات،يشير إلى نعمه الشمس،فيقول:

وَ جَعَلْنا سِراجاً وَهّاجاً

(۲)

.

«الوهّاج»:من الوهج،بمعنى النور و الحراره التى تصدر من النار (۳) .

و إطلاق هذه الصفه على الشمس، للإشاره إلى نعمتين كبيرتين و هما:(النور) و(الحراره)و يتفرع عنهما نعم و عطايا كثيره يزخر بها عالمنا.

و لا تتحدد فوائد نور الشمس بإضاءه الدنيا للإنسان،بل لها أثر كبير فى نمو

۱- ۱) -لزياده المعلومات،راجع ذيل الآيه(۲۹)من سوره البقره.

۲- ۲) -«جعلنا»:فى هذا الموضوع بمعنى(خلقنا)،فلذلك أخذت مفعولا واحدا.

۳- ۳) -مفردات الراغب:ماده(وهج)..و فى لسان العرب:الوهج:حراره الشمس و النار من بعيد.

سائر الكائنات الحيّه.

و إضافه لكل ما تقدم،فلحراره الشمس أثر أساس فی:تكوّن الغيوم،حركه الهواء،نزول الأمطار،و سقی الأراضی اليابسه.

و لأشعه الشمس كذلك الأثر البالغ فی مكافحه الجراثيم،لاحتوائها علی الأشعه ما وراء الحمراء التی تقتل الجراثيم،و لولاها لتحولت الأرض إلی مستشفی عظيمه،و لانتهت الحياه البشريه علی ظهرها خلال مدّه محدوده جدّا.

و أشعه الشمس فی واقعها:نور صحی مجانی دائمی،يصلنا بكيفيه لا هی بالشديده المحرقه،و لا هی بالقليله العديمه التأثير.

و نسبه ما يصلنا من الطاقه الشمسيه قياسا مع بقيه المصادر كثير جدّا،و علی سبيل الفرض:فلو أردنا إنماء شجره تفاح بواسطه نور صناعی،فستكلفنا التفاحه الواحده مبلغا رهيبا،.نعم..فنعمه هذا السراج الوهّاج لا يمكننا تعويضها بمال كل الأغنياء (۱) .

و قد قدّر حجم الشمس بما يقارب المليون و ثلاثمائه ألف مرّه نسبه إلی حجم الكره الأرضيه،و الفاصله بين الشمس و الأرض تقدر بحدود مائه و خمسين مليون كيلومتر..و أنّ حراره الشمس الخارجيه تصل إلی سته آلاف درجه مئويه..و تصل حرارتها الداخليه ما يقارب مليون درجه مئويه!و هذا النظام الموزون بحكمه بالغه،لمن الدقه بحال أنّه لو اختل قليلا(زياده أو نقصان) لما أمكن للبشر أن يعيشوا علی سطح الكره الأرضيه،و لا يسعنا المجال لنتطرق

---

۱ - ۱) -ورد فی كتاب عالم النجوم من تأليف(آنتری وايت)حسابا للنور و الحراره الواصلين من الشمس إلی الأرض،يقول صاحب الكتاب:لو أردنا أن ندفع أجورا مقابل ما يصلنا من نور و حراره الشمس مجانا بما يساوی ما ندفعه من أجور الكهرباء عاده،فعلی سكان الأرض أن يدفعوا لكل ساعه من النور و الحراره مليار و سبعمائه مليون دولار،و إذا حسبنا ما علينا أن ندفع خلال سنه واحده فسنصل إلی رقم خيالی من الدولارات،و بهذا يظهر قيمه ما وهبنا اللّه تعالی من ثروه طائله دون مقابل. و يقول مؤلف كتاب(من العوالم البعيده):إنّ أهل الأرض لو أرادوا الحصول علی ما يصلهم من نور الشمس من مصابيح توضع فی مكان الشمس للزم لكل منهم خمسه ملايين مليار مصباح ذو مائه واط.

لمزید من التفصیل و البیان حول هذا الموضوع.

و بعد ذکر نعمه النور و الحراره یتناول القرآن نعمه حیاتیه أخری لها ارتباط بأشعه الشمس،و یقول: وَ أَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِراتِ ماءً ثَجّاجاً .

«المعصرات»:جمع«معصر»،من العصر بمعنی الضغط..و الکلمه تشیر إلی أنّ الغیوم تقوم بعملیه و کأنّها تعصر نفسها عصرا لکی ینهمر منها الماء علی شکل أمطار (۱) (ینبغی ملاحظه أنّ«المعصرات»جاءت بصیغه اسم فاعل).

و فسّرها بعضهم بالغیوم المستعده لإنزال الأمطار، باعتبار أنّ اسم الفاعل یأتی فی بعض الأحیان بمعنی الاستعداد للقیام بعمل ما.

و قال بعض آخر:إنّ«المعصرات»لیست صفه للغیوم،و إنّما للریاح التی تقوم بضغط و عصر الغیوم.

«الثجاج»:من الثج،بمعنی سیلان الماء بکمیه کبیره،و«ثجاج»صیغه مبالغه، و یراد بها هنا غزاره الأمطار المنهمره نتیجه العصر الحاصل للغیوم.

و بالإضافه لکون المطر منبعا لکثیر من مصادر الخیر و البرکه،فهو:ملطف للجو،مزیل للتلوثات الموجوده فی الجو،مخفض للحراره و معدل للبروده، مقلل لأسباب الأمراض،یمنح الإنسان روحا متجدده و نشاطا،و مع کل ذلک..

فقد ذکر القرآن ثلاث فوائد أخری له: لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَ نَباتاً .

وَ جَنّاتٍ أَلْفافاً

.

یقول الراغب فی مفرداته:«ألفافا»:أی التفّ بعضها ببعض لکثره الشجر (۲) .

و الآیتان تشیران إلی ما یستفید منه الإنسان و الحیوان من المواد الغذائیه التی

۱- ۱) -یقول بعض العلماء:إنّ الغیوم حین تتراکم تخضع لنظام معین،حیث تقوم بعصر نفسها فتتساقط قطرات الأمطار منها،و هذا فی واقعه یکشف عن إحدی المعاجز العلمیه للقرآن فی استعماله لهذا التعبیر(راجع کتاب-الهواء و الأمطار).

۲- ۲) -(ألفاف):جمع لفیف-کما یقول کثیر من أهل اللغه و التفسیر-و قال بعضهم:جمع لف(بضم اللام).و قال بعض آخر:جمع لف(بکسر اللام).و قال آخرون:هی جمع لا مفرد له..و لکنّ المشهور هو القول الأوّل.

تخرج من الأرض،فالحبوب الغذائيه تشكل قسما مهمّا من المواد الغذائيه «حبّا»،و الخضر تشكل القسم الآخر«و نباتا»،و تأتى الفاكهه لتشكل القسم الثالث«و جنّات».

و لا تنحصر فوائد المطر بهذه الفوائد الثلاث المذكوره فى هاتين الآيتين، فللماء دور أساسى و حيوى فى عمليه حياه الكائنات الحيّه،و على الأخص الإنسان،حيث أنّ الماء يشكل ما يقارب السبعين فى المائه من بدنه،بل و يتعدى ذلك ليشمل كل كائن حىّ،كما يشير القرآن الكريم لهذه الحقيقه: وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ (۱) .

و تتجاوز فوائد الماء حدود الكائن الحىّ لتشمل:المصانع،جمال الطبيعه، و أفضل الطرق التجاريه و الاقتصاديه هى الطرق المائيه.

***

ملاحظه:

اشاره

علاقه الآيات ب«المعاد»:

أشارت الآيات المبحوثه إلى أهم العطايا الرّبانيه و النعم الإلهيه و التى لها الدور المهم و الأساس فى الحياه البشريه:النور،الظلمه،الحراره،الماء،التراب و النباتات.

و ذكر نظام الكون على ما فيه من دقه موزونه و محسوبه لدليل على قدره اللّه عزّ و جلّ المطلقه من جهه،و به يسد كل ثغرات التساؤل عن قدره اللّه على إحياء الموتى،و كما أجابت آخر سوره«يس» منكرى المعاد بالقول: أَ وَ لَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِقادِرٍ عَلىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ (۲) .

۱- ۱) -الأنبياء،الآيه ۳۰.

۲- ۲) -سوره يس،الآيه ۸۱.

و من جهه أخرى أنّه لا- بدّ أن يكون لهذا الخلق العظيم من هدف،و لا- يعقل أن يكون الهدف منه هو هذه الأيّام المعدوده لحياتنا الدنيا،إذ ليس من الحكمه أن يكون كل هذا الخلق و بما يحمل من أنظمه و عمليات من أجل الأكل و الشرب و النوم و أمثال ذلك!بل لا بدّ من وجوب هدف أسمى يتناسب و حكمه البارى جلّ شأنه،و بعباره أخرى..ما النشأه الأولى إلاّ تذكيرا للنشأه الآخره:و مرحله متقدمه،و محطه تزود بالوقود وصولا- لغايه السفر المحتوم،و كما ينبهنا القرآن الكريم: أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وَ أَنَّكُمْ إِلَيْنا لا تُرْجَعُونَ ؟! (۱) .

و بعد ذلك..فما النوم و اليقظه إلاّ- مثلا- للموت و الحياه الجديده،و ما إحياء الأرض الميته بنزول المطر-الشاخصه أمام أعين الناس على طول السنه-إلاّ توضيحا لحاله المعاد،و إشارات مليئه بالمعانى ترمز إلى مسأله القيامه و الحياه بعد الموت،كما جاء فى سوره فاطر: وَ اللّهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً فَسُقْناهُ إِلى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها كَذلِكَ النُّشُورُ (۲) .

***

۱- ۱) -المؤمنون،الآيه ۱۱۵.

۲- ۲) -فاطر،الآيه ۹.

الآيات [سوره النبإ (۷۸): الآيات ۱۷ الى ۲۰]

اشاره

إِنَّ يَوْمَ اَلْفَصْلِ كٰانَ مِيقٰاتاً (۱۷) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي اَلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوٰاجاً (۱۸) وَ فُتِحَتِ اَلسَّمٰاءُ فَكٰانَتْ أَبْوٰاباً (۱۹) وَ سُيِّرَتِ اَلْجِبٰالُ فَكٰانَتْ سَرٰاباً (۲۰)

التّفسير

اشاره

سيأتى اليوم الموعود:

الآيه الاولى من الآيات أعلاه بمثابه نتيجه لما تعرضت له الآيات السابقه...

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كٰانَ مِيقٰاتاً

(۱)

و التعبير ب«يوم الفصل»يحمل بين ثناياه إشارات كثيره،فسيحدث فى ذلك اليوم:

فصل الحقّ عن الباطل.

فصل المؤمنين الصالحين عن المجرمين.

فصل الوالدين عن أولادهم،و الأخ عن أخيه...

و«الميقات»:من الوقت،الميعاد من الوعد،بمعنى الوقت المعين و المقرر، و إنّما سمّيت الأماكن التى يحرم منها حجاج بيت اللّه الحرام ب«المواقيت»لأنّ

۱- ۱) -استعمال(كان)فى هذا المورد لبيان حتميه الوقوع لذلك اليوم.

الاجتماع فيها يكون فى وقت معين.

و يتناول القرآن الكريم بعض خصائص ذلك اليوم العظيم،فيقول: يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْواجاً .

و يستفاد من آيات القرآن أنّ ثمّه نفختان عظيمتان ستحدثان باسم(نفخ الصور)..ففى النفخه الاولى سينهار كلّ عالم الوجود،و يخرّ ميتا كلّ من فى السموات و الأرض،و فى النفخه الثّانيه يتجدّد عالم الوجود و تعود الحياه إلى الأموات مرّه اخرى،ليقول بعدها يوم القيامه.

«الصور»:بوق يستعمل لإعطاء إشاره التوقف أو الحركه للقوافل أو الكتائب العسكريه و ما شابهها من الاستعمالات،و تختلف الإشاره بين المجاميع التى تستعمل البوق،كلّ حسب ما تعارف عليه.

و استعمل القرآن«الصور»ككنايه لطيفه للتعبير عن المحدثين العظيمين المذكورين أعلاه،و أمّا ما ورد فى الآيه فيختص بنفخه الصور الثّانيه،أى:نفخه القيام و إعاده الحياه (1) .

و مع أنّ الآيه أعلاه تقول: فَتَأْتُونَ أَفْواجاً ،و لكنّ الآيه(٩٥)من سوره مريم تقول: وَ كُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيامَهِ فَرْداً ،و الآيه(٧١)من سوره الإسراء تقول: يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ ،فكيف يمكن تخريج ذلك؟ يمكن جمع الآيات الثلاثه بلحاظ أنّ حشر الناس أفواجا لا- بعرض أنّ يتقدمهم إمام،و أمّا الحشر فرادى فبلحاظ ما ليوم القيامه من مواقف متعدده، حيث يمكن أن يكون ورود الناس فى المواقف الاولى على شكل أفواج مع أئمّتهم(سواء كانوا أئمّه هدى أم أئمّه ضلال)،و حينما يستقر بهم المآل سيقفون فى ساحه العدل الإلهى على شكل فرادى،كما تنقل لنا الآيه(٢١)من سوره(ق)

١- ١) -تطرقنا لهذا الموضوع بشكل مفصل فى ذيل الآيه(۶٨)من سوره الزمر،فراجع.

عن ذلک المشهد العظیم: وَ جٰاءَتْ کُلُّ نَفْسٍ مَعَهٰا سٰائِقٌ وَ شَهِیدٌ .

و ثمّه احتمال آخر فی معنی«فردا»:هو انفصال الإنسان فی ذلک الیوم عن أحبائه و متعلقیه،و لا یکون معه یومئذ إلّا ما کسبت یداه.

و تأتی الآیه الاخری لتقول: وَ فُتِحَتِ السَّمٰاءُ فَکٰانَتْ أَبْوٰاباً .

فما الأبواب؟و کیف تفتح؟ یقول البعض:إنّ المقصود بهذه الأبواب هی أبواب عالم الغیب تفتح علی عالم الشهود،و تزول الحجب و یتصل عالم الملائکه بعالم الإنسان (۱) .

و یری البعض الآخر أنّها تشیر إلی ما ورد فی آیات قرآنیه اخری،من قبیل:

إِذَا السَّمٰاءُ انْشَقَّتْ

(۲)

،و إِذَا السَّمٰاءُ انْفَطَرَتْ (۳) .

فما سیحصل من أثر ذلک الإنشقاق و الإنفطار و کأنّ النجوم و الکرات السماویه أبواب تفتحت علی مصراعیها.

و ثمّه من یذهب إلی أنّها إشاره إلی عدم استطاعه الإنسان فی هذه الدنیا من اختراق السماوات و السیر فیها،و إن استطاع فبشکل محدود جدّا و بصعوبه بالغه،و کأن أبواب السماء موصده أمامه،و لکنّ حال یوم القیامه سیتغیر تماما، حیث تری الإنسان یغوص فی أعماق السماء بعد تحرره من ممسکات الأرض، و کان أبواب السماء قد تفتحت له.

و بعباره أخری:إنّ السماوات و الأرض ستتلاشی فی ذلک الیوم ثمّ تتبدلان إلی سماء و أرض أخریین کما تشیر الآیه(۴۸)من سوره إبراهیم لذلک: یَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَیْرَ الْأَرْضِ وَ السَّمٰاوٰاتُ و عندها.ستفتح أبواب السماء أمام أهل الأرض،و یفتح الطریق للإنسان لیسلک الصالحون سبیل الجنّه فتفتح أبوابها لهم:

۱- ۱) -تفسیر المیزان،ج ۲۰،ذیل الآیه المذکوره.

۲- ۲) -الإنشقاق،۱.

۳- ۳) -الإنفطار،۱.

حَتّٰی إِذٰا جٰاؤُهٰا وَ فُتِحَتْ أَبْوٰابُهٰا وَ قٰالَ لَهُمْ خَزَنَتُهٰا سَلاٰمٌ عَلَیْکُمْ

(۱)

.

و حین یدخلون الجنّه یراد علیهم الملائکه للتهنئه: وَ الْمَلاٰئِکَهُ یَدْخُلُونَ عَلَیْهِمْ مِنْ کُلِّ بٰابٍ (۲) .

و تتفتح أبواب جهنم للکافرین کذلک: وَ سِیقَ الَّذِینَ کَفَرُوا إِلیٰ جَهَنَّمَ زُمَراً حَتّٰی إِذٰا جٰاؤُهٰا فُتِحَتْ أَبْوٰابُهٰا (۳) .

و بذلک یرد الإنسان حینها إلی عرصه واسعه کوسع السماوات و الأرض:

وَ جَنَّهٍ عَرْضُهَا السَّمٰاوٰاتُ وَ الْأَرْضُ

(۴)

.

و تأتی الآیه الأخیره لتخبرنا عن حال الجبال فی ذلک الیوم الحق: وَ سُیِّرَتِ الْجِبٰالُ فَکٰانَتْ سَرٰاباً .

بملاحظه ما جاء فی القرآن الکریم بخصوص مصیر الجبال لیوم القیامه تظهر لنا أنّ الجبال ستطویها مراحل متعاقبه،تبدأ حرکتها من: وَ تَسِیرُ الْجِبٰالُ سَیْراً (۵) .

ثمّ تحمل و تدک: وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبٰالُ فَدُکَّتٰا دَکَّهً وٰاحِدَهً (۶) .

فتکون تلالا من الرمال المتراکمه: وَ کٰانَتِ الْجِبٰالُ کَثِیباً مَهِیلاً (۷) .

فتصبح کأصواف منفوشه: وَ تَکُونُ الْجِبٰالُ کَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (۸) .

فتتحول غبارا متناثرا فی الفضاء:

۱- ۱) -الزمر،۷۳.

۲- ۲) -الرعد،۲۳.

۳- ۳) -الزمر،۷۱.

۴- ۴) -آل عمران،۱۳۳.

۵- ۵) -طور،۱۰.

۶- ۶) -الحاقه،۱۴.

۷- ۷) -المزمل،۱۴.

۸- ۸) -القارعه،۵.

وَ بُسَّتِ الْجِبالُ بَسًّا فَكانَتْ هَباءً مُنْبَثًّا

(۱)

.

و لا يبقى منها أخيرا إلّا الأثر،كما أشارت لذلك الآيه المبحوثه،و كأنّها يلوح فى الأفق،و يصبح سطح الأرض مستويا بعد أن تمحى الجبال من فوقها:

وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبالِ فَقُلْ يَنْسِفُها رَبِّى نَسْفاً فَيَذَرُها قاعاً صَفْصَفاً

(۲)

.

«السراب»:من(السرب)..هو الذهاب فى طريق منحدر،فعند ما يسير الإنسان بين المنحدرات فى الصحراء،يتراءى له من بعيد تلألؤا يظنّه ماء،و ما هو إلّا انكسار فى الأشعه يسمى(السراب)،ثمّ أطلقت كلمه السراب على كلّ ظاهر خال من المحتوى.

و بهذا تكون الآيه قد أشارت إلى بدايه حركه الجبال و نهايه أمرها،فيما تعرضت بقيه الآيات(التى ذكرناها)إلى المراحل المختلفه بين البدايه و النهايه.

فإذا كانت عاقبه الجبال على ما لها من شموخ و صلابه ستنتهى إلى غبار متناثر فى الفضاء و على صوره سراب،فما حال ذلك الإنسان الذى يتصور أنّه جبار شديد البطش عريك القوى،و لكنّه لا يستطيع أن يتحدى الجبل صلابه!...

إنّه يوم القيامه...

و لكن..هل أن هذه الحوادث تتعلق بالنفخه الاولى للصور التى تحكى عن نهايه العالم،أم هى متعلقه بالنفخه الثّانيه و التى تقوم القيامه بها؟! بلا شك أنّ الآيه: يَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْواجاً تشير إلى نفخه الصور الثّانيه،لأنّها تحكى عن إحياء الأموات و محبتهم فى عرصه المحشر أفواجا،و كذا الحال بالنسبه للحوادث المذكوره فإنّها متعلقه بنفخه الصور الثّانيه، إلّا أنّه من الممكن حمل بدايه حركه الجبال على النفخه الاولى،و نهايه(السراب) ستكون بعد النفخه الثّانيه.

۱- ۱) -الواقعه،۵ و ۶.

۲- ۲) -طه،۱۰۵ و ۱۰۶.

و يحتمل أيضا:إنّ كلّ ما تمرّ به الجبال من مراحل تتعلق بالنفخه الاولى للصور،و قد ذكرتا معا لقرب الفاصله الزمنيه ما بين النفختين،و جريا مع سياق بعض الآيات القرآنيه التى تناولت حوادث النفختين معا،كما جاء ذلك فى سورتى التكوير و الإنفطار.

و من جميل التصوير القرآنى وصفه للجبال ب«الأوتاد»و الأرض ب «المهاد»،و تأتى الآيات لتخبر عن فناء الأرض التى هى مهد الإنسان بعد ما تقتلع الجبال حينما ينفخ فى الصور،و يتناسب هذا التصوير تماما مع معارفنا،حيث أننا لو أخرجنا أوتاد أى شىء فمعنى ذلك حكمنا على ذلك الشىء بالانهيار.

***

ص :۳۴۴

الآيات [سوره النبإ (۷۸): الآيات ۲۱ الى ۳۰]

اشاره

إِنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرْصاداً (۲۱) لِلطّاغِينَ مَآباً (۲۲) لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً (۲۳) لا يَذُوقُونَ فِيها بَرْداً وَ لا شَراباً (۲۴) إِلاّ حَمِيماً وَ غَسّاقاً (۲۵) جَزاءً وِفاقاً (۲۶) إِنَّهُمْ كانُوا لا يَرْجُونَ حِساباً (۲۷) وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا كِذّاباً (۲۸) وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ كِتاباً (۲۹) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلاّ عَذاباً (۳۰)

التّفسير

اشاره

جهنّم..المرصاد الرهيب:

بعد أن بيّن القرآن الكريم فى الآيات السابقه بعض أدله المعاد و تناول قسما من حوادث يوم القيامه،يذكر فى هذه الآيات ما يؤول إليه حال المجرمين، فيقول:

إِنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرْصاداً

.

و هى: لِلطّاغِينَ مَآباً (۱) .

۱- ۱) -يوجد محذوف فى الآيه،و التقدير:(كانت للطاغين مآبا).

و أنّهم: لٰابِثِينَ فِيهٰا أَحْقٰاباً .

«المرصاد»:اسم مكان يختفى فيه للمراقبه،و يقول الراغب فى مفرداته:

«المرصد»موضع الرصد،و المرصاد نحوه،لكن يقال للمكان الذى أختص بالترصد.

و قيل:إنّه صيغه مبالغه،و يطلق على الذى يكمن كثرا للرصد،مثل «المعمار»الذى يكثر من البناء و العمران.

و المعنى الأوّل أشهر و أنسب،و لكن..من سيقوم بعمليه الرصد فى جهنّم؟ قيل:هم و ملائكه العذاب بدلاله الآيه(٧١)من سوره مريم التى تحكى عن مرور جميع الناس صالحهم و طالحهم من جانب جهنّم أو من فوقها: وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلاّٰ وٰارِدُهٰا كٰانَ عَلىٰ رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا و خلال ذلك المشهد تقوم ملائكه العذاب برصد أهل النّار و التقاتهم من بين الخلق! و أمّا لو قلنا فى تفسير الآيه بأنّها(صيغه المبالغه)فسيكون جهنّم هى المرصاد للطاغين،و تقوم بعمليه جذب أهل النّار إليها حال مرور الخلق و اقترابهم منها.و على أيه حال،فلا يستطيع أىّ من الطاغين من تخطى ذلك المعبر المحتوم،فإمّا أن تخطفه ملائكه العذاب أو تجذبه جهنّم.

«المآب»:هو محل الرجوع،و يأتى أحيانا بمعنى المنزل و المقر،و هو المقصود فى هذه الآيه.

و«الأحقاب»:جمع(حقب)على وزن(قفل)،بمعنى برهه زمانيه غير معينه، و قد قدرها بعض بثمانين عاما،و قيل سبعين،و قيل:أربعين عاما.

و على أىّ من التقادير،فثمّه مدّه معينه للبقاء فى جهنّم،و هو ما يتعارض مع ما جاء فى آيات أخر و التى تصرح بخلود أهل النّار فى جهنّم،و لذلك سعى المفسّرون لإيجاد ما يوضح هذا الموضوع.

المعروف بين المفسّرين:إنّ المقصود ب«الأحقاب»فى الآيه هو تلك

الفترات الزمانيه الطويله التى تتعاقب فيما بينها،المتسلسله بلا نهايه،فكلما تنتهى فتره تحل محلها اخرى،و هكذا.

و قد جاء فى إحدى الرّوايات...إنّ الآيه جاءت فى المذنبين من أهل الجنّه، الذين يقضون فتره فى جهنّم يتطهّرون فيها ثمّ يدخلون الجنّه،و ليست وارده فى الكافرين المخلدين فى النّار (۱) .

و تشير الآيات-بعد ذلك-إلى جانب صغير من عذاب جهنّم الأليم،بالقول:

لا يَذُوقُونَ فِيها بَرْداً وَ لا شَراباً

.

إِلاّ حَمِيماً وَ غَسّاقاً

،إلاّ ظلّ من الدخان الغليظ الخانق كما أشارت إلى ذلك الآيه(۴۳)من سوره الواقعه: وَ ظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ .

«الحميم»:هو الماء الحار جدّا،و«الغسّاق»:هو ما يقطر من جلود أهل النّار من الصديد و القيح،و فسّرها بعضهم بالسوائل ذات الروائح الكريهه.

فى حين أنّ أهل الجنّه يسقيهم ربّهم جلّ شأنه بالأشربه الطاهره،كما جاء فى الآيه(۲۱)من سوره الدهر: وَ سَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً ،حتى الأوانى التى يشربون بها و على ما لها من الرونق فهى مختومه بالمسك،كما أشارت لذلك الآيه(۲۶)من سوره المطففين: خِتامُهُ مِسْكٌ ..فانظر لعقبى الدارين! و لكن،لم هذا العذاب الأليم؟فتأتى الآيه التاليه:إنّما هو: جَزاءً وِفاقاً (۲) .

و لم لا يكون كذلك..و قد أحرقوا فى دنياهم قلوب المظلومين،و تجاوزوا بتسلطهم و ظلمهم و شرّهم على رقاب الناس دون أن يعرفوا للرحمه معنى، فجزاهم يناسب ما اقترفوا من ذنوب عظام.

و كما قلنا مرارا،إنّ الآيات القرآنيه حينما تشير إلى عقوبات يوم القيامه،إنّما تطرحها كجزاء لما اقترفت أيدى الناس بظلمهم،كما نقرأ فى الآيه(۷)من سوره

۱- ۱) -تفسير نور الثقلين،ج ۵،ص ۴۹۴،ح ۲۳ و ۲۶.

۲- ۲) -«جزاء»:مفعول مطلق لفعل محذوف تظهره قرينه الكلام،«وفاقا»:صفه الجزاء،و التقدير:يجازيهم جزاء ذا وفاق!

التحريم: يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لاٰ تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمٰا تُجْزَوْنَ مٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ، (حين تجسمت أعمالكم و حضرت أمامكم).

و يذكر القرآن سبب الجزاء فيقول: إِنَّهُمْ كٰانُوا لاٰ يَرْجُونَ حِسٰاباً .

و بعباره اخرى:إنّ عدم الإيمان بالحساب سبب للطغيان،فيكون الطغيان سببا لذلك الجزاء الأليم.

«لا يرجون»:من«الرجاء»و يأتى بمعنى«الأمل» و كذلك بمعنى«عدم الخوف»،و من الطبيعى أن يشعر الإنسان بالخوف فى حال الأمل و الانتظار،و إلّا لم يخف..فبين الأمرين تلازم،و لهذا فالذين ليس لديهم أمل و رجاء لا يحسون بخوف أيضا.

«إنّ»فى«إنّهم»:للتأكيد.و«كانوا»:للماضى المستمر.و«حسابا»:نكره جاءت بعد نفى لتعطى معنى العموم..و كل هذا البيان جاء ليبيّن أنّهم ما كانوا ينتظرون حسابا مطلقا،و ما كانوا يشعرون لا خوف من ذلك!و بعباره اخرى:إنّهم تناسوا حسابا يوم القيامه بالكليه:و لم يفرزوا له مكانا فى كلّ حياتهم!و لا جرم أنّ عاقبه أمرهم سيؤول إلى العذاب الأليم لما اقترفوه من جرائم عظمى و كبائر الذنوب.

و مباشره يضيف القرآن القول: وَ كَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا كِذّٰاباً (۱) .

فقد أحكمت الأهواء النفسانيه قبضتها عليهم حتى جعلتهم يكذبون بآيات اللّه تكذيبا شديدا،و أنكروها إنكارا قاطعا ليواصلوا أمانيهم الإجراميه باتباعهم المفرط لأهوائهم الغاربه.

و بما أنّ معنى«آياتنا»من الوسع بحيث يشمل كلّ آيات التوحيد و النبوّه و التكوين و التشريع و معجزات الأنبياء و الأحكام السنن،فعمليه تكذيب كلّ هذه

۱- ۱) -«كذّابا»-بكسر الكاف-إحدى صيغ المصدر من باب التفعيل،بمعنى التكذيب،و قال بعض أهل اللغه:إنّه مصدر ثلاثى مجرّد معادل لكذب..و على أيه حال،فهو:مفعول مطلق لكذبوا،و جاء للتأكيد.

الأدله الإلهيه فی عالم التکوین و التشریع، إنّما تستحق أشدّ العقوبات المخبر عنها فی القرآن الکریم.

ینبه القرآن الطغاه علی وجود الموازنه بین الجرم و العقاب فی العدل الإلهی، فیقول: وَ کُلَّ شَیْءٍ أَحْصَیْناهُ کِتاباً (۱) .

فلا تظنوا أنّ شیئا من أعمالکم سیبقی بلا حساب أو عقاب،و لا تساورکم الشکوک بعدم عداله العقوبات المقرره لکم.

فما أکثر الآیات القرآنیه التی تحکی عن حقیقه ضبط إحصاء کلّ ما یبدر من الإنسان،سواء کان من الأعمال الصغیره أم الکبیره،سریه أم علنیه،بل و یخضع لذلک حتی عقائد و نیّات المرء.

و فی هذا المجال،یقول القرآن: وَ کُلُّ شَیْءٍ فَعَلُوهُ فِی الزُّبُرِ وَ کُلُّ صَغِیرٍ وَ کَبِیرٍ مُسْتَطَرٌ (۲) ..و فی موضع آخر یقول: إِنَّ رُسُلَنا یَکْتُبُونَ ما تَمْکُرُونَ (۳) ..

و فی مکان آخر یقول: وَ نَکْتُبُ ما قَدَّمُوا وَ آثارَهُمْ (۴) .

و لذلک یصرخ المجرمون بالقول: یا وَیْلَتَنا ما لِهذَا الْکِتابِ لا یُغادِرُ صَغِیرَهً وَ لا کَبِیرَهً إِلاّ أَحْصاها (۵) ،حینما یستلمون کتابهم الحاوی علی کلّ ما فعلوه فی الحیاه الدنیا.

و ممّا لا شک فیه،أنّ إدراک حقیقه الآیات الرّبانیه بکامل القلب،سوف یدفع الإنسان لأنّ یکون دقیقا فی جمیع أعماله،و سیکون اعتقاده الجازم بمثابه السدّ المنیع بینه و بین ارتکاب الذنوب،و من العوامل المهمّه و المؤثره فی العملیه التربویه.

---

۱ - ۱) -«کلّ»:مفعول به لفعل مستتر یدل علیه الفعل«أحصیناه».و«کتابا»:مفعول مطلق لأحصینا،لأنّه بمعنی کتبنا،و اعتبره البعض:حالا.

۲- ۲) -القمر،۵۲ و ۵۳.

۳- ۳) -یونس،۲۱.

۴- ۴) -سوره یس،۱۲.

۵- ۵) -الکهف،۴۹.

و يتغيّر لحن الخطاب فى الآيه الأخيره من الآيات المبحوثه،فينتقل من التكلم عن الغائب إلى مخاطبه الحاضر:و يهدد القرآن بنبرات غاضبه أولئك المجرمين،و يقول: فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلاّ عَذاباً .

فصرخاتكم ب«يا وليتنا»و طلبكم العوده إلى الدنيا لإصلاح ما أفسدتم،لن ينفعكم،و كل ما ستنالونه هو الزياده فى العذاب و لا من مغيث.

و هذا هو جزاء أولئك الذين يواجهون دعوات الأنبياء الداعيه إلى اللّه و الإيمان و التقوى،بقولهم: سَواءٌ عَلَيْنا أَ وَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْواعِظِينَ (۱) .

و هذا هو جزاء الذين ينفرون من سماع و استماع ما تتلى عليهم من آيات اللّه،كما قال تعالى: وَ ما يَزِيدُهُمْ إِلاّ نُفُوراً (۲) .

و أخيرا..فالعذاب الأليم جزاء كلّ من لا يتورع عن اقتراف الذنوب،و لا يسعى صوب الأعمال الصالحه.

حتى

روى عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال: «هذه الآيه أشدّ ما فى القرآن على أهل النّار» (۳) .

كيف لا..و هى التى تحمل بين ثناياها الغضب الإلهى،و تسدّ كلّ أبواب الأمل للخلاص من جهنّم،و لا تعد أهل النّار إلّا زياده فى العذاب.

***

۱- ۱) -الشعراء،۱۳۶.

۲- ۲) -الإسراء،۴۱.

۳- ۳) -تفسير الكشّاف،ج ۴،ص ۶۹۰؛و تفسير روح البيان،ج ۱۰،ص ۳۰۷؛و تفسير الصافى فى ذيل الآيه المذكوره.

الآيات [سوره النبإ (۷۸): الآيات ۳۱ الى ۳۷]

اشاره

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفازاً (۳۱) حَدائِقَ وَ أَعْناباً (۳۲) وَ كَواعِبَ أَتْراباً (۳۳) وَ كَأْساً دِهاقاً (۳۴) لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً وَ لا كِذّاباً (۳۵) جَزاءً مِنْ رَبِّكَ عَطاءً حِساباً (۳۶) رَبِّ اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُمَا اَلرَّحْمنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطاباً (۳۷)

التّفسير

اشاره

ممّا وعد اللّه المتقين:

كان الحديث فى الآيات السابقه منصبا حول خاتمه المجرمين و الطغاه و ما يلاقونه من أليم العذاب و موجباته،و ينتقل الحديث فى الآيات أعلاه لتفصيل بعض ما وعد اللّه المؤمنين و المتقين من النعم الخالده و الثواب الجزيل،عسى أن يرعوى الإنسان و يتبع طريق الحق من خلال مقايسته لما يعيشه كلّ من الفريقين، على ضو تفكيره بمصيره الأبدى.

و كذا هو الحال فى الاسولب القرآنى،كما فى بقيه السور الاخرى،فهو يضع متضادات الحالات و الأحوال فى طبق واحد،ليتمكن الإنسان بسهوله من اكتشاف خصائص و شؤون أيّا منها.

فيقول،مبتدء الحديث: إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفازاً .

«المفاز»:اسم مكان،أو مصدر ميمى من(الفوز)بمعنى الوصول إلى الخير بسلام،و يأتى بمعنى النجاه أيضا و هو من لوازم المعنى الأوّل.

و قد جاءت«مفازا»بصيغه النكره للإشاره إلى الفتح العظيم و الوصول إلى خير و سعاده لا يعلم قدرهما إلّا اللّه عزّ و جلّ.

و من مفردات الفوز و السعاده: حَدائِقَ وَ أَعْناباً (۱) .

«الحدائق»:جمع«حديقه»،و هى قطعه أرض مزروعه بالورود و الأشجار و محاطه بسور لحفظها،و يقول الراغب فى مفرداته«الحديقه»قطعه من الأرض ذات ماء، سمّيت تشبيها بحدقه العين فى الهيئه و حصول الماء فيها.

أمّا ذكر«العنب»دون بقيه الفواكه فلما له من مزايا تفضله على بقيه الفواكه، و يقول علماء التغذيه فى هذا المجال:إضافه لكون العنب غذاء كاملا- من حيث الخاصيه الغذائيه الموجوده فيه و التى تشبه حليب الام فى كونه ثرى بالمواد الغذائيه اللازمه للإنسان،إضافه لكل هذا،فهو يعطى للبدن ضعف ما يعطيه اللحم من سعرات حراريه،حتى وصف بصيدليه متكامله لما يحويه من مواد مفيده.

و من خواص و فوائد العنب،أنّه:مقاوم للسموم،مفيد لتصفيه الدم،يقى من الروماتيزم و النقرس،مضاد فعّال ضد زياده السموم الحاصله فى الدم،مقو للأعصاب و منشط و يعطى للإنسان القوّه و القدره الكافيه لما فيه من كميات مناسبه لأنواع(الفيتامينات).

و

قد روى عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى خصوص العنب أنّه قال:«خير فواكهكم العنب».

و يتطرق القرآن إلى نعمه اخرى ممّا وعد اللّه به المتقين فى الجنّه،فيقول:

وَ كَواعِبَ أَتْراباً

.

۱- ۱) -«الحدائق»:بدل«مفازه»،أو عطف بيان لها.

«الكواعب»:جمع«كاعب»،و هى البنت حديثه الثدى،للإشاره إلى شباب زوجات المتقين فى الجنّه.

«الأـتراب»:جمع«ترب»،و يطلق على مجموعه الأـفراد المتساويين فى العمر،و استعماله فى الإناث أكثر،قيل:إنّها من«الترائب»و هى:أضلاع الصدر، و ذلك لما بينهما من شبه من حيث التساوى و التماثل.

و يحتمل أن يكون المراد من«أتراب»التساوى بين نساء أهل الجنّه فى العمر،فيكون شابات متساويات فى القد و القامه و الجمال،أو تساوى العمر بينهن و بين أزواجهن من المؤمنين،لأـنّ للتساوى فى العمر له أثره النفسى على إدراك مشاعر الطرف الآخر.إلّا أن المعنى الأوّل أكثر تناسبا.

و تأتى النعمه الرابعه: وَ كَأْساً دِهاقاً .

شراب ليس كأى شراب،فلا يهب بالعقول و لا يحدر الإنسان إلى دركات الحيوانيه،بل هو مذك للعقل،منشط للروح و منعش للقلب.

«الكأس»:هو القدح المملوء بالشراب،و قد يطلق على القدح دون الشراب أو على شراب القدح.

«دهاقا»:بمعنى الامتلاء،عند أكثر المفسّرين و أهل اللغه،لكنّ(ابن منظور) قد ذكر معنيين آخرين هما:التتابع على شاربيها،صافيه.

و عليه..فيمكن حمل معنى الآيه،على ضوء ما ذكر من معان،على أنّ لأهل الجنّه أقداح مملوءه بشراب زلال طاهر.

و دفعا لما يتبادر إلى الأذهان من تبعات شراب الدنيا الشيطانى، يقول القرآن: لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً وَ لا كِذّاباً .

إنّ شراب الدنيا..يذهب العقل،يفقد الإحساس،يوقع شاربه بالهذيان و اللغو..و أمّا شراب الآخره فنفحاته الطاهره تضفى على العقل و الروح نورا و صفاء.

و ثمّه احتمالات بخصوص ضمير«فيها».

الأوّل:إنّه يعود إلى الجنّه.

الثّانى:إنّه يعود إلى الكأس.

فعلى الاحتمال الأوّل،يكون معنى الآيه إنّ أهل الجنّه لا يسمعون فيها لغوا، كما جاء فى الآيتين(١٠ و ١١)من سوره الغاشيه: فِي جَنَّةٍ عالِيَةٍ لا تَسْمَعُ فِيها لاغِيَةً .

و على الاحتمال الثّانى،يكون معنى الآيه:إنّه سوف لا يصدر اللغو و الهذيان و الكذب من أهل الجنّه بعد شرابهم ما فى كأس الجنّه من شراب،كما جاء فى الآيه(٢٣)من سوره الطور: يَتَنازَعُونَ فِيها كَأْساً لا لَغْوٌ فِيها وَ لا تَأْثِيمٌ .

و على أيّه حال،فالجنّه خاليه من:الأكاذيب،الهذيان،التهم،الافتراءات، تبرير الباطل،بل و كلّ ما كان يؤذى قلوب المتقين فى الحياه الدنيا..إنّها الجنّه! و خير تصوير لها ما جاء فى الآيه(٦٢)من سوره مريم: لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً إِلاّ سَلاماً .

و فى آخر المطاف يذكر القرآن الكريم تلك النعمه المعنويه التى تفوق كلّ النعم علوّا: جَزاءً مِنْ رَبِّكَ عَطاءً حِساباً . (١)

و أيّه بشاره و نعمه أسمى و أجل،من أن أكون و أنا العبد الضعيف،موضع ألطاف و إكرام اللّه جلّ و علا،فيطعمنى و يكسونى و يغرف علىّ بنعمه التى لا تحصى عددا و لا تضاهى حبّا و كرما،و فطوبى للمؤمنين فى دار الخلد و هم منعمون بكل ما لذّ و طاب.

و التعبير بكلمه«ربّ»مع ضمير المخاطب،و كلمه«عطاء»،لتبيان ما أودع من لطف خاص فى النعم التى وعد بها أهل التقوى.

١- ١) -«جزاء»:حال لإعطاء النعم التى ذكرت فى الآيات السابقه،فيكون التقدير:أعطاهم جميع ذلك جزاء من ربّك،و احتمل البعض:إنّه مفعول مطلق لفعل محذوف،و اعتبره آخرون:إنّه مفعول لأجله،لكنّ التّفسير الأوّل أقرب.

«حسابا»:یعتقد الکثیر من المفسّرین إن معناها هنا(کافیا):من أحسبه الشیء إذا کفاه حتی قال حسبی (۱) .

و

روی عن أمیر المؤمنین علیه السّلام أنّه قال: «حتی إذا کان یوم القیامه حسب لهم حسناتهم ثمّ أعطاهم بکل واحده عشر أمثالها إلی سبعمائه ضعف،قال اللّه عزّ و جلّ: جَزٰاءً مِنْ رَبِّکَ عَطٰاءً حِسٰاباً » (۲) .

و نستفید من الروایه المذکوره أنّ نعم اللّه فی الآخره و إن کانت بصفه الفضل.

و اللطف و الزیاده،إلّا أن مقدمتها الأعمال الصالحه التی یقوم بها الإنسان فی حیاته الدنیا،و علیه..فیمکن تفسیر«حسابا»فی الآیه بمعنی(الحساب)،و لا مانع من إراده کلا المعنیین-فتأمل.

و فی آخر آیه من الآیات المبحوثه،یضیف: رَبِّ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مٰا بَیْنَهُمَا الرَّحْمٰنِ .

نعم:إنّه مالک العالم،و مدبّر ما فیه،و موجه کلّ حرکاته و سکناته،إنّه الرحمن الذی شملت رحمته کلّ شیء،و هو واهب الصالحین ما وعدهم به القرآن الکریم.

و بما أنّ صفه«الرحمن»تشمل رحمه اللّه العامّه لکلّ خلقه،فیمکن حمل إشاره الآیه إلی أنّ اللّه تبارک و تعالی یشمل برحمته أهل السماوات و الأرض فی الحیاه الدنیا،إضافه لما وعد به المؤمنین من عطاء دائم فی الجنّه.

و ذیل الآیه،یقول: لاٰ یَمْلِکُونَ مِنْهُ خِطٰاباً .

و یمکن شمول«لا یملکون»جمیع أهل السماوات و الأرض،أو جمیع المتقین و العاصین الذین یجمعون فی عرصه المحشر للحساب و الجزاء.

و علی أیّ القولین..فالآیه تشیر إلی عدم القدره علی الاعتراض أو الردّ من قبل کلّ المخلوقات أمام محکمه العدل الإلهی،لأنّ حسابه جلّ اسمه من الدقّه

۱- ۱) -تفسیر البیضاوی فی ذیل الآیه المبحوثه.

۲- ۲) -تفسیر نور الثقلین،ج ۵،ص ۴۹۵،ح ۲۹.

و العدل و اللطف ما لا يفسح المجال أمام أى اعتراض.

بل و لا يسمح فى ذلك اليوم بالتشفع لأىّ كان إلاّ بإذن خاص منه جلّت عظمته،و هو ما تشير إليه الآيه(۲۵۵)من سوره البقره: مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاّ بِإِذْنِهِ .

***

بحثان

اشاره

۱-ثواب المتقين و عقاب العاصين

يلاحظ ثمّه مقايسه بين الآيات المبحوثه و ما سبقها من آيات..فقد تحدثت الآيات السابقه عن نوعين من الجزاء لكلّ من المجرمين و المؤمنين،فالآيات محل البحث تحدثت عن بعض ما للمؤمنين من ثواب و نعيم،و فيما تقدمها من آيات تحدثت عن بعض ما للمجرمين من عقوبات.

فهنا تحدثت عن«المفاز»و هناك عن«المرصاد»...

و هنا تحدثت عن«حدائق و أعنابا»و هناك عن التخبط بالعذاب إلى مدّه لا متناهيه«أحقابا»...

و هنا كان الحديث عن«الشراب الطهور»و هناك عن الماء الحارق«حميما و غساقا»...

و هنا تحدثت الآيات عن عطايا و مواهب«الرحمان»،و هناك عن الجزاء العادل«جزاء وفاقا»...

و هنا الحديث عن زياره«النعمه»و هناك زياده«العذاب»...

و الخلاصه:إنّ هذين الفريقين يقعان فى قطبين متنافرين من كلّ الجهات نتيجه لما كانا يعيشانه فى الحياه الدنيا من تنافر و تباعد من حيث الإيمان و العمل.

۲-أشربه الجنّه!

أوردت الآيات الشريفه أوصافا متنوعه لأشربه الجنّه،و يظهر أنّ لشاربيها من اللذّه الروحيه المعنويه ما لا يمكن وصفه أو خطّه بقلم.

فالآيه(۲۱)من سوره الدهر،تصفه بالطهور: وَ سَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً .

و الآيات(۴۵-۴۷)من سوره الصافات،تصفه بالزلال و اللذّه و الصفاء،و أنّه لا يؤدى لأذى و لا يذهب بالعقول: يُطافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ بَيْضاءَ لَذَّةٍ لِلشّارِبِينَ لا فِيها غَوْلٌ وَ لا هُمْ عَنْها يُنْزَفُونَ .

و الآيه(۵)من سوره الدهر،تصفه بأنّه مخلوط بماده بارده ملطفه(الكافور):

يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُوراً .

و الآيه(۱۷)من سوره الدهر،تقول عنه بأنّه مخلوط بالزنجبيل: وَ يُسْقَوْنَ فِيها كَأْساً كانَ مِزاجُها زَنْجَبِيلاً .

و جاء فى الآيات المبحوثه: وَ كَأْساً دِهاقاً أى:زلالا صافيا.

و فوق كلّ هذا و ذاك،فمن هو الساقى...إنّه اللّه تعالى!!يسقيهم بيد قدرته و على بساط رحمته،تقول الآيه(۲۱)من سوره الدهر: وَ سَقاهُمْ رَبُّهُمْ.. .

اللّهمّ!اشملنا بعفوك،و اسقنا من فيض شربك يا أرحم الراحمين...

***

الآيات [سوره النبإ (۷۸): الآيات ۳۸ الى ۴۰]

اشاره

يَوْمَ يَقُومُ اَلرُّوحُ وَ اَلْمَلاٰئِكَهُ صَفًّا لاٰ يَتَكَلَّمُونَ إِلاّٰ مَنْ أَذِنَ لَهُ اَلرَّحْمٰنُ وَ قٰالَ صَوٰاباً (۳۸) ذٰلِكَ اَلْيَوْمُ اَلْحَقُّ فَمَنْ شٰاءَ اِتَّخَذَ إِلىٰ رَبِّهِ مَآباً (۳۹) إِنّٰا أَنْذَرْنٰاكُمْ عَذٰاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنْظُرُ اَلْمَرْءُ مٰا قَدَّمَتْ يَدٰاهُ وَ يَقُولُ اَلْكٰافِرُ يٰا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرٰاباً (۴۰)

التّفسير

اشاره

الندم الشديد:

رأينا فى الآيات السابقه أنّها تحدثت عن بعض عقوبات الظالمين و الطواغيت،و بعض المواهب و النعم و المتعلقه بالصالحين في يوم القيامه، و تتناول الآيات أعلاه بعض الصفات و حوادث يوم القيامه،و تشرع بالقول ب يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلائِكَهُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ إِلاّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَ قالَ صَواباً (۱) .

و بلا شك فإنّ قيام الروح و الملائكه صفّا يوم القيامه،و عدم تكلمهم إلّا بإذنه سبحانه،إنّما هو مثالا للأوامر الإلهيه و طاعه،كما هو حالهم قبل قيام القيامه،فهم

---

۱ - ۱) -«يوم»ظرف متعلق بفعل«لا يملكون»-حسب اعتقاد كثير من المفسّرين-و ثمّه احتمال آخر:إنّه متعلق بكل ما جاء فى الآيات السابقه،فيكون التقدير:(كل ذلك يكون يوم يقوم الروح).

بأمره يعملون و لكنّ فى يوم القيامه سيتجلّى امتثالهم للّه أكثر و بشكل أوضح.

أمّا عن المقصود بكلمه«الروح»فقد بسط المفسّرون فى كتبهم تفاسير كثيره،حتى وصل معناها فى بعض التفسير إلى ثمانيه احتمالات (۱) ..و إليك أهم ما قيل فيه:

۱-هو مخلوق من غير الملائكه و أعظم منها.

۲-هو أمين الوحى الإلهيه جبرائيل أشرف الملائكه.

۳-هو أرواح أناس يقومون مع الملائكه.

۴-هو ملك عظيم الشأن،و أشرف من جميع الملائكه قاطبه(حتى جبرائيل):و هو الذى يصاحب الأنبياء و الأوصياء عليهم السّلام على الدوام.

و قد جاءت كلمه«الروح»فى القرآن الكريم بصور شتى..فتاره تأتى مجرّده عن أيّه قرينه،و غالبا ما تأتى فى قبال الملائكه،كقوله تعالى:فى الآيه(۴) من سوره المعارج: تَعْرُجُ الْمَلائِكَهُ وَ الرُّوحُ إِلَيْهِ ،و فى الآيه(۴)من سوره القدر: تَنَزَّلُ الْمَلائِكَهُ وَ الرُّوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ .

و نلاحظ أنّ ذكر كلمه«الروح»فى الآيتين أعلاه قد جاء بعد ذكر «الملائكه»،فى حين جاء ذكرها فى الآيات المبحوثه قبل«الملائكه»...و يمكن حمل هذا التغاير على باب ذكر العام بعد الخاص،أو ذكر الخاص قبل العام.

و ذكرت كذلك كلمه«الروح»مع الإضافه،أو صيغه الوصف المقارن ك «روح القدس»كما جاء فى الآيه(۱۰۲)من سوره النحل: قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ،و ك«الروح الأمين»كما جاء فى الآيه(۱۹۳)من سوره الشعراء نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ .

و قد أضاف سبحانه و تعالى صفه«الروح»إلى ذاته المقدسه،كما فى الآيه

۱- ۱) -تفسير القرطبى،ج ۱۰،ذيل الآيه المبحوثه.

(۲۹)من سوره الحجر: وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِی ،و الآیه(۱۷)من سوره مریم:

فَأَرْسَلْنا إِلَيْها رُوحَنا .

و کما هو ظاهر أنّ لکلمه«الروح»فی القرآن معان متفاوته،و قد تطرقنا لمعانیها حسب ورودها فی الآیات.

و أقرب ما یمکن التعویل علیه من معانی«الروح»فی الآیه المبحوثه هو کونه أحد ملائکه اللّه العظام، و الذی یبدو من بعض الآیات أنّه أعظم من جبرائیل و بدلاله ما

روی عن الإمام الصادق علیه السّلام قوله: «هو ملک أعظم من جبرائیل و میکائیل» (۱) .

و جاء فی تفسیر علی بن إبراهیم:«الروح ملک أعظم من جبرائیل و میکائیل و کان مع رسول اللّه و هو مع الأئمّه» (۲) .

و جاء فی تفاسیر أهل السنه،

إنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: «الروح جند من جنود اللّه لیسوا بملائکه لهم رؤوس و أیدی و أرجل،ثمّ قرأ: یَوْمَ یَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلائِکَهُ صَفًّا ،قال:هؤلاء جند و هؤلاء جند» (۳) .

(و قد بحثنا موضوع روح الإنسان و تجرّدها و استقلالها بشکل مفصل فی ذیل الآیه(۸۵)من سوره الإسراء-فراجع).

و علی أیّه حال،فسواء کان«الروح»من الملائکه أو من غیرهم،فإنّه سیقف یوم القیامه مع الملائکه صفّا بانتظار أوامر الخالق سبحانه،و سیکون هول المحشر بشکل بحیث لا یقوی أیّ من الخلق للتحدث معه،و الذین سیتکلمون أو یشفعون لا یقومون بذلک إلّا بعد إذنه جلّ شأنه، و ما واقع الکلام إلّا حمد اللّه و ثناؤه أو التشفع لمن هم أهلا للشفاعه.

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۴۲۷.

۲- ۲) -تفسیر علی بن إبراهیم،ج ۲،ص ۴۰۲.

۳- ۳) -تفسیر الدر المنثور،ج ۶،ص ۳۰۹.

و

قد روى أنّه حينما سئل الإمام الصادق عليه السّلام عن هذه الآيه،قال:«نحن و اللّه المأذون لهم يوم القيامه و القائلون».

فقال الراوى:و أىّ شىء تقولون؟ فقال عليه السّلام:«نمجد ربّنا،و نصلّى على نبيّنا،و نشفع لشيعتنا،فلا يردنا ربّنا» (۱) .

و نستفيد من هذه الروايه:إنّ الأنبياء و الأئمّه عليهم السّلام سيقفون صفّا يوم القيامه مع الملائكه و الروح،و سيكونون من المأذون لهم فى الكلام و الشفاعه،و سيكون حديثهم منصبّا حول الذكر و الثناء و التسبيح للبارى عزّ و جلّ.

ثمّ إنّ وصف قولهم بكلمه«صوابا»للدلاله على أنّهم لا يشفعون إلّا لمن ملك مقدمات الشفاعه و التى لا تتعارض و الحساب (۲) .

و يشير القرآن واصفا ذلك اليوم الذى يقوم فيه الناس و الملائكه أجمعون يوم الفصل،يوم عقاب العاصين و ثواب المتقين،يشير بقوله: ذٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ .

«الحقّ»:هو الأمر الثابت واقعا،و الذى تحققه قطعى.و هذا المعنى ينطبق تماما على يوم القيامه،لأنّه سيعطى كلّ إنسان حقّه،إرجاع حقوق المظلومين من الظالمين،و تتكشف كلّ الحقائق التى كانت مخفيه على الآخرين..فانّه بحق:يوم الحقّ،و بكل ما تحمل الكلمه من معنى.

و إذا ما التفت الإنسان إلى هذه الحقيقه(حقيقه يوم القيامه)فسيتحرك بدافع قوى نحو اللّه عزّ و جلّ للحصول على رضوانه سبحانه بامتثال أوامره تعالى..

و لهذا يقول القرآن مباشره: فَمَنْ شٰاءَ اتَّخَذَ إِلىٰ رَبِّهِ مَآباً .

فجميع مستلزمات التوجه و الحركه نحو اللّه متوفره بعد أن بيّن طريق الحقّ

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۴۲۷.

۲ - ۲) -بحثنا مسأله«الشفاعه»من حيث:شروطها،خصائصها و فلسفتها،مع الإجابه على الإشكالات الوارده بشأنها فى تفسير الآيه(۴۸)من سوره البقره.

و أشار إلى معالم سبل الشيطان،بلغ اللّه أوامره بواسطه الأنبياء و الرسل و بالقدر الكافى،أودع فى الإنسان العقل(النّبى الباطن)،رغّب للمتقين بالمفاز،أنذر المجرمين عذابا أليما،عيّن يوما لمحكمه العدل الإلهى بيّن أسلوب المحاكمه، و لم يبق للإنسان سوى اختيار ما يتخذه إلى ربّه مآبا،و بمحض إرادته.

و«المآب»:هو محل رجوع،و يأتى أيضا بمعنى«الطريق».

ثمّ يؤكّد القرآن على مسأله عقاب المجرمين الذين يتوهمون أنّه يوم بعيد أو نسيئه،يقول القرآن..إنّ عقاب المجرمين لواقع،و يوم القيامه لقريب: إِنّا أَنْذَرْناكُمْ عَذاباً قَرِيباً .

و ما عمر الدنيا بكامله إلاّ ساعه من زمن الآخره الخالد،و كما قيل:(كل ما هو آت قريب)،و تقول الآيات(۵-۷)من سوره المعارج،فى هذا المجال:

فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَ نَراهُ قَرِيباً .

و

يقول أمير المؤمنين عليه السّلام: «كل آت قريب دان» (۱) .

و لم لا يكون قريبا ما دام الأساس فى العذاب الإلهى هو نفس أعمال الإنسان و التى هى معه على الدوام: وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَهٌ بِالْكافِرِينَ (۲) .

و بعد أن وجّه الإنذار للناس،يشير القرآن إلى حسره الظالمين و المذنبين فى يوم القيامه،حين لا ينفع ندم و لا حسره،إلاّ من أتى اللّه بقلب سليم: يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ ما قَدَّمَتْ يَداهُ وَ يَقُولُ الْكافِرُ يا لَيْتَنِى كُنْتُ تُراباً .

و ذهب بعض المفسّرين أنّ كلمه«ينظر»فى الآيه بمعنى«ينتظر»،و المراد:

انتظار الإنسان يوم القيامه لجزاء أعماله.

و فسّرها بعض آخر ب:النظر فى صحيفه الأعمال.

و قيل:النظر إلى ثواب و عقاب الأعمال.

۱- ۱) -نهج البلاغه،الخطبه ۱۰۳.

۲- ۲) -العنكبوت،۵۴.

و كل ما ذكر مبنى على إهمال مسأله حضور و تجسّم الأعمال فى يوم القيامه،و معه ينتفى أىّ دور للتأويلات المذكوره.

و بنظره إلى الآيات القرآنيه و الروايات و الأحاديث الشريفه يتبيّن لنا أنّ أعمال الإنسان تتجسم فى هذا اليوم بصوره معينه،و تظهر للإنسان فينظر إليها على حقيقتها فيسّر و يفرح عند رؤيته لأعماله الصالحه،و يتألم و يتحسر عن رؤيته لأعماله السيئه.

و أساسا فإنّ تجسّم الأعمال و مرافقتها للإنسان من أفضل المكافآت للمطيعين و أشدّ عقوبه للعاصين.

كما نجد فى الآيه(۴۹)من و سوره الكهف: وَ وَجَدُوا مٰا عَمِلُوا حٰاضِراً ، و كذا فى آخر سوره الزلزال: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّهٍ خَيْراً يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّهٍ شَرًّا يَرَهُ .

فى جمله«ما قدمت يداه»تغليب،لأنّ كل إنسان يؤدى أعماله غالبا بيديه، و لكنه لا يعنى الحصر،بل يشمل جميع ما ارتكبته الجوارح من لسان و عين و اذن، فى الحياه الدنيا.

و ينبه القرآن الناس قبل تحقق ذلك اليوم: وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ مٰا قَدَّمَتْ لِغَدٍ (۱) .

و على أيّه حال،فحينما يرى الكفّار أعمالهم مجسمه أمامهم سيهالهم الموقف و تصيبهم الحسره و الندامه، حتى يقولون يا ليتنا لم نتجاوز منذ البدايه مرحله التراب فى خلقنا،و عند ما خلقنا فى الدنيا،ثمّ متنا و تحولنا إلى التراب،فيا ليتنا بقينا على تلك الحال و لم نبعث من جديد! فهم يعلمون بأنّ التراب بات خيرا منهم،لأنّه:تغرس به حبّه واحده فيعطى سنابلا،و هو مصدر غنى للمواد الغذائيه و المعدنيه و البركات الاخرى،مهد لحياه

۱- ۱) -الحشر،۱۸.

الإنسان،و مع ما له من فوائـد جمّه فهو لا يضـرّ قط،بعكس ما كانوا عليه فى حياتهم،فرغم عـدم صدور أيّه فائده منهم،فليس فيهم إلاّ ـ الضـرر و الأـذى! نعم،فقـد يصـل الأمر بالإنسان،و على الرغم من كونه أشـرف المخلوقات، لأنّ يتمنى أن يكون و الجمادات بـدرجه واحـده،لمـا بـدر منه كفر و ذنوب! و تصور لنـا الآيات القرآنيه أحوال الكافرين و المجرمين،و شـدّه تأثرهم و تأسـفهم و ندمهم على ما فعلوا فى دنياهم،يوم الفزع الأكبر،فتقول الآيه(۵۶) من سوره الزمر: يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ فِى جَنْبِ اللّهِ .

و تقول الآيه(۱۲)من سوره السجده: فَارْجِعْنا نَعْمَلْ صالِحاً .

أو ما يقوله كل فرد منهم-كما جاء فى الآيه المبحوثه- يا لَيْتَنِى كُنْتُ تُراباً .

***

بحث

اشاره

النظره الصائبه لمسأله«الجبر و الإختيار»

!! تعتبر مسأله(الجبر و الإختيار)من أقدم المسائل المبحوثه بين أوساط العلماء،يرى فبعضـهم حريه اختيار الإنسان،و منهم من يرى بأنّ الإنسان مجبور فى أعماله،و كلّ منهما يمتلك جمله من الأدله التى أوصلته لما يرى.

و من اللطيف أنّ كلا الفريقين،يقبلون عمليا بأنّ الإنسان مختار فى أفعاله.

و بعباره أخرى:إنّ البحث و النقاش الـدائر بين العلماء لا يتعـدى دائره البحث العلمى،أمّا على الصـعيد العملى فالكل متفقون على حريه الإختيار للإنسان.

و هـذا يظهر لنـا بوضوح بـأنّه أصـل حريه الإـراده و الإختيـار من الأـصول الـتى انطوت عليهـا الفطره الإنسـانيه،و لولاـ الوسـاوس المختلفه لا تفق الجميع على حقيقه حريه الإراده فى الإنسان.

إنّ الوجدان النوعی و الفطره الإنسانیه عموما من أوضح أدله الإختیار،و قد تجلت بصور متنوعه فی حیاه لإنسان.

و علیه..فإذا کان الإنسان لا یقبل بالاختیار و یعتبر نفسه مجبورا فی أعماله فلما ذا إذن:

۱-یندم علی بعض الأعمال التی یقوم بها أو لم ینجزها،و یضع تجربته کعبره لیعتبر به مستقبلا،فإذا لم یکون مختارا،فلما ذا الندم؟! ۲-یلام و یوبّخ کلّ من یسیء،فلما ذا یلام إن کان مجبورا فی فعله؟! ۳-یمدح و یحترم صاحب العمل الصالح.

۴-یسعی الناس جاهدین لتربیه و تعلیم أبنائهم لیضمنوا لهم مستقبلا زاهرا، و إذا کانت الأعمال جبریه،فلما ذا هذا التعلیم.

۵-یسعی العلماء قاطبه لرفع المستوی الأخلاقی فی المجتمع؟ ۶-یتوب الإنسان علی ما فعل من ذنوب،أو هل للجبر من توبه؟! ۷-یتحسر الإنسان علی تقصیره فیما یطلب منه؟ ۸-یحاکم المجرمون و المنحرفمون فی کل دول العالم،و یحقق معهم حسب قوانینهم؟ ۹-تضع جمیع الأمم(المؤمنه أم الکافره)العقوبات للمجرمین؟ ۱۰-من یقول بالجبر یصرخ متغنیا فی وجه المحاکم لمعاقبه من اعتدی علیه؟ و الخلاصه:إن لم یکن للإنسان اختیار،فما معنی الندم؟و لماذا یلام و یوبخ؟ أمن العقل أن یلام الإنسان علی فعل فعله قهرا؟!ثمّ لماذا یمدح أهل الخیر و الصلاح؟فإن کان ما فعلوه خارج عن إرادتهم فلا معنی لتشجیعهم.

و القبول بوجود تأثیر للتربیه و التعلیم علی سلوک الإنسان یفقد(الجبر)معناه تماما،و کذا الحال بالنسبه للمسائل الأخلاقیه،فلا مفهوم لها بدون الاعتراف أولا

بحريه الإنسان...

ثمّ إن كنّا قـد جعلنا على أعمالنا جبرا،فهل يبق للتوبه من معنى؟!و لم الحسـره و الحال هذه؟!بل إنّ محاكمه الظالم ظلم واضح،و الأـكثر ظلمـا معـاقبته؟!! و كـلّ ما ذكر يـدلل على أنّ حريه الإراده و عـدم الجبر أصل تحكم به الفطره الإنسانيه،و هو ما ينسـجم تمامـا و الوجـدان البشـرى العـام،و الكـل يعمـل على ضوء هـذا الأصـل، و لا فرق فى ذلك بين عوام الناس أو خواص العلماء و الفلاسفه،و لا يستثنى من ذلك حتى الجبريين أنفسهم،و كما قيل فى هذا الجانب:(الجبريون اختياريون من حيث لا يعلمون).

و القرآن الكريم حافل بما يؤكّد هذه الحقيقه،و نظرا لكثره الآيات التى تؤكّد على حريه إراده الإنسان-مضافا الى الآيه المبحوثه: فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ مَآباً -سنكتفى بذكر ثلاث آيات من القرآن الحكيم.

ففى الآيه(٣)من سوره الدهر: إِنّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ إِمّا شاكِراً وَ إِمّا كَفُوراً .

و فى الآيه(٢٩)من سوره الكهف،يقول تعالى: فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ مَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ .

و جاء فى الآيه(٢٩)من سوره الدهر أيضا: إِنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَهٌ فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا .

الحـديث حول(الجبر و التفويض)طويل جـدّا،و قد كتبت فى ذلك كتب و مقالات عديده،و ما ذكرناه لا يتعدى كونه إلقاء نظره سريعه و مختصـره على ضوء(القرآن)و(الوجدان)،و نختم الحديث بذكر ملاحظه مهمّه و هى:إنّ الدوافع النفسيه و الاجتماعيه قد اختلطت مع الاستدلال الفلسفى عند الكثيرين ممن يقولون بالجبر.

فكثير ممن اعتقـدوا بـالجبر،أو(القضاء و القـدر)بمعناه الجبرى إنّما توسـلوا به للفرار من المسؤوليه:أو أنّهم جعلوها غطاء لفشـلهم الناتج عن تقصيرهم

و تساهلهم فی أداء وظائفهم،أو جعلوها مبررا لاتباع أهوائهم و نزواتهم الشیطانیه.

استغل المستعمر-فی بعض الأحیان-هذه المقوله،و جدّ علی نشر و تأکید هذه العقیده الباطله لتحکیم سیطرته علی الرقاب،بعد أن یوهم الناس بأنّهم مجبورون من قبل اللّه علی أن یعیشوا تحت سطوه الحاکم الموجود قضاء و قدرا لیأمن المستعمر من المقاومه،یکسب رضاهم و تسلیمهم له! فالاعتقاد بهذا الرأی...یعنی تبریر کلّ ما یقوم به الطغاه و الجناه،و تبریر جمیع ذنوب المذنبین،و بالنتیجه:لا یبقی فرق بعد بین الصالح و الطالح،و المطیع و العاصی!!...

اللّهمّ!قنا من السقوط فی زلل العقائد المنحرفه..

اللّهمّ!أنت المأمول و المرتجی یوم تکون جهنّم للطاغین مرصادا،و الجنّه للمتقین مفازا...

اللّهمّ!یا واسع المغفره،لا تخیبنا یوم نری أعمالنا مجسمه أمامنا..

آمین ربّ العالمین نهایه سوره النبأ ***

ص :۳۶۷

سوره النّازعات

اشاره

مكيه و عدد آياتها ستّ و أربعون آيه

ص: ۳۶۹

«سوره النّازعات»

محتوى السوره:

تبحث هذه السوره كسابقتها مسائل«المعاد»،و تتلخص مواضيعها عموما بسته أقسام:

۱-التأكيد مرارا على مسأله المعاد و تحققه الحتمى.

۲-الإشاره إلى أهوال يوم القيامه.

۳-عرض سريع لقصه موسى عليه السّلام مع الطاغى فرعون،تسليه للنّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و المؤمنين،و إنذارا للمشركين الطغاه،و إشاره إلى ما يترتب على إنكار المعاد من سقوط فى مستنقع الرذيله.

۴-طرح بعض النماذج المظاهر قدره البارى سبحانه فى السماء و الأرض، للاستدلال على إمكان المعاد و الحياه بعد الموت.

۵-تعود الآيات مرّه اخرى،لتعرض بعض حوادث اليوم الرهيب،و ما سيصيب الطغاه من عقاب و ما سينال الصالحون من ثواب.

۶-و فى النهايه،يأتى على خفاء تاريخ وقوع يوم القيامه،و التأكيد على حتميه وقوعه و قربه.

و سميت السوره ب(النازعات)لورود هذه الكلمه فى أوّل آيه،و بها تبدأ السوره من بعد البسمله.

فضيله السوره:

و

روى عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،أنّه قال: «من قرأ سوره و النازعات لم يكن حبسه

و حسابه یوم القیامه إلّا کقدر صلاه مکتوبه حتی یدخل الجنّه» (۱) .

و

عن الإمام الصادق،أنّه قال: «من قرأها لم یمت إلّا ریّان،و لم یبعثه اللّه إلّا ریّان،و لم یدخله الجنّه إلّا ریّان» (۲) .

و لیس غریبا أن ینال الإنسان بکل ما ذکر جزاء من عند اللّه،إذا ما أمعن فی محتوی السوره و تدبّر إشاراتها الموقظه للنفوس الغافله،و المعرّفه بوظائف الإنسان فی حیاته،فمن لم یکتف بترديد ألفاظ السوره،و عمل بها بعد الإمعان و التدبر فحری أن یجزی بما وعد الحق.

***

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۴۲۸.

۲- ۲) -المصدر السابق.

الآيات [سوره النازعات (۷۹): الآيات ۱ الى ۵]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ وَ اَلنّٰازِعٰاتِ غَرْقاً (۱) وَ اَلنّٰاشِطٰاتِ نَشْطاً (۲) وَ اَلسّٰابِحٰاتِ سَبْحاً (۳) فَالسّٰابِقٰاتِ سَبْقاً (۴) فَالْمُدَبِّرٰاتِ أَمْراً (۵)

التّفسير

اشاره

القسم بالملائكه:

جاء القسم القرآنى بخمسه أشياء مهمّه،لتبيان حقيقه و حتميه تحقق يوم القيامه«المعاد»،فيقول:

وَ النّٰازِعٰاتِ غَرْقاً....

.

و قبل البدء بالتّفسير لا بدّ من توضيح معانى بعض الكلمات..

«النازعات»:من(النوع)،و نزع الشىء جذبه من مقرّه،كنزع القوس عن كبده،و منه نزع العداوه و المحبّه من القلب (۱) .و بذلك تشمل الأمور المعنويه أيضا.

(الغرق):بالفتح(على وزن الشفق)، هو الرسوب فى الماء،(على قول كثير من أهل اللغه)،و يأتى كذلك فيمن غمره البلاء.

۱- ۱) -مفردات الرغب،ماده(نزع).

و«الغرق»:(على وزن الفرق)،يقول عنه(ابن منظور)فى لسان العرب:إنّه اسم أقيم مقام المصدر الحقيقى،بمعنى الإغراق،و الإغراق بالنزع هو:أن يباعد السهم و يسحب القوس إلى آخر نقطه ممكنه،و يضرب مثلا للغو و الإفراط.

و من هنا يتّضح أنّ المعنى المقصود فى هذه الآيه ليس الغرق فى الماء،بل هو القيام بعمل ما إلى أقصى حدّ ممكن. (۱)

«النّاشطات»:من(النشط)،هى العقد التى يسهل حلها،و بئر(إنشاط):هى القريبه القعر يخرج دلوها بجذبه واحده،و يقال للإبل التى تتحرك من غير أن يحدى لها(النشيطه)..فيكون المعنى عموما:هو التحرك بسهوله.

«السابحات»:من(السبح)،و هو الحركه السريعه فى الماء أو الهواء و لهذا تطلق السابحات على:السباحه فى الماء،الحركه السريعه للخيل،و أيّه حركه سريعه فى عمل ما..و«التسبيح»:هو تنزيه اللّه تعالى من كل عيب و نقص، و أصله:الحركه السريعه فى عباده اللّه تعالى.

«السابقات»:من(السبق)،و هو التقدم فى السير،و بما أنّ السبق لا يتمّ إلّا بالحركه الأسرع فهو يتضمّن معنى الشرعه كذلك.

«المدبرات»:من(التدبير)،و هو التفكير فى عاقبه الأمور، و أرادت الآيه القيام بالأعمال على أحسن وجه.

و بعد هذه التعريفات الموجزه نشرع بالتفسير:

إنّ القسم بهذه الأمور الخمسه قد لفّته هاله من الإبهام و الغموض و تبعث على التأمل و التعمق أكثر لمعرفه المراد من هذه الأقسام و أنّها لمن تشير،و أى شىء تقصد؟ و قد عرضت تفاسير مختلفه،و قيل الكثير بخصوص هذا الموضوع،إلّا أنّ

۱- ۱) -راجع:لسان العرب،تفسير مجمع البيان،تفسير الكشّاف،و مجمع البحرين.

معظمها تدور حول ثلاثه محاور:

الأوّل:إنّ القسم المذكور يتعلق بالملائكه الموكله بقبض أرواح الكفّار و المجرمين،و لكون تلك الأرواح قد رفضت التسليم للحق،فيكون فصلها عن أجسادها بشدّه.

و يتعلق كذلك،بالملائكه الموكله بقبض أرواح المؤمنين برفق و يسر، و سرعه فى إتمام الأمر.

و الملائكه التى تسرع فى تنفيذ الأوامر الإلهيه.

ثمّ الملائكه التى تتسابق فى تنفيذ الأوامر الإلهيه.

و أخيرا،يتعلق القسم بالملائكه التى شؤون العالم بأمره سبحانه و تعالى.

الثّانى:تعلق القسم بالنجوم التى تغرب من أفق لتنتقل إلى أفق آخر و بحركه دائبه لا تعرف السكون.

فبعض منها تمشى الهوينا،و البعض الآخر واسعه الخطوات.

و تراها سابحه فى السماء.

و تتسابق فيما بينها.

و أخيرا،تشترك فى تدبير امور الكون،بما لها من تأثيرات،(كنور الشمس و ضياء القمر بالنسبه إلى الأرض).

الثّالث:تعلق القسم بالمجاهدين فى سبيل اللّه،أو بخيولهم الخارجه من أوطانهم بعزم شديد لتجول فى ميادين القتال بنشاط و تمكن.

و...تتسابق فيما بينها...مع الجول و التسابق تعمل على إراده و تدبير امور الحرب.

و قد جمع بعض المفسّرين هذه الآراء،فبعضها مقتبس من الأوّل،و القسم الآخر من الثّانى أو الثالث،لمعنى خاص،و لكنّ الأصل فى كلّ ذلك يعود إلى

التّفاسير الثّلاثه المذكوره (۱) .

و لا يوجد أىّ تضاد بين كلّ ما ذكر،و يمكن أن تكون الآيات قد رمزت إلى كلّ هذه المعانى...و عموما يبدو أنّ التفسير الأوّل أقرب من غيره،للأسباب التاليه:

أوّلا:تناسبه مع يوم القيامه..هو ممّا تدور السوره حوله عموما.

ثانيا:نسبه الترابط الموجوده بينه و بين الآيات المشابهه للآيات المبحوثه فى أوّل سوره المرسلات.

ثالثا:ملائمه تفسير: فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً للملائكه التى تدبّر شؤون العالم بأمر اللّه،و الذين لا يتخلفون و لو لحظه واحده فى تنفيذ ما يؤمرون به،كما تشير الآيه (۲۷)من سوره الأنبياء إلى ذلك: لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ، و خصوصا أنّ(تدبير الأمر)ورد بصيغه مطلقه من دون أىّ قيد أو شرط.

و علاوه على كلّ ما تقدم فثمّه روايات فى تفسير الآيات المبحوثه يتناسب معها التفسير الأوّل،و من جملتها:

ما

روى عن على عليه السّلام فى تفسير اَلنّازِعاتِ غَرْقاً ،إنّه قال:«إنّها الملائكه الذين ينزعون أرواح الكفّار عن أبدانهم بشدّه كما يغرق النازع بالقوس فيبلغ بها غايه المسد» (۲) .

و روى عنه عليه السّلام فى تفسير:«و الناشطات»و«السابحات»و«فالمدبرات»ما

۱- ۱) -و ثمّه رأى يقول:المقصود بهذا القسم،تلك الحركات الطبيعيه و الإراديه و الصناعيه للموجودات،فمثلا:تتحرك النطفه حركه طبيعيه،فتنفصل من صلب الأب لتستقر فى رحم الام،ثمّ تديم مسيرها بهدوء،و لتسرع بعد ذلك،ثمّ تبدأ المواد الحياتيه بالتسابق فى النطفه حتى يتشكل فى النهايه إنسان كامل الهيئه لتقوم بتدبيره،و كذا الحال بالنسبه للحركات الإراديه حيث يبدأ الإنسان باتخاذ قرار معين و بعده يتحرك بهدوء لتجسيد اولى خطوات التنفيذ،ثمّ يسرع الخطوات،و يتسابق مع الآخرين،و يقوم بكلّ ذلك لتدبير أمره و حياته الاجتماعيه و الوسائل الصناعيه لا تبتعد عن هذا التسلسل،كما فى المراحل التى تطويها الطائره فى مسيرها.(إلّا أنّ هذا التفسير يفتقد الدليل).

۲- ۲) -تفسير نور الثقلين،ج ۵،ص ۴۹۷،الحديث ۴.

يشبه ذلك (۱) .

و يمكن توجيه هـذا التفسـير بشـكل أتم،إذا ما اعتبرنا مسأله قبض أرواح المؤمنين و الكفّار مصـداق من مصاديق التّفسـير و ليس كـلّ محتواه،و عليه فالملائكه هم المقصودون بالأقسـام المـذكوره بصوره عـامّه،و يتمّ تنفيـذ الأـمر الإلهى من قبلهم على خمس مراحل:الحركه الشديده الناتجه من عظمه صدور الأمر الإلهى..الشروع بالتنفيذ بخطوات هادئه..الإسراع فى خطوات التنفيذ..

فالتسابق..و من ثمّ يكون تدبير الأمر.

و على أيّه حـال،فقبض الأـرواح من قبـل الملائكه مصـداق لمفهوم كلّى، و يعتبر الأرضـيه الممهـده لبقيه البحوث التى تتنـاولها السوره حول«المعاد».

***

ملاحظتان

و يبقى،بعد كلّ ما تقدم،سؤالان:

الأـوّل:ما سـبب مجىء«النازعات»و«الناشـطات»بصـيغه المؤنث؟ الثّانى:كان القسم فى الآيات الثلاثه الاولى ب«الواو»،و فى الآيتين الرابعه و الخـامسه اسـتعملت«الفـاء»عوضـا عن«الواو»..فهـل هى للعطف أم للتفريع؟ الجواب الأـوّل:«النازعـات»جمع(نازعه)،و هى الطـائفه أو المجموعه من الملائكه الـتى تعمـل على تنفيـذ مـا أمرت به،و كـذا الحـال بالنسـبه ل«الناشـطات» و بقيه صـيغ الجمع الاخرى...و بما أنّ(الطائفه)مؤنث لفظى،فقد جاء الجمع بصيغه المؤنث السالم.

الجواب الثّانى:يمكننا القول:أنّ التسابق الحاصل هو نتيجه الحركه السريعه

۱- ۱) -المصدر السابق،الحديث ۷-۸-۱۲.

المقصوده فی«السابحات»،و تدبیر الأمور نتیجه لمجموع هذه الحرکه.

و آخر ما ینبغی قوله فی هذا المجال:إنّ القسم الوارد فی الآیات الخمسه الاولی من السوره،إنّا هو قسم علی أمر محذوف(و هو جواب القسم)،و لکنّ قرینه المقام و ما تشیر إلیه الآیات التالیه یبیّن البعث و الحشر و القیامه،و حتمیه تحققها،فیکون التقدیر لجواب القسم:(لتبعثن یوم القیامه و لتحشرنّ و لتحاسبن).

***

ص :۳۷۸

الآيات [سوره النازعات (۷۹): الآيات ۶ الى ۱۴]

اشاره

يَوْمَ تَرْجُفُ اَلرَّاجِفَهُ (۶) تَتْبَعُهَا اَلرَّادِفَهُ (۷) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وٰاجِفَهٌ (۸) أَبْصٰارُهٰا خٰاشِعَهٌ (۹) يَقُولُونَ أَ إِنّٰا لَمَرْدُودُونَ فِي اَلْحٰافِرَهِ (۱۰) أَ إِذٰا كُنّٰا عِظٰاماً نَخِرَهً (۱۱) قٰالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّهٌ خٰاسِرَهٌ (۱۲) فَإِنَّمٰا هِيَ زَجْرَهٌ وٰاحِدَهٌ (۱۳) فَإِذٰا هُمْ بِالسّٰاهِرَهِ (۱۴)

التّفسير

اشاره

صيحه الموت المرعبه!

بعد أن أكّد القرآن الكريم على حقيقه القيامه و حتميه وقوعها فى الآيات السابقه،تتعرض الآيات أعلاه لبعض ما يصاحب يوم القيامه من علامات و أحداث،فتقول: يَوْمَ تَرْجُفُ الرّٰاجِفَهُ ،أى:يوم تحدث الزلزله العظيمه المهوله.

ثمّ: تَتْبَعُهَا الرّٰادِفَهُ .

«الراجفه»:من(الرجف)،بمعنى الاضطراب و التزلزل،و لذا يقال للأخبار التى توقع الاضطراب بين أوساط الناس ب(الأراجيف).

«الرادفه):من(الردف)،و هو الشخص أو الشىء الذى يأتى بعد نظيره تتابعا،

و لذا يقال لمن يركب خلف آخر،(رديفه).

و يعتقد كثير من المفسّرين بأنّ«الراجفه»:هى الصيحه و نفخه الصور الاولى التى تعلن عن موت جميع الخلائق،و«الرادفه» هى الصيحه و نفخه الصور الثّانيه التى يبعث فيها الخلق مرّه اخرى ليعيشوا يوم القيامه (۱) .

و عليه،فالآيتان تشيران إلى نفس ما أشارت إليه الآيه(۶۸)من سوره الزمر:

وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلاّ مَنْ شاءَ اللّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرىٰ فَإِذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ .

و قيل:«الراجفه»:إشاره إلى الزلزله التى تدمّر الأرض،و«الرّادفه»:إشاره إلى الزلزله التى تدمّر السماوات..

و التّفسير الأوّل كما يبدو أقرب للصواب.

و تأتى الآيه الاخرى لتقول: قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ واجِفَهٌ .

فقلوب العاصين شديده الاضطراب خوفا من الحساب و الجزاء.

«واجفه»:من(الوجف)،بمعنى سرعه السير،و(أوجفت البعير):حملته على الإسراع، و تستعمل أيضا للاضطراب الشديد لما يصاحبه من اهتزاز و إسراع.

و يكون التزلزل الداخلى من الشدّه بحيث يظهر على وجوه كلّ المذنبين، و لذا يقول القرآن: أَبْصارُها خاشِعَهٌ (۲) .

فيبدو الاضطراب و الخوف ظاهرا على أعين المذنبين،و تتوقف حركتها و كأنّها قد فقدت حاسه النظر لما أصابها من خوف شديد.

و فى الآيه التاليه ينتقل الحديث من أخبار يوم القيامه إلى الحياه الدنيا:

۱- ۱) -ينبغى ملاحظه أنّ فعل(رجف)قد يأتى متعديا و قد يأتى لازما،فعلى الحاله الاولى تكون«الراجفه»بمعنى الزلزله العظيمه التى تزلزل كلّ الأرض و الموجودات،و على الحاله الثّانيه تعنى الأرض دون غيرها-فتأمل.

۲ - ۲) -يعود ضمير«أبصارها»إلى القلوب،التى تشير هنا إلى معنى(النفوس و الأرواح)،و ترجع الإضافه إلى أنّ مركز تأثيرات حواس الإنسان إنّما من روحه،و ما يظهر من اضطراب و خوف على الأعين هو نتيجه لما يسيطر على الروح من خوف.

يَقُولُونَ أَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِی الْحافِرَهِ

.

«الحافره»:من(الحفر)،بمعنی شقّ الأرض،و ما ینتج من ذلک یسمی (حفره)،یقال:حافر الفرس،تشبیها لحفره الأرض فی عدوه،و«الحافره»:کنایه لمن یرد من حیث جاء،کما لو سار إنسان علی أرض،فیترک فیها حفرا لتحمل آثار قدمه،ثمّ یعود إلی نفس تلک الحفر،فالحافره:تعنی الحاله الاولی (۱) .

و تستمر الآیه فی سرد کلامهم: أَ إِذا کُنّا عِظاماً نَخِرَهً (۲) .

فهکذا هو حال و دأب منکری المعاد و علی الدوام باستفسارهم الدائم حول المعاد،و بقولهم المعروف:کیف للعظام البالیه النخره و التی تحولت إلی ذرات تراب أن تعود مرّه اخری جسما کاملا،و الأکثر من هذا..أن تسری فیه الحیاه و لکنّهم لم یفقهوا إلی أنّهم خلقوا من ذلک التراب،فکیف أصبحوا بهذه الهیئه الحیّه بعد أن لم یکونوا شیئا؟ «نخره»:صفه مشبهه،من(النخر)،بمعنی الشجره المجوفه الباليه،و التی إذا دخل فیها الهواء أعطت صوتا معینا،مثله(النخیر)،و عمم الاستعمال لیشمل کلّ شیء بال فی حال تآکل و تلاش.

و لا یکتفی منکر و المعاد بحال الاعتراض علی ما وعدهم به الباری سبحانه،بل و تحولوا إلی حال الاستهزاء بأحد اصول دین اللّه!: قالُوا تِلْکَ إِذاً کَرَّهٌ خاسِرَهٌ .

و ثمّه احتمال آخر فی تفسیر هذه الآیه یقول:إنّهم جادون فی قولتهم غیر مستهزئین،لأنّهم یعتقدون أن لو کان ثمّه عود و رجعه فهی عبث زائد و خاسر،إذ لو کانت الحیاه الطیبه هی التی نعیشها،فلما ذا لا تخلد؟و إن کانت سیئه فما فائده العود؟

۱- ۱) -اسم فاعل هنا بمعنی اسم المفعول،فالحافره إذا بمعنی المحفوره.

۲- ۲) -و تقدیر الجمله مع محذوفها:(أ إذا کنّا عظاما نخره نرد أحیاء)أو(أ إنا لمبعوثون).

و يمكن اعتبار«الحافره»الوارده فى: أَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى الْحافِرَهِ قرينه لهذا الاحتمال،بلحاظ كونها بمعنى(الحفره).

و لكنّ المعروف بين المفسّرين هو التّفسير الأوّل.

و قد عبّرت الآيه السابقه عن قولهم بصيغه المصارع«يقولون»اشاره إلى دوام ترديدهم لما يقولون به،فى حين ذكر الفعل فى الآيه المبحوثه بصيغه الماضى«قولوا»إشاره إلى أنّهم قليلا ما يقولون ذلك.

و فى آخر آيه من الآيات المبحوثه يعود القرآن الكريم إلى مسأله القيامه، و بلسان قاطع،يقول: فَإِنَّما هِىَ زَجْرَهٌ واحِدَهٌ فَإِذا هُمْ بِالسّاهِرَهِ .

فالأمر ليس بمستصعب على الخالق القادر،فما أن يصدر الأمر الإلهى لنفخه الصور الثّانيه حتى تعود الحياه ثانيه إلى جميع الخلائق،نعم..فتشرع كلّ تلك العظام النخره و ما صار منها ترابا للتجمع على الهيئه الاولى،و ليخرج الناس من قبورهم بعد أن تسرى فيهم روح الحياه! «الزجره»:بمعنى صيحه بشدّه و انتهار،و يراد بها:نفخه الصور الثّانيه.

«زجره واحده»:إشاره إلى سهوله الأمر أمام قدره اللّه سبحانه و تعالى،و إلى سرعه تنفيذ أمره سبحانه(لقيام القيامه)...فبصوت واحد من ملائكه القيامه،أو من صور إسرافيل يرتدى جميع الأموات لباس الحياه من جديد ليحضروا عرصه المحشر للحساب.

«الساهره»:من(السهر)،و هو الأرق،و قيل:لأرض القيامه«الساهره» لذهاب النوم عن العيون لما سيصابون به من أهوال مرعبه.و قيل:الساهره:اسم للصحراء،لأنّ جميع الصحارى مخيفه،و كأنّ الخوف فيها يطرد النوم من العين (۱) .

***

۱- ۱) -لسان العرب:سهر،مجمع البيان:ج ۱۰،ص ۴۲۹؛و تفسير القرطبى،ج ۱۰،ص ۶۹۹۰.

الآيات [سوره النازعات (۷۹): الآيات ۱۵ الى ۲۶]

اشاره

هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ مُوسى (۱۵) إِذْ نادٰاهُ رَبُّهُ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً (۱۶) اِذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى (۱۷) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلى أَنْ تَزَكّى (۱۸) وَ أَهْدِيَكَ إِلى رَبِّكَ فَتَخْشى (۱۹) فَأَرٰاهُ اَلْآيَهَ اَلْكُبْرىٰ (۲۰) فَكَذَّبَ وَ عَصى (۲۱) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعى (۲۲) فَحَشَرَ فَنادى (۲۳) فَقالَ أَنَا رَبُّكُمُ اَلْأَعْلى (۲۴) فَأَخَذَهُ اَللّٰهُ نَكالَ اَلْآخِرَهِ وَ اَلْأُولى (۲۵) إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَهً لِمَنْ يَخْشى (۲۶)

التّفسير

اشاره

افتراء فرعون!

يشير القرآن الكريم بهذه المقاطع البيانيه إلى بعض مشاهد قصّه موسى عليه السّلام و فرعون،و التى تتناول عاقبه الطغاه عبر التاريخ،و ما حدى بفرعون من مصير أسود،ليستذكر مشركو قريش و طغاتهم تلك الواقعه،و ليعلموا أن من كان أقوى منهم لم يتمكن من مقاومه العذاب الإلهى.

و يشير البيان القرآنى كذلك،إلى المؤمنين بأن لا يخافوا من قوّه الأعداء

الظاهريه،لأنّ دمارهم و هلاكهم على اللّه أسهل من أن يتصور..فهذا البيان القرآنى إذا،تسليه لقلوب المؤمنين و ترطيبا لخواطرهم.

فيتوجه الحديث إلى النبىّ عليه السّلام بصيغه الاستفهام: هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ مُوسى ليشوق السامع و يهيئه لاستماع القصّه ذات العبر.

ثمّ يقول: إِذْ ناداهُ رَبُّهُ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً (۱) .

«طوى»:يمكن أن يكون اسما لأرض مقدّسه،تقع فى الشام بين(مدين) و(مصر)،و هو الوادى الذى كلّم اللّه تعالى فيه موسى عليه السّلام أوّل مرّه.

و قد رود الاسم أيضا فى الآيه(۱۲)من سوره طه: إِنِّى أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً .

و قد تكون«طوى»صفه من(الطى)،إشاره إلى ما انطوت عليه تلك الأرض من القداسه و البركه.

أو كما يقول الراغب فى مفرداته،إشاره إلى حاله حصلت له على طريق الاجتباء،فكان ينبغى عليه السير فى طريق طويل،ليكون لائقا لنزول الوحى و لكن اللّه تعالى طوى له هذا الطريق و قرّب له الهدف.

ثمّ أشار القرآن إلى تعليمات اللّه عزّ و جلّ إلى موسى عليه السّلام فى الواد المقدّس:

اِذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلى أَنْ تَزَكّى

و بعد التزكيه و تطهير الذات تصبح لائقا للقاء اللّه،و سوف أهديك إليه عسى أن تخشع و تترك ما أنت عليه من المنكرات: وَ أَهْدِيَكَ إِلى رَبِّكَ فَتَخْشى .

و لمّا كانت كلّ دعوه تحتاج إلى دليل صحتها،يضيف القرآن القول: فَأَراهُ الْآيَهَ الْكُبْرى (۲) .

۱- ۱) -اعتبر أكثر المفسّرين«إذ»ظرف زمان متعلق ب«حديث»و يصح الإعتبار لو كانت بمعنى نفس الحادثه و ليست حكايتها..
و ثمّه احتمال آخر،يقول«إذ»:ظرف متعلق بفعل محذوف تقديره(اذكر)،فالتقدير:(اذكر إذ ناداه...)-فتأمل.
۲ - ۲) -إنّ الفاصله الزمنيه ما بين توجيه الأمر الإلهى إلى موسى عليه السّلام و بين إرائه المعجزه كانت كبيره،و لكنّ البيان القرآنى اختصرها فى هذا الموضع.

و لكن،ما الآيه الكبرى؟هل هى عصا موسى عليه السّلام التى تحولت إلى أفعى عظيمه،أو إخراج يده بيضاء،أم كليهما؟(على اعتبار أنّ الألف و اللام فى«الآيه الكبرى»إشاره إلى الجنس).و على أيّه حال،فالمهم فى المسأله إنّ موسى عليه السّلام استند فى بدء دعوته على معجزه«الآيه الكبرى».

لقد وردت فى الآيات الأربعه المذكوره جمله ملاحظات،هى:

١-طغيان فرعون يمثل علّه الأمر الإلهى لذهاب موسى عليه السّلام إليه...و تبيّن لنا هذه الملاحظه:إنّ من جمله الأهداف المهمّه فى حركه الأنبياء هى هدايه الطغاه أو مجاهدتهم.

٢-راح موسى عليه السّلام يدعو فرعون بلين و رفق و أسلوب جميل،و بأسلوب مرغّب دعاه لأن يتطهر(طهاره مطلقه من الشرك و الكفر،و من الظلم و الفساد) و تنقل لنا الآيه(۴۴)من سوره طه هذا المعنى: فَقُولاٰ لَهُ قَوْلاً لَيِّناً .

٣-و ثمّه إشاره لطيفه وردت بخصوص رساله الأنبياء عليهم السّلام،فدعوتهم للحق تعتمد على محاوله تطهير الناس و إعادتهم إلى فطرتهم السليمه.

كما و أشار البيان القرآنى إلى أنّ المخاطبه قد تمّت بكلمه«تزكّى»بدلا من (ازكيك)،للدلاله على أنّ التزكيه الحقّه إنّما هى تلك النابعه من الذات،و لا تبنى باسس موضوعيه خارجيه.

۴-ذكرت الهدايه بعد التزكيه،للدلاله على أنّ التزكيه مقدّمه و بمثابه الأرضيه المهيئه للهدايه.

۵-إنّ تعبير«إلى ربّك»فى حقيقه تأكيد على أنّ من أهديك إليه هو مالكك و مربيك،فلم الميل عنه؟! ۶-«الخشيه»نتيجه للهدايه: وَ أَهْدِيَكَ إِلىٰ رَبِّكَ فَتَخْشىٰ ،و بما أنّ الخشيه لا تحصل إلّا بمعرفه حقّه،فتكون ثمره شجره الهدايه و التوحيد هى الإحساس بالمسؤوليه الملقاه على العواتق أمام جبار السماوات و الأرض،و لهذا تقول الآيه

(۲۸)من سوره فاطر: إِنَّما يَخْشَى اللّهَ،مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ .

۷-ابتدأ موسى عليه السّلام أسلوب دعوته بالهدايه العاطفيه ثمّ تدرج إلى الهدايه العقليه و المنطقيه حتى أرى فرعون الآيه الكبرى.

و قد بيّن لنا البيان القرآنى أفضل طرق الدعوه و الإرشاد،حيث ينبغى إحاطه من يراد هدايته بالرعايه و العطف و تحسيسه بحسن نيّه الداعيه أو المرشد،و من ثمّ تأتى مرحله الدليل المنطقى و الحوار العلمى.

لكنّ فرعون المتجبّر قابل كلّ تلك المحبّه،اللطف،الدعوه بالحسنى و الآيه الكبرى،قابل كلّ ذلك بالتجبّر الأعمى و الغرور الأبله: فَكَذَّبَ وَ عَصى .

و كما يظهر من الآيه المباركه فإنّ التكذيب مقدمه العصيان و مرحله سابقه له،كما هو حال التصديق الإيمان باعتباره مقدّمه للطاعات.

و ازداد فرعون عنوّا: ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعى (۱) .

و قد هددت معجزه موسى عليه السّلام كل وجود فرعون الطاغوتى،ممّا دعاه لأن يبذل كل ما يملك من قدره لأجل إبطال مفعول المعجزه،فتراه و قد أمر أتباعه و جنوده لجمع كلّ سحره البلاد-على كثرتهم فى تلك الحقبه الزمنيه-و نودى فى الناس بأمره ليشاهدوا مشهد إبطال المعجزه من قبل السحره،و ليظهروا مثلها!!:

فَحَشَرَ فَنادى

.

مع أنّ كلمه«حشر»ذكرت بصوره مطلقه مبهمه،و لكننا نستطيع معرفه تفصيل الأمر من خلال الآيات القرآنيه الاخرى،ففى الآيتين(۱۱۱ و ۱۱۲)من سوره الأعراف،يكمل تفصيل ذلك: وَ أَرْسِلْ فِى الْمَدائِنِ حاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ ساحِرٍ عَلِيمٍ .

و كذا الحال بالنسبه لكلمه«نادى»،فيمكننا التوصل لمعناها من خلال الآيه

---

۱ - ۱) -يمكن اعتبار«ثمّ»فى الآيه إشاره إلى المدّه التى استغلها فرعون ليدرس و يخطط لكيفيه مواجهه موسى عليه السّلام،لأنّ«ثمّ» عاده ما تستعمل للتعبير عن الفاصله الزمنيه بين الأحداث.

(۳۹)من سوره الشعراء،و التی تناولت نفس الموضوع: وَ قِیلَ لِلنّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ .

و لم یکتف فرعون بکذبه و عصیانه،و مقاومته لدعوه الحق و الوقوف أمامها، بل و تعدی حدود المخلوق بصوره مفرطه جدّا،و افتری علی اللّه و علی نفسه بأقبح ادعاء،حینما ادعی نفسه الربوبیه علی شعبه و أمرهم بطاعته!: فَقالَ أَنَا رَبُّکُمُ الْأَعْلی .

نعم..فحینما یقبع المتجبّر فی عرش الغرور،و حینما تلّفه أمواج الأنانیه المفرطه،حینها..سیجرفه تیار الإفراط لأن یدعی لنفسه الربوبیه،بل و یجره فقدان بصیرته،و انحسار فطرته بین ظلمات أنانیته لأن یدعی أنّه(ربّ الأرباب)!! و أوصل فرعون قولته إلی الناس لیخبرهم بأنّه لا یعارض ما لهم من أصنام یعبدونها،لکنّه فوقها جمیعا فهو(المعبود الأعلی)! و ألطف ما فی الأمر،إنّ فرعون نفسه کان أحد عبده الأصنام،بشهاده الآیه (۱۲۷)من سوره الأعراف: أَ تَذَرُ مُوسی وَ قَوْمَهُ لِیُفْسِدُوا فِی الْأَرْضِ وَ یَذَرَکَ وَ آلِهَتَکَ ،فادعاؤه بأنّه(الربّ الأعلی)قد سری حکمه حتی علی آلهته لتکون من عبیده!..نعم،فهکذا هو هذیان الطواغیت.

و قد ادعی فرعون بأکثر من(ربّ الأرباب)،لیضیف إلی هذیان الطغاه حماقه،حینما ورد قوله فی الآیه(۳۸)من سوره القصص: ما عَلِمْتُ لَکُمْ مِنْ إِلهٍ غَیْرِی !...

و علی أیّه حال،فقد حلّ بفرعون منتهی التکبر و الطغیان،فأخذه جبّار السماوات و الأرض سبحانه أخذ عزیز مقتدر: فَأَخَذَهُ اللّهُ نَکالَ الْآخِرَهِ وَ الْأُولی (۱)

۱- ۱) -«نکال»:منصوب بنزع الخافض،و التقدیر:(فأخذه اللّه بنکال الآخره)و یحتمل کونه مفعول مطلق للأخذ،بمعنی(نکّل)،

«النكال»:لغه:العجز و الضعف.و يقال لمن يتخلف عن دفع ما استحق عليه (نكل).و(النكل)-على وزن فكر-القيد الشديد الذى يعجز معه الإنسان على عمل أىّ شىء.

و«نكال»:فى الآيه يقال للعذاب الإلهى الذى يؤدى إلى عجز الإنسان، و يخيف الآخرين،فيعجزهم عن ارتكاب الذنب،.

«نكال الآخره»:عذاب جهنّم الذى سينال فرعون و أصحابه و من سار على خطوه،و«عذاب الاولى»:إشاره إلى إغراق فرعون و أصحابه فى نهر النيل.

و تقديم«نكال الآخره»على عذاب الدنيا،لأهميته و شدّه بطشه.

و قيل:«الاولى»:تشير إلى كلمه فرعون الاولى فى مسير طغيانه حين ادّعى (الالوهيه)،كما جاء فى الآيه(۳۸)من سوره القصص.

و«الآخره»:إشاره الى آخر كلمه نطق بها فرعون حين ادّعى(الرّبوبيه العليا)،فعذّبه اللّه بالغرق فى الحياه الدنيا نتيجه ادّعاءيه الباطلين.

و قد أشير لهذا المعنى فيما

روى عن الإمام الباقر عليه السّلام قوله: «إنّ الفتره ما بين قوله الاولى و الآخره كانت أربعين عاما،و قد أخّر اللّه تعالى عذابه كلّ هذه المدّه إتماما للحجّه عليه» (۱) .

و يوافق هذا المعنى صيغه الفعل الماضى الوارده فى الآيه«أخذ»و الذى يفهم منه تنفيذ كلّ العقاب فى الدنيا،و تعضده الآيه التاليه التى تعدّ العذاب عبره للآخرين.

۱)

فيكون التقدير:(نكّل اللّه ناكال الآخره).

۱- ۱) -و فى مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۴۳۲،روايه اخرى تحمل نفس المضمون عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أكثر تفصيلا،نور الثقلين، ج ۵،ص ۵۰۰.

و يستخلص القرآن نتيجه القصّه: إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَعِبْرَهً لِمَنْ یَخْشیٰ .

فتبیّن الآیه بکلّ وضوح،إنّ وسائط سلک طریق الإعتبار مهیئه لمن سری فی قلبه الخوف و الخشیه من اللّه،و اعترته مشاعر الإحساس بالمسؤولیه،و من رأی العبره بعین معتبره اعتبر.

نعم..فقد أغرق فرعون،و أهلک ملکه و دولته،و صار درسا شاخصا لکل فراعنه و طواغیت و مشرکی الزمان،و عبره لمن سار علی نهجه الفاسد لکل عصر و مصر،و لا یجنی من سار علی خطاه سوی ما جنیت به یداه،و هی سنّه اللّه،و لا تغییر و لا تبدیل لسنّته جلّ شأنه.

***

بحث

اشاره

بلاغه القرآن:

بنظره ممعنه فی الآیات الإحدی عشر المبحوثه،تتجلی لنا ذروه فصاحه و بلاغه القرآن الکریم،فبعبارات موجزه و سریعه،عرضت قصّه موسی علیه السّلام مع فرعون و بتفصیل بیانی محکم،حیث تناولت:بیان سبب الرساله،هدف دعوه الرساله،وسائل التطهیر،کیفیه الدعوه،أسس مواجهه مخططات الأعداء،نماذج من الادعاءات الباطله،و الانتقام من الطغاه...فکل هذا و ما حمل بین ثنایاه من دروس حیّه للإنسانیه،قد ورد فی هذه الآیات القلیله الموجزه! ***

الآيات [سوره النازعات (۷۹): الآيات ۲۷ الى ۳۳]

اشاره

أَ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ اَلسَّمٰاءُ بَنٰاهٰا (۲۷) رَفَعَ سَمْكَهٰا فَسَوّٰاهٰا (۲۸) وَ أَغْطَشَ لَيْلَهٰا وَ أَخْرَجَ ضُحٰاهٰا (۲۹) وَ اَلْأَرْضَ بَعْدَ ذٰلِكَ دَحٰاهٰا (۳۰) أَخْرَجَ مِنْهٰا مٰاءَهٰا وَ مَرْعٰاهٰا (۳۱) وَ اَلْجِبٰالَ أَرْسٰاهٰا (۳۲) مَتٰاعاً لَكُمْ وَ لِأَنْعٰامِكُمْ (۳۳)

التّفسير

اشاره

اللمسات الرّبانيه فى عالم الطبيعه و نظام الكون:

ينتقل البيان القرآنى مرّه اخرى إلى عالم القيامه،بعد ذكر تلك اللمحات البلاغيه فى قصّه موسى عليه السّلام مع فرعون،فيعرض صورا من قدره اللّه المطلقه فى عالم الوجود،ليستدل به على إمكان المعاد،و يشرح بعض النعم الإلهيه على البشريه(التى لا تعدّ و لا تحصى)،ليحرك فيهم حس الشكر و الذى من خلاله يتوصلون لمعرفه اللّه.

و ابتدأ الخطاب باستفهام توبيخى(لمنكرى المعاد)هل أنّ خلقكم (و إعادتكم إلى الحياه بعد الموت)أصعب من خلق السماء: أَ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ

السَّماءُ بَناها

(۱)

.

و الآیه فی واقعها جواب لما ذکر من قولهم فی الآیات السابقه: أَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِی الْحافِرَهِ -أی هل یمکن أن نعود إلی حالتنا الاولی-فکلّ إنسان و مهما بلغت مداراکه و مشاعره من مستوی،لیعلم أنّ خلق السماء و ما یسبح فیها من نجوم و کواکب و مجرّات،لهو أعقد و أعظم من خلق الإنسان...و إذا فمن له القدره علی خلق السماء و ما فیها من حقائق،أ یعقل أن یکون عاجزا عن إعاده الحیاه مرّه اخری إلی الناس؟! و یضیف القرآن فی بیان خلق السماء،فیقول شارحا بتفصیل: رَفَعَ سَمْکَها فَسَوّاها .

«سمک»:-علی وزن سقف-لغه:بمعنی الارتفاع،و جیئت بمعنی(السقف) أیضا،و علی قول الفخر الرازی فی تفسیره:إنّ الشیء المرتفع لو قیس ارتفاعه من الأعلی إلی الأسفل فالنتیجه تسمّی(عمق)،أمّا لو قیس الارتفاع من الأسفل إلی الأعلی فهو(سمک) .(۲)

«سواها»:من(التسویه)،بمعنی التنظیم،و هی تشیر إلی دقّه التنظیم الحاکمه علی الأجرام السماویه،و إذا اعتبرنا«سمکها»بمعنی«سقفها»،فهی إشاره إلی الغلاف الجوی الذی حفّ و أحاط بالکره الأرضیه کالسقف المحکم البناء،و الذی یحفظها من شدّه آثار الأحجار السماویه،و الشهب،و الأشعه الکونیه و المیته و المتساقطه علیها باستمرار.

و قیل:إنّ«سواها»إشاره إلی کرویه السماء و إحاطتها بالأرض،حیث أنّ التسویه هنا تعنی تساوی الفاصله بین أجزاء هذا السقف نسبه إلی المرکز الأصلی (الأرض)،و لا یتحقق ذلک من دون کرویه الأرض و ما حولها(السماء).

۱- ۱) -فی الآیه حذف،و التقدیر:(أم السماء أشدّ خلقا).و«بناها»:جمله استئنافیه،و هی مقدّمه للآیات التالیه.

۲- ۲) -تفسیر الفخر الرازی،ج ۳۱،الآیه المبحوثه.

و قيل أيضا:إنّ الآيه تشير إلى ارتفاع السماء و الأجرام السماويه و بعدها الشاسع عن الأرض،بالإضافه لإشارتها للسقف المحفوظ المحيط بالأرض.

و على أيّه حال،فالآيه قد نهجت بذات سياق الآيه(۵۷)من سوره المؤمن:

لَخَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النّاسِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ .

ثمّ تنتقل بنا الآيه التاليه إلى إحدى الأنظمه الحاكمه فى هذا العالم الكبير،الكبير،(نظام النور و الظلمه)،: وَ أَغْطَشَ لَيْلَها وَ أَخْرَجَ ضُحاها .

فلكلّ من النور و الظلمه دور أساس و مهم جدّا فى حياه الإنسان و سائر الأحياء من حيوان و نبات،فلا يتمكن الإنسان من الحياه دون النور،لما له من ارتباط وثيق فى حركه و إحساس و رزق و أعمال الإنسان،و كذا لا يتمكن من تكمله مشوار حياته من غير الظلمه،و التى تعتبر رمز الهدوء و السكينه.

«أغطش»:من(الغطش)،بمعنى الظلام،و لكنّ الراغب فى مفرداته يقول:

و أصله من«الأغطش»و هو الذى فى عينه شبه عمش.

«الضحى»:انبساط الشمس و امتداد النهار (۱) .

و تنتقل بنا الآيه الاخرى من السماء إلى الأرض،فتقول: وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها .

«دحاها»:من«الدحو»بمعنى الانبساط،و فسّرها بعضهم: وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها .

و للمعنيين أصل واحد،لوجود التلازم بينهما.

و يقصد بدحو الأرض،إنّها كانت فى البدايه مغطاه بمياه الأمطار الغزيره التى انهمرت عليها من مدّه طويله،ثمّ استقرت تلك المياه تدريجيا فى منخفضات الأرض،فشكلت البحار و المحيطات،فيما علت اليابسه على أطرافها،و توسعت

۱- ۱) -يرجع ضميرا«ليلها»و«ضحاها»إلى السماء،فنسبه النور و الظلمه إلى السماء باعتبار أنّ لهما منشأ سماويا.

تدريجيا،حتى وصلت لما هى عليه الآن من شكل،(و حدث ذلك بعد خلق السماء و الأرض) (۱) .

و بعد دحو الأرض،و إتمام صلاحيتها لسكنى و حياه الإنسان،يأتى الحديث فى الآيه التاليه عن الماء و النبات معا: أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَ مَرْعَاهَا .

و يظهر من التعبير القرآنى،إنّ الماء قد نفذ إلى دخل الأرض بادئ ذى بدء، ثمّ خرج على شكل عيون و أنهار،حتى تشكلت منهما البحيرات و البحار و المحيطات.

«المرعى»:اسم مكان من(الرعى) (۲) ،و هو حفظ و مراقبه امور الحيوان من حيث التغذيه و ما شابهها.

و لهذا،تستعمل كلمه(المراعاه)بمعنى المحافظه و المراقبه و تدبير الأمور، و كلّ من يسوس نفسه أو غيره يسمّى(راعيا)،و لذا جاء فى الحديث الشريف:

«كلكم راع و كلكم مسئول عن رعيته».

ثمّ ينتقل البيان القرآنى إلى«الجبال»،حيث ثمّه عوامل تلعب الدور المؤثر فى استقرار و سكون الأرض،مثل:الفيضانات،العواصف العاتيه،المدّ و الجزر، و الزلازل..فكل هذه العوامل تعمل على خلخله استقرار الأرض،فجعل اللّه عزّ و جلّ«الجبال»تثبيتا للأرض،و لهذا تقول الآيه: وَ الْجِبَالَ أَرْسَاهَا (۳) .

«أرسى»:من(رسو)،بمعنى الثبات،و أرسى:فعل متعد،أى،ثبّت الجبال فى مواقعها.

و تلخص الآيه التاليه ما جاء فى الآيات السابقه: مَتَاعاً لَكُمْ وَ لِأَنْعَامِكُمْ .

---

۱ - ۱) -فسّر بعض المفسّرين«بعد ذلك»فى الآيه،بمعنى(إضافه لهذا)،فيكون معنى الآيه:(إضافه إلى ما فى الآيات السابقه فالأرض دحاها).

۲- ۲) -و اعتبره البعض:مصدرا ميميا،بمعنى الحيوانات السائمه،و لكنّ المعنى المذكر أعلاه أقرب.

۳- ۳) -بحثنا مفصلا موضوع الجبال و أهميتها فى حياه الإنسان و فى تثبيت الأرض،فى ذيل الآيه(۳)من سوره الرعد-فراجع.

نعم..فالسماء رفعها.

خلق نظام النور و الظلمه.

دحى الأرض.

أخرج من الأرض ماء و نباتا.

أرسى الجبال لحفظ الأرض.

هيأ مستلزمات عيش الإنسان،و سخر له كلّ شيء.

كلّ ذلك،ليغرف الإنسان من نعم اللّه،و لكى لا يغفل عن طاعه اللّه و الوصول لساحه رضوانه جلّ شأنه.

و ما جاء فى الآيات يبرز قدرته سبحانه على المعاد من جهه،و يدلل من جهه اخرى على وجود اللّه تعالى و عظمه شأنه،ليدفع المخلوق إلى الإذعان بسلامه سلك طريق معرفه اللّه و توحيده.

***

الآيات [سوره النازعات (۷۹): الآيات ۳۴ الى ۴۱]

اشاره

فَإِذا جاءَتِ اَلطَّامَّهُ اَلْكُبْرىٰ (۳۴) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ اَلْإِنْسانُ ما سَعىٰ (۳۵) وَ بُرِّزَتِ اَلْجَحِيمُ لِمَنْ يَرىٰ (۳۶) فَأَمَّا مَنْ طَغىٰ (۳۷) وَ آثَرَ اَلْحَياهَ اَلدُّنْيا (۳۸) فَإِنَّ اَلْجَحِيمَ هِيَ اَلْمَأْوىٰ (۳۹) وَ أَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَ نَهَى اَلنَّفْسَ عَنِ اَلْهَوىٰ (۴۰) فَإِنَّ اَلْجَنَّهَ هِيَ اَلْمَأْوىٰ (۴۱)

التّفسير

اشاره

التنزّه عن الهوى:

و تتجه عدسه آيات القرآن الكريم لتعرض لنا جوانبا من صور عالم القيامه، و تبدأ بتصوير تلك الداهيه المذهله التى تصيب من عبد أهواءه فى الحياه الدنيا:

فَإِذا جاءَتِ الطَّامَّهُ الْكُبْرىٰ

(۱)

.

«الطامه»:من(الطم)-على زنه فنّ-و هو فى الأصل بمعنى ملء الفراغ

۱- ۱) -يقول بعض المفسّرين،إنّ جواب الشرط فى«إذا»الشرطيه،يأتى فى الآيات فَأَمَّا مَنْ طَغىٰ... وَ أَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ... و لكن الأفضل أن نقول:إنّ الجزاء محذوف يدل عليه ما فى الآيات التاليه،و التقدير:(فإذا جاءت الطامه الكبرى،يجز كلّ إنسان بما عمل)،و قيل:يستفاد جزاء الشرط من« يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسانُ »-و لكنّه بعيد.

و الحفر،و يطلق بالطامه على كلّ شىء بلغ حدّه الأعلى،و لهذا فقد أطلقت على الحوادث المرّه و الصعاب الكبار،و هى فى الآيه تشير إلى يوم القيامه لما فيها من دواهى تغطى بهولها كلّ هول،و اتبعت ب«الكبرى»زياده فى التأكيد على أهميه و خطوره يوم القيامه.

و يضيف:حال حلول الحدث...سيفلت الجميع من نياط غفلتهم،و يتذكروا ما زرعوا لحياتهم: يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسانُ ما سَعى .

و أنى للتذكر بعد فوات الأوان! و إذا طلبوا الرجوع إلى الدنيا لإصلاح ما أفسدوا و يتداركوا الأمر، فسيقرعون ب كَلّا .

و إذا ما اعتذروا تائبين،فلا محيص عن ردّهم،بعد أن أوصدت أبواب التوبه بأمر الجبّار الحكيم.

و عندها:لا يبقى لهم إلّا الحسره و الندامه،و الهم و الغم،و كما تقول الآيه(۲۷) من سوره الفرقان: يَوْمَ يَعَضُّ الظّالِمُ عَلى يَدَيْهِ .

و ثمّه نكته فى الآيه ترتبط بصيغه الفعل«يتذكر»،فقد جاء الفعل مضارعا ليدل على استمراريه التذكر،فالإنسان أمام ذلك المنظر الرهيب،و قد أزيلت الحجب عن قلبه و روحه،سيرى الحقائق بعينها شاخصه أمامه،و لا ينسى حينها ما اكتسبت يداه من أعمال.

و تشخص الآيه التاليه ما سيقع: وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرى .

فالجحيم موجوده،كما تشير إلى ذلك الآيه(۵۴)من سوره العنكبوت: وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَهٌ بِالْكافِرِينَ ،و لكن حجب الدنيا تمنعنا من رؤيتها،و أمّا فى يوم الفصل،يوم البروز،فسيبرز كلّ شىء و لا يستثنى من ذلك جهنّم.

و جمله«لمن يرى»،تشير إلى رؤيه جهنّم من قبل الجميع بلا استثناء (الصالح و الطالح)،فهى غير خافيه عن الأنظار.

و قيل:إنّها لمن سيكون له نظر فى يوم القيامه،لأنّ الآيه(۱۲۴)من سوره طه قد صرّحت بأنّ البعض سيحشر أعمى: وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَهِ أَعْمىٰ ،و يعتمد ستكون أكثر المفسّرين على التّفسير الأوّل لمناسبته للمقام،لأنّ رؤيه جهنّم من قبل العاصين ستكون أكثر إيلاما لهم،إضافه إلى أنّ العمى المشار إليه،ربّما يكون فى موقف معين من مواقف يوم القيامه،و ليس دائما (۱) .

و فى الآيات الثلاثه التاليه،يشير القرآن إلى حال المجرمين و الطغاه يوم القيامه: فَأَمّا مَنْ طَغىٰ وَ آثَرَ الْحَيٰاهَ الدُّنْيا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوىٰ (۲) .

و الآيه الاولى تشير إلى فساد عقائد الطغاه،لأنّ الطغيان ينشأ من الغرور، و الغرور من نتائج عدم معرفه البارى جّل شأنه.

و بمعرفه عظمه و جلال اللّه يتصاغر الإنسان و يتصاغر حتى يكاد لا يرى لنفسه أثرا،و عندها سوف لن تزل قدمه عن جاده العبوديه الحقه،ما دام سلوكه يصب فى رافد معرفه اللّه.

و الآيه الثانيه تشير إلى فسادهم العملى،لأنّ الطغيان يوقع الإنسان فى شراك اللذائذ الوقتيه الفانيه ذروه الطموح و منتهى الأمل،فينساق واهما لأنّ يجعلها فوق كلّ شيء! و الأمران فى واقعهما كالعله و المعلول،فالطغيان و فساد العقده مفتاح فساد العمل و حبّ الدنيا المفرط،و لا يجران إلّا إلى سوء عقبى الدار،نار جهنّم خالدين فيها أبدا.

و

عن أمير المؤمنين على عليه السّلام،أنّه قال: «و من طغى ضل على عمل بلا حجّه» (۳) ،فالغرور يرى صاحبه الهوى حقّ:على الرغم من عدم امتلاكه الدليل أو

۱- ۱) -لزياده التوضيح،راجع ذيل الآيه(۱۲۴)من سوره طه.

۲- ۲) -تقدير الآيه الثالثه مع محذوفها:(هى المأوى له)أو(هى مأواه)،و حذف الضمير لوضوحه.

۳- ۳) -نور الثقلين،ج ۵،ص ۵۰۶،الحديث ۴۳.

الحجّه،و بالرغم من مخالفه المنطق له!.

و يأتى الدور فى الآيتين التاليتين لوصف أهل الجنّه: وَ أَمّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى فَإِنَّ الْجَنَّهَ هِيَ الْمَأْوى .

فالشرط الأوّل للحصول على نعم الجنّه و الاستقرار بها هو الخوف من اللّه من خلال معرفته(معرفه اللّه و الخوف من التمرد و العصيان على أوامره)، و الشرط الثانى هو ثمره و نتيجه الشرط الأوّل أى الخوف و المعرفه و يتمثل فى السيطره على هوى النفس و كبح جماحها،فهوى النفس من أقبح الأصنام المعبوده من دون اللّه،لأنّه المنفذ الرئيسى لدخول معترك الذنوب و المفاسد،و لذا ف«أبغض إله عبد على وجه الأرض:الهوى».

و هوى النفس هو الطابور الخامس فى قلب الإنسان،نعم...فالشيطان الخارجى لا يتمكن من النفوذ إلى داخل الإنسان ما لم يوافقه الشيطان الداخلى فى منحاه،و يفتح له أبواب الدخول،كما تشير إلى ذلك الآيه(۴۲)من سوره الحجر: إِنَّ عِبادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ إِلاّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغاوِينَ .

***

ملاحظات

اشاره

۱-مقام الرّب؟

جاء فى الآيه(۴۰) ...مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ.. ،و لم يقل(من خاف ربّه)،، فما ذا يقصد بهذا المقام؟ طرحت احتمالات عديده فى جواب السؤال المذكور:

۱-المقام:مواقف القيامه،و هى المقامات التى سيقف فيها الإنسان بين يدى ربّه للحساب،فسيكون«مقام ربّه»-على ضوء هذا الاحتمال-بمعنى(مقامه عند ربّه).

۲-المقام:علم اللّه و مقام مراقبته للإنسان،بدلاله الآیه(۳۳)من سوره الرعد: أَ فَمَنْ هُوَ قٰائِمٌ عَلیٰ کُلِّ نَفْسٍ بِمٰا کَسَبَتْ .

و بدلاله ما

روی عن الإمام الصادق علیه السّلام:قوله: «من علم أنّ اللّه یراه،و یسمع ما یقول،و یعلم من خیر أو شرّ فیحجزه ذلک عن القبیح من الأعمال فذلک الذی خاف مقام ربّه و نهی النفس عن الهوی» (۱) .

۳-مقام العداله الإلهیه،لأنّ العبد لا یخاف من ذات اللّه المقدّسه بل خوفه من عدل اللّه حسابه و فی الحقیقه إنّ هذا الخوف ناشئ من قیاس أعماله بمیزان العدل،فالمجرمون ترتعد فرائصهم و تهتزّ دواخلهم حین رؤیه القاضی العادل،و لا یتحملون سماع اسم المحکمه و المحاکمه،بعکس من لم یقم بأی ذنب،فرؤیته للقاضی ستکون مغایره لما داخل المجرم من إحساسات...و لا تباین بین هذه التفسیرات الثلاثه،و یمکن ادغامها فی معنی الآیه.

۲-علاقه الطغیان بعباده الدنیا

رسمت الآیات المبحوثه و بأسلوب رائع اصول سعاده و شقاء الإنسانیه، فجسدت بریشتها البیانیه زبده تعالیم الأنبیاء و الأولیاء علیهم السلام.

فشقاء الإنسان یکمن فی طغیانه و عبادته لجواذب الدنیا،و سعادته فی خوفه من اللّه و ترکه ما یبعد عن ساحه رضوانه سبحانه و تعالی.

روی عن أمیر المؤمنین علیه السّلام،أنّه قال: «إنّ أخوف ما أخاف علیکم اثنان:إتّباع الهوی و طول الأمل،فأمّا اتّباع الهوی فیصد عن الحقّ،و أمّا طول الأمل فینسی الآخره» (۲) .

و...هوی النفس:یضع حجابا علی عقل الإنسان،یزیّن له الأعمال القبیحه،

۱- ۱) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۱۹۷.

۲- ۲) -نهج البلاغه،الخطبه ۴۲.

يشغل الإنسان بنفسه،يسلبه قدره التميز بين الصالح و الطالح و التى هى أعظم نعمه على الإنسان،و بها يتميّز الإنسان عن الحيوان،و هذا هو ما أشارت إليه الآيه (۱۸)من سوره يوسف فى و قول نبىّ اللّه يعقوب عليه السّلام لأولاده: بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً .

و باب الحديث أوسع بكثير من أن يلخص بوريقات،و لكننا سنكتفى بذكر حديثين عن أئمّه الهدى من أهل البيت عليهم السّلام،لتناولهما مختلف جوانب الموضوع:

فعن الإمام الباقر عليه السّلام،أنّه قال: «الجنّه محفوفه بالمكاره و الصبر،فمن صبر على المكاره فى الدنيا دحل الجنّه،و جهنّم محفوفه باللذات و الشهوات،فمن أعطى نفسه لذتها و شهوتها دخل النّار» (۱) .

و

عن الإمام الصادق،أنّه قال: «لا تدع النفس و هواها،فإنّ هواها فى رداها، و ترك النفس و ما تهوى داؤها،و كفّ النفس عمّا تهوى دواؤها» (۲) .

و لا يدخل اتباع الهوى جهنّم فقط،فله من الآثار السلبيه حتى فى الحياه الدنيا،و من نتائجه: فقدان الأمن،و تخلخل النظام،و نشوب الحروب،و سفك الدماء،و إثاره النزاعات و الأحقاد...

۳-فريقان لا ثالث لهما

تحدثت الآيات محل البحث عن فريقين من الناس،أمّا من طغى و عبد هواه فمأواه جهنّم خالدا فيها،و أمّا من اتقى و خاف مقام ربّه فالجنّه مأواه أبدا.

و ثمّه فريق ثالث لم تتطرق له الآيات،و هو المؤمنين الذين قصروا فى أداء بعض الأعمال و الوظائف،أو أصابهم بعض تلوثات هوى النفس الأماره بالسوء، فهؤلاء و إن كانوا فريقا ثالثا-حسب لظاهر-إلاّ أنّهم سرعان ما يلتحقون بأحد

۱- ۱) -نور الثقلين،ج ۵،ص ۵۰۷،الحديث ۴۵.

۲- ۲) -المصدر السابق،الحديث ۴۶.

الفريقين،فأمّا من يحمل أرضـيه شموله بالعفو الإلهى فسيلتحق بركب المتقين، و أمّا من ثقلت كفه ذنوبه فسيحشر مع القابعين فى أوديه النّار،و لكنها لا تكون مكانهم و مأواهم الأبدى.

***

ص :۴۰۱

الآيات [سوره النازعات (۷۹): الآيات ۴۲ الى ۴۶]

اشاره

يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَهِ أَيّانَ مُرْساها (۴۲) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْراها (۴۳) إِلى رَبِّكَ مُنْتَهاها (۴۴) إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها (۴۵) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَها لَمْ يَلْبَثُوا إِلاّ عَشِيَّهً أَوْ ضُحاها (۴۶)

التّفسير

اشاره

يوما لقيامه:الوقت المجهول!

تتعرض الآيات أعلاه لإجابه المشركين و منكرى المعاد حول سؤالهم الدائم عن وقت قيام الساعه(يوم القيامه): فتقول أوّلا: يَسْئَلُونَكَ عَنِ السّاعَهِ أَيّانَ مُرْساها (۱) .

و القرآن فى مقام الجواب يسعى إلى إفهامهم بأنّه لا أحد يعلم بوقت وقوع

۱- ۱) -جاءت كلمه«المرسى»بهذا الموضع مصدرا،على مالها من استعمال اخرى،فتأتى تاره اسم زمان و مكان،و تاره اخرى اسم مفعول من«الإرساء»،معناها المصدرى هو:الوقوع و الثبات،و يستخدم المرسى كمكان لتوقف السفن،و فى تثبيت الجبال على سطح الأرض،و كقوله تعالى فى الآيه(۴۱)من سوره هود: وَ قالَ ارْكَبُوا فِيها بِسْمِ اللّهِ مَجْراها وَ مُرْساها ،و الآيه(۳۲) من سوره النازعات: وَ الْجِبالَ أَرْساها .

القيامه،و يوجه البارى خطابه إلى حبيبه الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،بأنّك لا تعلم وقت وقوعها، و يقول: فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْراهٰا .

فما خفّى عليك(يا محمّد)،فمن باب أولى أن يخفى على الآخرين،و العلم بوقت قيام القيامه من الغيب الذى اختصه اللّه لنفسه،و لا سبيل لمعرفه ذلك سواه إطلاقا! و كما قلنا،فسّر خفاء موعد الحق يرجع لأسباب تربويه،فإذا كان ساعه قيام القيامه معلومه فستحل الغفله على جميع إذا كانت بعيده،و بالمقابل ستكون التقوى اضطرارا و الورع بعيدا عن الحريه و الإختيار إذا كانت قريبه،و الأمران بطبيعتهما سيقتلان كلّ أثر تربوى مرجو.

و ثمّه احتمالات اخرى قد عرضها بعض المفسّرين،و منها:إنّك لم تبعث لبيان وقت وقوع يوم القيامه،و إنّما لتعلن و تبيّن وجودها(و ليس لحظه وقوعها).

و منها أيضا:إنّ قيامك و ظهورك مبيّن و كاشف عن قرب وقوع يوم القيامه بدلاله ما

روى عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حينما جمع بين سبابتيه و قال: «بعثت أنا و القيامه كهاتين» (۱) و لكنّ التّفسير الأوّل أنسب من غيره و أقرب.

و تقول الآيه التاليه: إِلىٰ رَبِّكَ مُنْتَهٰاهٰا .

فاللّه وحده هو العالم بوقت موعدها دون غيره و لا فائده من الخوض فى معرفه ذلك.

و يؤكّد القرآن هذا المعنى فى الآيتين:(۳۴)من سوره لقمان: إِنَّ اللّٰهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّٰاعَهِ ،و فى الآيه(۱۸۷)من سوره الأعراف: قُلْ إِنَّمٰا عِلْمُهٰا عِنْدَ رَبِّى .

و قيل:المراد بالآيه،تحقق القيامه بأمر اللّه،و يشير هذا القول إلى بيان علّه ما

---

۱ - ۱) -تفسير الفخر الرازى،ج ۲۹،ص ۲۹،و ذكرت ذات الموضوع فى:تفاسير(مجمع البيان)،(القرطبى)،(فى ظلال القرآن) بالإضافه لتفسير اخرى،فى ذيل الآيه(۱۸)من سوره محمّد.

ورد فی الآیه السابقه،و لا مانع من الجمع بین التّفسیرین.

و تسهم الآیه التالیه فی التوضیح: إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ یَخْشاها .

إنّما تکلیفک هو دعوه الناس إلی الدین الحقّ،و إنذار من لا یأبی بعقاب أخروی ألیم،و ما علیک تعیین وقت قیام الساعه.

مع ملاحظه،أنّ الإنذار الموجه فی الآیه فیمن یخاف و یخشی و عقاب اللّه، هو یشابه الموضوع الذی تناولته الآیه(۲)من سوره البقره: ذلِکَ الْکِتابُ لا رَیْبَ فِیهِ هُدیً لِلْمُتَّقِینَ .

و یشیر البیان القرآنی إلی أثر الدافع الذاتی فی طلب الحقیقه و تحسس المسؤولیه الملقاه علی عاتق الإنسان أمام خالقه،فإذا افتقد الإنسان إلی الدافع المحرک فسوف لا یبحث فیما جاءت به کتب السماء،و لا یستقر له شأن فی أمر المعاد،بل و حتی لا یستمع لإنذارات الأنبیاء و الأولیاء علیهم السّلام.

و تأتی آخر آیه من السوره لتبیّن أنّ ما تبقی من الوقت لحلول الوعد الحق لیس إلاّ قلیلا: کَأَنَّهُمْ یَوْمَ یَرَوْنَها لَمْ یَلْبَثُوا إِلاّ عَشِیَّهً أَوْ ضُحاها .

فعمر الدنیا و حیاه البرزخ من السرعه فی الانقضاء لیکاد یعتقد الناس عند وقوع القیامه،بأنّ کلّ عمر الدنیا و البرزخ ما هو إلاّ سویعات معدوده! و لیس ببعید..لأنّ عمر الدنیا قصیر بذاته،و لیس من الصواب أن نقایس بین زمنی الدنیا و الآخره،لأنّ الفانی لیس کالباقی.

«عشیّه»:العصر.و«الضحی»:وقت انبساط الشمس و امتداد النهار.

و قد نقلت الآیات القرآنیه بعض أحادیث المجرمین فی یوم القیامه،فیما یختص بمدّه لبثهم فی عالم البرزخ..

فتقول الآیه(۱۰۳)من سوره طه: یَتَخافَتُونَ بَیْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاّ عَشْراً ، و یَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِیقَهً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاّ یَوْماً .

و تقول الآیه(۵۵)من سوره الروم: وَ یَوْمَ تَقُومُ السّاعَهُ یُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ ما

لَبِثُوا غَيْرَ ساعَةٍ .

و اختلاف تقـديرات مدّه اللبث،يرجع لاختلاف القائلين،و كلّ منهم قد عبّر عن قصـر المدّه حسب ما يتصور،و القاسم المشترک لكلّ التقديرات هو أنّ المدّه قصيره جدّا و يكفى طرق باب هذا الموضوع بإيقاظ الغافل من خدره.

اللّهمّ!هب لنا الأمن و السلامه فى العوالم الثلاث،الدنيا و البرزخ و القيامه...

يا ربّ!لا ينجو من عقاب و شدائد يوم القيامه إلّا من رحمته بلطفک، فاشملنا بخاصه لطفک و رحمتک..

إلهى!اجعلنا ممن يخاف مقامک و ينهى نفسه عن الهوى،و لا تجعل لنا غير الجنّه مأوى..

آمين ربّ العالمين نهايه سوره النّازعات ***

ص :۴۰۵

سوره عبس

اشاره

مكيه و عدد آياتها اثنتان و أربعون آيه

ص: ۴۰۷

محتوى السوره:

تبحث هذه السوره على قصرها مسائل مختلفه مهمّه تدور بشكل خاص حول محور المعاد،و يمكن ادراج محتويات السوره فى خمسه مواضيع أساسيه.

۱-عتاب إلهى شديد لمن واجه الأعمى الباحث عن الحقّ بأسلوب غير لائق.

۲-أهميه القرآن الكريم.

۳-كفران الإنسان للنعم و المواهب الإلهيه.

۴-بيان جانب من النعم الإلهيه فى مجال تغذيه الإنسان و الحيوان لاثاره حسّ الشكر فى الإنسان.

۵-الإشاره إلى بعض الوقائع و الحوادث الرهيبه و مصير المؤمنين و الكفّار ذلك اليوم العظيم.

و تسميه هذه السوره بهذا الاسم بمناسبه الآيه الاولى منها.

فضيله السوره:

ورد فى الحديث النّبوى الشريف أنّ: «من قرأ سوره«عبس»جاء يوم القيامه و وجهه ضاحك مستبشر» (۱) ***

۱- ۱) -تفسير مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۴۳۵.

الآيات [سوره عبس (۸۰): الآيات ۱ الى ۱۰]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ عَبَسَ وَ تَوَلّٰى (۱) أَنْ جٰاءَهُ اَلْأَعْمىٰ (۲) وَ مٰا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكّٰى (۳) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ اَلذِّكْرىٰ (۴) أَمَّا مَنِ اِسْتَغْنىٰ (۵) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدّٰى (۶) وَ مٰا عَلَيْكَ أَلاّٰ يَزَّكّٰى (۷) وَ أَمَّا مَنْ جٰاءَكَ يَسْعىٰ (۸) وَ هُوَ يَخْشىٰ (۹) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهّٰى (۱۰)

سبب النّزول

تبيّن الآيات المباركه عتاب اللّه تعالى بشكل إجمالى،عتابه لشخص قدّم المال و المكانه الاجتماعيه على طلب الحق...أمّا من هو المعاتب؟فقد اختلف فيه المفسّرون،لكنّ المشهور بين عامّه المفسّرين و خاصتهم،ما يلى:

إنّها نزلت فى عبد اللّه بن ام مكتوم،إنّه أتى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو يناجى عتبه بن ربيعه و أبا جهل بن هشام و العباس بن عبد المطلب و أبى و اميّه بن خلف يدعوهم إلى اللّه و يرجو إسلامهم(فإنّ فى إسلامهم إسلام جمع من أتباعهم، و كذلك توقف عدائهم و محاربتهم للإسلام و المسلمين)، فقال:يا رسول اللّه، أقرئنى و علمنى ممّا علمك اللّه،فجعل يناديه و يكرر النداء و لا يدرى أنّه مشتغل مقبل على غيره،حتى ظهرت الكراهه فى وجه رسول اللّه لقطعه كلامه،و قال فى

نفسه:يقول هؤلاء الصناديد،إنّما أتباعه العميان و العبيد،فأعرض عنه و أقبل على القوم الذين يكلمهم،فنزلت الآيه.

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بعد ذلك يكرمه،و إذا رآه

قال: «مرحبا بمن عاتبنى فيه ربّى»،و يقول له:«هل لك من حاجه».

و استخلفه على المدينه مرّتين فى غزوتين (۱) .

و الرأى الثّانى فى شأن نزولها:ما

روى عن الإمام الصادق عليه السّلام: «إنّها نزلت فى رجل من بنى اميّه،كان عند النّبى،فجاء ابن ام مكتوم،فلما رآه تقذر منه و جمع نفسه عبس و أعرض بوجهه عنه،فحكى اللّه سبحانه ذلك،و أنكره عليه» (۲) .

و قد أيّد المحقق الإسلامى الكبير الشريف المرتضى الرأى الثّانى.

و الآيه لم تدل صراحه على أنّ المخاطب هو شخص النّبى الكريم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و لكنّ الآيات(۸-۱۰)فى السوره يمكن أن تكون قرينه،حيث تقول: وَ أَمّا مَنْ جاءَكَ يَسْعىٰ وَ هُوَ يَخْشىٰ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهّىٰ ،و النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم خير من ينطبق عليه هذا الخطاب الربّانى.

و يحتجّ الشريف المرتضى على الرأى الأوّل،بأنّ ما فى آيه عَبَسَ وَ تَوَلّىٰ لا يدل على أنّ المخاطب هو النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،حيث أنّ العبوس ليس من صفاته مع أعدائه،فكيف به مع المؤمنين المسترشدين!و وصف التصدّى للأغنياء و التلهى عن الفقراء ممّا يزيد البون سعه،و هو ليس من أخلاقه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الكريمه،بدلاله قول اللّه تعالى فى الآيه(۴)من سوره(ن)،و التى نزلت قبل سوره عبس،حيث وصفه البارى: وَ إِنَّكَ لَعَلىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ .

و على فرض صحه الرأى الأوّل فى شأن النزول،فإنّ فعل النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الحال هذه لا يخرج من كونه(تركا للأولى)،و هذا ما لا ينافى العصمه،

۱- ۱) -تفسير مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۴۳۷.

۲- ۲) -المصدر السابق.

و للأسباب التاليه:

أوّلا:على فرض صحه ما نسب إلى النّبى فى إعراضه عن الأعمى و إقباله على شخصيات قريش،فإنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بفعله ذلك لم يقصد سوى الإسراع فى نشر الإسلام عن هذا الطريق،و تحطيم صف أعدائه.

ثانيا:إنّ العبوس أو الانبساط مع الأعمى سواء،لأنّه لا يدرك ذلك، و بالإضافه إلى ذلك فإنّ«عبد اللّه بن ام مكتوم»لم يراع آداب المجلس حينها، حيث أنّه قاطع النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مرارا فى مجلسه و هو يسمعه يتكلم مع الآخرين، و لكن بما أنّ اللّه تعالى يهتم بشكل كبير بأمر المؤمنين المستضعفين و ضروره اللطف معهم و احترامهم فإنّه لم يقبل من رسوله هذا المقدار القليل من الجفاء و عاتبه من خلال تنبيهه على ضروره الاعتناء بالمستضعفين و معاملتهم بكل لطف و محبّه.

و يمثل هذا السياق دليلا على عظمه شأن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،فالقرآن المعجز قد حدد لنبىّ الإسلام الصادق الأمين أرفع مستويات المسؤوليه،حتى عاتبه على أقل ترك للأولى(عدم اعتنائه اليسير برجل أعمى)،و هو ما يدلل على أنّ القرآن الكريم كتاب إلهى و أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم صادق فيه،حيث لو كان الكتاب من عنده (فرضا)فلا داعى لاستعتاب نفسه...

و من مكارم خلقه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-كما ورد فى الروايه المذكوره-إنّه كان يحترم عبد اللّه بن ام مكتوم،و كلما رآه تذكر العتاب الرّبانى له.

و قد ساقت لنا الآيات حقيقه أساسيه فى الحياه للعبره و التربيه و الاستهداء بها فى صياغه مفاهيمنا و ممارستنا،فالرجل الأعمى الفقير المؤمن أفضل من الغنى المتنفذ المشرك،و أنّ الإسلام يحمى المستضعفين و لا يعبأ بالمستكبرين.

و نأتى لنقول ثانيه:إنّ المشهور بين المفسّرين فى شأن النّزول،هو نزولها فى شخص النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و لكن ليس فى الآيه ما يدل بصراحه على هذا المعنى.

***

التّفسير

اشاره

عتاب ربّانى!

بعد أن تحدثنا حول شأن نزول الآيات،ننتقل إلى تفسيرها:

يقول القرآن أولا: عَبَسَ وَ تَوَلّى .

لماذا؟: أَنْ جاءَهُ الْأَعْمى .

وَ ما يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكّى

،و يطلب الإيمان و التقوى و التزكيه.

أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرى

،فإن لم يحصل على التقوى،فلا أقل من أن يتذكر و يستيقظ من الغفله،فتنفعه ذلك (۱) .

و يستمر العتاب...: أَمّا مَنِ اسْتَغْنى ،من اعتبر نفسه غنيا و لا يحتاج لأحد.

فَأَنْتَ لَهُ تَصَدّى

،تتوجّه إليه،و تسعى فى هدايته،فى حين أنّه مغرور لما أصابه من الثروه و الغرور يولد الطغيان و التكبر،كما أشارت لهذا الآيتان(۶ و ۷) من سوره العلق: ...إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى . (۲)

وَ ما عَلَيْكَ أَلّا يَزَّكّى

،أى فى حين لو لم يسلك سبيل التقوى و الإيمان، فليس عليك شىء.

فوظيفتك البلاغ،سواء أمن السامع أم لم يؤمن،و ليس لك أن تهمل الأعمى الذى يطلب الحقّ،و إن كان هدفك أوسع ليشمل هدايه كلّ أولئك الأغنياء المتحجرين.

۱- ۱) -و الفرق بين الآيه و التى قبلها،هو أنّ الحديث قد جرى حول التزكيه و التقوى الكامله،فى حين أنّ الحديث فى الآيه المبحوثه يتناول تأثير التذكر الإجمالى،و إن لم يصل إلى مقام التقوى الكامله،و ستكون النتيجه استفاده الأعمى المستهدى من

التذكير،سواء كانت الفائده تامّه أم مختصره. و قيل:إنّ الفرق بين الآيتين،هو أنّ الأولى تشير إلى التطهير من المعاصى،و الثانيه تشير إلى كسب الطاعات و إطاعه أمر اللّه عزّ و جلّ. و الأوّل يبدو أقرب للصحه.

۲ - ۲) -يقول الراغب فى مفرداته:(غنى و استغنى و تغنى و تغانى)بمعنى واحد،و يقول فى(تصدّى):إنّها من(الصدى)،أى الصوت الراجع من الجبل.

و تأتی العتاب مرّه اخری تأکیدا: وَ أَمّا مَنْ جاءَکَ یَسْعیٰ ،فی طلب الهدایه...

وَ هُوَ یَخْشیٰ

(۱)

،فخشیته من اللّه هی التی دفعته للوصول إلیک،کی یستمع إلی الحقائق لیزکّی نفسه فیها،و یعمل علی مقتضاها.

فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهّیٰ

(۲)

.

و یشیر التعبیر ب«أنت»إلی أنّ التغافل عن طالبی الحقیقه،و مهما کان یسیرا، فهو لیس من شأن من مثلک، و إن کان هدفک هدایه الآخرین،فبلحاظ الأولویات،فإنّ المستضعف الظاهر القلب و المتوجه بکلّه إلی الحقّ،هو أولی من کلّ ذلک الجمع المشرک.

و علی أیّه حال:فالعتاب سواء کان موجه إلی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أو إلی غیره،فقد جاء لیکشف عن اهتمام الإسلام أو القرآن بطالبی الحق،و المستضعفین منهم بالذات.

و علی العکس من ذلک حدّه و صرامه موقف الإسلام و القرآن من الأثریاء المغرورین إلی درجه أنّ اللّه لا یرضی بإیذاء رجل مؤمن مستضعف.

و علّه ذلک،إنّ الطبقه المحرومه من الناس تمثل:السند المخلص للإسلام دائما...الأتباع الأوفیاء لأئمّه دین الحق،المجاهدین الصابرین فی میدان القتال و الشهاده،کما تشیر إلی هذا المعنی

رساله أمیر المؤمنین علیه السّلام لمالک الأشتر: «و إنّما عماد الدین و جماع المسلمین و العدّه للأعداء العامّه من الأئمّه،فلیکن صغوک لهم و میلک معهم» (۳) .

***

ص: ۴۱۴

۱- ۱) -یراد بالخشیه هنا:الخوف من اللّه تعالی،الذی یدفع الإنسان لیتحقق بعمق وصولا لمعرفته جلّ اسمه،و کما یعبر المتکلمون عنه ب..وجوب معرفه اللّه بدلیل دفع الضرر المحتمل. و احتمل الفخر الرازی:یقصد بالخشیه،الخوف من الکفّار،أو الخوف من السقوط علی الأرض لفقدانه البصر.و هذا بعید جدّا.

۲- ۲) -«التلهی»:من(اللهو).و یأتی هنا بمعنی الغفله عنه و الاستغفال بغیره،لیقف فی قبال«التصّدی».

۳- ۳) -نهج البلاغه،الرساله ۵۳.

الآيات [سوره عبس (۸۰): الآيات ۱۱ الى ۲۳]

اشاره

كَلاّ إِنَّها تَذْكِرَةٌ (۱۱) فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ (۱۲) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (۱۳) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (۱۴) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (۱۵) كِرامٍ بَرَرَةٍ (۱۶) قُتِلَ اَلْإِنْسانُ مٰا أَكْفَرَهُ (۱۷) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (۱۸) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (۱۹) ثُمَّ اَلسَّبِيلَ يَسَّرَهُ (۲۰) ثُمَّ أَمٰاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (۲۱) ثُمَّ إِذٰا شاءَ أَنْشَرَهُ (۲۲) كَلاّ لَمّٰا يَقْضِ مٰا أَمَرَهُ (۲۳)

التّفسير

تأتى هذه الآيات المباركه لتشير إلى أهميه القرآن و طهارته و تأثيره فى النفوس،بعد أن تناولت الآيات التى سبقتها موضوع(الإعراض عن الأعمى الذى جاء لطلب الحق)،،فتقول كَلاّ فلا ينبغى لك أن تعيد الكرّه ثانيه.

إِنَّها تَذْكِرَةٌ

،إنّما الآيات القرآنيه تذكره للعباد،فلا ينبغى الإعراض عن المستضعفين من ذوى القلوب النقيه الصافيه و التوجه إلى المستكبرين،أولئك الذين ملأ الغرور نفوسهم المريضه.

و يحتمل أيضا،كون الآيات، كَلاّ إِنَّها تَذْكِرَةٌ جواب لجميع التهم الموجهه ضد القرآن من قبل المشركين و أعداء الإسلام.

و فتقول الآـيه:إنّ الأباطيـل و التهم الزائفه التى افتريتم بهـا على القرآن من كونه شـعر أو سـحر أو نوع من الكهـانه،لا يمتلك من الصـحه شـيئا،و إنّمـا الآيـات القرآنيه آيات تـذكره و إيمان،و دليلها فيها،و كلّ من اقترب منها سـيجد أثر ذلك فى نفسه(ما عـدا المعاندين).

و تشير الآيه التاليه إلى اختياريه الهدايه و التذكّر: فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ (۱) .

نعم،فلا إجبار و لا إكراه فى تقبل الهدى الرّبانى،فالآيات القرآنيه مطروحه و أسـمعت كلّ الآذان،و ما على الإنسان إلّا أن يستفيد منها أو لا يستفيد.

ثمّ يضيف:أنّ هذه الكلمات الإلهيه الشريفه مكتوبه فى صحف(ألواح و أوراق): فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ .

«الصحف»:جمع(صحيفه)بمعنى اللوح أو الورقه،أو أىّ شىء يكتب عليه.

فالآـيه تشـير إلى أنّ القرآن قـد كتب على ألواح من قبـل أن ينزّل على النبىّ الأـكرم صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم،و وصـلت إليه بطريق ملائكه الوحى،و الألواح بطبيعتها جليله القدر و عظيمه الشأن.

و سياق الآيه و ارتباطها مع ما سـبقها من آيات و ما سـيليها:لا ينسـجم مع ما قيل من أنّ المقصود بالصـحف هنا هو،كتب الأنبياء السابقين.

و كـذا الحـال بالنسـبه لمـا قيـل مـن كـون«اللـوح المحفـوظ»،لأـنّ«اللـوح و المحفـوظ»لاـ يعـبر عنه بصـيغه الجمـع،كمـا جـاء فى الآيه:«صحف».

و هذه الصحف المكرمه: مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ .

فهى مرفوعه القـدر عنـد اللّه،و أجلّ من أن تمتد إليها أيدى العابثين و ممارسات المحرّفين،و لكونها خاليه من قذاره الباطل،فهى أطهر من أن تجد فيها أثرا لأىّ تناقض أو تضاد أو شك أو شبهه.

---

۱ - ۱) -يعود ضـمير:«ذكره»إلى مـا يعود إليه ضـمير«إنّها»،و سـبب اختلاف الصـيغه بين الضـميرين هو أنّ ضـمير«إنّها»يرجع إلى الآيات القرآنيه،و«ذكره»إلى القرآن،فجاء الأوّل مؤنثا و الثّانى مذكرا.

و هی کذلک: بِأَیْدِی سَفَرَهٍ ،سفراء من الملائکه.

و هؤلاء السفراء: کِرامٍ بَرَرَهٍ .

«سفره»:جمع(سافر)من(سفر)علی وزن(قمر)،و لغه:بمعنی کشف الغطاء عن الشیء،و لذا یطلق علی الرسول ما بین الأقوام (السفیر)لأنّه یزیل و یکشف الوحشه فیما بینهم،و یطلق علی الکاتب اسم(السافر)،و علی الکتاب(سفر)لما یقوم به من کشف موضوع ما و علیه...فالسفره هنا،بمعنی:الملائکه الموکلین بإیصال الوحی الإلهی إلی النّبی،أو الکاتبین لآیاته.

و قیل:هم حفّاظ و قرّاء و کتّاب القرآن و العلماء،الذین یحافظون علی القرآن من أیدی العابثین و تلاعب الشیاطین فی کلّ عصر و مصر.

و یبدو هذا القول بعیدا،لأنّ الحدیث فی الآیات کان یدور حول زمان نزول الوحی علی صدر الحبیب المصطفی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و لیس عن المستقبل.

و ما

ورد عن الإمام الصادق علیه السّلام،فی و قوله: «الحافظ للقرآن العامل به مع السفره الکرام البرره» (۱) . بجعل الحافظین للقرآن العاملین به فی درجه السفره الکرام البرره،فلیسوا هم السفره بل فی مصافهم،لأنّ جلاله مقام حفظهم و عملهم،یماثل ما یؤدیه حمله الوحی الإلهی.

و نستنتج من کلّ ما تقدم:بأنّ من یسعی فی حفظ القرآن و إحیاء مفاهیمه و أحکامه ممارسه،فله من المقام ما للکرام البرره.

«کرام»:جمع(کریم)،بمعنی العزیز المحترم،و تشیر کلمه«کرام»فی الآیه إلی عظمه ملائکه الوحی عند اللّه و علو منزلتهم.

و قیل:«کرام»:إشاره إلی طهارتهم من کلّ ذنب،بدلاله الآیتین(۲۶ و ۲۷) من سوره الأنبیاء: بَلْ عِبادٌ مُکْرَمُونَ لا یَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ .

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۴۳۸.

«برره»:جمع(بـار)،مـن(الـبرّ)،بمعنى التوسع،و لـذا يطلق على الصـحراء الواسـعه اسـم(الـبر)،كمـا يطلـق على الفرد الصـالح اسم(البار)لوسعه خير و شمول بركاته على الآخرين.

و«البرره»:فى الآيه،بمعنى:إطاعه الأمر الإلهى،و الطهاره من الذنوب.

و من خلال ما تقدم تتوضح لنا ثلاث صفات للملائكه.

الاولى:إنّهم«سفره»حاملين وحيه جلّ شأنه.

الثّانيه:إنّهم أعزاء و مكرمون.

الثالثه:طهره أعمالهم عن كلّ تقاعس أو مفسده.

و على الرغم من توفير مختلف وسائـل الهـدايه إلى اللّه،و منهـا ما فى صـحف المكرمه من تـذكير و توجيه..و لكنّ الإنسان يبقى عنيدا متمردا: قُتِلَ الْإِنْسانُ مٰا أَكْفَرَهُ (۱) .

«الكفر»:فى هذا الموضوع قد يحتمل على ثلاثه معان...عدم الإيمان، الكفران و عدم الشـكر...جحود الحق و ستره بأىّ غطاء كان و على كلّ المسـتويات،و هو المعنى الجامع و المناسب للآيه،لأنّها تعرضت لأسـباب الهـدايه و الإيمان،فيما تتحـدث الآيات التى تليها عن بيان النعم الإلهيه التى لا تعد و لا تحصى.

قُتِلَ الْإِنْسانُ

:كنايه عن شدّه غضب البارى جلّ و علا،و زجره لمن يكفر بآياته.

ثمّ يتعرض البيـان القرآنى إلى غرور الإنسـان الواهى،و الـذى غالبـا مـا يوقع صـاحبه فى هاويه الكفر و الجحود السـحيقه: مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُ ؟

۱- ۱) -«قتل الإنسان»:نوع من اللعن،و هو أشدّها عن الزمخشـرى فى(الكشاف).«ما»،فى«ما أكفره»:للتعجب،التعجب من السير فى متاهات الكفر و الضـلال،مع ما للحق من سبيل واضحه،و توفير مختلف مصاديق و اللطف و الرحمه و الرّبانيه التى توصل الإنسان إلى شاطئ النجاه.

لقد خلقه من نطفه قذره حقيره،ثمّ صنع منه مخلوقا موزونا مستويا قدّر فيه جميع أموره فى مختلف مراحل حياته: مِنْ نُطْفَهٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ .

فلم لا يتفكر الإنسان بأصل خلقته؟! لم ينسى تفاهه مبدأه؟! ألاّ يجدر به أن يتأمل فى قدره البارى سبحانه،و كيف جعله موجودا بديع الهيئه و الهيكل من تلك النطفه الحقيره القذره!!ألا يتأمل!!..

فالنظره الفاحصه الممعنه فى خلق الإنسان من نطفه قذره و تحويله إلى هيئته التامّه المقدره من كافه الجهات،و مع ما منحه اللّه من مواهب و استعدادات...لأفضل دليل يقودنا بيسر إلى معرفته جلّ اسمه.

«قدّره»:من(التقدير)،و هو الحساب فى الشيء...و كما بات معلوما أنّ أكثر من عشرين نوعا من الفلزات و أشباه الفلزات داخله فى التركيب(البيولوجى) للإنسان،و لكلّ منها مقدارا معينا و محسوبا بدقّه متناهيه من حيث الكميه الكيفيه،بل و يتجاوز التقدير حدّ البناء الطبيعى للبدن ليشمل حتى الاستعدادات و الغرائز و الميول المودعه فى الإنسان الفرد،بل و فى المجموع العام للبشريه، و قد وضع الحساب فى مواصفات تكوينيه ليتمكن الإنسان بواسطتها من الوصول إلى السعاده الإنسانيه المرجوه.

و تتجلّى عظمه تقدير الخالق سبحانه فى تلك النطفه الحقيره القذره التى تتجلّى بأبهى صورها جمالا و جلالا،حيث لو جمعنا الخلايا الأصليه للإنسان (الحيامن)لجميع البشر،و وضعناها فى مكان واحد،لكانت بمقدار حمصه!نعم...

فقد أودعت فى هذا المخلوق العاقل الصغير كلّ هذه البدائع و القابليات.

و قيل:التقدير بمعنى التهيئه.

و ثمّه احتمال آخر،يقول التقدير بمعنى إيجاد القدره فى هذه النطفه المتناهيه فى الصغر.

فما أجلّ الإله الذى الذى جعل فى موجود ضعيف كلّ هذه القدره و الاستطاعه،فترى النطفه بعد أن تتحول إلى الإنسان تسير و تتحرك بين أقطار السماوات و الأرض،و تغوص فى أعماق البحار و قد سخرت لها كلّ ما يحيط بها من قوى (۱) .

و لا مانع من الأخذ بالتفاسير الثلاث جمله واحده.

و يستمر القرآن فى مشوار المقال: ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ...يسّر له طريق تكامله حينما كان جنينا فى بطن امّه،يسّر له سبيل خروجه إلى الحياه من ذلك العالم المظلم.

و من عجيب خلق الإنسان أنّه قبل خروجه من بطن امّه يكون على الهيئه التاليه: رأسه إلى الأعلى و رجليه إلى الأسفل،و وجهه متجها صوب ظهر امّه،و ما أن تحين ساعه الولاده حتى تنقلب هيئه فيصبح رأسه إلى الأسفل كى تسهل و تتيسّر ولادته!و قد تشذ بعض حالات لولاده،بحيث يكون الطفل فى بطن امّه فى هيئه مغايره للطبيعه،ممّا تسبب كثير من السلبيات على وضع الام عموما.

و بعد ولادته:يمرّ الإنسان فى مرحله الطفوله التى تتميز بنموه الجسمى،ثمّ مرحله نمو الغرائز،فالرشد فى مسير الهدايه الايمانيه و الروحيه،و يساهم العقل و دعوه الأنبياء و الأوصياء عليهم السّلام فى تركيز معالم شخصيه و بناء الإنسان و رحيا و إيمانيا.

و بلاغه بيان القرآن قد جمعت كلّ ذلك فى جمله واحده: ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ .

و الملفت للنظر أنّ الآيه المباركه تؤكّد على حريه اختيار الإنسان حين قالت أنّ اللّه تعالى يسّر و سهّل له الطريق الى الحق،و لم تقل أنّه تعالى أجبره على

۱- ۱) -يقول الراغب فى مفردات:«قدّره»(بالتشديد):أعطاه القدره،و يقال:قدّرنى اللّه على كذا و قوانى عليه».

سلوک ذلک الطریق.

و تشیر الآیه التالیه إلی الأمر الحتمی الذی به تطوی آخر صفحات مشوار الحیاه الدنیا: ثُمَّ أَمٰاتَهُ فَأَقْبَرَهُ .

و من المعلوم أنّ«الإماته»من اللّه تعالی و الدفن علی ظاهره من عمل الإنسان،و لمّا کانت عملیه الدفن تحتاج إلی نسبه من الذکاء و العقل بالإضافه إلی توفر بعض المستلزمات الضروریه لذلک،فقد نسب الدفن«فأقبره»إلی اللّه تعالی.

و قیل:نسب اللّه ذلک إلیه،باعتبار تهیئه الأرض قبرا للإنسان.

قیل:تمثل الآیه حکما شرعیا،و أمرا إلهیا فی دفن الأموات.

و علی أیّه حال،فالدفن من عنایه و لطف و تکریم اللّه للإنسان،فلولا أمره سبحانه بالدفن لبقیت أجساد الإنسان المیته علی الأرض و تکون عرضه للتعفن و التفسخ و طعما للحیوانات الضاریه و الطیور الجارحه،فیکون الإنسان و الحال هذه فی موضع الذّله و المهانه،و لکنّ لطف الباری عزّ و جلّ علی الإنسان فی حیاته و بعد مماته أوسع ممّا یلتفت فیه الإنسان لنفسه أیضا.

و حکم دفن الأموات(بعد الغسل و التکفین و الصلاه)،یبیّن لنا...إنّه ینبغی علی الإنسان أن یکون طاهرا محترما فی موته،فکیف به یا تری و هو حیّ؟! و ذکر الموت فی الآیه باعتباره نعمه ربّانیه،أضفی بها الباری علی الإنسان..

و بنظره تأملیه فاحصه سنجد حقیقه ذلک،فالموت فی حقیقه عباره عن:

أوّلا:مقدمه للخلاص من أتعاب و صعاب هذا العالم،و الانتقال إلی عالم أوسع.

ثانیا:فسح المجال لتعاقب الأجیال علی الحیاه الدنیا لمتابعه مشوار التکامل البشری بصوره عامّه،و لولا الموت لضاقت الأرض بأهلها،و لما کان ممکنا أن تستمر عجله الحیاه علی الأرض.

و أشارت الآيات(۲۶-۲۸)من سوره الرحمن إلى نعمه الموت،بالقول:

كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ؟! فالموت على ضوء الآيه المباركه من مفردات النعم الكبيره للبارى جلّ شأنه على البشريه.

نعم..فالدنيا و جميع ما تحويه من نعم ربّانيه لا تتعدى كونها سجن المؤمن، و الخروج منها إطلاق سراح من هذا السجن الكئيب.

و إذا كانت النعم سببا لوقوع الإنسان فى غفله عن اللّه،فالموت خير رادع لا يقاظه و تحذيره من الوقوع فى ذلك الشرك،فهو و الحال هذه نعمه جليله الشأن.

أضف إلى ذلك كلّه،إنّ الحياه لو دامت فسوف لا يجنى الإنسان منها سوى الملل و التعب،فهى ليست كالآخره التى تحمل بين ثناياها النشاط و السعاده الأبديه.

و ينتقل البيان القرآنى إلى يوم القيامه: ثُمَّ إِذا شاءَ أَنْشَرَهُ .

«أنشره»:من(النشر)،بمعنى الانبساط بعد الجمع،فالكلمه تشير بأسلوب بلاغى رائع إلى جمع كلّ حياه الإنسان عند الموت لتنشر فى محيط أكبر و أعلى (يوم القيامه).

و مع أنّ الآيه السابقه لم تشر إلى مشيئه اللّه فى عمليتى الموت و الإقبار ثُمَّ أَماتَهُ فَأَقْبَرَهُ ،إلّا أنّ«النشر»قد اقترن بمشيئته سبحانه فى الآيه المبحوثه ثُمَّ إِذا شاءَ أَنْشَرَهُ ..يمكن حمل ذلك على كون إشاره لعدم معرفه أىّ مخلوق بوقت حدوث يوم القيامه،و أمّا الموت فهو معروف إجمالا،حيث كلّ إنسان يموت بعد عمر طبيعى.

و تأتى الآيه الأخيره من الآيات المبحوثه لتبيّن لنا ما يؤول إليه الإنسان من ضياع فى حال عدم اعتباره بكلّ ما أعطاه اللّه من المواهب،فالرغم من حتميه

تسلسل حياه الإنسان من نطفه حقيره، مرورا بما يطويه من صفحات الزمن العابره،حتى يموت و يقبر،لكنّه.. كَلاّ لَمّا يَقْضِ مٰا أَمَرَهُ (۱) .

جاءت«لمّا»،-التى عاده ما يستعمل للنفى المصاحب لما ينتظر و يتوقع- كإشاره إلى ما وضع تحت اختيار و عين الإنسان من نعم إلهيه و هدايه ربّانيه و أسباب التذكير،لأجل أن يرجع الإنسان إلى ما فطر عليه و يؤدى ما عليه من مسئوليه و تكاليف،و لكنّه مع كلّ ذلك فلا زال غير مؤد لما عليه! و ثمّه احتمالات فيمن عنتهم الآيه:

الأوّل:إنّهم السائرون فى طريق الكفر و النفاق،إنكار الحق،الظلم و العصيان، بقرينه الآيه(۳۴)من سوره إبراهيم: إِنَّ الْإِنْسٰانَ لَظَلُومٌ كَفّٰارٌ .

الثّانى:إنّهم جميع البشر..لأنّ المؤمن و الكافر يلتقون معا فى عدم بلوغهما لدرجه العبوديه الحقه و الطاعه الكامله التى تليق بجلاله و عظمه و لطف البارى جلّ شأنه.

***

---

۱ - ۱) -قيل:أتت«كلاّ»هنا بمعنى(حقّا)...إلاّ أنّ سياق الآيه و ظاهر الكلمه لا يؤيدان ذلك و لعل المعنى المشهور(الردع)هو المطلوب،لوجود الكثير ممن يعتقد مغرورا و مدعيّا بأنّه قد أدّى وظائفه الشرعيه على أتمّ أداء،فتأتى الآيه لتقول رادعه بأنّه لم يؤد وظائفه بعد.

الآيات [سوره عبس (۸۰): الآيات ۲۴ الى ۳۲]

اشاره

فَلْيَنْظُرِ اَلْإِنْسٰانُ إِلىٰ طَعٰامِهِ (۲۴) أَنّٰا صَبَبْنَا اَلْمٰاءَ صَبًّا (۲۵) ثُمَّ شَقَقْنَا اَلْأَرْضَ شَقًّا (۲۶) فَأَنْبَتْنٰا فِيهٰا حَبًّا (۲۷) وَ عِنَباً وَ قَضْباً (۲۸) وَ زَيْتُوناً وَ نَخْلًا (۲۹) وَ حَدٰائِقَ غُلْباً (۳۰) وَ فٰاكِهَةً وَ أَبًّا (۳۱) مَتٰاعاً لَكُمْ وَ لِأَنْعٰامِكُمْ (۳۲)

التّفسير

اشاره

فلينظر الإنسان إلى طعامه:

تحدثت الآيات السابقه حول مسأله المعاد،و الآيات القادمه تتناول نفس الموضوع بشكل أوضح،و يبدو أنّ الآيات المبحوثه-و انسياقا مع ما قبلها و ما بعدها-تتطرق لذات لبحث تبيّن مفردات قدره البارى جلّ شأنه على كلّ شىء كدليل على إمكان تحقق المعاد،فما يقرّب إمكانيه القيامه إلى الأذهان هو إحياء الأراضى الميته بإنزال المطر عليها،العمليه تمثل إحياء بعد موت مختصه فى عالم النبات.

ثمّ إنّ البيان القرآنى فى الآيات أعلاه قد طرح بعض مفردات الأغذيه التى جعلها اللّه تحت تصرف الإنسان و الحيوان،لتثير عند الإنسان الإحساس

بضروره شكر المنعم الواهب،و هذا الإحساس بدوره سيدفع الإنسان ليتقرب فى معرفه بارئه و مصوّره.

و شرعت الآيات بقولها: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ إِلى طَعامِهِ (۱) كيف خلقه اللّه تعالى؟! الغذاء من أقرب الأشياء الخارجيه من الإنسان و أحد العوامل الرئيسيه فى بناء بدنه،و لولاه لتقطّعت أنفاس الإنسان و أسدلت ستاره نصيبه من الحياه، و لذلك جاء التأكيد القرآنى على الغذاء و بالذات النباتى منه من دون بقيه العوامل المسخره لخدمه هذا المخلوق الصغير فى حجمه.

و من الجلى أنّ«النظر»المأمور به فى الآيه جاء بصيغه المجاز،و أريد به التأمل و التفكير فى بناء هذه المواد الغذائيه،و ما تحويه من تركيبات حياتيه،و ما لها من تأثيرات مهمّه و فاعله فى وجود الإنسان،وصولا إلى حال التأمل فى أمر خالقها جلّ و علا.

أمّا ما احتمله البعض،من كون«النظر»فى الآيه هو النظر الظاهرى(أى المعنى الحقيقى للكلمه)،و على أساس طبى،حيث أنّ النظر إلى الغذاء يثير إلى الغدد الموجوده فى الفم لإفراز موادها كى تساعد عمليه هضمه فى المعده،فيبدو هذا الاحتمال بعيدا جدّا،لأنّ سياق الآيه و بربطها بما قبلها و ما بعدها من الآيات لا ينسجم مع هذا الاحتمال.

و بطبيعه الحال إنّ الذين يميلون إلى هذا الاحتمال هم علماء التغذيه الذين ينظرون إلى القرآن الكريم من زاويه تخصصهم لا غير.

و قيل أيضا:نظر الإنسان إلى غذاءه فى حال جلوسه حول مائده الطعام، النظر إلى كيفيه حصوله...فهل كان من حلال أم من حرام؟هل هو مشروع أم غير

۱- ۱) -يمكن اعتبار جمله«فلينظر»:جزاء شرط مقدّر،و التقدير:(إن كان الإنسان فى شك من ربّه و من البعث فلينظر إلى طعامه).

مشروع؟أی ینظر إلی طعامه من جانبیه الأخلاقی و التشریعی.

و قد ذکر فی بعض روایات أهل البیت علیهم السّلام،إنّ المراد ب«الطعام»فی الآیه هو (العلم)لأنّه غذاء الروح الإنسانیه.

و من هذه الروایات ما

روی عن الإمام الباقر علیه السّلام فی تفسیر الآیه،إنّه قال:

«علمه الذی یأخذه عمن یأخذه» (۱) .

و قد روی عن الإمام الصادق علیه السّلام ما یشابه معنی الروایه أعلاه (۲) .

و إذا کان المستفاد من ظاهر الآیه هو الطعام الذی یدخل فی عملیه بناء الجسم،فلا یمنع من تعمیمه لیشمل الغذاء الروحی أیضا،لأنّ الإنسان فی ترکیبته مکوّن من جسم و روح،فکما أنّ الجسم یحتاج إلی الغذاء المادی فکذا الروح بحاجه إلی الغذاء المعنوی.

و فی الوقت الذی ینبغی علی الإنسان أن یکون فیه دقیقا متابعا لأمر غذائه و باحثا عن منبعه:و هو المطر المحیی الأرض بعد موتها(کما سیأتی فی الآیات التالیه)،فعلیه أیضا أن یهتم فی أمر غذاءه الروحی و باحثا فی منشئه،و هو غیث الوحی الإلهی النازل علی قلب الحبیب المصطفی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و الذی خزن فی صدور المعصومین علیه السّلام من بعده،حیث ینبع من صفحات قلوبهم الطاهره لیسقی الموات عسی أن تثمر ألوان الثمار الإیمانیه اللذیذه من فضائل أخلاقیه و عقائدیه.

نعم...ینبغی علی الإنسان أن یکون دقیقا فی متابعه مصدر و منبع علمه لیطمئن لغذائه الروحی،و لیأمن بالنتیجه من مدلهمات الخطوب التی تؤدی لمرض الروح أو هلاکها.

و بواسطه الدلاله الالتزامیه،یستفاد من الآیه المبارکه ضروره النظر فی حلیّه و حرمه الغذاء،و ذلک عن طریق قیاس الأولویه.

۱- ۱) -تفسیر البرهان،ج ۴،ص ۴۲۹.

۲- ۲) -المصدر السابق.

و ثمّه من يقول:إنّ المعنى كلّ من«الطعام»و«النظر»من الوسع بحيث يشمل كلّ ما ذكره أعلاه،و لكن..من المخاطب فى الآيه؟ الجميع مخاطبون،سواء كانوا مؤمنين أو كافرين،فعلى كلّ إنسان أن ينظر إلى طعامه و يتفكر فيما أودع فيه من أسرار و عجائب كما و كيفيه،و عسى الضال- و الحال هذه-أن يجد ضالته فيترك طريق الضلال و يسلك طريق الحقّ،و لكى يزداد المؤمنون إيمانا.

فالأغذيه بما تحمل و تقدم تعتبر عالما مضيئا و آيات باهره تنير درب الباحثين عن الحق فى لجج الضياع و الجهاله،و توصل الباحثين عن الأمان إلى شاطئ النجاه.

ثمّ يدخل القرآن فى شرح تفصيلى لماهيه الغذاء و مصدر تشكيله،فيقول أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا .

«الصب»:إراقه الماء من أعلى،و جاء هنا بمعنى هطول المطر.

و«صباً»:تأكيد،و للإشاره إلى غزاره الماء.

نعم..فالماء مصدر رئيسى للحياه،و هو على الدوام ينزل من السماء و بغزاره ليجسد لطف اللّه تعالى على خلقه.

كيف لا،و كلّ العيون و الآبار و القنوات و الأنهار قد استمدت أساس وجودها من الأمطار.

و عليه..فلا بدّ للإنسان حين ينظر إلى طعامه أن يربط ذلك بنظام المطر، و يدقق النظر فى عمليه تكوين الغيوم و كيفيه حدوث الأمطار.

فالماء المتبخر من سطح البحار،يتجمع فى الفضاء على شكل غيوم، و تتحرك تلك الغيوم بفعل الرياح إلى طبقات الجو البارده،فتبدأ بعمليه التكاثف حتى تصل لدرجه الهطول،فترى ذلك البخار،و قد تحول إلى قطرات ماء زلال خال من أىّ أملاح مضره و قد تطهر عن كلّ قذاره،و ليستقر فى آخر مطافه على

الأرض ليعطيها القوّه و الحركه و الحياه.

و بعد ذكر نعمه الماء و ما له من أثر حيوى و مهم فى نمو النباتات،ينتقل البيان القرآنى إلى الأرض،فيقول: ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا .

يذهب أكثر المفسّرين إلى أنّ الآيه تشير إلى عمليه شقّ الأرض بواسطه النباتات التى تبدأ بالظهور على سطح الأرض بعد عمليه بذر الحبوب،و العلميه بحدّ ذاتها مدعاه للتأمل،إذ كيف يمكن لهذا العشب الصغير الناعم أن يفتت سطح التربه مع مالها من صلابه و خشونه!بل و نرى فى المناطق الجبليه أنّ سويقات نباتاتها و قد ظهرت من بين حافات صخورها الصلده!فأيّه قدره هائله قد أودعت فيها،سبحانك يا ربّ و أنت الخلاق العليم.

و قيل:تشير الآيه إلى شقّ الأرض بالآيات الزرّاعه من قبل الإنسان،أو تشير إلى ما تقوم به الديدان من حرث الأرض و تشقيقها من خلال ممارساتها لنشاطاتها الحياتيه المختصه بها.

صحيح أنّ الإنسان هو الذى يقوم بعمليه الحرث،و لكنّ جميع أسبابه و وسائله من اللّه عزّ و جلّ،لذا فقد نسبت عمليه شقّ الأرض إلى البارى جلّ اسمه.

و ثمّه تفسير ثالث يقول:إنّ شقّ الأرض فى الآيه إشاره إلى تفتت الصخور التى كانت على سطح الأرض.

و لهذا التفسير مرجحات عديده...

و توضيح ذلك:كان سطح الكره الأرضيه مغطى بطبقه عظيمه من الصخور، و قد تشققت تلك الطبقه الصخريه بفعل غزاره هطول الأمطار المتتاليه عليها،ممّا جعلتها علس شكل ذرات منتشره على معظم سطح الأرض،فتحولت إلى تربه صالحه للزراعه.

و حتى يومنا المعاش...نلاحظ قسما كبيرا من الأتربه التى تحملها مياه

الأنهار أو المصحوبه مع السيول،نلاحظها و قد كونت طبقات من التربه الصالحه للزراعه بعد أن تستقر على الأرض يتبخر الماء عنها أو تمتصه الأرض.

فالآيه تمثل إحدى مفردات الإعجاز العلمى للقرآن،لأنّها تناولت موضوع الأمطار و تشقق الأرض و تهيئها للزراعه،بشكل علمى دقيق،و الآيه لم تتحدث عن شىء قد حدث،بل حدث و لا زال،يبدو أنّ هذا التفسير ينسجم مع ما تطرحه الآيه التاليه بخصوص عمليه الإنبات...مع ذلك، فلا ضير من قبول التفاسير الثلاثه للآيه و من جهات مختلفه.

و بعد ذكر ركنين أساسيين فى عمليه الإنبات-أى الماء و التراب-ينتقل القرآن بالإشاره إلى ثمانيه مصادر لغذاء الإنسان أو الحيوان: فَأَنْبَتْنا فِيها حَبًّا .

تعتبر الحبوب من الأغذيه الرئيسيه للإنسان و الحيوان معا،و تتوضح أهميتها فيما لو عمّ الجفاف-على سبيل المثال-فمدّه عام واحد،حيث يعمّ القحط و تنتشر المجاعه فى كلّ مكان.

«حبّا»:جاءت فى الآيه نكره،لتعظيم شأنها،أو لتشير إلى تنوع أصناف الحبوب،و ذهب البعض إلى أنّ الحنطه الشعير هما المرادان دون بقيه الحبوب، و لكن ليس هناك من دليل على هذا التخصيص،و إطلاق الكلمه يدل على شمول كلّ المحبوب.

ثمّ يضيف: وَ عِنَباً وَ قَضْباً .

و قد اختارت الآيه العنب دون البقيه لما أودع فيه من مواد غذائيه غنيه بالمقويات،حتى قيل عنه بأنّه غذاء كامل.

و مع أنّ«العنب»يطلق على الشجره و الثمره،و بالرغم من ورود كلا الاستعمالين فى الآيات القرآنيه،لكنّ المناسب هنا الثمره دون الشجره.

«قضبا»:هو الخضروات التى تحصد بين فتره اخرى،و ما أريد منها بالذات، تلك الخضراوات التى تؤكل من غير طبخ(تؤكل طريه)،و قد جاء ذكرها بعد

العنب لأهميتها الغذائيه، و قد أكّد هذا المعنى علم التغذيه الحديث.

و تستعمل كلمه(القضيب)بمعنى القطف و القطع أيضا،و(القضيب):غصن الشجره،و(سيف قاضب)بمعنى:قاطع.

و روى عن ابن عباس قوله:إن«القضيب»فى هذه الآيه هو(الرطب)،و لكنّ هذا المعنى بعيد جدّا للإشاره إلى الرطب فى الآيه التاليه.

و قيل أيضا:«القضب»الوارد فى الآيه،بمعنى ثمار النباتات الزاحفه (كالخيار و البطيخ و ما شابهه)،أو النباتات الأرضيه(كالبصل و الجزر...إلخ).

و لا يبعد من إراده كلّ الخضروات التى تؤكل طريقه و النباتات الزاحفه و كذا الأرضيه فى معنى«القضب»المشار إليه فى الآيه.

ثمّ يضيف وَ زَيْتُوناً وَ نَخْلاً و من الواضح أنّ ذكر هاتين الفاكهتين لما لهما من الأهميه الغذائيه للإنسان،حيث يعتبر الزيتون و الثمر من أهم الأغذيه المقويه و الصحيه و المفيده للإنسان.

و تأتى المرحله التاليه: وَ حَدائِقَ غُلْباً .

«الحدائق»:جمع(حديقه)،و هى الأرض المزروعه و المحاطه بسور يحفظها،و هى الأصل بمعنى:قطعه الأرض التى تحتوى على الماء،و سميّت حديقه تشبيها بحدقه العين من حيث الهيئه و حصول الماء فيها.

و يحتمل إشاره الآيه إلى أنواع الفواكه،باعتبار أنّ الحدائق غالبا ما تزرع بأشجار الفاكهه.

«غلب»:على وزن(قفل)،جمع(أغلب)و(غلباء)،بمعنى غليظ الرقبه،فلآيه إذن ترمز إلى الأشجار الشاهقه المتينه.

ثمّ يضيف: وَ فاكِهَهً وَ أَبًّا .

«الأبّ»:(بتشديد الباء):هو المرعى المهيأ للرعى و الحصد،و هو فى الأصل بمعنى«التهيؤ»،اطلق على المرعى لما فيه من أعشاب يكون بها مهيئا لاستفاده

الحيوانات منه.

و ذكر جمع من المفسّرين-من كلا الفريقين-فى ذيل الآيه:إنّ عمر بن الخطاب قرأ يوما على المنبر: فَأَنْبَتْنا فِيها حَبًّا وَ عِنَباً وَ قَضْباً إلى قوله تعالى:

وَ أَبًّا

..قال:كلّ هذا قد عرفناه،فما الأبّ!ثمّ رمى عصا كانت فى يده،فقال:هذا لعمر اللّه هو التكلف،فما عليك أن لا تدرى ما الأبّ!!اتّبعوا ما تبيّن لكم هداه من الكتاب فاعملوا به،و ما لم تعرفوه فكلوه إلى ربّه! (۱) .

و أغرب من ذلك،ما ورد فى(الدر المنثور)عن أبى بكر حينما سئل عن ذلك، أنّه قال:(أىّ سماء تظلنى و أىّ أرض تقلنى إذا قلت فى كتاب اللّه ما لا أعلم)! و قد اتّخذ كثير من علماء السنّه من الحديثين المذكورين على أنّه:لا ينبغى لأحد التكلم فيما لا يعلم،و على الأخص فى كتاب اللّه.

و لكن،يبقى فى الذهن إشكال...إذ كيف يكون لخليفه المسلمين أن لا يفقه كلمه وردت فى القرآن الكريم،مع كونها ليست من معضلات اللغه؟!!و هذا ما يوصلنا إلى ضروره وجود قائد الإلهى فى كلّ عصر،و أن يكون عارفا بجميع المسائل الشرعيه،و منزّها عن الخطأ(معصوما).

و لذلك،

روى عن أمير المؤمنين عليه السّلام،إنّه حينما سمع بما قاله الخليفه..قال:

«سبحان اللّه أما علم أنّ الأبّ هو الكلأ و المرعى،و أنّ قوله تعالى: وَ فاكِهَهً وَ أَبًّا اعتداد من اللّه بإنعامه على خلقه،فيما غذّاهم به،و خلقه لهم و لأنعامهم،ممّا تحيى به أنفسهم و تقوم به أجسادهم» (۲) .

و يواجهنا سؤال:إذا كانت الآيات السابقه ذكرت بعض أنواع الفاكهه،و الآيه المبحوثه تناولت الفاكهه بشكل عام،هذا بالإضافه إلى ذكر ل«حدائق»فى الآيه

۱- ۱) -تفسير الآيه المذكوره فى:تفسير روح المعانى،تفسير القرطبى،تفسير فى ظلال القرآن،الدر المنثور،و تفسير الميزان.

۲- ۲) -إرشاد المفيد،ص ۱۰۷،و عنه تفسير الميزان،ج ۲۰،ص ۳۱۹.

السابقه و التی قیل أنّ ظاهرها یشیر إلی الفاکهه...فلم هذا التکرار؟ الجواب:إنّ تخصیص ذکر العنب و الزیتون و التمر(بقرینه ذکر النخل)،إنّما جاء ذکرها لأهمیتها المیزه علی بقیه الفاکهه (۱) .

أمّا لماذا ذکرت بشکل منفصل عن الفاکهه؟فیمکن حمله علی ما للحدائق من منافع خاصّه بها،و لا تشترک الفاکهه فیها،کجمالیه منظرها و عذوبه نسیمها و ما شابه ذلک،بالإضافه إلی استعمال أوراق الأشجار و جذورها و قشور جذوعها کمواد غذائیه(کالشای و الزنجبیل و أمثالها)،أمّا بالنسبه للحیوانات، فأوراق الأشجار المختلفه من أفضل أغذیتها عموما...فالآیات إذن کانت فی صدد الحدیث عن غذاء الإنسان و الحیوان.

و لذلک...جاءت الآیه التالیه لتوضیح هذا المعنی: مَتاعاً لَکُمْ وَ لِأَنْعامِکُمْ .

«و المتاع»:هو کلّ ما یستفید منه الإنسان و یتمتع به.

***

بحث

اشاره

الغذاء النافع:

ذکرت الآیات المبحوثه ثمانیه أنواع من المواد الغذائیه النباتیه لسد احتیاجات الإنسان و الحیوانات،و هذا التأکید علی الأغذیه النباتیه یعطی ما للنباتات و الحبوب و الفاکهه من أهمیه غذائیه تفوق فی دورها علی الأغذیه الحیوانیه التی تأتی فی نظر القرآن فی المرتبه الثّانیه من حیث الأهمیه.

و قد اهتم علماء التغذیه حدیثا بما ورد فی القرآن الکریم فیما یخصّ مجال عملهم،و یکشف هذا الاهتمام بدوره عن عظمه القرآن و قوّه ما فیه...

۱- ۱) -بحثنا مفصّلا موضوع الأهمیه الغذائیه للزیتون و العنب و التمر فی هذا التفسیر ضمن تفسیر الآیه(۱۱)من سوره النحل- فراجع.

و على أيّه حال،فالتأمل فى هذه الأمور يزيد الإنسان معرفه بعظمه و لطف الخالق جلّ شأنه،و يوسّع اطلاعه فى تحسس نعم البارى جلّ اسمه على الخلائق أجمعين.

نعم..فالاهتمام فى مسأله غذاء الإنسان(الجسمى و الروحى)من حيث النوعيه و طريقه كسبه،يدفع الإنسان للتقرب أكثر من جاده معرفه اللّه و سلوك طريق رضوانه سبحانه،كما و يدفع إلى تهذيب و تزكيه النفس من أدران الشرك و قذاره الذنوب.

نعم.. فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ إِلى طَعامِهِ ،تمثل الآيه المباركه:أقصر تعبير لمعنى واسع و متشعب.

***

ص :۴۳۳

الآيات [سوره عبس (۸۰): الآيات ۳۳ الى ۴۲]

اشاره

فَإِذا جٰاءَتِ اَلصّٰاخَّهُ (۳۳) يَوْمَ يَفِرُّ اَلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (۳۴) وَ أُمِّهِ وَ أَبِيهِ (۳۵) وَ صٰاحِبَتِهِ وَ بَنِيهِ (۳۶) لِكُلِّ اِمْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (۳۷) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَهٌ (۳۸) ضٰاحِكَهٌ مُسْتَبْشِرَهٌ (۳۹) وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهٰا غَبَرَهٌ (۴۰) تَرْهَقُهٰا قَتَرَهٌ (۴۱) أُولٰئِكَ هُمُ اَلْكَفَرَهُ اَلْفَجَرَهُ (۴۲)

التّفسير

اشاره

صيحه البعث...

و ينتقل الحديث فى هذه الآيات إلى يوم القيامه و تصوير حوادثه،و ما سيؤول فيه من أحوال المؤمنين الكافرين،كلّ بما كسبت يداه و قدّم.

فمتاع الحياه الدنيا و إنّ طال فهو قليل جدّا فى حساب حقيقه الزمن،و أنّ خالق كلّ شىء لعظيم فى خلقه و شأنه،و أنّ المعاد حق و لا بدّ من حتميه وقوعه.

و يقول القرآن الكريم: فَإِذا جٰاءَتِ الصّٰاخَّهُ (۱)

۱- ۱) -ثمّه احتمالات كثيره فى تعيين جزاء الشرط لهذه الجمله الشرطيه...الأوّل:إنّه محذوف بدلاله الآيات التاليه،التقدير:(فإذا

«الصّاخه»:من(صخّ)،و هو الصوت الشديد الذى يكاد أن يأخذ بسمع الإنسان،و يشير فى الآيه إلى نفخه الصور الثّانيه،و هى الصيحه الرهيبه التى تعيد الحياه إلى الموجودات بعد موتها جميعا ليبدأ منها يوم الحشر.

نعم،فالصيحه من الشدّه بحيث تذهله عن كلّ ما كان مرتبطا به،سوى نفسه و أعماله.

و لذا،تأتى الآيه التاليه،و لتقول مباشره: يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ .

ذلك الأخ الذى ما كان يفارقه و قد ارتبط به بوشائج الاخوه الحقه! و كذلك: أُمِّهِ وَ أَبِيهِ .

حتى: وَ صاحِبَتِهِ وَ بَنِيهِ .

فوحشه و رهبه يوم القيامه لا تنسى الأخ و الام و الأب و الزوجه و الأولاد فحسب،بل و تتعدى إلى الفرار منهم،و عند ما ستتقطع كلّ روابط و علاقات الإنسان الفرد مع الآخرين...فحينها سوف لا يهتم إلّا نفسه و ما قدّم،و سينسى:

امّه التى كانت تحبّه و تفديه..

و أبو الذى ربّاه و احترمه..

و زوجته التى لا تعرف غيره..

و أولاده..ثمره كبده و قره عينه..

و قيل:إنّما يكون الفرار للتهرب من الحقوق التى لهم عليه،و هو عاجز عن أدائها.

و قيل أيضا:إنّما يفر المؤمنون خاصّه من أقربائهم من غير المؤمنين و غير المتقين،خوفا من الإصابه بما سيصيب أولئك من عقاب.

١)

جاءت الصاخه فما أعظم أسف لكافرين)-تفسير المراعى.و الثانى:و فى(مجمع البيان)قيل:إنّه لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ .و الثالث:أمّا فى(روح المعانى)،فقد احتمل:إنّه مستفاد من جمله يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ ،و التقدير:(فإذا جاءت الصاخه يفر المرء من أخيه).

و يبدو أنّ التفسير الأوّل أنسب و لا مانع من الجمع بينهما.

و لكن...ما سرّ تسلسل ذكر الأخ،ثمّ الامّ،فالأب من بعدها،و من ثمّ الزوجه و الأولاد؟ يعتقد بعض بأنّ التسلسل قد لوحظ فيه شدّه العلاقه ما بين الفار و من يرتبط بهم،و قد تسلسل الذكر من الأدنى حتى الأعلى،ليعطى لهذا التصوير بعدا بلاغيا، فهو من أخيه،ثمّ من أمّه و أبيه،ثمّ من زوجته و بنيه.

و لكن:يصعب الخروج بقاعده كليه تختص فى ترتيب العلائق بين الناس، فالناس ليسوا سواسيه فى هذا الجانب،فقد نجد من يكون مرتبطا بأخيه أكثر من أىّ إنسان الآخر،و نجد ممن لا يقرّب على علاقته بامّه شىء،و ثمّه من تكون زوجته رمز حياته،أو من يفضل ابنه حتى على نفسه...إلخ.

و ثمّه عوامل اخرى تدخل فى التأثير على علاقه الإنسان بأخيه و أبيه و زوجته و بنيه،و على ضوئها لا يمكننا ترجيح أفضليه أىّ منهم على الآخر من جميع الجهات،و عليه فلا يمكن القطع بأنّ التسلسل الوارد فى الآيه قد جاء على أثر أهميه و شده العلاقه.

و لكن...لم الفرار؟... لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ .

«يغنيه»:كنايه لطيفه عن شدّه انشغال الإنسان بنفسه فى ذلك اليوم،و لما سيرى من حوادث مذهله،تأخذه كاملا،فكرا و قلبا.

و

قد سئل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن الحميم،و هل يذكره الرجل يوم القيامه؟فقال:

«ثلاثه مواطن لا يذكر(فيها)أحد أحدا:عند الميزان،حتى ينظر أ يثقل ميزانه أم يخف؟..و عند الصراط،حتى ينظر أ يجوزه أم لا؟..و عند الصحف،حتى ينظر بيمينه يأخذ الصحف أم بشمال؟..فهذه ثالثه مواطن لا يذكر فيها أحد حميمه و لا حبيبه و لا قريبه و لا صديقه،و لا بنيه و لا والديه،ذلك قوله تعالى: لِكُلِّ امْرِئٍ

مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ

(۱)

.

و ينقل البيان القرآنى ليصور لنا حال العباد بقسميهم فى ذلك اليوم،فتقول:

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ

أى مشرقه و صبيحه.

ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ

.

وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْها غَبَرَةٌ

.

تَرْهَقُها قَتَرَةٌ

أى تغطيها ظلمات و دخان.

أُولئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ

.

«مسفره»:من(الأسفار)،بمعنى الظهور بياض الصبح بعد ظلام الليل.

«غبره»:على وزن(غلبه)،من(الغبار).

«قتره»:من(القتار)،و هو شبه دخان يغشى من الكذب،و قد فسّره بعض أهل اللغه ب(الغبار)أيضا،و لكن ذكرهما فى آيتين«الغبره و القتره»متتاليتين منفصلتين يشير إلى اختلافهما فى المعنى.

«الكفره»:جمع(كافر)،و الوصف يشير إلى فاسدى العقيده.

«الفجر»:جمع(فاجر)،و الوصف يشير إلى فاسدى العمل.

و نستخلص من كلّ ما تقدّم،إنّ آثار فساد العقيده لدى الإنسان و أعماله السيئه ستظهر على وجهه يوم القيامه.

و قد اختير الوجه،لأنّه أكثر أجزاء الإنسان تعبيرا عمّا يخالجه من حالات الغبطه و السرور أو الحزن و الكآبه،فبإمكانك و بكلّ وضوح أن تعرف أنّ فلانا مسرورا أم حزينا من خلال رؤيتك لما انطبع على وجهه،و حالات:السرور، و الحزن،و الخوف،و الغضب،و الخجل و ما شابه،لها بصمات خاصّه على ملامح و تقاسيم الوجه.

۱- ۱) -تفسير البرهان،ج ۴،ص ۴۲۹.

و على أيّه حال..فالوجوه الضاحكه المستبشره،تحكى عن:الإيمان و طهاره القلب و صلاح الأعمال.

و بعكس الوجوه المقابله و الداله على:ظلام الكفر،قبح الأعمال،و كأنّ وجوههم قد غطاها الغبار،تراها مسوده،و تحيط بها هاله من الدخان..

و ترى معانى الغم و الألم و الأسف قد تجسدت على الوجوه،كما تشير إلى ذلك الآيه(۴۱)من و سوره الرحمن: يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ ...فيكفى لمعرفه حال الإنسان فى يوم القيامه من خلال النظر إلى وجهه.

***

بحث

اشاره

أسس البناء الذاتى:

لقد حملت السوره المباركه بين طياتها برنامجا تربويا جامعا لنباء النفس و تزكيتها:

۱-فقد أمرت بكسر حاجز الغرور و التكبر،و التحلى بالتأمل فى بدء خلق الإنسان،فهذا الذى ابتدأ وجوده من نطفه قذره،لا ينبغى عليه أن يتطاول و يرى نفسه أكبر من حجمها الطبيعى.

۲-التمسك بطرق الهدايه الرّبانيه(هدايه الوحى،تعاليم الأنبياء و برامج الأولياء الصالحين،و كذا الهدايه الحاصله عن العقل بدراسه قوانين و أنظمه عالم التكوين)،فهو أفضل زاد فى مشوار طريق البناء.

۳-و تأمر بالإنسان للتفكر فى طعامه-من أين جاء كيف صار،و ما سرّ اختلاف ألوانه و أنواعه-ليصل إلى عظمه الخلاق و مدى لطفه و رحمته على عباده،و لا بدّ للإنسان من السعى فى كسب لقمه الحلال و التى تعتبر من أهم أركان التربيه السليمه،و ذلك لما لها من آثار نفسيه و شرعيه.

۴-و إذا ما أعطت السوره كلّ هـذه الأهميه لغذاء البدن،فهی تدفع الإنسان للتحری عن سـلامه غذاءه الروحی،لأنّ فعل التعليمات المنحرفه و التوجيهات الفاسده الباطله كفعل الغذاء المسموم،فهی تنخر فی البناء الروحی و تعرض حياه الإنسان للخطر.

و ممّا يحزّ فی نفوس المؤمنين أن يروا قسـما من الناس و قـد تكالبوا علی غـذاء البـدن بكلّ دقه و اعتناء،و أهملوا الغذاء الروحی فتری(مثلا)من يقرأ أیّ كتاب و إن كان فاسـد و مفسّـد،و يسـتمع لأیّ حديث و إن كان ضالا مضـلا،دون أن يضع لتوجيهاته أیّ ضابط بقيد أو شرط! و قد جسّد أمير المؤمنين عليه السّلام هذا المعنی

بقوله: «مـا لی أری النـاس إذا قرب إليهم الطعـام ليلا- تكلفوا إنـاره المصابيـح،ليبصـروا مـا يـدخلون بطونهم،و لا- يهتمون بغـذاء النفس،بأن ينيروا مصابيح ألبابهم بالعلم،ليسلموا من لواحق الجهاله و الذنوب،فی اعتقاداتهم و أعمالهم» (۱) .

و

روی شبيه هـذا القول عن الإمـام الحسن المجتبی عليه السّـلام: «عجبت لمن يتفكر فی مـأكوله،كيف لا يتفكر فی معقوله،فيجنب بطنه ما يؤذيه،و يودع صدره ما يرديه» (۲) .

۵-ثمّ تذكّر السوره بصيحه البعث الرهيبه التی تضع الإنسان وجها لوجه أمام ما قدّمت يداه من أعمال فی الحياه الدنيا...

فعلی الإنسان أن يتفكر فی أمر آخرته،و عليه أن يعمل ليكون ضاحك الوجه مستبشـرا فی ذلك اليوم المحتوم،و أن يجهـد بكلّ ما أمكنه للتخلص ممّا يؤدی به لأن يكون عبوسا حزينا.

اللّهمّ،وفقنا لتربيه و تزكيه و أنفسنا..

۱- ۱) -سفينه البحار،ج ۲،ص ۸۴.

۲- ۲) -المصدر السابق.

اللّهم،لا تحرمنا من نعمه التوجه الصحيح الشاخص لساحه رضوانک..

اللّهم،أيقظنا من غفلتنا و اجعل عاقبتنا على خير...

آمين ربّ العالمين نهايه سوره عبس ***

ص :۴۴۰

سوره التّکویر

اشاره

مکیه و عدد آیاتها تسع و عشرون آیه

ص: ۴۴۱

«سوره التكوير»

محتوى السوره:

كثير من القرائن المختلفه فى السوره تدل على أنّها مكّيه:نسبه الجنون إلى النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من قبل أعداء الإسلام،و هذا ما كان يحدث كثيرا فى مكّه،خصوصا فى بدايه الدعوه المحمّديه،لتصور الأعداء أنّهم بافتراءتهم تلك سيصرفون أنظار الناس عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و دعوته الإلهيه.

و على أيّه حال،فالسوره تدور حول محورين أساسيين:

المحور الأوّل:هو ما شرعت به السوره من تبيان علائم يوم القيامه،و ما يواجه العالم من تغييرات قبيل يوم القيامه.

المحور الثّانى:الحديث عن عظمه القرآن و من جاء به،و أثره على النفس الإنسانيه،بالإضافه إلى تكرار اليمين و القسم فى آيات عدّه لإيقاظ الإنسان من غفلته.

فضيله السوره:

وردت أحاديث كثيره تبيّن أهميه السوره و فضل تلاوتها،و منها:ما

روى عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال: «من قرأ سوره: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ أعاذه اللّه تعالى أن يفضحه حين تنشر صحيفته» (۱) .

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۴۴۱.

و

فی حدیث آخر،أنّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: «من أحبّ أن ینظر إلیّ یوم القیامه فلیقرأ:

إِذَا الشَّمْسُ کُوِّرَتْ » (۱) .

و

روی الحدیث بشکل آخر: «من سرّه أن ینظر إلی یوم القیامه(کأنّه رأی عین)فلیقرأ: إِذَا الشَّمْسُ کُوِّرَتْ و إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ و إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ». (لأنّ هذه السور تعرض علائم یوم القیامه و أحداثه بشکل و کأنّ التالی لها یشاهد یوم القیامه بعینه). (۲)

و

فی حدیث آخر، سئل النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عن ظهور آثار کبر السن علیه،فقال:

«شیبتنی هود و الواقعه و المرسلات و عمّ یتساءلون و إذا الشمس کورت». (۳)

و

عن الإمام الصّادق علیه السّلام أنّه قال: «من قرأ عبس و تولّی و إذا الشمس کوّرت کان کان تحت جناح اللّه من الخیانه و فی ظلّ اللّه و کرامته،و فی جنانه،و لا یعظم ذلک علی ربّه إن شاء اللّه».

و تلاوه القرآن المقصوده فی الأحادیث أعلاه،ینبغی أن یکون بشروطها من:التأمل،الإیمان،و العمل.

***

۱- ۱) -المصدر السابق.

۲- ۲) -تفسیر القرطبی،ج ۱۰،ص ۷۰۱۷،و یحتمل أن یکون معنی هذا الحدیث شامل للحدیث السابق.

۳- ۳) -تفسیر نور الثقلین،ج ۵،ص ۵۱۳.

الآيات [سوره التكوير (٨١): الآيات ١ الى ٩]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ إِذَا اَلشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَ إِذَا اَلنُّجُومُ اِنْكَدَرَتْ (٢) وَ إِذَا اَلْجِبٰالُ سُيِّرَتْ (٣) وَ إِذَا اَلْعِشٰارُ عُطِّلَتْ (۴) وَ إِذَا اَلْوُحُوشُ حُشِرَتْ (۵) وَ إِذَا اَلْبِحٰارُ سُجِّرَتْ (۶) وَ إِذَا اَلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَ إِذَا اَلْمَوْؤُدَهُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩)

التّفسير

اشاره

يوم تطوى الكائنات فيه!

نواجه فى بدايه السوره،إشارات قصيره،مثيره و مرعبه لما سيجرى لنهايه العالم المذهله-بدايه يوم القيامه-فتنقل الإنسان فى فكره و أحاسيسه إلى مفاجئات ذلك اليوم الرهيب،قد تحدثت تلك الإشارات عن ثمانيه علائم من و يوم القيامه.

و أول مشهد عرضته عدسه العرض القرآنى،هو: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ .

«كورت»:من(التكوير)،بمعنى الطى و الجمع و اللّف(مثل لف العمامه على الرأس)،و أخذ هذا المعنى من كتب اللغه و التفسير و المختلفه.

و استعملت كذلك بمعنى:(الرومى)أو(إطفاء شىء).. و المعنيان-كما يبدو-

مستمدان من المعنى الأصلى.

و على أيّه حال،فالمقصود هو:خود نور الشمس و ذهابه،و تغيّر نظام تكوينها.

و كما بات معلوما...فالشمس فى وضعها الحالى،عباره عن كره مشتعله، على هيئه غازيه ملتهبه،و تتفجر الغازات على سطحها بصوره شعلات هائله محرقه،قد يصل ارتفاعها إلى مئات الآلاف من الكيلو مترات! و لو قدّر وضع الكره الأرضيه وسط شعله منها،فإنّها تستحيل فورا إلى رماد و كتله من الغازات!! و لكن...عند حلول وقت نهايه العالم،و الاقتراب من يوم القيامه،سيخمد ذلك اللهب المروع،و ستجمع تلك الشعلات،فيطفأ نور الشمس،و يصغر جمها...و هو ما أشير إليه بالتكوير.

و جاء فى(لسان العرب):(كورت الشمس:جمع ضوءها و لف كما تلف العمامه).

و قد أيّد العلم الحديث هذه الحقيقه،من خلال اعتقاده و بعد دراسات علميه كثيره،بأنّ الشمس تسير تدريجيا نحو الظلام و الانطفاء.

و يأتى المشهد الثّانى: وَ إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ .

«انكدرت»:من(الانكدار)،بمعنى السقوط و التناثر،و اشتق من(الكدوره)، و هى السواد و الظلام.

و يمكن جمع المعنيين فى الآيه،لأنّ النجوم فى يوم القيامه ستفقد إشعاعها و تتناثر و تسقط فى هاويه الفناء،كما تشير إلى ذلك الآيه(٢)من سوره الإنفطار:

وَ إِذَا الْكَوٰاكِبُ انْتَثَرَتْ ،و الآيه(٨)من سوره المرسلات: فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ .

و المشهد الثّالث: وَ إِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ .

و قد ذكرنا مراحل فناء الجبال،ابتداء من السير و الحركه و انتهاء بتحولها إلى غبار متناثر(فراجع تفسير الآيه(٢٠)من سوره النبأ).

و ثمّ يأتى در و المشهد الرّابع: وَ إِذَا الْعِشارُ عُطِّلَتْ .

«العشار»:جمع(عشراء)،و هى الناقه التى مرّ على حملها عشره أشهر، فأضحت على أبواب الولاده،بعد ما امتلأت أثداؤها باللبن.

و هى من أحبّ و أثمن النوق لدى العرب زمن نزول الآيه المباركه.

«عطلت):تركت لا راعى لها.

فهول و وحشه القيامه،سينسى الإنسان أحبّ و أثمن ما يمتلكه.

و قال العلاّمه الطبرسى فى مجمع البيان:و قيل:العشار،السحاب تعطل فلا تمطر.أى:إنّ الغيوم ستظهر فى ذلك اليوم،و لكن لا تمطر(و يمكن أن يكون الغيوم ناشئه من الغازات و المختلفه،أو تكون غيوما ذريه،أو طبقات من الغبار الناتج من تدمير الجبال..و كلّ ذلك لا تمطر).

و يضيف الطبرسى قائلا:قال الأزهرى:لا أعرف هذا فى اللغه.

و ثمّه علاقه بين ما ذهب إلى الشيخ الطريحى فى(مجمع البحرين)بقوله:

العشار:بمعنى الناقه الحامل ثمّ اطلق على كلّ حامل،و بين إطلاقها فى الآيه.فلا غيوم غالبا ما تكون محمله بالأمطار،و لكن الغيوم التى ستظهر فى السماء على أعتاب ذلك اليوم سوف لا تكون حامله بالمطر-فتأمل.

و قيل:«العشار»:هى البيوت أو الأراضى الزراعيه التى ستتعطل بذلك اليوم، و ستخلو من الناس و الزراعه.

و أشهر ما فسّرت به الآيه هو التفسير الأوّل.

و ينتقل المشهد الخامس إلى الوحوش: وَ إِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ .

فالحيوانات الوحشيه التى تراها فى الحالات العاديه تبتعد الواحده عن الأخرى خوفا من الافتراس و البطش، ستراها و قد جمعت فى محفل واحد،و كلّ

منهـا لاـ يلتفت إلى ما حوله لما سـيطاب به من رهبه و أهوال ذلك اليوم الخطير، و كأنّها تقصـد من اجتماعها هـذا التخفيف عن شـدّه خوفهـا و فزعها!! و نقول:إذا اضـمحلت كلّ خصائص الوحشـيه للحيوانات غير الأليفه نتيجه لأهوال يوم القيامه،فما سـيكون مصـير الإنسان حينئذ؟! و يعتقد كثير من المفسّـرين بأنّ الآيه تشـير إلى حشر الحيوانات الوحشيه فى عرصه يوم القيامه لمحاسبتها على قدر ما تحمل من إدراك،و يستدلون بالآيه (۳۸)من سوره الأنعام على ذلك،و التى تقول: وَ مٰا مِنْ دَابَّهٍ فِى الْأَرْضِ وَ لاٰ طٰائِرٍ يَطِيرُ بِجَنٰاحَيْهِ إِلاّٰ أُمَمٌ أَمْثٰالُكُمْ مٰا فَرَّطْنٰا فِى الْكِتٰابِ مِنْ شَىْءٍ ثُمَّ إِلىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (۱) .

و ما يمكننا قوله:إنّ الآيه تتحدث عن علائم نهايه الدنيا المهوله،و بدايه عالم الآخره،و عليه..فالتّفسير الأوّل أنسب.

و تصوّر البحار فى المشهد السادس: وَ إِذَا الْبِحٰارُ سُجِّرَتْ .

«سجّرت»:من(التسجير)،بمعنى إضرام النّار.

و إذا خالـج القـدماء التعجب و الاسـتغراب لهـذا الوصف القرآنى،فقـد بات اليوم من البديهيات الكسبيه،لما يتركب منه الماء من عنصـرى الأوكسـجين و الهيـدروجين،القابلاـت للاشـتعال بسـرعه،و لاـ يسـتبعد أن يوضع الماء-فى إرهاصات يوم القيامه-تحت ضغط شديد ممّا يؤدى إلى تجزئه و تفكيك عناصره،و عند ما سيتحول إلى كتله ملتهبه من النّار.

و قيـل:«سـجّرت»:بمعنى(امتلأت)،كما يقال للنور الممتلئ بالنّار (مسـجّر)،و على ضوء هـذا المعنى،يمكننا أن نتصور امتلاء البحار ممّا سيتسبب من الزلازل الحادثه و تدمير الجبال فى إرهاصات يوم القيامه،أو ستمتلئ بما

۱- ۱) -بحثنا موضوع حشر و حساب الحيوانات فى هذا التفسير ذيل الآيه(۳۸)من سوره الأنعام،فراجع.

يتساقط من أحجار و صخور سماويه،فيفيض ماؤها على اليابسه ليغرق كلّ شىء.

و يأتى درو المشهد السابع: وَ إِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ .

فتبدأ المآلفه بخلاف حال الدنيا...فالصالحون مع الصالحين،و المسيؤون مع المسيئين،و أصحاب اليمين مع أصحاب اليمين،و أصحاب الشمال مع أصحاب الشمال،فإذا ما جاور المؤمن مشركا،أو تزوج الصالح من غير الصالحه فى الحياه الدنيا،فتصنيف يوم لقيامه غير ذلك،فهو يوم الفصل الحق.

و ثمّه احتمالات اخرى،منها:

ردّ الأرواح إلى أجسادها..

زواج الصالحين بالحور العين..

قرن الضالين بالشياطين..

لحوق الإنسان بحميمه،بعد أن فرّق الموت بينهما..

قرن الإنسان بأعماله.

و التّفسير الأوّل أقرب،بدلاله الآيات(٧-١١)من سوره الواقعه: وَ كُنْتُمْ أَزْوٰاجاً ثَلاٰثَهً فَأَصْحٰابُ الْمَيْمَنَهِ مٰا أَصْحٰابُ الْمَيْمَنَهِ، وَ أَصْحٰابُ الْمَشْئَمَهِ مٰا أَصْحٰابُ الْمَشْئَمَهِ وَ السّٰابِقُونَ السّٰابِقُونَ أُولٰئِکَ الْمُقَرَّبُونَ .

فبعد أن تحدثت الآيات السابقه لهذه الآيه عن سته تحولات،كمقدمات يوم القيامه،تأتى الآيه أعلاه لتخبر عن اولى خطوات يوم القيامه،المتمثله بالتحاق كلّ شخص بقرينه.

و نصل إلى المشهد الثّامن: وَ إِذَا الْمَوْؤُدَهُ سُئِلَتْ بِأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ .

«الموءوده»:من(الوأد)على وزن(وعد)،بمعنى دفن البنت حيّه بعد ولادتها.

و قيل:الوأد بمعنى الثقل،و توسع معناه(لما ذكر)،لما فيه من دفن البنات فى

القبر و إلقاء التراب عليهن.

و أطلق الأئمّه الأطهار عليهم السّلام مفهوم الوأد،ليشمل كلّ قطع رحم و قطع مودّه...

حينما

سئل الإمام الباقر عليه السّلام عن معنى الآيه،قال:«من قتل فى مودّتنا». (۱)

و فى روايه اخرى:إنّ الدليل على ذلك هو آيه القربى: قُلْ لاَ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّهَ فِى الْقُرْبىٰ (۲) .

و لا شك أنّ التفسير الأوّل ينسجم مع ظاهر الآيه،و لكن المفهوم و الملاك قابلان للتوسع و الشمول.

***

ملاحظات

اشاره

۱-وأد البنات

تعتبر عاده(الوأد)-و التى أشار إليها القرآن الكريم مرارا-من أقبح جرائم و عادات عصر جاهليه ما قبل الإسلام.

و إذا كان البعض قد حصرها فى قبيله(كنده)أو بعض القبائل الصغيره المتناثره هنا و هناك دون بقيه القبائل العربيه الاخرى،فالمسلم به إنّها كانت من الشيوع بحيث تناول القرآن الكريم ذكرها لأكثر من مرّه و بتأكيد شديد.

و لكن،حتى مع افتراضنا لندره هذا العمل القبيح،فإنّه من القباحه و الشناعه ما يدعونا لبحثه و دراسته...

يقول المفسّرون:كانت المرأه فى الجاهليه إذا ما حان وقت ولادتها،حفرت حفره و قعدت على رأسها،فإن ولدت بنتا رمت بها فى الحفره،و إن ولدت غلاما حبسته،و قال شاعرهم مفتخرا:

۱- ۱) -تفسير البرهان،ج ۴،ص ۴۳۲،ح ۱۱.

۲- ۲) -المصدر السابق،ح ۷.

سميتها إذا ولدت(تموت)

و القبر صهر ضامن ذميت (۱)

و ثمّه أسباب كثيره وراء هذه الجريمه البشعه،منها:

احتقار المجتمع الجاهلى للمرأه...

وجود الفقر الشديد فى تلك الحقبه الزمنيه،و المرأه كانت مستهلكه غير منتجه،إضافه لعدم اشتراكها فى الغارات التى تقوم بها القبيله لتوفير لقمه العيش.

الخوف من وقع النساء أسرى فى شباك الأعداء،نتيجه للمعارك التى كانت دائره على الدوام بين القبائل،لأنّ فى هكذا أسر جرح للشرف و إذلال شديد.

و تجمعت هذه الأسباب(بالإضافه لأسباب اخرى)فأدت إلى ظهور عاده (الوأد)الوحشيه بين أفراد القبائل فى ذلك العصر القابع تحت ظلام الجهل المقيت.

و ممّا يؤسف له،إنّ جاهليه القرون الأخيره قد كررت تلك الممارسات البشعه و بصور اخرى،حتى وصل ببعض الدول تدّعى التمدن و التحضر لأنّ تقنن و تقرّ(حريه)إسقاط الجنين!نعم،فالحال واحده..فإذا كان أهل الجاهليه الاولى يقتلون البنت،فمتمدنى هذا العصر يقتلون الأطفال و هم فى بطون أمهاتهم(بنتا أو ابنا)!! و للحصول على تفاصيل هذا الموضوع،راجع ذيل الآيه(۵۹)من سوره النحل.

۲-أهميه المرأه فى الإسلام

بإمكان أن نستشف مدى اهتمام الإسلام بالمرأه و بالدم الإنسانى(خصوصا دم الأبرياء)،من خلال اهتمام البارى جلّ شأنه بمسأله و أد البنات،و يكفى

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۴۴۴.

القرآن الكريم دلاله على أن قدّم ذكر بحث مسأله الوأد فى محكمه العدل الإلهى يوم القيامه على مسأله نشر صحف الأعمال و بقيه المسائل الأخرى،لما فيها من قباحه و شناعه فى حق المرأه كإنسانه لها حقّ الحياه كما للرجل من حقّ.

٣-من الإنسان..الموءوده أم الوائد؟

لو أمعنا النظر فى أسلوب كلام الآيه،لرأينا أنّ السؤال سيوجه يوم القيامه إلى الموءوده دون الرائد على الذنب الذى قتلت من أجله،و كأنّ القاتل لا-قيمه له حتى يسأل عن قباحه جريمته،بالإضافه إلى الاكتفاء بشهاده الموءوده لإثبات جريمه الوائد عليه...فالموءوده تعامل يوم القيامه باعتبارها إنسان محترم له حقوقه،و الرائد مهمل مهان.

***

الآيات [سوره التكوير (٨١): الآيات ١٠ الى ١۴]

اشاره

وَ إِذَا اَلصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَ إِذَا اَلسَّمٰاءُ كُشِطَتْ (١١) وَ إِذَا اَلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَ إِذَا اَلْجَنَّهُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مٰا أَحْضَرَتْ (١۴)

التّفسير

اشاره

يوم يرى الإنسان ما قدّم!!

فبعد مرحله الفناء العام،تأتى مرحله الظهور الجديد للعالم،لتقام محكمه العدل الالهى.و من خطوط هذه المرحله: وَ إِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ .

«الصحف»:جمع(صحيفه)بمعنى المبسوط من الشيء،كصحيفه الوجه، و الصحيفه التى يكتب عليها.

فستنشر الصحف التى دوّنت فيها أعمال الناس من قبل الملائكه و كلّ سيعرف جزاءه بعد الاطلاع على صحيفه أعماله،كما تشير إلى ذلك الآيه(١۴) من سوره الإسراء: اِقْرَأْ كِتٰابَكَ كَفىٰ بِنَفْسِكَ اَلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً .

و سيكون نشر الصحف أمام الملأ العام لتقرّ عيون المحسنين سرورا، و يقاسى المسيؤون العذاب النفسى.

ثمّ يضيف: وَ إِذَا السَّمٰاءُ كُشِطَتْ .

«کشطت»:من(الکشط)علی وزن(کشف)،بمعنی قلع جلد الناقه،کما قال الراغب فی مفرداته،و أمّا فی(لسان العرب)فتعنی:کشف الغطاء عن الشیء، و«تکشط السحاب»أی،تقطع و تفرّق.

و ما یراد من«کشطت»فی الآیه،هو:رفع الحجب الفاصله بین العالمین الدنیوی و العلوی،التی تمنع رؤیه الناس للملائکه أو الجنّه و النّار،فیری الإنسان حینها عالم الوجود شاخص أمام ناظریه شخوصا حقیقیا،و کما تصور الآیات التالیه ذلک،حیث أنّ الجنّه ستقترب من الإنسان لیری نعیمها،و تزداد النّار سعیرا لاهبه.

نعم،أو لیس یوم القیامه(یوم البروز)..فلا الحقائق ستخفی، و لا یکون للحجب أثرا.

فالآیه و ما سبقها و سیلحقا إذن(حسب التفسیر أعلاه)قد تحدثت عن المرحله الثّانیه للقیامه-مرحله ما بعد البعث-فما ذکره کثیر من المفسرین،من کون الآیه تشیر إلی انهیار و تحطم السماوات،و المتعلق بحوادث المرحله الاولی للقیامه(مرحله الفناء العام)،یبدو أنّه بعید،لأنّه لا ینسجم مع معنی«کشطت»من جهه اخری.

و یتأکد ذلک بوضوح من خلال الآیه: وَ إِذَا الْجَحِیمُ سُعِّرَتْ .

فجهنّم موجوده فی کل الأوقات،و لکنّ حجب الدنیا هی المانعه من رؤیتها، فالآیه علی سیاق الآیه(۴۹)من سوره التوبه: وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِیطَهٌ بِالْکافِرِینَ ، و کما أنّ جهنّم موجوده فالجنّه کذلک بدلاله آیات قرآنیه کثیره (۱) .

و یبّین البیان القرآنی بذات السیاق السابق: وَ إِذَا الْجَنَّهُ أُزْلِفَتْ .

و هذا المعنی هو تکرار لما جاء فی الآیه(۹۰)من سوره الشعراء:

۱- ۱) -آل عمران،الآیه ۱۳۳؛و الحدید،الآیه ۲۱...إلخ.

وَ أُزْلِفَتِ الْجَنَّهُ لِلْمُتَّقِينَ .

«أزلفت»:من(زلف)على وزن(حرف)..و«زلفى»:على وزن(كبرى)، بمعنى القرب،فيمكن أن يكون المراد هو:القرب المكانى،أو القرب الزمانى، أو القرب من حيث الأسباب و المقدمات،و يمكن أيضا أن تحمل الكلمه جميع ما ذكر من معان.

فستكون الجنّه قريبه من المؤمنين من حيث:المكان،زمان دخولها،من حيث تسهيل أسبابها لهم.

و قد تجلت مكانه المؤمنين عند اللّه حينما صرحّت الآيه باقتراب الجنّه من المؤمنين،و لم تقل:اقترب المؤمنين من الجنّه.

و كما قلنا آنفا...فالجنّه و النّار موجودتان فى كلّ وقت،و لكن مع حلول يوم القيامه تكون الجنّه و النّار أشدّ اشتعالا من أى وقت مضى.

و تأتى الآيه الأخيره(من الآيات المبحوثه)لتتم ما جاء قبلها من جمل، حيث تمثل جزاء الشرط للجمل السابقه و التى وردت فى(١٢)آيه: عَلِمَتْ نَفْسٌ مّا أَحْضَرَتْ .

فستحضر أعمال الإنسان كامله،و لا من محيص من العلم و الاطلاع بها فى عالم الشهود و المشاهده.

و قد ذكر القرآن الكريم هذه الحقيقه مرات عديده فى آيات مباركات،منها...

الآيه(۴۹)من سوره الكهف: وَ وَجَدُوا مّا عَمِلُوا حَاضِراً ،و الآيه الأخيره من سوره الزلزال: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّهٍ خَيْراً يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّهٍ شَرًّا يَرَهُ .

فالآيه إذن...تبيّن مسأله(تجسم الأعمال)فى يوم القيامه،فأعمالنا التى نتصورها قد انتهت و فنت فى عالمنا الدنيوى،هى ليست كذلك،فكل عمل قمنا به سيتجسم بصوره ما،ليحضر أمام أعيننا فى عرصه المحشر الرهيبه.

***

بحثان

اشاره

۱-تناسق الآيات

تمّت الإشاره إلى(۱۲)حادثه من حوادث يوم القيامه،فالحوادث السته الأولى قد ارتبطت بمرحله الفناء العام للعالم(المرحله الأولى)،و السته الثّانيه قد اختصت بمرحله عوده الحياه بعد الموت من جديد.

و كان الحديث فى السته الأولى عن:ذهاب ضوء الشمس،تساقط و تناثر النجوم،إزاله الجبال عن واقعها و تحولها إلى غبار منتشر،إضرام البحار نارا، نسيان المال و الثروه،اجتماع الحيوانات الوحشيه فى مكان واحد...

فيما كان الحديث فى لسته الثانيه عن:حشر الناس فرادى،سؤال الموءوده عن ذنبها الذى قتلت من أجله!،و نشر الصحف،ارتفاع الحجب عن صفحه السماء،اشتعال أوار جهنّم و اقترب الجنّه،و اطلاع الإنسان على كل أعماله مجسده.

و رغم قصر جمل الآيات إلّا أنّها حملت الكثير من المعانى و بأسلوب مثير يعمل على تحريك ضمير الإنسان و يدفعه للتوغل فى أعماق التأمل و الفكر...

و قد جسّمت الآيات نهايه العالم بتصوير رائع،بحيث قربت إلى الأذهان كيفيه حدوث القيامه،كل ذلك فى عبارات وجيزه و بألفاظ سهله،و كلّ هذا يعطى مدى قوّه بيان و بلاغه القرآن الكريم...فما أجمل و أعذب القرآنيه،و ما أغزرها بالمعانى و الإشارات!!

۲-هل ستطفئ المنظومه الشمسيه،و هل ستخمد النجوم؟؟

قبل البدء بالإجابه لا بدّ من بيان بعض ما توصل إليه العلم الحديث بخصوص المنظومه الشمسيه:

إنّ الشمس(التى تعتبر مركز المنظومه الشمسيه)متوسطه الحجم نسبه إلى

بقیه النجوم السابحه فی السماء،و لکنّها نسبه إلی الأرض کبیره جدّا،حیث قدّر العلماء حجمها بما یعادل(۱،۳۰۰،۰۰۰)مره بقدر حجم الأرض،و نظرا لبعدها عن الأرض،(حیث قدرت ب(۱۵۰،۰۰۰،۰۰۰)کیلومتر)،فتری لناظرینا بهذا الحجم المحدود...

و یکفینا أن نتلمس عظمه حجم الشمس،فیما لو فرضنا بإدخال الکره الأرضیه مع القمر فی باطن الشمس و بذات الفاصله الموجوده حالیا ما بین الأرض و القمر،ففی هذه الحال.سوف لا یواجه القمر أیه صعوبه بالدوران حول الأرض من دون أن یخرج من سطح الشمس! أمّا درجه حراره سطح الشمس فتبلغ(۶،۰۰۰)درجه مئویه،و تصل درجه حراره أعماق الشمس إلی عدّه ملایین درجه مئویه!! و إذا ما أردنا أن نزن الشمس بالأطنان،فسیواجهنا العدد(۲)و بیمینه(۲۷) صفرا،أی(ملیاری ملیار ملیار طن)! و تصل ألسنه نیران سطح الشمس فی بعض الأوقات إلی ارتفاع(۶۰،۰۰۰) کیلومتر،و بإمکان تلک الألسنه أن تلف الأرض و ما علیها و بکل یسر،لأنّ قطر الکره الأرضیه لا یتجاوز ال(۱۲،۰۰۰)کیلومتر.

و مصدر حراره و نور الشمس الخارجه منها،علی خلاف ما یتصوره البعض من کونهما ناشئین من احتراق شی ما،و کما یقول مؤلف کتاب(ولاده و موت الشمس)،أن لو کانت الشمس،عباره عن جرم من الفحم الحجری الخالص،لما استمرت لهذا الیوم،و لو قدّرنا بدأ احتراقها منذ عصر أول فراعنه مصر،لکان فی یومنا المعاش قد احتراق بأکمله و نفد،و إذا ما قیل بأیّه ماده أخری غیر الفحم الحجری،فلا تغیّر من النتیجه الحاصله.

و حقیقه الأمر،أنّ مفهوم الاحتراق لا ینطبق علی الشمس،بقدر ما ینطبق علیها مفهوم الطاقه الحاصله من التجزئه الذریّه،و لمّا کانت الطاقه عظیمه جدّا،

فذرات الشمس فی حاله تجزئه و تبدیل إلی طاقه و بشکل مستمر.

و استنادا إلی حسابات العلماء:فإنّ کلّ ثانیه تمرّ من عمر الشمس ینتقص من وزنها ما یقارب«اربعه ملایین طنا»!أمّا حجمها فلم یمسسه أیّ شی من التغییر رغم مرور السنین المدیده علی عمرها! و ینبغی التسلیم أنّ خاتمه الشمس لا بدّ منها،و عجله الزمن الدائبه ستوصل إلی ذلک الحدث،و لا بدّ من مجیء ذلک الیوم الذی سیشهد اضمحلال حجم هذا الجرم الکبیر و إخماد نوره،کما هو حال و شأن بقیه النجوم (۱) .

فالعلم الحدیث إذن،قد أثبت الحقائق العلمیه التی طرحها قبل ألف و أربعمائه سنه إلاّ دلیل قاطع علی ما نقول.

***

۱- ۱) -اقتبس هذا الکلام من ثلاثه کتب:(ولاده و موت الشمس)،(النجوم من دون تلسکوب)و(بناء الشمس).

الآيات [سوره التكوير (۸۱): الآيات ۱۵ الى ۲۵]

اشاره

فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (۱۵) اَلْجَوارِ اَلْكُنَّسِ (۱۶) وَ اَللَّيْلِ إِذا عَسْعَسَ (۱۷) وَ اَلصُّبْحِ إِذا تَنَفَّسَ (۱۸) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (۱۹) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي اَلْعَرْشِ مَكِينٍ (۲۰) مُطاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (۲۱) وَ ما صاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (۲۲) وَ لَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ اَلْمُبِينِ (۲۳) وَ ما هُوَ عَلَى اَلْغَيْبِ بِضَنِينٍ (۲۴) وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شَيْطانٍ رَجِيمٍ (۲۵)

التّفسير

اشاره

نزل به رسول كريم:

بعد أن تناولت الآيات السابقه مواضيع:المعاد،مقدمات يوم القيامه، و حوادث يوم القيامه...تأتى الآيات أعلاه لتطرق عن:أحقّيه القرآن و صدق نبوّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و الآيات فى حقيقتها تأكيد على ما جاء فى الآيات السابقه لموضوع «المعاد»،إضافه لذكرها صور بيانيه منبهه على هذه الحقيقه.

و تشرع الآيات ب: فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (۱) ، الْجَوارِ الْكُنَّسِ .

«الخنّس»:جمع(خانس)،من(خنس)و هو الانقباض و الاختفاء،و يقال

---

۱ - ۱) -تعرض المفسّرون فى بحوث عديده لكلمه«لا»،هل هى:نافيه،زائده،للتأكيد...و قد تناولنا ذلك مفصلا فى أول سوره القيامه(فى نفس هذا الجزء)،فراجع.

للشيطان:«الخنّاس»،لأنّه إذا ذكر اللّه تعالى،و كما ورد فى الحديث الشريف:

«الشيطان يوسوس إلى العبد فإذا ذكر اللّه خنس». (۱)

«الجوار»:جمع(جاريه)،و هى الشيء الذى تتحرك بسرعه.

«الكنّس»:جمع(كانس)،من(كنس)،على وزن(شمس)،و هو الاختفاء، و«كناس»الطير و الوحش:بيت يتخذه.

و لكن...ما هى الأشياء المقصوده بهذا القسم؟ يعتقد كثير من المفسّرين،إنّها الكواكب (۲) الخمسه السياره التى فى منظومتنا الشمسيه،و التى يمكن رؤيتها بالعين المجرّده(عطارد،الزهره،المريخ،المشترى و زحل).

و نقول توضيحا:لو تأملنا السماء عدّه ليال،لرأينا أنّ نجوم السماء أو القبه السماويه تظهر و تغيب بشكل جماعى من دون أن تتغير الفواصل و المسافات فيما بينها،و كأنّها لئالئ خيطت على قطعه قماش داكن الألوان،و هذه القطعه تتحرك من المشرق إلى المغرب،إلاّ خمسه كواكب قد خرجت عن هذه القاعده، فنراها تتحرك و ليس بينها و بين بقيه النجوم فواصل ثابته، و كأنّها لئالئ قد وضعت على تلك القطعه وضعا،من دون أن تخيّط بها! و هذه الكواكب الخمس هى المقصود فى هذا التفسير،و ما نلاحظه من حركتها إنّما تكون لقربها منّا لا نتمكن من تمييز حركات بقيه النجوم لعظم المسافه فيما بيننا و بينها.

و من جهه أخرى:ينبغى التنويه إلى أنّ علماء الفلك يطلقون على هذه الكواكب اسم(الكواكب المتحيره)،لأنّها لا تتحرك على خط مستقيم ثابت،

۱- ۱) -لسان العرب:ماده(خنس).

۲- ۲) -الفرق بين النجوم و الكواكب،إنّ الأولى شموس كشمسنا،و الثانيه عباره عن أجسام بارده كالأرض،تنعكس عليها أشعه الشمس فتضيء،و يمكن تمييزها على صفحه السماء بثبوت نورها،فى حين تكون النجوم متلألئه بالنور.

فتراها تسير باتجاه معين من الزمن ثمّ تعود قليلا و من ثمّ تتابع مسيرها الأوّل و هكذا...و لهؤلاء العلماء من البحوث العلميه فی تحليل هذه الظاهره.

و عليه...يمكن حمل إشاره الآيات إلی الكواكب السيّاره«الجوار»،التی فی سيرها لها رجوع«الخنس»،ثمّ تختفی عند طلوع الفجر و شروق الشمس...فهی تشبه غزالا يتصيد طعامه فی الليل و ما أن يحّل النهار حتی يختفی عن أنظار الصيادين و الحيوانات المفترسه فيذهب إلی«كناسه»،و لذا وصفت الكواكب ب«الكنّس»،.

و ثمّه احتمال آخر:«الكنّس»:اختفاء الكواكب فی ضوء الشمس.

أی إنّها حينما تدور حول الشمس،تصل فی بعض الوقت إلی نقطه مجاوره للشمس فيختفی نورها تماما عن الأبصار،و هو ما يعبّر عنه علماء الفلك ب(الاحتراق).

و«الكنّس»:فی نظر بعض آخر:إشاره إلی دخول الكواكب فی البروج السماويه،و ذلك الدخول يشبه اختفاء الغزلان فی أماكن أمنها.

و كما هو معروف،إنّ كواكب مجموعتنا الشمسيه لا تنحصر بهذه الكواكب الخمس،بل ثمه ثلاثه كواكب أخری (أورانوس،بلوتون،نبتون)و لكنّها لا ترى بالعين المجرّده لبعدها عنّا،و للكثير من هذه السيّارات قمرا أو أقمارا،،فعدد كواكب هذه المجموعه بالإضافه إلی الأرض هو تسعه كواكب.

و«الجوری»:توصيف جميل لحركه الكواكب،حيث شبّه بحركه السفن على سطح البحر.

و على أيّه حال،فكأنّ القرآن الكريم يريد بهذا القسم الملیء بالمعانی الممتزجه بنوع من الإبهام،كأنّه يريد إثاره الفكر الإنسانی،و توجيهه صوب الكواكب السيّاره ذات الوضع الخاص على القبه السماويه،ليتأمل أمرها و قدره و عظمه خالقها سبحانه و تعالی.

و ثمّه احتمالات أخرى فى هذا الموضوع أهملناها لضعفها.

و

روى عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال فى تفسير الآيات المذكوره: «هى خمسه أنجم:زحل،و المشترى،و المريخ،و الزهره،و عطارد» (۱) .

و يعرض لنا القرآن لوحه أخرى: وَ اللَّيْلِ إِذا عَسْعَسَ .

«عسعس»:من(العسعسه)،و هى رقه الظلام فى طرفى الليل(أوله و آخره) و منه اطلاق لفظ«عسس»على حرّاس الليل،و بالرغم من اطلاق هذه المفرده على معنيين متفاوتين،و لكن المراد منها فى هذه الآيه هو آخر الليل فقط بقرينه الآيه التاليه لها،و هو ما يشابه القسم الوارد فى الآيه(۳۳)من سوره المدثر:

وَ اللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ .

و الليل،من النعم الإلهيه الكبيره،لأنّه:سكن للروح و الجسم،معدّل لحراره الشمس،و سبب لإدامه حياه الموجودات...أمّا التأكيد على نهايته فيمكن أن يكون بلحاظ كونه مقدمه استقبال نور الصباح،إضافه لما لهذا الوقت بالذات من فضل كبير فى حال العباده و المناجاه و الدعاء،و يمثل هذا الوقت أيضا نقطه الشروع بالحركه و العمل فى عالم الحياه.

و يأتى القسم الثّالث و الأخير من الآيات: وَ الصُّبْحِ إِذا تَنَفَّسَ .

فما أروع الوصف و أجمله!فالصبح كموجود حى قد بدأ أوّل أنفاسه مع طلوع الفجر،ليدّب الروح من جديد فى كلّ الموجودات،بعد أن تقطعت أنفاسه عند حلول ظلام الليل! و يأتى هذا الوصف فى سياق ما ورد فى سوره المدّثّر،فبعد القسم بإدبار الليل،قال: وَ الصُّبْحِ إِذا أَسْفَرَ ،فكأنّ الليل ستاره سوداء قد غطت وجه الصبح، فما أن أدبر الليل حتى رفعت تلك الستاره فبان وجه الصبح مشرقا، و أسفر

۱- ۱) -مجمع البيان:ج ۱۰،ص ۴۴۶.

للحياه من جديد.

و تجسّد الآيه التاليه جواب القسم للآيات السابقه: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ .

فالجواب موجّه لمن اتّهم النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم باختلاق القرآن و نسبته إلى البارى جلّ شأنه.

و قد تناولت و ما بعدها خمسه أوصاف لأمين وحى اللّه جبرائيل عليه السّلام،و هى الأوصاف التى ينبغى توفرها فى كلّ رسول جامع لشرائط الرساله...

فالصفه الأولى:إنّه«كريم»:إشاره إلى علو مرتبته و جلاله شأنه.

و من صفاته أيضا: ذِى قُوَّهٍ عِنْدَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ (۱) .

«ذى العرش»:ذات اللّه المقدّسه.مع أنّ اللّه مالك كلّ عالم الوجود،فقد وصف«بذى العرش»لما للعرش من أهميه بالغه على على غيره(سواء كان العرش بمعنى عالم ما وراء الطبيعه،أو بمعنى مقام العلم المكنون).

أمّا وصفه ب«ذى قوّه»(أى:صاحب قدره)،لما للقدره العظيمه و القوّه الفائقه من دور مهم و فعّال فى عمليه حمل و إبلاغ الرساله،و عموما...ينبغى لكل رسول أن يكون صاحب قدره معينه تتناسب و حدود رسالته،و على الإخلاص فى مجال عدم نسيان ما يرسل به.

«مكين»:صاحب منزله و مكانه،و بدون ذلك لا يتمكن الرسول من أداء رسالته على أتمّ وجه،فلا من كونه شخصا جليلا،لائقا،و مقربا للمرسل.

و ممّا لا شك فيه إنّ التعبير ب«عند»لا يراد منه الحضور المكانى،لأنّ البارى جل شأنه لا يحده مكان،و المراد هو الحضور المقامى و القرب المعنوى.

و تتناول الآيه التاليه الصفه الرابعه و الخامسه: مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ .

«ثمّ»:إشاره إلى البعيد،و يراد بها:إنّ أمين الوحى الإلهى نافذ الكلمه فى

---

۱ - ۱) -«مكين»:(المكانه)،و هى المقام و المنزله،و ما يستفاد من مفردات الراغب و غيره من المفسّرين،إنّه اسم مكان من (الكون)و لكثرته فى الكلام فقد استعمل على صيغه الفعل فقيل:(تمكن)و(تمسكن).

عالم الملائکه،و مطاع عندهم،و إنّه فی ذروه الأمانه فی عملیه إبلاغ الرساله.

و ما نستشفّه من الرّوایات:إنّ جبرائیل علیه السّلام ینزل أحیانا و بصحبته جمع کبیر من الملائکه فی حال إبلاغه للآیات القرآنیه المبارکه،و هو ما یوحی بأنّه مطاع بینهم،و هو ما ینبغی أن یکون فی کل أمّه تتبع رسولا،فلا بدّ من طاعتها له.

و

روی...أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال لجبرائیل علیه السّلام عند نزول هذه الآیات: «ما أحسن ما أثنی علیک ربّک!:ذی قوّه عند العرش مکین،مطاع ثمّ أمین،فما کانت قوتک؟و ما کانت أمانتک؟ فقال:أمّا قوّتی فإنّی بعثت إلی مداین لوط و هی أربع مداین فی کلّ مدینه أربعمائه ألف مقاتل سوی الذراری،فحملتهم من الأرض السفلی حتی سمع أهل السماوات أصواب الدجاج و نباح الکلاب،ثم هویت بهّن فقلبتهّن.و أمّا أمانتی، فإنّی لم أؤمر بشیء فعدوته إلی غیره» (۱) .

و ینفی القرآن ما نسب إلی النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: وَ ما صاحِبُکُمْ بِمَجْنُونٍ .

«الصاحب»:هو الملازم و الرفیق و الجلیس،و الوصف هذا مضافا الی أنّه یحکی عن تواضع النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم مع جمیع الناس...فلم یرغب یوما فی الاستعلاء علی أحد منکم،فإنّه قد عاش بینکم حقبه طویله،و جالسکم،فلمستم عن قرب رجاحه عقله و حسن درایته و أمانته،فکیف تنسبون له الجنون؟! و کلّ ما فی الأمر إنّه قد جاءکم بعد بعثته بتعالیم تخالف تعصبکم الأعمی و تحارب أهواءکم الجاهلیه،فما راق لکم الانضباط و الترابط،و حبذتم الانفلات و التراخی،فولیتم الأدبار عن تعالیمه الربانیه و نسبتم إلیه الجنون،فرارا من هدی دعوته المبارکه! و نسبه الجنون إلی النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لیس بالشیء الجدید فی مسیر دعوه السماء

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۴۴۶،و ورد هذا المضمون فی تفسیر(الدر المنثور)فی ذیل الآیه المبحوثه.

فقد واجه جميع أنبياء اللّه عليهم السّلام هذا الافتراء الفارغ من قبل جهله و كفره عصورهم، و قد حدثنا القرآن الكريم بتلك الوقائع: كَذٰلِكَ مٰا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاّٰ قٰالُوا سٰاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (۱) .

فالعاقل فی منطق الجاهليه،من يخضع للعادات و التقاليد المعاشه و إن كانت فاسده منحطه،و من يطلق لجماح أهواءه و شهواته العنان،و من لا يفكر بأىّ إصلاح أو تغيير لأنّه خروج على السائد المتعارف عليه! و بناء على هذا المقياس الأعمى...فكلّ الأنبياء فی نظر عبده الدنيا مجانين...

و يؤكّد القرآن على الارتباط الوثيق ما بين النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و جبرائيل عليه السّلام: وَ لَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ،و هو«الأفق الأعلى»الذى تظهر فيه الملائكه،حيث شاهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم جبرائيل عليه السّلام.

و قد استدلّ بعض المفسّرين بالآيه(۷)من سوره النجم على التفسير أعلاه، و التى تقول: وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلىٰ .

و لكننا نرى أنّ الآيه مع بقيه آيات السوره تتحدث عن حقيقه أخرى،فراجع إلى ما ذكرناه فی تفسيرنا هذا.

و قال بعض:إنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قد رأى جبرائيل عليه السّلام فی صورته الحقيقه مرّتين، الأولى عند بدايه البعثه النبويه المباركه،حيث ظهر له فی الأفق الأعلى و قد غطى الشرق و الغرب حتى بهر النبىّ بعظمه هيئته، و الثّانيه رآه عند معراجه إلى السماوات العلى و اعتبروا الآيه المبحوثه إشاره لتلك الرؤيتين.

و ثمّه من يذهب فی تفسير الآيه من كونها تشير إلى مشاهده اللّه عزّ و جلّ بالشهود الباطنى،(و لمزيد من الإيضاح،راجع ذيل الآيات(۵-۱۳)من سوره النجم).

و تأتى الصفه الخامسه: وَ مٰا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ .

۱- ۱) -الذاريات:الآيه ۵۲.

فهو ليس ممن يقبرون فى صدورهم ممّا يوحى إليه،و لا يبخل و لا يتوانى عن الإبلاغ و يوصله إلى كلّ الناس كاملا و بأمانه.

«ضنين»:من(ضنّه)على وزن(منّه)،أى:البخل بالأشياء الثمينه و النفيسه، فالأنبياء عليهم السّلام منزّهون عن ذلك،و إذا ما بخل الآخرون بما صار فى حوزتهم من علم محدود،فالنّبى فوق ذلك و أنزه مع ماله من منبع علم إلهى.

و تقول آخر الآيات المبحوثه: وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شَيْطانٍ رَجِيمٍ .

فالآيات القرآنيه ليست كحديث الكهنه الذى يأخذوه من الشياطين،و دليلها معها،حيث أنّ حديث الكهنه محشو بالأكاذيب و التناقضات،و يدور حول محور ميولهم و رغباتهم،فى حين لا يشاهد ذلك فى الآيات القرآنيه إطلاقا.

و الآيه تجيب على إحدى افتراءات المشركين،حين اتهموا النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بأنّه كاهن و كلّ ما جاء به قد أخذه من الشياطين!فحديث الشيطان!لا يتعدى أن يكون باطلا و ضلالا فى حين أنّ الآيات الرّبانيه كلّها نور و هدايه،و هذا ما يشعر به كلّ من يواجه القرآن و منذ وهلته الأولى.

«رجيم»:من(الرجم)،و(رجام)على وزن(لجام)بمعنى أخذ الحجاره، و تطلق على رمى الحجار على الأشخاص أو الحيوانات،و يستعار الرجم للرمى ب:الظّن،التوهم،الشتم و الطرد،و«الشيطان الرجيم»بمعنى المطرود من رحمه اللّه.

***

بحث

اشاره

مؤهلات الرّسول:

الصفات الخمسه التى ذكرتها الآيات المباركه جبرائيل عليه السّلام باعتباره رسول الوحى الإلهى إلى النبىّ الكريم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،هى ذات الصفات التى ينبغى توفرها فى كلّ رسول،و بما يناسب نوع و درجه رسالته.

فلكى يكون الرسول لائقا لحمل الرساله،لا بدّ من تحلّيه بركائز أخلاقيه و نفسيه عاليه،أى يكون«كريما»محترما.

و لا بـدّ من كونه قادر متمكن«ذى قوّه»،حتى يتمكن من إبلاغ رسالته بكل ما تحمل،و من دون أن يصـيبه أىّ ضـعف أو فتور أو هوان.

و ينبغى أن تكون ذو منزله رفيعه و مقام مرموق عند المرسل،«مكين»،لكى يكون طبيعيا مسـتقرا فى استلامه الرساله،و لا يناله أىّ خوف أو ارتباك فى حال إيصاله لأجوبه الرساله إلى أىّ كان.

و من المؤهلات اللازمه،أن يكون له أعوان و يطيعونه بأمر الرساله،و لا يتخاذلون عن طاعته،«مطاع».

و أخيرا،لا بـدّ من كونه«أمينا»فى النقل،ليعتمـد المرسل عليه فيما يريـد أن يوصـله إليه من الرساله،فلا بدّ من الأمانه بكلّ معناها و الابتعاد عن الخيانه و لو بأدنى زواياها.

فمتى ما توفرت المؤهلات اللازمه للرسول فيه كان جديرا بأداء حق الرساله،و لذلك نرى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان ينتخب رسله بدقه من بين أصحابه، و أفضل نموذج حى لذلك،إرساله أمير المؤمنين عليه السّلام بإيصال الآيات الأولى من سوره براءه إلى مشركى مكّه،فى ظروف قد شرحناها عند تفسيرنا لتلك السوره.

و

عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال: «رسولك ترجمان عقلك،و كتابك أبلغ ما ينطق عنك» (۱) .

***

۱- ۱) -نهج البلاغه:الكلمات القصار(۳۰۱).

الآيات [سوره التكوير (۸۱): الآيات ۲۶ الى ۲۹]

اشاره

فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (۲۶) إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ (۲۷) لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (۲۸) وَ ما تَشاؤُنَ إِلاّ أَنْ يَشاءَ اَللّهُ رَبُّ اَلْعالَمِينَ (۲۹)

التّفسير

اشاره

إلى اين...أيّها الغافلون؟!

أكّدت الآيات السابقه ببيان جلى حقيقه كون القرآن كلام اللّه...فمحتواه ينطق عن كونه كلاما رحمانيا و ليس شيطانيا،و قد نزل به رسول كريم مقتدر و أمين،و قام بتبليغه النّبى الصادق الأمين صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الذى لم يبخل فى البلاغ فى شىء، و ما تهاون عن تعليم الناس فيما أرسل به.

فيما توبخ الآيات أعلاه أولئك الذين عادوا القرآن و انحرفوا عن خطّ سير الرساله الربّانيه الهاديه، فتقول لهم بصيغه الاستفهام التوبيخى: فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ .

لم تركتم طريق الهدايه؟!أو من العقل أن تصدّوا عن النور و تتجهوا صوب الظلام؟!ألا ترحمون أنفسكم؟!و كيف تعملون على هدم أركان سعادتكم و سلامتكم؟!...

و تأتى الآيه الثّانيه لتقول: إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ فالآيه تتحدث بلسان الوعظ و التذكير،عسى أن يستيقظ من تملكه نوم غفلته.

لا يمكن للهدايه و التربيه أن تؤدّى فعلها بوجود المرشد الناجح فقط،بل لا بدّ من توفر عنصر الاستعداد و تقبل الهدايه من قبل الطرف الآخر،و لذلك...

فبعد الوعظ و التذكير جاءت الآيه التاليه لتبيّن هذه الحقيقه: لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ .

فالآيه الاولى: إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ قد ذكرت عموميه الفيض الإلهى فى القرآن الكريم،فيما خصصت الآيه التاليه: لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ عمليه الاستفاده من هذا الفيض الجزيل و حددته بشرط الاستقامه.

و هذه القاعده جاريه فى جميع النعم و المواهب الإلهيه فى العالم،فإنّها عامّه التمكين،خاصّه الاستفاده،فمن لا يملك الإراده و التصميم على ضوء الهدى القرآنى لا يستحق فيض رحمه اللّه و نعمه.

و الآيه الثّانيه من سوره البقره: ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ تدخل فى سياق هذا المعنى.

و على أيّه حال،فالآيه تؤكّد مرّه اخرى على حريه الإنسان فى اختياره الطريق الذى يرضاه،سواء كان طريق حقّ،أم طريق باطل.

و يفهم من«يستقيم»،أنّ طريق السعاده الحقّه،طريق مستقيم،و ما دونه لا يكون كذلك،و لولا الإفراط و التفريط و الوساوس الشيطانيه و أغشيه الضلال..

لسار الإنسان على هذه السبل المنجيه،باستجابته لنداء الفطره و اتباعه الخط المستقيم،و الخط المستقيم هو أقصر الطرق الموصله للهدف المنشود.

و لكى لا يتصور بأنّ مشيئه و إراده الإنسان مطلقه فى سيره على طريق المستقيم،و لكى يربط الإنسان مشيئه بمشيئه و توفيق اللّه عزّ و جلّ،و جاءت

الآیه التالیه و لتقول: وَ مٰا تَشٰاؤُنَ إِلاّٰ أَنْ یَشٰاءَ اللّٰهُ رَبُّ الْعٰالَمِینَ و الآیتان السابقتان تبیّنان فلسفه«أمر بین الأمرین»التی أشار إلیها الإمام الصادق علیه السّلام،فمن جهه،إنّ الإراده و القرار بیدکم،و من جهه اخری،یلزم تلک الإراده و ذلک القراره ما یشاء اللّه ربّ العالمین...و إنّ خلقتم أحرارا مختارین، فالحریه و الإختیار منه جلّ اسمه،و لولا إرادته ذلک لما کان.

فالإنسان لیس بمجبور علی أعماله مطلقا،و لا هو بمختار بکلّ معنی الإختیار،و لکن...کما

روی عن الإمام الصادق علیه السّلام: «لا جبر و لا تفویض الأمر بین الأمرین»، فکلّ ما للإنسان من:عقل،فهم قدره بدنیه،و قدره علی اتخاذ القرار، کلّ ذلک من اللّه عزّ و جلّ،فهو من جهه فی حاله الحاجه الدائمه للاتصال به جلّ شأنه،و لو شاء اللّه لتوقف کلّ شیء و انتهی،و هو من جهه اخری مسئول عن أعماله لما له من حریه و اختیار علی تنفیذها.

و یفهم من«ربّ العالمین»،إنّ المشیئه الإلهیه تقضی بهدایه و تکامل الإنسان و کلّ الموجودات،فاللّه لا یرید أن یضل أو یذنب أحد من الخلق،بل یرید أن یسعد کلّ الخلق فی جوار رحمته و رضوانه،و بمقتضی ربوبیته فهو الموفّق و المعین لکلّ من یرید أن یسلک طریق التکامل.

و الخطأ القاتل الذی وقع فیه المتجبره،إنّهم تمسّکوا بالآیه الثّانیه دون الاولی و ربّما کان المفوضه قد تمسّکوا بالآیه الاولی مفصوله عن الآیه الثانیه لها..و الفصل فیما بین آیات القرآن کثیرا ما یوقع فی هاویه الضلال و الخروج بنتائج خاطئه باطله،و ینبغی التعامل مع الآیات القرآنیه علی کونها کلّ مترابط،لا آیات فرادی.

و قیل:إنّه لمّا نزل قوله تعالی: لِمَنْ شٰاءَ مِنْکُمْ أَنْ یَسْتَقِیمَ ،قال أبو جهل:

جعل الأمر إلینا إن شئنا استقمنا و إن شئنا لم نستقم،فأنزل اللّه تعالی: وَ مٰا

تَشاؤُنَ إِلاّ أَنْ يَشاءَ اللّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ

(۱)

.

اللّهمّ!لا توفيق إلاّ منک،فوفقنا للسير على طريق رضوانک...

اللّهمّ!لقد رغبنا فى سلوک طريقک و منهجک،فاجعل مشيئتک أن تأخذ بأيدينا فى هذا الطريق...

اللّهمّ!إنّا نخاف أهوال الحشر و القيامه،لخلو صحائف أعمالنا من الحسنات، فعاملنا بعفوک و لطفک،و لا تشدد علينا بعدلک...

آمين يا ربّ العالمين نهايه سوره التّکوير ***

ص: ۴۷۱

۱- ۱) -روح المعانى،ج ۳۰،ص ۶۲؛و فى روح البيان،ج ۱۰،ص ۳۵۴.

سوره الإنفطار

اشاره

مکیه و عدد آیاتها تسع و عشره آیه

ص :۴۷۳

«سوره الإنفطار»

محتوى السوره:

لا تشذ السوره عن سياق سور الجزء الأخير من القرآن الكريم،و تدور حول محور المسائل المتعلقه بيوم القيامه،تتضمّن مجموع آياتها المواضيع التاليه:

۱-أشراط الساعه،و هى الحوادث الهائله التى سيشهدها العالم أواخر لحظات عمره و عند قيام الساعه.

۲-التذكير بالنعم الإلهيه الداخله فى كلّ وجود الإنسان،و كسر حاله غرور الإنسان،و تهيئته المعاد.

۳-الإشاره إلى ملائكه تسجيل أعمال الإنسان.

۴-بيان عاقبه المحسنين و المسيئين فى يوم القيامه.

۵-لمحات سريعه عمّا سيجرى فى ذلك اليوم العظيم.

فضيله السوره:

روى عن الإمام الصادق عليه السّلام أنّه قال: «من قرأ هاتين السورتين: إِذَا السَّمٰاءُ انْفَطَرَتْ و إِذَا السَّمٰاءُ انْشَقَّتْ و جعلهما نصب عينه فى صلاه الفريضه و النافله، لم يحجبه من اللّه حجاب،و لم يحجزه من اللّه حاجز،و لم يزل ينظر إلى اللّه و ينظر

اللّه إليه حتى يفرغ من حساب الناس» (۱) .

و لا ـ شک أنّ حصول ثواب السورتين إنّما يتمّ وضعهما فی أعماق روحه، و بنی علی أسسها أرکان نفسه و عمله،و لا ـ لمن يلوکهما فی لسانه و لا غير! ***

ص :۴۷۶

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۴۴۷،نور الثقلين،ج ۵،ص ۵۲۰(عن ثواب الأعمال:ص ۱۲۱).

الآيات [سوره الانفطار (۸۲): الآيات ۱ الى ۵]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ إِذَا اَلسَّمٰاءُ اِنْفَطَرَتْ (۱) وَ إِذَا اَلْكَوٰاكِبُ اِنْتَثَرَتْ (۲) وَ إِذَا اَلْبِحٰارُ فُجِّرَتْ (۳) وَ إِذَا اَلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (۴) عَلِمَتْ نَفْسٌ مٰا قَدَّمَتْ وَ أَخَّرَتْ (۵)

التّفسير

اشاره

عند ما يحلّ الحدث المروع!

تقدّم لنا الآيات(مرّه اخرى)مشاهدا مروعه من يوم القيامه،فتخبر عن تفطّر السماء من هول الكارثه: إِذَا السَّمٰاءُ انْفَطَرَتْ .

ثمّ تنتقل إلى ما سيصيب الكواكب و نظامها: وَ إِذَا الْكَوٰاكِبُ انْتَثَرَتْ .

فسينهدم العالم العلوى،و ستحدث الإنفجارات العظيمه المهيبه فى كلّ النجوم السماويه،و سيتخلخل نظام المنظومات الشمسيه،فتخرج النجوم من مساراتها لتصطدم الواحده بالأخرى و تتلاشى...فينتهى عمر العالم،و يتناثر كلّ شىء ليبنى على أنقاضه عالم جديد آخر.

«انفطرت»:من(الإنفطار)،بمعنى الإنشقاق،و قد ورد التعبير فى آيات اخرى كالآيه الاولى من سوره الإنشقاق: إِذَا السَّمٰاءُ انْشَقَّتْ ،و الآيه(۱۸)من

سوره المزمل: اَلسَّماءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ .

«انتثرت»:من(النثر)على وزن(نصر)،بمعنى نشر الشيء و تفريقه، و«الانتثار»:هو الانتشار و التفرق.و باعتبار أنّ انتشار النجوم يؤدّى إلى تفرقها فى السماء(كحبات العقد المنفرط) فقد فسّرها الكثير من المفسّرين ب(سقوط النجوم)،و هو من لوازم معنى الانتثار.

«الكواكب»:جمع(كوكب)،و له معان كثيره،منها:النجوم بشكل عام، و الزهره بشكل خاص،النبت إذا طال،البياض الذى يظهر فى سواد العين،لمعان الحديد:بريقه و توقده و«غلام كوكب»:ممتلئ إذا ترعرع و حسن وجهه، و كوكب كلّ شيء:معظمه،مثل كوكب الشعب و كوكب السماء و كوكب الشمس.

و الكوكب أيضا:الماء،السيف،سيد القوم...إلخ.

و على ما يبدو أنّ المعنى الحقيقى هو(النجم المتلألئ)،و ما دون ذلك معان مجازيه استعملت لعلاقه المشابهه.

و لكن،ما هى العوامل التى ستؤدى بالكواكب إلى التناثر و التفرق فى الفضاء مع فقدانها لنظامها الذى يحكمها؟ هل بسبب فقدان التعادل الموجود فى الجاذبيه فيما بينها؟أم ثمّه قوّه هائله ستفعل ذلك؟أم بسبب التوسع المستمر الحاصل فى العالم-كما يقول ذلك العلم الحديث؟...

لا يستطيع أىّ أحد أن يتكهن السبب بدّقه...و كلّ ما نعلمه أنّ هذه الأمور تهدف إلى تعريف الإنسان بما سيحدث بالمستقبل الآت،و تدعوه لخلاص نفسه من أهوالها،و هو الكائن الضعيف وسط تلك الحوادث الجسام؟! فالآيات تحذر الإنسان من أن يتخذ العالم الفانى هدفا لوجوده،فيتصوره محل خلوده،لأنّ ذلك سيؤول إلى تلوث قلب الإنسان(شاء أم أبى)،و ما ينتج عن التلوث سوى الذنوب المؤدّيه إلى عذاب الجحيم...

و ينتقل البيان القرآنى من السماء إلى الأرض،فيقول: وَ إِذَا الْبِحارُ فُجِّرَتْ أى اتصلت.

مع أنّ البحار متصله فيما بينها قبل حلول ذلك اليوم(ما عدا البحيرات)،لكنّ اتصالها سيكون بشكل آخر،حيث ستفيض جميعها و تتمزق حدودها و تصير بحرا واحدا لتشمل كلّ الأرض،بسبب الزلازل المرعبه و تحطم الجبال و سقوطها فى البحار...هذا أحد تفاسير الآيه السادسه من سوره التكوير(الآنفه الذكر) وَ إِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ .

و ثمّه احتمال آخر بخصوص الآيه المبحوثه و الآيه(۶)من سوره التكوير، يقول:يراد ب«فجّرت»و«سجّرت»الإنفجار و الاحتراق،لأنّ مياه البحار و المحيطات ستتحول إلى قطعه من نار لأهب.

و كما أشرنا سابقا،فالماء يتكون من عنصرين شديدى الاشتعال (الأوكسجين و الهيدروجين)فلو تحلل الماء إلى عنصريه فسيكفيه شراره صغيره لجعله قطعه ملتهبه من النيران.

و تتناول الآيه التاليه عرضا لمرحله القيامه الثانيه،مرحله تجديد الحياه و إحياء الموتى،فتقول: إِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ...و اخرج الموتى للحساب.

«بعثرت»:قلب ترابها و أثير ما فيها.

و احتمل(الراغب)فى مفرداته:إنّ«بعثرت»تكونت من كلمتين،(بعث) و(أثيرت)،فجاء المعنى منهما،كقولنا:«بسمله»من«بسم»و لفظ الجلاله«اللّه».

و على آيّه حال،فإننا نرى شبيه هذا المعنى قد ورد فى سوره الزلزال:

وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقالَها أى الأموات(بناء على المشهور من تفاسيرها)،و فى الآيتين(۱۳ و ۱۴)من سوره النّازعات: فَإِنَّما هِيَ زَجْرَةٌ واحِدَةٌ فَإِذا هُمْ بِالسّاهِرَهِ .

و توضح الآيات إنّ إحياء الموتى و إخراجهم من القبور سيكون مفاجئا و سريعا.

و بعد ذكر كلّ تلك العلائم لما قبل البعث و لما بعده،تأتى النتيجه القاطعه:

عَلِمَتْ نَفْسٌ مٰا قَدَّمَتْ وَ أَخَّرَتْ

.

نعم،فستتجلى حقائق الوجود:و سيصير كلّ شىء بارز إنّه«يوم البروز» و سيرى الإنسان كلّ أعماله محضره بخيرها و شرّها،لأنّه يوم إزاله الحجب،و رفع مبررات الغرور و الغفله،و عندها...سيعلم الإنسان ما قدّم لآخرته،و ما ترك بعده من آثار حسنها و سيئها،مثل:الصدقه الجاريه،فعل الخير،عماره الأبنيه،الكتب التى ألفها،ما سنّ من السنن...فإن كان ما خلّفه خالصا للّه فسينال حسناته،و إن كانت نيّه أفعاله غير خالصه للّه فستصل إليه سيئات تبعاته.

و هذه نماذج من الأعمال التى ستصل نتائجها إلى الإنسان بعد الموت،و هو:

المراد من«و أخّرت».

صحيح أنّ الإنسان يعلم بما عمل فى دنياه بصوره إجماليه،لكنّ حبّ الذات و الإشتغال بالشهوات و النسيان غالبا ما ينسيه ما قدّمت يداه،فيتغافل عن النظر إلى ما بدّ منه،أمّا فى ذلك اليوم الذى سيتحول و يتغير فيه كلّ شىء حتى روح الإنسان فسيلتفت إلى ما قام به من عمل بكلّ دقّه و تفصيل،كما تشير إلى ذلك الآيه(٣٠)من سوره آل عمران: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مٰا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَ مٰا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ ،فكلّ سيرى كلّ أعماله حاضره مجسمه أمام عينه.

و قيل:«ما قدّمت»،إشاره إلى أعمال أوّل عمر الإنسان،و«أخّرت»،إشاره إلى أعمال آخر عمره.

و يبدو أنّ التّفسير الأوّل أنسب من جميع الجهات.

و يراد ب«نفس»الوارده بالآيه،كلّ نفس إنسانيه.

***

بحث

اشاره

ما يخلفه الإنسان بعد موته:

المستفاد من الرّوايات الشريفه،بالإضافه لما ورد فی الآيات المباركه أعلاه، إنّه ثمّه أعمال و آثار يخلفها الإنسان بعد موته،و ما ينجسم من تلك الأعمال و الآثار حتی يوم القيامه يبقی مرتبطا بذات الفاعل الأصلی،فإن كانت الأعمال حيّره فستصله حسنات تتمه العمل و استمراره،و إن كانت شريره فلا يجنی منها سوی الهون و العذاب.

فعن الإمام الصادق ۷،أنّه قال: «ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلاّ ثالث خصال:صدقه أجراها فی حياته،فهی تجری بعد موته،و سنّه هدی سنّها،فهی تعمل بها بعد موته،و ولد صالح يستغفر له» (۱) .

و

فی روايه اخری: «ست خصال يتنفع بها المؤمن بعد موته:ولد صالح يستغفر له،مصحف يقرأ منه،و قليب(بئر)يحفره،و غرس يغرسه،و صدقه ماء يجربه،و سنه حسنه يؤخذ بها بعده» (۲) .

فيما أكّدت بعض الرّوايات علی(العلم)الذی يخلّفه بعده. (۳)

و قد حذّرت كثير من الرّوايات من أن يسنّ الإنسان سنّه سيئه،لأنّ الفاعل الأوّل ستتابع عليه آثام تلك السنه إلی يوم القيامه.

و كذلك حثت و شوقت علی استنان السنن الحسنه،لينتفع الفاعل الأوّل لها بثوابها الجاری إلی يوم القيامه.

و

ذكر العلاّمه الطبرسی حديثا فی هذا المضمار.. إنّ سائلا قام علی عهد النّبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم،فسأل،فسكت القوم،ثمّ أنّ رجلا أعطاه،فأعطاه القوم..فقال

۱- ۱) -بحار الأنوار،ج ۷۱،ص ۲۵۷.

۲- ۲) -المصدر السابق.

۳- ۳) -منيه المريد،ص ۱۱.

النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:«من استن خیرا فاستن به فله أجره،و مثل أجور من اتبعه،غیر منتقص من أجورهم،و من استن شرّا فاستن به فعلیه وزره،مثل أوزار من اتبعه غیر منتقص من أوزارهم» فتلا حذیفه بن الیمان قوله تعالی: عَلِمَتْ نَفْسٌ مٰا قَدَّمَتْ وَ أَخَّرَتْ (۱) .

و

عن أمیر المؤمنین علیه السّلام،أنّه قال: «فکیف بکم لو تناهت بکم الأمور و بعثرت القبور،هناک تبلو کلّ نفس ما أسلفت،و ردّوا إلی اللّه مولاهم الحق،و ضل عنهم ما کانوا یفترون» (۲) .

فتعکس هذه الآیات و الرّوایات أبعاد مسئولیه الإنسان أمام أعماله،و تبیّن عظم المسؤولیه،فأثار فعل الخیرات أو المنکرات یتصل إلیه و إن امتدت الآلاف السنین بعد موته! (۳) .

***

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۴۴۹.

۲- ۲) -نهج البلاغه،الخطبه ۲۲۶.

۳- ۳) -لمزید من التفصیل.راجع تفسیر الآیه(۲۵)من سوره النحل.

الآيات [سوره الانفطار (۸۲): الآيات ۶ الى ۱۲]

اشاره

يٰا أَيُّهَا اَلْإِنْسٰانُ مٰا غَرَّكَ بِرَبِّكَ اَلْكَرِيمِ (۶) اَلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوّٰاكَ فَعَدَلَكَ (۷) فِي أَيِّ صُورَةٍ مٰا شٰاءَ رَكَّبَكَ (۸) كَلاّٰ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (۹) وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحٰافِظِينَ (۱۰) كِرٰاماً كٰاتِبِينَ (۱۱) يَعْلَمُونَ مٰا تَفْعَلُونَ (۱۲)

التّفسير

اشاره

لا داعى للغرور:

تنتقل الآيات أعلاه من المعاد إلى الإنسان،ببيان إيقاظى عسى أن ينتبه الإنسان من غفله ما فى عنقه من حقّ و ما على عاتقه من مسئوليات جسام أمام خالقه سبحانه و تعالى،فتخاطب الآيه الاولى الإنسان باستفهام توبيخى محاط بالحنان و الرأفه الرّبانيه: يٰا أَيُّهَا الْإِنْسٰانُ مٰا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ .

فالقرآن يذكّر الإنسان بإنسانيته،و ما لها من إكرام و أفضليه،ثمّ جعله أمام «ربّ»«كريم»،فالرّب و بمقتضى ربوبيته هو الحامى و المدبّر لأمر تربيه و تكامل الإنسان،و بمقتضى كرمه أجلس الإنسان على مائده رحمته،و رعاه بما أنعم عليه ماديا و معنويا و دون أن يطلب منه أىّ مقابل،بل و يعفو عن كثير من ذنوب

الإنسان لفضل كرمه...

فهل من الحكمه أن يتمرد هذا الموجود المكرّم على هكذا ربّ رحيم كريم؟! و هل يحقّ لعاقل أن يغفل عن ذكر ربّه و لو للحظه واحده،و لا يطيع أمر مولاه الذى يتضمن سعادته و فوزه؟! و لهذا

فقد ورد عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عند تلاوته للآيه المباركه أنّه قال: «غرّه جهله» (۱) .

و من هنا،يتقرّب لنا هدف الآيه،فهى تدعو الإنسان لكسر حاجز غروره و تجاوز حاله الغفله،و ذلك بالاستناد على مسأله الربوبيه و الكرم الإلهى،و ليس كما يحلو للبعض من أن يصور هدف الآيه،على أنّه تلقين الإنسان عذره،فيقول:

غرّنى كرمك!أو كما قيل للفضيل بن عياض:«لو أقامك اللّه و يوم القيامه بين يديه،فقال: مٰا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ،ماذا كنت تقول له؟قال:أقول:غرّنى ستورك المرخاه» (۲) .

فهذا ما يخالف تماما،لأنّها فى صدد كسر حاله غرور الإنسان و إيقاظه من غفلته،و ليست فى صدد إضافه حجاب آخر على حجب الغفله! فلا ينبغى لنا أن نذهب بالآيه بما يحلو لنا و نوجهها فى خلاف ما تهدف إليه! «غرّك»:من(الغرور)،و«الغرّه»:غفله فى اليقظه،و بعباره اخرى:غفله فى وقت لا ينبغى فيه الغفله،و لما كانت الغفله أحيانا مصدرا للاستعلاء و الطغيان فقد استعملت(الغرور)بهذه المعانى.

و الغرور):كلّ ما يغرّ الإنسان من مال،جاه،شهوه و شيطان،و قد فسّر الغرور بالشيطان،لأنّه أخبث من يقوم بهذا الدور الدنىء فى الدّنيا.

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۴۴۹؛و الدر المنثور،و روح المعانى،و روح البيان،و القرطبى،عند تفسير الآيه المبحوثه.

۲- ۲) -المصدر السابق.

و ذكر فى تفسير«الكريم»آراء كثيره،منها:إنّه المنعم الذى تكون جميع أفعاله إحسان،و هو لا ينتظر منها أىّ نفع أو دفع ضرر.

و منها:هو الذى يعطى ما يلزمه و ما لا يلزمه.

و منها:هو من يعطى الكثير بالقليل.

و لو جمعنا كلّ ما ذكر و بأعلى صوره لدخل فى كرم اللّه عزّ و جلّ،فيكفى كرم اللّه جلالا- أنّه لا- يكتفى عن المذنبين،بل يبدل(لمن يستحق)سيئاتهم حسنات.

و

روى عن أمير المؤمنين عليه السّلام عند تلاوته لهذه الآيه،أنّه قال: (إن الإنسان)«أدحض مسئول حجّه،و أقطع مغترّ معذره،لقد أبرح(أى اغتر)جهاله بنفسه.

يا أيّها الإنسان،ما جرّأك على ذنبك،و ما غرّك بربّك،و ما أنسك بهلكه نفسك؟ أمّا من دائك بلول(أى شفاء)،أم ليس من نومتك يقظه؟أما ترحم نفسك ما ترحم من غيرك؟فلربّما ترى الضاحى من حرّ الشمس فتظلّه،أو ترى المبتلى بألم يمض جسده فتبكى رحمه له!فما صبرك على دائك،و جلدك على مصابك،و عزاك عن البكاء على نفسك و هى أعزّ الأنفس عليك،و كيف لا يوقظك خوف بيات نقمه(أى تبيت بنقمه من اللّه)و قد تورطت بمعاصيه مدارج سطواته!فتداو من داء الفتره فى قلبك بعزيمه،و من كرى(أى النوم)الغفله فى ناظرك بيقظه،و كن للّه مطيعا و بذكره آنسا،و تمثل(أى تصور)فى حال توليك عنه إقباله عليك،يدعوك إلى عفوه و يتغمدك بفضله و أنت متول عنه إلى غيره،فتعالى من قوى ما أكرمه! و تواضعت من ضعيف ما أجرأك على معصيته!...» (۱) .

و تعرض لنا الآيه التاليه جانبا من كرم اللّه و لطفه على الإنسان:

۱- ۱) -نهج البلاغه،الخطبه ۲۲۳.

اَلَّذِی خَلَقَکَ فَسَوّاکَ فَعَدَلَکَ فِی أَیِّ صُورَهٍ مّا (۱) شاءَ رَکَّبَکَ

.

فالآیه قد طرحت مراحل خلق الإنسان الأربعه..أصل الخلقه،التسویه، التعدیل،و من ثمّ الترکیب.

ففی مرحله الاولی:یبدأ خلق الإنسان و من نطفه فی ظلمات رحم الام.

و فی مرحله الثّانیه:مرحله«التسویه و التنظیم»و فیها یقدر البارئ سبحانه خلق کلّ عضو من أعضاء الإنسان بمیزان متناهی الدّقه.

فلو أمعن الإنسان النظر فی تکوین عینه اذنه أو قلبه،عروقه و سائر أعضاءه، و ما أودع فیها من ألطاف و مواهب و قدرات إلهیه،لتجسم أمامه عالما من العلم و القدره و اللطف و الکرم الإلهی.

عطاء ربّانی قد شغل العلماء آلاف السنین بالتفکیر و البحث و التألیف،و لا زالوا فی أوّل الطریق...

و فی المرحله الثّالثه:یکون التعدیل بین«القوی»و«الأعضاء»و تحکیم الارتباط فیما بینها.

و بدن الإنسان قد بنی علی هذین القسمین المتقاربین،ف الیدین،الرجلین، العینین،الأذنین،العظام،العروق،الأعصاب و العضلات قد توزعت جمیعها علی هذین القسمین متجانس و مترابط.

هذا بالإضافه إلی أنّ الأعضاء فی عملها یکمل بعضها للبعض الآخر،فجهاز التنفس مثلا یساعد فی عمل الدوره الدمویه بدورها تقدم ید العون إلی عملیه التنفس،و لأجل ابتلاع لقمه غذاء،لا تصل إلی الجهاز الهضمی إلاّ بعد أن یؤدّی کلّ من:الأسنان،اللسان،الغدد و عضلات الفم دوره الموکل به،و من ثمّ تتعاضد أجزاء الجهاز الهضمی علی إتمام عملیه الهضم و امتصاص الغذاء،لینتج منه القوّه

۱- ۱) -«ما»:زائده،و احتملها البعض(شرطیه)،و لکنّ الرأی الأوّل أقرب للصواب.

اللازمه للحركه و الفعاليه...

و كلّ ما ذكر،و غيره كثير،قد جمع قصيره رائعه... فَعَدَلَكَ .

و قيل:«عدلك»إشاره إلى اعتدال قامه الإنسان،و هو ما يمتاز به عن بقيه الحيوانات،و هذا المعنى أقرب للمرحله القادمه و لكن المعنى الأوّل أجمع.

و فى المرحله الرابعه:تكون عمليه«التركيب»و إعطاء الصوره النهائيه للإنسن نسبه إلى بقيه الموجودات.

نعم،فقد تكرم البارى بإعطاء النوع الإنسانى صوره موزونه عليها مسحه جماليه بديعه قياسا مع بقيه الحيوانات،و أعطى الإنسان فطره سليمه،و ركّبه بشكلّ يكون فيه مستعدا لتلقى كلّ علم و تربيه.

و من حكمه البارى أن جعل الصور الإنسانيه مختلفه متباينه،كما أشارت إلى ذلك الآيه(٢٢)من سوره الروم: وَ مِنْ آيٰاتِهِ خَلْقُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلاٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوٰانِكُمْ ،و لولا الاختلاف المذكور لاختل توازن النظام الاجتماعى البشرى.

و مع الاختلاف فى المظهر فإنّ البارى جلّ شأنه قدّر الاختلاف و التفاوت فى القابليات و الاستعدادات و الأذواق و الرغبات،و جاء هذا النظم بمقتضى حكمته،و به يمكن تشكيل مجتمع متكامل سليم و كلّ حوائجه ستكون مؤمّنه.

و تلخص الآيه(۴)من سوره التين خلق اللّه للإنسان بصوره إجماليه: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسٰانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ .

و الخلاصه:فالآيات المبحوثه،إضافه لآيات أخر كثيره تهدف و بشكلّ دقيق إلى تعريف الإنسان المغرور بحقيقته،منذ كان نطفه قذره،مرورا بتصويره و تكامله فى رحم امّه،حتى أشدّ حالات نموه و تكامله،و تؤكّد على أنّ حياه الإنسان فى حقيقتها مرهونه بنعم اللّه،و كلّ حىّ يفعم برحمه اللّه فى كل لحظات حياته،و لا بدّ لكلّ حى ذى لبّ و بصيره من أن يترحل من مطيه غروره و غفلته،

و يضع طوق عبوديه المعبود الأحد فى رقبته،و إلّا فالهلاك الحتمى.

و تتناول الآيه التاليه منشأ الغرور و الغفله: كَلّٰا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ .

فالكرم الإلهى،و لطف البارى منعمه ليست بمحفز لغروركم،و لكنكم آليتم على عدم إيمانكم بالقيامه،فوقعتم بتلك الهاويه الموهمه. (۱)

و لو دققنا النظر فى حال المغرورين و الغافلين،لرأينا أنّ الشك بيوم القيامه أو إنكاره هو الذى استحوذ على قلوبهم و ما دونه مجرّد مبررات واهيه،و من هنا يأتى لتشديد على أصل المعاد،فلو قوى الإيمان بالمعاد فى القلوب لارتفع الغرور و انقشعت الغفله عن النفوس.

«الدين»:يراد به هنا،الجزاء يوم الجزاء،و ما احتمله البعض من أنّه(دين الإسلام)فبعيد عن سياق حديث الآيات،لأنّها تتحدث عن«المعاد».

و تأتى الآيات التاليه لتوضح أنّ حركات و سكنات الإنسان كلّها مراقبه و محسوبه و لا بدّ الإيمان بالمعاد و إزاله عوامل الغفله و الغرور،فتقول.. وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحٰافِظِينَ (۲) .

و هؤلاء الحفظه لهم مقام كريم عند اللّه تعالى و دائبين على كتابه أعمالكم:

كِرٰاماً كٰاتِبِينَ

.

يَعْلَمُونَ مٰا تَفْعَلُونَ

.

و«الحافظين»:هم الملائكه المكلفون بحفظ و تسجيل أعمال الإنسان من خير أو شرّ،كما سمّتهم الآيه(۱۷)من سوره(ق)بالرقيب العتيد: مٰا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلّٰا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ،كما و ذكرتهم الآيه(۱۶)من نفس السوره:

۱- ۱) -«كلا»حرف ردع لإنكار شىء ذكر و توهم،لكن...أى إنكار قصدته الآيه؟ثمه احتمالات عديده للمفسرين فى ذلك، و أهمها ما ذكر أعلاه،أى أن«كلا»جاءت لتنفى كل أسباب و منابع الغرور و الغفله و تجعلها فى إنكار القيامه و التكذيب به فقط. و هو ما ورد بعد«بل»و هذا ما اختاره الراغب فى مفردات(فى ماده:بل)،و قال بعد ذكره للآيه:قيل ليس هاهنا ما يقتضى أن يغرهم به تعالى و لكن تكذيبهم هو الذى حملهم على ما ارتكبوه.

۲- ۲) -قیل:إن«الواو»هنا حالیه،کما فی روح المعانی و روح البیان،و لکن احتمال کونها(استئنافیه)أقرب للحال.

إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيانِ عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ .

و ثمّه آيات قرآنيه اخرى تشير إلى رقابه الملائكه لما يفعله الإنسان فى حياته.

إنّ نظر و شهاده اللّه عزّ و جلّ على أعمال الإنسان،ممّا لا شك فيه،فهو الناظر لما يبدر من الإنسان قبل أىّ أحد،و أدق من كلّ شىء،و لكنّه سبحانه و لزياده التأكيد و لتحسيس الإنسان بعظم مسئوليه ما يؤديه،فقد وضع مراقبين يشهدون على الإنسان يوم الحساب،و منهم هؤلاء الملائكه الكرام.

و قد فصّلنا أقسام المراقبين الذين يحفون بالإنسان من كلّ جهه،و ذلك ذيل الآيتين(٢٠ و ٢١)من سوره فصّلت،و نوردها هنا إجمالا،و هى على سبعه أقسام.

أوّلا:ذات اللّه المقدّسه،كما فى قوله تعالى: وَ لا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاّ كُنّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ (١) .

ثانيا:الأنبياء و الأوصياء عليهم السّلام،بدلاله قوله تعالى: فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّهٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً (٢) .

ثالثا:أعضاء بدن الإنسان،بدلاله قوله تعالى: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ (٣) .

رابعا:جلد الإنسان و سمعه و بصره،بدلاله قوله تعالى: حَتّى إِذا ما جاؤُها شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ (۴) .

خامسا:الملائكه،بدلاله قوله تعالى:

١- ١) -يونس،الآيه ۶١.

٢- ٢) -النساء،الآيه ۴١.

٣- ٣) -النور،الآيه ٢۴.

۴- ۴) -فصلت،الآيه ٢١.

وَ جٰاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهٰا سٰائِقٌ وَ شَهِيدٌ

(۱)

،و بدلاله الآیه المبحوثه أیضا.

سادسا:الأرض..المکان الذی یعیش علیه الإنسان،بدلاله قوله تعالی:

یَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبٰارَهٰا

(۲)

.

سابعا:الزمان الذی تجری فیه أعمال الإنسان،بدلاله ما

روی عن الإمام علی علیه السّلام فی و قوله: «ما من یوم یمرّ علی ابن آدم إلاّ قال له ذلک الیوم:یا ابن آدم أنا یوم جدید و أنا علیک شهید» (۳) .

و

فی کتاب الإحتجاج للشیخ الطبرسی: إنّ شخصا سأل الإمام الصادق علیه السّلام عن علّه وضع الملائکه لتسجیل أعمال الإنسان فی حین أنّ اللّه عزّ و جلّ عالم السرّ و أخفی؟ فقال الإمام علیه السّلام:«استعبدهم بذلک،و جعلهم شهودا علی خلقه،لیکون العباد لملازمتهم إیّاهم أشدّ علی طاعه اللّه مواظبه،و عن معصیته أشدّ انقباضا،و کم من عبد یهم بمعصیه فذکر مکانهما فارعوی و کفّ،فیقول ربّی یرانی،و حفظتی علیّ بذلک یشهد،و أنّ برأفته و لطفه وکّلهم بعباده،یذبّون عنهم مرده الشیاطین،و هوام الأرض،و آفات کثیره من حیث لا یرون بإذن اللّه،إلی أن یجیء أمر اللّه عزّ و جلّ» (۴) .

و یستفاد من هذه الروایه أنّ للملائکه وظائف اخری إضافه لتسجیلهم لأعمال الإنسان کحفظ الإنسان من الحوادث و الآفات و وساوس الشیطان.

(و قد بحثنا موضوع وظائف و مهام الملائکه بتفصیل فی ذیل الآیه(۱)من سوره فاطر-فراجع).

۱- ۱) -سوره ق،الآیه ۲۱.

۲- ۲) -الزلزال،الآیه ۴.

۳- ۳) -سفینه البحار،ج ۲،ص ۷۳۹(ماده:یوم).

۴- ۴) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۵۲۲.

و قد وصفت الآيات المبحوثه هؤلاء الملائكه بأنّهم «كرام»،ليكون الإنسان أكثر دقّه فی مراقبه نفسه و أعماله،لأنّ الناظر كلّما كان ذا شأن كبير،تحفظ الإنسان منه أكثر و أكثر و استحی من فعل المعاصی أمامه.

و علّه ذكر«كاتبين»للتأكيد على إنّهم لا يكتفون بالمراقبه و الحفظ دون تسجيل ذلك بدقّه متناهيه.

و ذكر: يَعْلَمُونَ مٰا تَفْعَلُونَ تأكيد آخر على كونهم مطلعين على كلّ الأعمال و بشكل تام،و استنادا إلى اطلاعهم و معرفتهم يسجلون ما يكتبونه.

فالآيات تشير إلى حريه إراده الإنسان،و تشير إلى كونه مختارا،و إلّا فما قيمه تسجيل الأعمال؟و هل سيبقى للتحذير و الإنذار من معنى؟ و تشير أيضا إلى جدّيه و دقّه الحساب و الجزاء و الإلهی.

و يكفی فهم و استيعاب هذه الإشارات البيانيه الرّبانيه لإنقاذ الإنسان من وقوعه فی هاويه المعاصی،و تكفيه الإشارات عظه ليزكی و يعرف مسئوليته و يعمل بدروه.

***

بحث

اشاره

كتبه صحائف الأعمال:

لم تكن الآيات المبحوثه الدليل الوحيد على وجود المراقبين لأعمال الإنسان،و الكاتبين لها بخيرها و شرّها، بل ثمّه آيات كثيره و روايات عديده تناولت ذلك...و من جمله ما ورد من الأحاديث بهذا الشأن.

١-سؤال عبد اللّه بن موسى بن جعفر عليه السّلام لأبيه عن الملكين..هل يعلمان بالذنب إذا أراد العبد أن يفعله،أو الحسنه؟

فقال الإمام عليه السّلام: «ريح الكنيف و ريح الطيب سواء؟».

قال:لا.

قال:«إنّ العبد إذا همّ بالحسنه خرج نفسه طيّب الريح،فيقول صاحب اليمين لصاحب الشمال:قم فإنّه قد همّ بالحسنه،فإذا فعلها كان لسانه قلمه و ريقه مداده، فأثبتها له،و إذا همّ بالسيئه خرج نفسه منتن الريح،فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين،قف فإنّه قد همّ بالسيئه،فإذا هو فعلها كان لسانه قلمه و ريقه مداده،و أثبتها عليه» (۱) .

فالروايه تبيّن ما للنيّه من أثر على كامل وجود الإنسان،و أنّ الملائكه يسجلون ما وقع من فعل من الإنسان و لكنّهم مطلعين على فعل الواقع قبل وقوعه،و عليه فتسجيلهم لأعمال الإنسان دقيق جدّا،و لا يفوتهم شيئا إلّا و كتبوه فى صحيفته.

و الروايه أيضا،تأتى فى سياق الحديث النبوى الشريف:«إنّما الأعمال بالنيات» للتأكيد على ما لنيّه الإنسان من أثر على فعله الحسن أو السيء.

و تبيّن أيضا،بأنّ وسائل الكتابه هى جوارح الإنسان الناوى للفعل،فلسانه القلم و ريقه المداد! ۲-و ثمّه روايات تؤكّد على أنّ الملائكه مأموره بتسجيل النوايا الحسنه دون النوايا السيئه،و منها:

«إنّ تبارك و تعالى جعل لآدم فى ذريته من همّ بحسنه و لم يعملها كتبت له حسنه،و من همّ بحسنه و عملها كتبت له بها عشرا،و من همّ بسيئه و لم يعملها لم تكتب له،و من همّ بها و عملها كتبت عليه سيئه». (۲)

فالروايه تبيّن منتهى اللطف الرّبانى الفضل الإلهى على الإنسان،و تحث الإنسان على الأعمال الصالحه..فنيّته السيئه لا تسجل عليه،و فعله السيء يكتب عليه وفق موازين العدل،فى حين أنّ نيّته الحسنه و فعله الحسن يسجلان

۱- ۱) -اصول الكافى،ج ۲،ص ۴۲۹،باب«من يهمّ بالحسنه أو السيئه»الحديث ۳.

۲- ۲) -المصدر السابق،الحديث ۱-۲.

له وفق اللطف و التفضل الإلهی...

۳-و

روی عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،أنّه قال: «یهمّ العبد بالحسنه فیعملها،فإن هو لم یعملها کتب اللّه له حسنه بحسن نیّته،و إن هو عملها کتب اللّه له عشرا،و یهمّ بالسیئه أن یعملها،فإن لم یعملها لم یکتب علیه شیء و إن عملها اجّل سبع ساعات، و قال صاحب الحسنات لصاحب السیئات و هو صاحب الشمال:لا تعجل عسی أن یتبعها بحسنه تمحوها،فإن اللّه عزّ و جلّ یقول: إِنَّ الْحَسَنَاتِ یُذْهِبْنَ السَّیِّئَاتِ ،أو الاستغفار فإنّ هو قال:استغفر اللّه الذی لا إله إلاّ هو،عالم الغیب و الشهاده،العزیز الحکیم،الغفور الرحیم،ذو الجلال و الإکرام و أتوب إلیه،لم یکتب علیه شیء،و إن مضت سبع ساعات و لم یتبعها بحسنه أو استغفار قال صاحب الحسنات لصاحب السیئات:اکتب علی الشقی المحروم» (۱) .

۴-و

روی عن الإمام الصادق علیه السّلام: «إنّ المؤمنین إذا أقبلا علی المساءله قالت الملائکه بعضها لبعض: تنحوا عنهما فإنّ لهما سرّا و قد ستر اللّه علیهما»! (۲) ۵-و

فی خطبه لأمیر المؤمنین علیه السّلام،قال فیها بعد أن دعی الناس فیها لتقوی اللّه:«اعلموا عباد اللّه،إنّ علیکم رصدا من أنفسکم،و عیونا من جوارحکم، و حفّاظ صدق یحفظون أعمالکم،و عدد أنفاسکم،لا تسترکم منهم ظلمه لیل داج و لا یکنّکم منهم باب ذو رتاج«أی إحکام»،و إنّ غدا من الیوم قریب» (۳) .

***

ص: ۴۹۳

۱- ۱) -المصدر السابق،الحدیث ۴.

۲- ۲) -اصول الکافی،ج ۲،ص ۱۸۴،الحدیث ۲؛و عنه نور الثقلین،ج ۵،ص ۱۱۰.

۳- ۳) -نهج البلاغه،الخطبه ۱۵۷.

الآيات [سوره الانفطار (۸۲): الآيات ۱۳ الى ۱۹]

اشاره

إِنَّ اَلْأَبْرٰارَ لَفِی نَعِیم (۱۳) وَ إِنَّ اَلْفُجّٰارَ لَفِی جَحِیم (۱۴) یَصْلَوْنَهٰا یَوْمَ اَلدِّینِ (۱۵) وَ مٰا هُمْ عَنْهٰا بِغٰائِبِینَ (۱۶) وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا یَوْمُ اَلدِّینِ (۱۷) ثُمَّ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا یَوْمُ اَلدِّینِ (۱۸) یَوْمَ لاٰ تَمْلِکُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَیْئاً وَ اَلْأَمْرُ یَوْمَئِذٍ لِلّٰهِ (۱۹)

التّفسير

اشاره

«یوم...لا تملک نفس لنفس شیئا»:

بعد ذکر الآیات السابقه لتسجیل أعمال الإنسان من قبل الملائکه،تأتی الآیات أعلاه لتتطرق إلی نتائج تلک الرقابه،و ما سیصل إلیه کلّ من المحسن و المسیء من عاقبه،فتقول الآیه الاولی: إِنَّ اَلْأَبْرٰارَ لَفِی نَعِیمٍ .

و الثّانیه: وَ إِنَّ اَلْفُجّٰارَ لَفِی جَحِیمٍ .

«الأبرار»:جمع(بار)و«برّ»علی وزن(حق)،بمعنی:المحسن،و(البرّ) بکسر الراء-کلّ عمل صالح...و الآیه ترید العقائد السلیمه،و النیات و الأعمال الصالحه.

«نعیم»:و هی مفرد بمعنی النعمه،و یراد به هنا«الجنّه»،و جاءت بصیغه

النكره لبيان أهميه و عظمه هذه النعمه،التى لا يصل لإدراك حقيقتها إلاّ اللّه سبحانه و تعالى،و اختيرت كلمه«نعيم»بصيغه الصفه المشبهه،للتأكيد على بقاء و استمرار هذه النعمه،لأنّ الصفه المشبهه عاده ما تتضمّن ذلك.

«الفجّار»:جمع(فاجر)من(فجر)،و هو الشقّ الواسع،و قيل للصبح فجر لكونه فجر الليل،أىّ شقّه بنور الصباح،و(الفخور):شقّ ستر الديانه و العفه، و السير فى طريق الذنوب.

«جحيم»:من(الجحمه)،و هى تأجج النّار،و تطلق الآيات القرآنيه(الحجيم) على جهنّم عاده.

و يمكن أن يراد بقوله تعالى: إِنَّ الْأَبْرارَ لَفِي نَعِيمٍ وَ إِنَّ الْفُجّارَ لَفِي جَحِيمٍ الحال الحاضر،أىّ:إنّ الأبرار يعيشون فى نعيم الجنّه حاليّا،و إنّ الفجّار قابعون فى أوديه النّار،كما يفهم من إشاره الآيه(۵۴)من سوره العنكبوت: إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَهٌ بِالْكافِرِينَ .

و قال بعض:المراد من الآيتين هو حتميه الوقوع المستقبلى،لأنّ المستقبل الحتمى و المضارع المتحقق الوقوع يأتى بصيغه الحال فى اللغه العربيه،و أحيانا يأتى بصيغه الماضى.

فالمعنى الأوّل أكثر انسجاما مع ظاهر الآيه،إلاّ أنّ المعنى الثّانى أنسب للحال،و اللّه العالم.

و تدخل الآيه التاليه فى تفصيل أكثر لمصير الفجّار: يَصْلَوْنَها يَوْمَ الدِّينِ .

فإذا كانت الآيه السابقه تشير إلى أنّ الفجّار هم فى جهنّم حاليا،فسيكون إشاره هذه الآيه،إلى أنّ دخولهم جهنّم سيتعمق،و سيحسون بعذاب نارها، بشكل أشدّ.

«يصلون»:من(المصلى)على وزن(سعى)،و«صلى النّار»:دخل فيها، و لكون الفعل فى الآيه قد جاء بصيغه المضارع، فإنّه يدل على الاستمرار

و الملازمه فی ذلک الدخول.

و لزیاده التفصیل،تقول الآیه التالیه: وَ ما هُمْ عَنْها بِغائِبِینَ .

اعتبر کثیر من المفسّرین کون الآیه دلیلا علی خلود الفجّار فی العذاب، و خلصوا إلی أنّ المراد ب«الفجّار»هم«الکفّار»،لکون الخلود فی العذاب یختص بهم دون غیرهم.

ف«الفجّار»:إذن:هم الذین یشقون ستر التقوی و العفه بعدم إیمانهم و تکذیبهم بیوم الدین،و لا یقصد بهم-فی هذه الآیات- أولئک الذی یشقّون الستر المذکور بغلبه هوی النفس مع وجود حاله الإیمان عندهم.

و إتیان الآیه بصیغه زمان الحال تأکیدا لما أشرنا إلیه سابقا،من کون هؤلاء یعیشون جهنّم حتّی فی حیاتهم الدنیا(الحالیه)أیضا... وَ ما هُمْ عَنْها بِغائِبِینَ ، فحیاتهم بحدّ ذاتها جهنّما،و قبورهم حفره من حفر النیران(کما ورد فی الحدیث الشریف)،و علیه فجهنّم القبر و البرزخ و جهنّم الآخره...کلّها مهیأه لهم.

کما و تبیّن الآیه أیضا:إنّ عذاب أهل جهنّم عذاب دائم لیس له انقطاع،و لا یغیب عنهم و لو للحظه واحده.

و لأهمیه خطب ذلک الیوم العظیم،تقول الآیه التالیه: وَ ما أَدْراکَ ما یَوْمُ الدِّینِ .

ثُمَّ ما أَدْراکَ ما یَوْمُ الدِّینِ

.

فإذا کانت وحشه و أهوال ذلک الیوم قد أخفیت عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم-و هو المخاطب فی الآیه-مع کلّ ما له من علم ب القیامه،المبدأ،المعاد..فکیف یا تری حال الآخرین؟!!..

و الآیات قد بیّنت ما لأبعاد یوم القیامه من سعه و عظمه،بحیث لا یصل لحدّها أیّ وصف أو بیان،و کما نحن(السجناء فی عالم الماده)لا نتمکن من إدراک حقیقه النعم الإلهیه المودعه فی الجنّه،فکذا هو حال إدراکنا بالنسبه

لحقيقه عذاب جهنّم،و عموما لا يمكننا إدراك ما سيجرى من حوادث فى ذلك اليوم الرهيب المحتوم.

و ينتقل البيان القرآنى للتعبير عن إحدى خصائص ذلك اليوم،و بجمله وجيزه،لكنها متضمّنه لحقائق و معان كثيره: يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَ الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلّهِ .

فستتجلّى حقيقه أنّ كلّ شىء فى هذا العالم هو بيد اللّه العزيز القهّار،و ستبان حقيقه حاكميه اللّه المطلقه و مالكيته على كلّ من تنكر لهذه الحقيقه الحقّه، و ستنعدم تلك التصورات الساذجه التى حكمت أذهان المغفلين بكون فلان أميرا و رئيسا أو حاكما،و سينهار أولئك البسطاء الذين اعتبروا أن قدراتهم مستقله بعد أن أكل الغرور نفوسهم و تكالب التكبر على تصرفاتهم فى الحياه الدنيا الفانيه.

و تشهد على الحقيقه-بالإضافه إلى الآيه المذكوره-الآيه(۱۶)من سوره المؤمن حيث تقول: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلّهِ الْواحِدِ الْقَهّارِ .

و تشير الآيه(۳۷)من سوره عبس إلى انشغال الإنسان بنفسه فى ذلك اليوم دون كلّ الأشياء الاخرى،و لو قدّر أن يمنح قدرا معينا من القدره،لما نفع بها أحد دون نفسه!،حيث تقول الآيه: لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ .

حتّى

روى عن الإمام الباقر عليه السّلام،أنّه تناول ذلك الموقف بقوله: (إن الأمر يومئذ و اليوم كله لله،...)و إذا كان يوم القيامه بادت الحكام فلم يبق حاكم إلاّ اللّه» (۱) و هنا...يواجهنا السؤال التالى:هل يعنى ذلك،إنّ الآيه تتعارض و شفاعه الأنبياء و الأوصياء و الملائكه؟ و يتّضح جواب السؤال المذكور من خلال البحوث التى قدمناها بخصوص موضوع(الشفاعه)فقد صرّح الحكيم فى بيانه الكريم،إنّ الشّفاعه لن تكون إلاّ

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۴۵۰.

بإذنه،و إنّ الشّفاعه غير مطلقه،حسب ما تشير إليه الآيه(۲۸)من سوره الأنبياء لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضىٰ اللّهم!إنّ الخلائق تنتظر رحمتك و لطفك فى ذلك اليوم الرهيب،و نحن الآن نتوقع لطفك.

إلهنا!لا تحرمنا من الطافك و عناياتك فى هذا العالم و العالم الآخر.

ربّنا!أنت الحاكم المطلق فى كلّ مكان و زمان،فاحفظنا من التورط فى شباك الذنوب و السقوط فى وادى الشرك و اللجوء الى الغير...

آمين يا ربّ العالمين نهايه سوره الإنفطار انتهى المجلد التاسع عشر ***

ص: ۴۹۸

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ۱۴۲۶ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبيّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين في الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسک kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
www
للحصول على المکتبات الخاصه الاخری
ارجعوا الی عنوان المرکز من فضلکم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للایصاء من فضلکم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹